

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن





فريد الفالوجي

فريد الفالوجى

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن

الخطف - الاغتيالات - الفضائح

الجزء الثالث : الفضائح

مكتبة المهتدين الإسلامية



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
٢٠٠٤ / ٣٣٩١

الترقيم الدولى
٣ - ٧٠ - ٦٠٨١ - ٩٧٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : حراس الهيكل (الجزء الثالث : الفضائح)
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش. م. م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨



إهداء

إلى

الدكتور/ سامى حجازى

رئيس مجلس إدارة جريدة اللواء العربى ، وأحد أبطال ملحمة "كبريت" البطولية الشهيرة .. الذين سطروا ببطولاتهم أنشودة الوفاء والحب والوطنية ، فى أكتوبر العظيم ..!!

الفالوجى



مقدمـــة

عام ١٧٨٩ م ، وفي خطاب ألقاه عند وضع دستور الولايات المتحدة، قال الزعيم الأمريكي بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ — ١٧٩٠ م) ، وهو أحد مؤسسي الاستقلال الأمريكي:

أيها السادة [١] ..

في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالأخلاق ، وأفسدوا الذمم التجارية فيها، ولا يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم. وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليًا واقتصاديًا، كما فعلوا في البرتغال وإسبانيا.

فمنذ ١٧٠٠ سنة وهم يندبون حظهم التعس، ويعنون بذلك أنهم قد طردوا من ديارهم. وإذا افترضنا اليوم أن الدول ستعطيهم فلسطين فلن يستقر بهم المقام.. لماذا..؟

لأنهم مصاصو دماء (حشرات طفيلية) لا يستطيعون العيش بمفردهم، ولكن بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم .

هؤلاء .. إذا لم يُطْردوا من الولايات المتحدة — بنص دستورها — فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة، بأعداد تجعلهم يحكموننا ويغيروا شكل الحكم الذي ضحينا بالكثير في سبيله.

(١) انظر النص الأصلي للخطاب بالإنجليزية في ملحق الوثائق والصور.

ولو أننا لم نطرد اليهود الآن، ففي خلال ٢٠٠ (مائتي) سنة، سوف نجد أطفالنا يعملون في الحقول لإطعام اليهود، الذين سيجلسون في البورصات يفركون أيديهم اغتباطًا.

هذا.. وإني أحذركم، إن لم نطرد اليهود، وللأبد، فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم. ذلك لأن اليهود لم يتخذوا مُثُلنا العليا ولو عاشوا بيننا عشرة أجيال. فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط.

إن اليهود خطر على هذه البلاد إذا سمح لهم بحرية الدخول. ذلك لأنهم سيقضون على مؤسساتنا. وبناءً عليه، لا بد أن يُطردوا من الولايات المتحدة "بنص الدستور".

هذه الوثيقة[1] كانت بحق شهادة إدانة صريحة لليهود.. إذ تنبأ فرانكلين بخطر اليهود على الشعب الأمريكي، وهو الخطر الذي أفرز تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١، والعداء المتعاظم للولايات المتحدة من قبل الشعوب العربية والإسلامية، بسبب التأييد المطلق لمارسات إسرائيل في الأرض المحتلة، ودعمها سياسيًا وتسليحيًا وفي كافة المجالات.

كان بنيامين فرانكلين محقًا في كل ما نطق به، ومات في العام التالي دون أن يتصور مدى قوة التغلغل اليهودي الذي سيفرض إرادته فيما بعد على الولايات المتحدة، قرارًا وإعلامًا واقتصادًا، بل والسيطرة على مراكز القوة في العالم بأساليب احتيالية تقوم على إفساد الذمم وقلب الحقائق وتدمير الأخلاق.

---

(١)كان الطالب السعودي حسين أبو بكر القاضي أول من حصل على النص الأصلي للوثيقة باللغة الإنجليزية. وكان ذلك حينما كان يدرس في جامعة الباسيفيك الأمريكية، وقصد معهد بنيامين فرانكلين في فيلادلفيا لنقل النص حرفيًا من مصدره. يقول: (كم كانت دهشتي حين راجعت خطبة فرانكلين، إذ وجدت أن القسم الذي يتضمن هذه الوثيقة قد انتزع كاملاً، فراجعت المسئولين عن المعهد الذين هالهم الأمر، وأدركوا أن هناك جريمة خطيرة ارتكبها أحد المجرمين اليهود. لكن لحسن الحظ تبين بعد البحث، أن في المتحف نسخة أخرى من الخطاب لم يتطرق إليها عبث المفسدين، فنسخت عنها بالإنجليزية هذا الجزء المتعلق بالخطر اليهودي.) بعد ذلك عمد حسين القاضي على طبع عدة آلاف من الوثيقة وبعث بها إلى الهيئات الدولية والسياسية والعلمية، ونشرتها مجلة المسلمون والعديد من المجلات والصحف الإسلامية عام ١٣٨٠هـ. (عن المخابرات والعالم . الجزء الأول ص ٤٥٦) .

المثير حقاً، أن زعماء الصهيونية العالمية بعد موت فرانكلين، استشعروا صعوبة إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وبدا لهم أن هذا الحلم بعيد المنال. لذلك، فقبلما يفكرون في دراسة إقامة مملكة إسرائيل في دول أخرى مثل أوغندا وتركيا، فكروا بصورة جدية في إقامتها بمنطقة متاخمة لأمريكا، وكان ذلك عام ١٨٢١ بواسطة صهيوني يدعى (مردخاي مانويل نوح.) .

خيل لمردخاي هذا أنه "مبعوث العناية الإلهية" لجمع شتات اليهود وإعادة ملكهم ودولتهم، فنزح إلى جزيرة جراند أيلاند[١] **Grand Island** على مقربة من مدينة بفالو **Buffalo** ، وكانت الجزيرة في ذلك الوقت مشاعًا،أي لا تتبع أراضي الولايات المتحدة ولا تخضع أيضًا لبريطانيا. لذلك أطلق عليها مردخاي مانويل اسم "أورشليم المستقبل"، وأعلن نفسه ملكاً أناطت به السماء مهمة جمع شتات "شعب الله المختار" [٢].

وفي سبتمبر عام ١٨٢١ أقيم احتفال حاشد بتأسيس "أورشليم المستقبل" نواة مملكة إسرائيل الجديدة، وأصدر ملك بني إسرائيل المزعوم نداءات إلى شعبه وقعها باسم: مردخاي مانويل نوح، من رعايا الولايات المتحدة، وقنصلها السابق في تونس ، والعمدة الفخري لنيويورك، والمستشار القانوني، وحاكم إسرائيل إن شاء الله.

دعا مردخاي أيضًا يهود العالم وأحبارهم إلى طاعته، وفرض ضريبة إجبارية على كل يهودي قدرها دولار في العام من أجل بناء المملكة، وترسيخ اقتصادها. لكن ملك اليهود سرعان ما مات كمدًا بعدما سارعت الولايات المتحدة بضم الجزيرة إلى أراضيها، وقاومت رغبته في تأسيس مملكة يهودية على أراض أمريكية ، وأشيع وقتها أن ملك اليهود الذي لم يتوج ، اتهم

---

(١) جزيرة صغيرة لا تظهر إلا على خريطة نيويورك، تقع وسط مجرى مياه نهر نياجرا **Niagara**، وهي على شكل مثلث قاعدته إلى أعلى وأقصى طول للجزيرة حوالي ١٣ كيلومترًا × ٨,٥ كيلومترات عرضًا. وهي حاليًا تتبع إداريًا منطقة **Erie** المطلة على بحيرة بالاسم نفسه شمال شرق نيويورك.

(٢) مجلة المصور ، أغسطس ١٩٤٨ .

بالتحرش الجنسي بالأطفال، بل وأثيرت من حوله الشكوك في جريمة اغتصاب وقتل طفلة يهودية في السابعة من عمرها .

وبفشل مشروع مردخاي مانويل استيقظ حلم مملكة إسرائيل في عقول اليهود، حيث اتجهت الآراء إلى إمكانية تحقيقه في أوغندا أو تركيا، وربما فلسطين، وهو ما يشير إلى مبدأ جمع يهود العالم فوق مساحة ما من الأرض، وعلى أي قارة، دون الالتفات إلى موقع بعينه، بما ينفي مزاعم وأساطير أرض الميعاد التي روجوا لها في فترة متأخرة، لإضفاء الصبغة الشرعية على عملياتهم الإرهابية فوق أرض فلسطين تمهيدًا لابتلاعها.

واستكمالاً لجزأي الكتاب السابقين، عن عمليات الخطف، والاغتيالات، كان الجزء الثالث المعني بالعمليات التي ساعدت إلى حد كبير، على فضح ممارسات إسرائيل وإرهاب الدولة، متضمنًا بعض تلك العمليات التي روجت لأسطورة الاستخبارات الإسرائيلية وجرأة رجالها، واعتمدت عليها تل أبيب كثيرًا فيما بعد، في إقناع أجهزة الاستخبارات العالمية بعبقريتها في التخطيط والأداء، إلى آخر مسميات الألفاظ التي تقود في النهاية إلى معنى الإرهاب وانتفاء الأخلاق عند قوم بلا أخلاق، لولا إنجلترا وأمريكا ما قامت لهم دولة، وما جرؤ خنزير منهم على النظر في وجه عربي..!

فريد الفالوجي



فضيحة المخابرات الإسرائيلية في حرب أكتوبر..!!

(لم أكن أصدق ما أراه.. جنود كالأسود لا يخافون الموت.. يزأرون فنرتعد.. زرعت بهم أرض سيناء في لحظة كالحلم.. وطويلة كالأمد..

لقد تجمدت الدماء في عروقي عندما أمسكوا بي. وصرخت: أرجوكم.. أرجوكم لا تقتلوني.. وعندما بكيت قال لي أحدهم.. لا تبك أمام جنودك.. فبكيت غصبًا عني لإنسانية المصريين الذين كنا نقتل أسراهم في يونيه ١٩٦٧ بلا رحمة!!)

عساف ياجوري

خطوات المجد

لقد ضللت إسرائيل نفسها حين تصورت بأنـها أسـطورة لا تقـهر، وأقنعـت نفسـها بـأن العـرب صدقـوا هـذه المقولـة وآمنـوا بـها. لذلـك جـاء بـالتحليلات الاستخباراتية قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣، أن تحركات الجيـوش العربيـة علـى الجبـهات مـا هـي إلا ضـرب مـن ضـروب اليـأس.. وضجيـج انكسـار الأمـل.. ومعزوفات القنوط.

تعملق بداخل إسرائيل هذا الهاجس الذي تحول مع فرط الغـرور إلى حقيقـة نسجوا خيوط يقينها. وفندوا صدق حدسهم، لتدور آلة دعايتهم تروج الأحـاجي عن الوهن العربي الذي استعذب الركون إلى هدأة كالمرض، تتخللها تصريحـات عاجز.. وخطرات أشل معاق.

لكن الذي لم تكن تدركه الدولة الصهيونية، أن الهدوء العربي.. كـان هـدوء تحين وانقضاض، فاجتياح كالسيل يقتلع كل ثابت.. ويطأ أسـاطير إسـرائيل.. ليلبس العرب ثوب الفخار..!!

لم تكـن نكسـة يونيـه ١٩٦٧ نهايـة مؤكـدة لإصـرار العـرب علـى مواجهـة إسرائيل. بل كانت هي المحك الرئيسي ليقظـة الإصـرار علـى اسـتعادة الأرض المغتصبة والكرامة العربية

لقد ظل موشى ديان وقتها ينتظر طويلاً بجـوار التليفـون اتصـالات العواصـم العربيـة محملـة بـالخضوع والـولاء كمـا كـان يعتقـد. فـهكذا صـورت الدعايـة الإسرائيلية للعالم، أن هزيمة يونيو هي الحجم الحقيقـي لقـوة العـرب بعـد أ ن تحولت السيرة الذاتية لجنرالات إسـرائيل إلى أسـاطير عسـكرية لم يسـبق لهـا مثيل، وصار كل جندي ومواطن إسرائيلي يمثـل خرافـة مـن خرافـات الزمـان، حيث نسجت قصصًا بطولية خيالية تحكي عن الجيـش الـذي لا يقـهر، وخـط

بارليف الحصين الذي هو الحاجز النفسي ذو الأثر المدمر لخطط العرب إذا ما فكروا في اقتحامه، إذ كان من المفترض أن يبقى هكذا ، ولعشرات السنين رمزًا للقوة الإسرائيلية ، وينظر إليه العرب بخوف.. ورعب.. وانكسار.

لكن.. فوجئت إسرائيل كما فوجئ العالم كله بالاجتياح العربي في توقيت لم يكن ليتخيله أحد.. وبتكتيك عسكري معجز.. وعبقرية في التمويه والتخطيط والتحرك والهجوم والاشتباك.

كيف تم ذلك مع وجود خمسة أنواع متقدمة من أقمار التجسس تمتلكها أمريكا، تطير بلا توقف على ارتفاعات بين ٢٢ ٩٨ ميلاً ... وترصد سطح الأرض كاملاً كل ٢٤ ساعة، فتكشف أية تحركات أو تجمعات حربية في المناطق الساخنة، وترسل إشاراتها فورًا إلى إحدى سبع محطات أرضية حول العالم؟.

أقمار مزودة بكاميرات دقيقة تستطيع تصوير أجسام على سطح الأرض أصغرها قطعة عملة معدنية صغيرة.. هكذا يدعون[1].. تكنولوجيا معقدة تساندها جيوش جرارة من العملاء والجواسيس ورجال المخابرات الأمريكية الذين لا يكفُّوا عن تزويد الدولة الصهيونية بأدق تحركات الجيوش العربية وأسرارها، والطواف المستمر لسفن التجسس الأمريكية حول المنطقة، مع غرس أجهزة التنصت في سيناء وإيران لكي تعد علينا أنفاسنا، إضافة إلى شبكة علاقات قوية بين الموساد وأجهزة مخابرات معظم الدول.

فكيف حدث ما حدث وأوشكت إسرائيل على أن تصبح مجرد اسم على خريطة التاريخ..؟

إنها المخابرات العربية.. بصبر عجيب وباحتراف أعجب.. حيرت العالم أجمع وقلبت موازين النظريات العسكرية كلها..

---

(١) في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، روَّجت أجهزة الاستخبارات المركزية صورًا ادعت أنها التقطت لصدام حسين وهو يسبح في نهر دجلة، كما أكدت أن أقمار التجسس تستطيع التقاط أنفاس صدام، وتصوير ماركة فانلته الداخلية..!!

ففي ٦ أكتوبر كانت المفاجأة التي أذهلت العدو.. وأفقدته عقله وتوازنه. وكان الاجتياح العظيم لأسود عبرت القناة تزأر في شراسة وتنشق عنها الأرض في كل موقع، فترتج تحت أقدامها أسطورة العدو وتنهار خططه..

إنها معركة خلدها التاريخ وسجلها إقدام الجندي العربي الذي استقبل الموت سهلاً في سبيل كرامة وطنه وأمته. وها هي لحظة الانتقام قد أتت، فهناك جنود خلف الجدران بين الخرائط والأوراق والصور في مباني المخابرات وغرف العمليات.. وجنود آخرون يحملون السلاح على الجبهة، واتتهم الفرصة ليؤكدوا للعالم أجمع، أن نكسة ١٩٦٧ كانت صنيعة المخابرات المركزية الأمريكية، وطعنة الغدر التي ترجمت إلى نصر ساحق لجيش إسرائيل الذي قالوا عنه بثقة إنه لا يقهر، والقوة التي لا تلين، والإصرار الذي لا يهدأ. لكنه في أكتوبر يقهر وينثني ويتقهقر. وتتحطم قوته أمام ضربات الجندي العربي. أما إصراره فكان صراخ وارتجاف ذهول يطلب الهدنة.

يومها.. عاود العالم من جديد تقليب صفحات التاريخ . ففي السابق كانت لنا قادش وعين جالوت وحطين ، فتواصل نصر أكتوبر مع خطوات المجد تدق دروب الماضي والحاضر ويزهو بها المستقبل، مؤكدًا للدنيا أن شعبًا حضارته كالشمس تسطع .. لن تخنقه عصابة صنعها الوهم وتؤمها الأسطورة .

المفاجأة

وبعيدا عن التشنجات وشد عضلات الوجه، فنصر أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن وليد قرار بالعبور أصدره السادات. إنما هو إفراز طبيعي لدروس النكسة، والتنسيق الأسطوري بين القيادات العسكرية وأجهزة المخابرات العربية التي جاءت بأدق الأسرار والمعلومات عن العدو. تنسيق رائع تم في إطار علمي ومنهجي حديث وتكتيك عبقري أرسى دعائمه رجال القوات المسلحة، حيث كان الإصرار على استرداد الأرض والثأر من الغاصبين.

كانت التوجهات العامة السياسية والعسكرية تطالب بضرورة الصمود العسكري بسرعة أمام العدو ورفض الهزيمة، مع إعادة تنظيم الجيش بالتدريج بعدما فقد ٨٥٪ من سلاحه في حرب يونيه. واستمرت حرب الاستنزاف ثلاث سنوات شرسة مؤلمة أعادت بعض الثقة لقواتنا بعدما تحول العدو في النهاية إلى مدافع. وامتلأت نشرات أخبار وصفحات الجرائد الإسرائيلية كل يوم بقوائم القتلى اليهود من جراء العمليات العسكرية المؤثرة، في حين كانت فرق الكوماندوز المصرية قد نجحت في خطف جنود وضباط يهود أحياء من خلف خطوط العدو، وعبور القناة بهم كتدليل على قوة المقاتل المصري وجرأته، ويقظة رجال المخابرات المصرية الذين صَعَّدوا عملياتهم الفدائية في العمق الإسرائيلي حتى ميناء إيلات نفسه، برغم الموانع الإلكترونية والألغام البحرية.

إنه صراع بين الإرادتين، وكانت إرادة مصر في إقامة شبكة الصواريخ (سام) المضادة للطائرات تزيد قوة كل يوم، في ذات الوقت الذي تصر إرادة العدو على منع ذلك بأي ثمن. وكان الأسبوع الأول من يونيو ١٩٧٠ يسمى بالأسبوع الأسود في إسرائيل، حيث خسرت فيه ١١ طائرة فانتوم وسكاي هوك. لذلك عجلت الدولة الصهيونية بمشروع روجرز لوقف إطلاق النار في ٧ أغسطس ١٩٧٠، وسعت أمريكا لدى العرب للموافقة إنقاذًا لإسرائيل

يقول الجنرال ماتيتياهو بيليد، أحد أركان الحرب الإسرائيلية في حرب يونيو:

(إن سياسة موشى ديان قد أدت إلى هزيمة إسرائيل في حرب الاستنزاف، لذلك أسرعنا بقبول مبادرة روجرز بعد أن فشلنا في إسقاط عبد الناصر عن طريق ضرب العمق المصري بالطائرات وفقدنا السيطرة على الأجواء المصرية. والمكسب الرئيسي كان اختفاء قوائم القتلى الإسرائيليين من الصحف يوميا).

لقد تم تدمير حوالي ٦٠٪ من خط بارليف خلال حرب الاستنزاف التي كان لها الدور الأكبر في رفع الروح المعنوية لقواتنا العربية وتطوير وحداتها وتدعيم

ترابطها وعملها المشترك. مما دعا جريدة دافار الإسرائيلية لأن تقول: (إن خسائرنا في حرب الاستنزاف عالية جدًا قياسًا بنسبة عدد السكان إلى خسائر أمريكا في الحرب العالمية الثانية أو حرب كوبا أو حرب فيتنام).

وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ وقف السادات يقول في ذكرى وفاة عبد الناصر: (إن تحرير الأرض هو المهمة الأولى التي تواجهنا وسوف نحقق هذا الهدف بإذن الله)

ولم يكن أحد يعرف أن السادات كان قد أعطى أمر المعركة بالفعل. وأن الآلة الحربية الضخمة التي تدور وتستعد منذ سنوات قد وصلت في استعداداتها إلى الذروة، وأن الاجتياح العظيم آتٍ بعد أسبوع ليحيل حلم العبور إلى حقيقة واقعة.

المخابرات المصرية كانت حينذاك في أوج نشاطها وأجادت لعبة التمويه باقتدار مثير، حيث رتبت من الخطط ما أذهل العالم عندما قامت بخداع أدق أجهزة التنصت، وبثقة رتبت خطوات التمويه والمفاجأة التكتيكية والعبور، متغلبة على أعتى المشكلات دون كشف استعدادات الحرب قبل ساعة الصفر، وأوحت للمخابرات الأمريكية وللموساد أن هذه التحركات قبل العبور بأيام، مجرد تدريبات عسكرية روتينية لا أكثر، بل واستمرت في خداعها للعدو حتى قبيل اللحظة الحاسمة بخمس دقائق.

كانت المفاجأة تشبه إلى حد كبير غزو هتلر المفاجئ للاتحاد السوفييتي[1]،

---

(١) قام هتلر بغزو الاتحاد السوفييتي فجر يوم الأحد ٢٢ يونيو عام ١٩٤١. وكان ستالين يومها يمضي إجازة قصيرة في مصيفه على البحر الأسود، حيث غادر (فيللا ناديا) واستقل اليخت لصيد السمك. وبينما كان منهمكًا في صيد سمك كيفال، اتصل به وزيره مولوتوف ليخبره بهجوم القوات النازية.. فقال ستالين غاضبًا: لقد خدعنا هتلر.

والهجوم الياباني الناجح على ميناء بيرل هاربور[1] وتدمير الأسطول الأمريكي بالكامل، وكانت المفاجأة أيضًا توصل القوات المصرية إلى طريقة سريعة لفتح ثغرات في السد الترابي ومعدلات السرعة العالية في إقامة رؤوس الكباري.

والمفاجأة بالتدريب المحكم على نماذج أقيمت لخط بارليف وكيفية اقتحامه.

ومفاجأة عبور جيشين مصريين كاملين بكل قياداتهما ومعداتهما للناحية الأخرى من القناة في زمن قياسي.

ومفاجأة التكتيك الحربي الذي حير قوات العدو وأطاح بخطوط دفاعاته. يقول بارليف نفسه: (إن هناك إجماعًا على أن إسرائيل قد فوجئت تمامًا ببدء الحرب وكانت المفاجأة نتيجة خداع ذاتي.. المفاجأة بالتوقيت، والمكان، وحجم القوات، ووحدة الهجوم واتساعه، والأسلحة المستخدمة، وأساليب الحرب الجديدة).

وقالت صحيفة الجارديان في ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ (لقد أصاب الجيش الإسرائيلي ما أصاب الشعب. فلقد تخبط وتعثر لهول المفاجأة. وأثبتت الموساد أنها ليست رائدة التفوق ولا تزيد عن كونها إدارة للأبحاث في وزارة الهجرة)

خطة التمويه

إن العبور العظيم وأسلوب الحرب الجديد الذي استحدثته قواتنا المسلحة كان نتيجة طبيعية لعمل جماعي قامت به المخابرات المصرية مشتركة مع القوات المسلحة، بالتعاون مع الأفراد والهيئات والقيادة السياسية في أروع

---

(١) بدأ الهجوم على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور مع أول ضوء يوم الأحد ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ بـ١٨٣ طائرة. وفي دقائق معدودة انقضت على الأسطول وأغرقت منه أكثر من ١٠ قطع بحرية من بوارج وطرادات، ثم هاجمت الدفعة الثانية من الطائرات اليابانية بـ١٧١ طائرة، أغرقت بقية الأسطول وحاملات الطائرات، ودمرت مطاري هيكام وهويلر تمامًا، وكان قائد الهجوم الأول الضابط الياباني متسو فوشيدا. أما قائد الطيران فكان الأميرال ياماموتو الذي أسقط الأمريكيون طائرته فيما بعد فقتل.

ملحمة. فانتصار أكتوبر مزيج من الشجاعة والصبر والعلم والعمل والتحدي، ونسيج عبقري من الإرادة والقدرة على التخطيط والتمويه والمفاجأة.

لقد كانت هناك أكثر من ١٦٥ حيلة بارعة لخداع العدو[1] الذي أشاع أنه الأقوى، وأن العرب لا يعرفون فنون الحرب.

وكان لابد من مفاجأة العدو الذي يعرف جيدا أننا نستعد لمهاجمته ونتربص به، وهو أيضا كان يراقب تحركاتنا جيدًا ويتجسس علينا.. وكان توفير عنصر المفاجأة أمرًا صعبًا، إلا أن أجهزة مخابراتنا القوية استطاعت تحقيق المفاجأة الحقيقية بتضليل العدو حول نوايا تحركات قواتنا، وكذلك التحضير للهجوم في سرية بالغة، مع مباغتة العدو من حيث لا ينتظر مكانًا وزمانًا، بالإضافة إلى استخدام أسلحة ومعدات وأساليب قتال غير معروفة للعدو.

كانت خطة الخداع متزامنة مع خطة العمليات. ووصلت درجة الكتمان لدرجة أن يوم العبور لم يكن معروفا إلا لاثنين.. الرئيس السادات والفريق أول أحمد إسماعيل علي وزير الحربية.. وحتى عندما بدأ العد التنازلي قبل شهر من بدء المعركة، فإن السر ظل محظورًا بينهما فقط. فقبل أيام قليلة من يوم المعركة كانت تفاصيل الخطة تنزل من قادة الجيوش إلى قادة الفرق.. ثم قادة الألوية.. ثم قادة الكتائب.. على أن بعض الضباط والجنود من طلائع الهجوم المصري عرفوا قبلها بثمان وأربعين ساعة، وبعضهم عرف صباح اليوم نفسه.

وخطة التمويه كانت تعتمد على الميادين الدبلوماسية والعسكرية والإعلامية.

ففي الميدان الدبلوماسي :

نشط مندوبا مصر وسوريا في الحديث عن السلام في مؤتمرات عدم الانحياز واجتماعات الأمم المتحدة وغيرها. وعندما زار (كورت فالدهايم) السكرتير العام

---

(١) ذكرت بعض المصادر أن خطة المفاجأة استلزمت أكثر من ٢٤٠ خدعة لتضليل العدو.

للأمم المتحدة الشرق الأوسط في نهاية أغسطس ١٩٧٣ ، فوجئ باستعداد سوريا لمناقشة القرار ٢٤٢ الذي طالما رفضته من قبل بشدة، لأنه يعترف بشكل غير مباشر بحق إسرائيل في الوجود. وقبل الهجوم بعدة ساعات فقط، اجتمع هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا مع نظيره المصري محمد حسن الزيات للبحث في مبادرة كيسنجر للسلام، والمقرر البدء بها بعد إجراء الانتخابات النيابية الإسرائيلية مباشرة[1]

وفي الميدان العسكري :

كان يتم دفع لواء كامل في النهار إلى الجبهة وفي الليل ترجع كتيبة واحدة، لكي يشعر العدو أن القوات التي ذهبت في مهمة تدريب عادت إلى حيث كانت، وبهذا نجحت القيادة العسكرية في نقل قواتها إلى ميدان القتال بالتدريج البطيء وكانت تعيد القوات المنقولة إلى أماكنها الأصلية لتوهم الأقمار الصناعية الأمريكية أن الأمور طبيعية. كما منع الاتصال اللاسلكي أثناء التحركات وبعدها وهو ما يعرف بالصمت اللاسلكي، وكانت المناورات الحربية الكبيرة والمتكررة حلقة من حلقات الإجراءات الخداعية، وتحت هذا الستار كان يتم استدعاء الاحتياطي للمشروع السنوي في المدة من ١ ٧ أكتوبر كل عام. حيث جعلت القيادة المصرية من منطقة القناة ميدانًا لأغلب المناورات حتى يتعود العدو على عمليات الحشد والتحركات العسكرية.

وبدأت القيادة العسكرية التعبئة الحقيقية في ٢٧ سبتمبر بطلب استدعاء ٧٠ ألف رجل، وفي ٣٠ سبتمبر استدعت ٥٠ ألف آخرين. وللتمويه تم تسريح ٢٠ ألف منهم يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، وعمدت القيادة العسكرية إلى سحب الدبابات التي تقبع فوق مصاطبها، ثم تعود فتصعد، ثم تسحب، وهكذا بالنسبة لبقية

---

(١) كان مقررًا أن تتم الانتخابات في آخر أكتوبر ١٩٧٣

فروع الجيش ولمدة عام كامل، بهدف تعويد العدو على وجود الدبابات والمدفعية في وضع استعداد بدون نية الهجوم.

أما على ضفة القناة فقد أقام المصريون سدًا رمليًا عاليًا بقصد الحماية وإخفاء حشود الدبابات والمدافع. وكان إخفاء وجود صواريخ سام ٦ له أثر كبير في المعركة، وإن كان قد تسبب في تضحية سوريا بثلاث عشرة طائرة ميج يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ تصدت للطائرات الإسرائيلية المغيرة. حيث كان بمقدور القوات السورية إسقاط طائرات العدو، لكن ذلك سيكشف للعدو وجود هذه الصواريخ في سوريا. وهو أمر كان سيفوت الفرصة التكتيكية فتأخذ إسرائيل حذرها. ونشرت صحيفة هآرتس صورة كاريكاتيرية للطائرات الثلاث عشرة كعلامة استفهام.

أما معدات العبور - وهي الكباري - فقد تعمدت القوات تأخير إرسالها إلى الجبهة إلى أقصى درجة ممكنة. فقد كان مؤكدًا أن خروجها من مخازنها بالدلتا كفيل بكشف نوايانا للعدو. وتم صنع صناديق خشبية جرى تحميلها بصورة لا تدعو إلى الريبة وأخفيت في حفر على جانب القناة.

وعلى خط المواجهة، كانت الوحدات العسكرية تعيش في أوضاع عادية وحتى قبل دقائق من الهجوم.. فقد كان هناك اهتمام بأقل التفاصيل التي أحكمت خطة الخداع العبقرية. كان الجنود يسبحون في مياه القناة دون سلاح في الواحدة ظهرًا قبل ساعة الصفر بساعة واحدة كما تعودوا على ذلك كل يوم. بل وشوهد بعض الجنود يمصون أعواد القصب على شاطئ القناة في استرخاء تام، وآخرون كانوا يجلسون وأرجلهم في الماء يصطادون السمك. ووجد بعض الأطفال يلعبون في مرح وعمال الحدائق ظلوا يعنون بحدائق البيوت المهجورة على شاطئ الإسماعيلية.

وامتدادًا لتأكيد صورة التراخي والسلبية، منعت القيادة السياسية على جنودها ارتداء الخوذات الفولاذية لثقة العدو بأن العرب لا يهاجمون قبل أن يستكملوا الجوانب المظهرية.

أما مدمرات الأسطول المصري فقد قامت بزيارات ودية لعدد من الموانئ وتواجدت قرب شواطئنا قبل الهجوم بفترة وجيزة في خطة مدروسة ومرتبة جيدًا

وفي المجال الإعلامي :

فالتليفزيون المصري بقناتيه تبارى في تقديم أفلام غاية في الخلاعة والعرى، وانحط المستوى الأخلاقي للأفلام والبرامج التليفزيونية المصرية بدرجة لم يسبق لها مثيل، بحيث يصل الأمر بأي امرئ يتعاطف مع القضية العربية حد التقزز من هذه القضية. وليستشف العدو من وراء ذلك محاولة إلهاء الشعب وكانت مباريات كرة القدم تذاع معظم الوقت حتى وصل عددها إلى أربعة مباريات أسبوعيا.

هذا في الوقت الذي لا تكف فيه الصحافة المصرية والسورية عن البحث عن حل سلمي للنزاع في الشرق الأوسط وإظهار عدم الرضا عن خطف الطائرات والأعمال العسكرية التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون والتي تزايدت حدتها بعدما تراخت الجبهتان عن القتال

وفي أواخر أغسطس ١٩٧٢ نشرت وكالات الأنباء العالمية خبرًا يقول بأن ٤٠٪ من السلاح، ٦٠٪ فقط من الطائرات الحربية المصرية في حالة صالحة للاستعمال. وتوالى النشر في صحف إيطاليا وبريطانيا وفرنسا أن مصر ينقصها البنزين وقطع الغيار، وهناك طيار واحد لكل طائرتين، وأن الطائرات الحديثة الأسرع من الصوت ملقاة مثل حجارة جامدة، وأكثر من ٣٠ طائرة منها تحطمت في التدريبات.

نشر أيضًا أن إسرائيل تمتحن استعداد الجيش المصري بصورة مستمرة، والاستنتاجات تقول إن مصر (أشبه بكيس فارغ)، وبأن فريقًا سوفييتيًا من خبراء الصواريخ عاد إلى مصر لفحص نظام الدفاع الصاروخي وروع من الإهمال وعدم الاستعداد الذي اكتشفه ولمسه لدى القيادة العسكرية.

ثلاثة أرباع الحرب

وفي الوقت الذي انشغلت فيه الموساد بمطاردة رموز المقاومة الفلسطينية في كل عواصم العالم، كان في إسرائيل يقين أكيد على أن العرب لا يمكنهم المغامرة بالدخول في حرب معهم. وعلى ذلك اهتم قادة إسرائيل يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٣ بهجوم بعض الفلسطينيين على قطار نمساوي يحمل عددًا من المهاجرين اليهود القادمين من موسكو في طريقهم إلى إسرائيل، حيث طالبوا الحكومة النمساوية بغلق مركز تجميع اليهود في فيينا المعروف باسم قلعة (شوناو). وقبلت الحكومة النمساوية الطلب وقامت قيامة إسرائيل.

وليس من المبالغة القول أنه منذ ذلك اليوم حتى بدء الهجوم، لم يكن لدى إسرائيل أهم من هذا الحادث. فغرقت فيه عن آخرها مع قادة مخابراتها، حتى قيل إن هذه العملية الفدائية من ترتيب المخابرات العربية. وهي على كل حال ضربة ماكرة لتحويل الاتجاه عن الهدف الصحيح، وعملية بارعة جدًا سيطرت على كل أجهزة وشعب إسرائيل حتى اليوم السابق للهجوم، وأغرقته في مظاهرات وإضرابات واجتماعات وزارية ومانشتات صحف، وكل ما من شأنه منع الإحساس بالتهديد العنيف المحتشد على الحدود الإسرائيلية، وبالتالي كانت أخبار الحشود العسكرية العربية تختفي وراء أخبار حادث شوناو.

وفي ٣ أكتوبر تحدثت جولدا مائير لمدة ساعتين ونصف في اجتماع مجلس الوزراء عن عملية شوناو وبررت مصر حشودها بخشيتها من هجوم إسرائيلي انتقامي. وبدا التبرير منطقيا.

وعندما أطلق الأمريكيون قمر التجسس (سامون) في ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣، كانت لديهم شكوك في نوايا العرب وتحركات قواتهم. وفي ٣٠ سبتمبر ازداد قلق المخابرات الأمريكية ولكنها على كل حال تعودت على تقديرات المخابرات الإسرائيلية وتقاريرها التي تنفي محاولة الهجوم العربي.. لكن تكررت

التحذيرات الأمريكية لإسرائيل ثلاث مرات خلال الأسبوع الـذي سـبق نشـوب الحرب. مما يدل على مـهارة مخابراتنـا المصريـة برغـم وجـود أجـهزة اسـتماع وتنصت دقيقة في سيناء قالوا عنها إنها تلتقط صوت فرشاة الأسنان[1]

وعلى ذلك.. فإن إجراءات وترتيبات التضليل الاستراتيجية والتكتيكية التي اتبعها الجانب المصري كانت ناجحة إلى حد ليس له مثيل. فـأخرت إحسـاس إسرائيل بالهجوم حتى آخر لحظة ممكنة، ويدل هذا على دراسة كـل تفـاصيل التحرك العسكري المعقد، لعبور مانع مائي صعب يتلوه خط دفاع قوي محصن، بعد إغلاق فتحات مواسير المواد المشتعلة عشية يوم الهجوم. مما دعا ديـان لأن يقول بثقة ذات يوم: إن المصريين لا يعرفون أي جحيم ينتظرهم. فخط بـارليف منيع للدرجة التي تسمح لنا بالاحتفاظ به مدى الحياة .

وبعد العبور قال ديان لقد كان خط بارليف كقطعة جـبن مليئـة بـالثغرات أمام ضربات المصريين. وتحـول خـلال سـاعات قليلـة إلى مقـابر جماعيـة تضم ضحايا الحرب من أبناء إسرائيل.

أما عساف ياجوري – أشهر أسير إسرائيلي في حرب أكتوبـر – فقـد قـال في كتابه (لنعش معهم): لم أكن أصدق ما أراه.. جنود كالأسود لا يخافون الموت. يزأرون فنرتعد.. زرعت بهم أرض سـيناء في لحظـة كـالحلم، وطويلـة كـالأمد، يبثون فينا الرعب والهلع. لقد تجمدت الدماء في عروقي حينما أوقعوا بي ومعي أربعة جنود.. وصرخت: أرجوكم.. أرجوكم.. لا تقتلوني ، وعندما بكيت قـال لي أحدهم واسمه الكابتن فاروق: لا تبك أمـام جنـودك.. لكنـني بكيـت غضبًـا عني لإنسانية المصريين الذين كنا نقتل أسراهم في يونيه ١٩٦٧ بلا رحمة..!!

---

(١) هكذا قالوا لتخويفنا، لعلمهم أن إعلامهم يؤدي الغرض المطلوب مـن حيـث إظـهار قـوة جيشـهم ومعداتـهم وبأسهم، واستعدادنا الغريزي لتصديق كل ما يقال وما ينشر.

لقد ثأر العرب لكرامتهم ولهزيمتهم في يونيه. وكانت المفاجآت التكتيكية والاستراتيجية أكبر من أي تصور. وظهرت الجندية والعسكرية العربية الحقيقية. وعرف العالم أجمع أن المخابرات المصرية استطاعت أن تخدع المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية. وتفاجئ العدو بالاجتياح المروع والعبور العظيم الذي انقلبت بسببه كل موازين وخطط الحروب، وتوقفت عنده أنفاس الزمن لهول المشهد، وشراسة المعارك.. فأضيئت صفحات التاريخ بروائع البطولات العربية ومفاجأة الأعداء التي ليس لها مثيل.

وصدق من قال (ثلاثة أرباع الحرب ونصف السياسة على الأقل، نجاح في الإخفاء وفي المفاجأة) ! !

صحف العدو الصهيوني

وبقراءة سريعة للصحف الإسرائيلية الصادرة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ بأيام وساعات قليلة.. لم تنشر جريدة (يديعوت أحرونوت) الصادرة في ٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، أية إشارة أو خبر صغير أو كبير عن احتمالات نشوب هجوم مصري أو سوري، أو عن تحركات مريبة. فقد اهتمت الصحيفة بتغطية مباحثات لجولدا مائير في النمسا، ومفاوضاتها مع المستشار النمساوي من أجل تأمين فتح معسكر انتقالي للمهاجرين الروس في طريقهم إلى إسرائيل. كما ركزت الصحيفة على ما أكده مراقبون إسرائيليون، من أن ليبيا أصبحت مصدرًا رئيسيًا للإرهاب (العمليات الفدائية) ضد إسرائيل (معنى هذا أن الإسرائيليين كانوا فقط يشكون من هجمات ليبية وليست مصرية أو سورية).

ولم تكن جريدة (معاريف) أفضل حالاً، فقد حملت صفحتها الأولى في عدد ٥ أكتوبر ١٩٧٣ خبرًا يقول: وزير الخارجية (أبا إيبان) يهاجم في الأمم المتحدة رئيس زائير الذي أعلن بالأمس عن قطع العلاقات الدبلوماسية: (هذه خيانة للصداقة)، وكشف أنه منذ ثلاثة أيام فقط عندما التقى السفير الإسرائيلي في

كينشاسا بموبوتو، أعلن له الأخير أن بلاده لن تنسى أبدا المساعدة التي قدمتها إسرائيل لزائير في الأوقات العصيبة جدًا، موبوتو أعلن في الأمم المتحدة عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل حتى عودة الأراضي المحتلة إلى مصر وبقية الدول العربية

الطريف أن الصحيفة ذكرت خبرًا صغيرًا يقول بإيجاز (الجيش الإسرائيلي يتابع ما يحدث ويدبر على الجانب المصري من قناة السويس بيقظة بالغة حتى لا يفاجئ القوات الإسرائيلية بهجوم مباغت).

والأخطر من ذلك أن المراسل العسكري الذي كتب هذا الخبر، أكد بعد ذلك أنه كان قد كتب تقريرًا مطولاً يؤكد حدوث التحركات المصرية، وإعداد طرق صاعدة للمدرعات، وتقريب صواريخ مضادة للطائرات واستعدادات عامة، لكن (الرقابة العسكرية) شطبت على تقريره واكتفت بالسطور التي تم نشرها، ويبدو أن أحد أسباب هزيمة إسرائيل أنها رفعت في حرب ١٩٧٣ شعار (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة)

ثم نأتي ليوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ لنتابع الصفحة الأولى في (يديعوت أحرونوت)[١] وما ذكر على صفحاتها والذي يوحي بثقة الإسرائيليين في نصر قريب! وقد تصدر الجريدة عنوان:

◆ (المعركة الكبرى ستبدأ قريبًا)

◆ (استمرار القتال العنيف بالمدرعات وتبادل القصف المدفعي طوال الليل على جبهات القتال في سيناء والجولان)

◆ (نقل وحدات مدرعة ومدفعية لسيناء في طوابير طويلة).

◆ (نقاط قليلة جدًا بطول القناة سقطت في أيدي المصريين لكن السيطرة على خط المياه لا تزال في أيدي القوات الإسرائيلية).

---

(١) يديعوت أحرونوت : تعني بالعبرية : آخر الأخبار .

◆ (المعركة الحاسمة في سيناء لم تبدأ بعد والقوات الإسرائيلية تستعد لحسم المعركة ضد قوات الغزو).

◆ (في هضبة الجولان معارك عنيفة بالدبابات تدور بطول خط المواقع الإسرائيلية الحصينة بشكل أساسي في منطقة القنيطرة ووسط الجولان).

◆ (دمشق قتال جوي جديد في سماء الجولان هذا الصباح وإسقاط طائرات إسرائيلية عن طريق الطيارين ورجال الدفاع الجوي).

◆ (أمريكا لم تقرر بعد أسلوب عملها.. لكن إسرائيل توافق على التكتيك الأمريكي)

◆ (حسين وضع جيشه في حالة استعداد! ومراقبون يؤكدون: ملك الأردن سوف يتورط في القتال، والسادات يدعو كل أعضاء جامعة الدول العربية للتدخل).

◆ (بعد أن تحدث حسين مع السادات تليفونيًا ووعد السادات والأسد له بإشراكه بشكل دوري في كل مستجدات القتال، المراقبون يؤكدون: الملك سوف ينضم للحرب على الرغم من أنه ليس هناك أمل في النصر(!!) – (ربما كان الملك سيفعل هذا انطلاقًا من نبل الفروسية العربية)

هآرتس في ٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

◆ (قتال عنيف بين القوات المصرية وبين قواتنا).

◆ (القوات المصرية نجحت في عبور القناة على طول قناة السويس).

◆ (القوات المصرية عبرت في الليل في زوارق مطاطية وكباري للمشاة وكباري للمدرعات وزوارق كبيرة)

◆ (إيقاف الدعاية للانتخابات الإسرائيلية)

◆ (عبور وتوغل قوات كوماندوز مصرية عبر طائرات الهليكوبتر وراء الخطوط الإسرائيلية، وفي عمق سيناء مطاردات وعمليات بحث عنهم !).

◆ (وسائل الإعلام الغربية العرب هم الذين بدأوا في إطلاق النار. لكن المسألة تحتاج إلى ساعات لكي (يكسرهم) الجيش الإسرائيلي).

◆ (الصحف الشيوعية: إسرائيل هي المعتدية)

◆ (الولايات المتحدة تريد إعطاء إسرائيل مهلة لطرد المصريين من الضفة الشرقية)

◆ (القوات المصرية أكبر في العدد من القوات الإسرائيلية لكن هناك تعزيزات كبيرة يتم نقلها بسرعة لمناطق القتال ومن المتوقع أن يأخذ الجيش الإسرائيلي زمام المبادرة في وقت قريب).

◆ (الصلاة في معابد باريس من أجل سلامة إسرائيل)

يديعوت أحرونوت في ٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

◆ (الجيش الإسرائيلي بدأ هذا الصباح هجوما مضادا شاملا في جبهتي سيناء والجولان)

◆ (إسرائيل لن توقف إطلاق النار حتى لو أمر بذلك مجلس الأمن الذي سيجتمع اليوم).

◆ (نشاط مكثف لفدائيين عبر الحدود اللبنانية وإطلاق صواريخ (كاتيوشا) على مستوطنات شمال إسرائيل).

◆ (التقديرات تشير إلى أن الملك حسين لن ينضم لنظرائه العرب في الحرب ضد إسرائيل)

◆ (وزير الخارجية الإسرائيلي: الأمم المتحدة ومناقشاتها لن تفيد لأنها تحت سيطرة الكتلة العربية والشيوعية خاصة عندما يتعلق الأمر بإسرائيل).

يديعوت أحرونوت في ٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

◆ (المصريون استمروا طوال الليل في ضخ ودفع دبابات إلى سيناء) (من الملاحظ هنا في هذا الخبر أن هذا هو اليوم التالي على إعلانهم عن الهجوم المضاد الشامل الذي تم التخطيط له بدقة، أي أنه فشل حتى في عرقلة استمرار تقدم القوات المصرية والسورية)

◆ (سندات ديون وتبرعات تفرضها الحكومة على ذوي القدرة وتناشدهم بتبرعات كبيرة)

يديعوت أحرونوت في ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

◆ (هدوء نسبي ساد في الليلة الماضية).

◆ (المصريون نقلوا تموينا وتعيينات وذخيرة للقوات الكبيرة التي عبرت القناة).

◆ (طائرات معادية تصل إلى سماء تل أبيب في الفجر مما جعل صفارات الإنذار تنطلق).

◆ (العراق يقترح وجود تنسيق كامل بين مصر وسوريا.).

◆ لا نستطيع تحقيق نصر على الجبهتين في نفس الوقت).

◆ (احتمالات تفوق الجيش الإسرائيلي على الجبهة السورية كبيرة، لكن لا بد من جهود جوية وبرية ومع ذلك لن يكون هناك نصر في الحرب، حيث إننا لن نستطيع إنهاء الحرب بسرعة).

يديعوت أحرونوت في ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

◆ (طائرة مشحونة بالصواريخ تأتي لإسرائيل).

◆ (طائرة تقلع من مطار عسكري أمريكي (بفرجينيا بيتش) وعليها شحنة صواريخ جو – جو من طراز (سيرو) و(سيدوند) لإسرائيل). (نشرت مع هذا الخبر صورة للطائرة)

يديعوت أحرونوت في ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

- ◆ (المصريون بدأوا هذا الصباح هجمة بطول الجبهة في سيناء).

يديعوت أحرونوت في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

- ◆ (طيارون حربيون أمريكان قادوا طائرات فانتوم كثيرة لإسرائيل).
- ◆ (سفينة إسرائيلية تشحن صواريخ (سكاي هوك) ودبابات).
- ◆ (كل ١٥ دقيقة تصل طائرة مشحونة)
- ◆ (انفجار طائرة نقل أمريكية)
- ◆ (١٥٠ دبابة متطورة لإسرائيل ، وصواريخ أرض جو)

يديعوت أحرونوت في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

- ◆ (إسرائيل توافق على وقف إطلاق النار)
- ◆ (إسرائيل تطلب رفع الحصار عن باب المندب)

بعد عام ونصف من حرب أكتوبر.. وبالتحديد في شهر مايو ١٩٧٥ ، وفي مناظرة أجراها التليفزيون البريطاني BBC كان طرفها الجنرال الإسرائيلي (أرئيل شارون) حول أكتوبر ١٩٧٣ ، سأل مذيع التليفزيون البريطاني الجنرال (شارون) سؤالاً واضحًا ومحددًا :

شارون يعترف

سيدي الجنرال ، يجمع الخبراء العسكريون في العالم أن مصر حققت في هذه الحرب مفاجأة كبيرة أذهلت وشلت الجانب الإسرائيلي تمامًا من وجهة نظركم ماذا كانت المفاجأة في الحرب..؟

هل هي في اختيار يوم الهجوم ليكون يوم (عيد الغفران)..؟

هل في اختيار التوقيت ليكون الساعة الثانية ظهرا..؟

هل تنفيذ الهجوم في شهر رمضان..؟

هل بتنسيق الهجوم مع السوريين في توقيت واحد لتجد إسرائيل نفسها تحارب في جبهتين في وقت واحد.؟

هل بالهجوم على المواجهة بالكامل دون التركيز على اتجاه أو اتجاهين مع تثبيت باقي المواجهة..؟

هل باستخدام هذه الفرق الخمس من المشاة التي تمكنت من تكوين رؤوس الشواطئ بدون الدبابات، وتصدت للهجمات المضادة الشرسة من الدبابات الإسرائيلية مطبقة مفهومًا جديدًا من أساليب القتال الحديثة..؟

هل بتطبيق نظرية جديدة في فن الحرب قدمها المصريون لأول مرة وهي (إمكان تحييد القوات الجوية المعادية في ميدان القتال باستخدام حوائط الصواريخ المضادة للطائرات..؟؟)

هل باستخدام خراطيم المياه لفتح الثغرات في الساتر الترابي..؟

هل بنجاحهم في حشد التجمعات والقوات العسكرية للهجوم ، دون أن تتنبأ القوات الإسرائيلية لذلك..؟

هل بتطبيق تلك النظرية الجديدة التي نفذها المصريون باسم (الحصار عن بعد)، وذلك بعملية إغلاق الملاحة في البحر الأحمر من مضيق باب المندب؟

(هل.. هل.. هل..؟)

واستطرد معد البرنامج في سؤاله.. :

(سيدي الجنرال نريد أن نعرف منك وأنت أحد أبطال تلك الحرب، ما هي بالضبط المفاجأة التي حققها المصريون في حرب أكتوبر من وجهة نظرك ووجهة نظر الجانب الإسرائيلي)

وتنهد الجنرال (شارون) طويلاً، وقال:

(سأقول لك سرًا جديدًا: إن جميع الباحثين والدراسات والكتابات تناولت كل ما ذكرته في سؤالك، ولكني اختلف معهم جميعًا. إن كل ما ذكرته من هذه العناصر السابقة نجح فيها المصريون في هذه الحرب بسبب ضيق أفق (موشى ديان) وزير الدفاع آنذاك وسارت خلفه جولدا مائير رئيسة الوزراء.

أما في رأيي الشخصي فإن مفاجأة حرب (يوم الغفران) كانت في شيء جديد تمامًا علينا وهو الجندي المصري الجديد

لم تكن سهلة

واستطرد الجنرال (شارون) يقول:

(لقد حاربنا المصريين في عدة حروب لعل أهمها هما حربا ١٩٥٦ ، ١٩٦٧، وكنا في هذه الحروب السابقة نعرف شكل وطبيعة الجندي المصري، ولذلك عندما دخلنا هذه الحرب تصورنا أن الجندي المصري في عام ١٩٧٣ هو نفس الجندي المصري في عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧، ولكن كان الأمر هذه المرة مختلفا.

وأعترف لك أنه منذ يوم كيبور (حرب الغفران) ورغم توالي الأحداث، لم يكن أي منا في القيادة الإسرائيلية يريد أن يصدق أن هناك تغييرًا حدث، ربما لم نكن غير مصدقين، ربما كنا مذهولين من نجاح الأداء لهذا الجندي المصري الجديد. صدقني من أول لحظة بدأ فيها القتال.. كنا نشعر أن هناك شيئًا ما خطأ من ناحيتنا.. كنا نشعر أن هناك متغيرًا جديدًا على الساحة ولكن للأسف لم نعرف ما هو. إلا أننى تيقنت ذلك تمامًا يوم (١٧ أكتوبر) وكنت لحظتئذٍ خلف إحدى السرايا المدرعة في منطقة (الدفرسوار)

ولك أن تتخيل عشر دبابات إسرائيلية متقدمة، وفجأة يبرز من بين الرمال ثلاثة جنود مصريين مسلحين بالقاذف RBG الروسي ويطلق كل منهم صاروخا يصيب دبابة لنا. بالطبع بعد أن أطلقوا هذه الصواريخ تم القضاء عليهم في الحال.. لكن.. لك أن تتصور ثلاثة جنود أمام عشر دبابات.. لقد كانوا يعلمون جيدًا أنهم سيلقون حتفهم ولكنهم صمموا على تحقيق مهمتهم..؟؟

إنني لن أنسى قتال الجنود المصريين في (الفرقة ١٦ مشاة) في منطقة المزرعة الصينية شرق القناة. لقد استخدمت القوات الإسرائيلية جميع وسائل النيران المتيسرة لديه.. لقد حولنا هذه المنطقة إلى جحيم.. ربما لم يكن هناك متر من

تلك المنطقة لم تسقط فيه قذيفة. ورغم ذلك لم يرتد جندي منهم إلى الخلف مثلما كان يحدث من قبل.. هل تصدق..؟ لقد تصورت في وقت من الأوقات أن المصريين ربطوا الجنود بسلاسل في الأرض. ولكن كانت المفاجأة عندما نجحت دبابة أو اثنتان في اختراق ذلك الخط. كنت تجد ذلك الجندي يستدير لها لكي يدمرها بقذيفة RBG

بعد إصابتي في (الدفرسوار) وإخلائي إلى الخلف تعمدت أن أستمع إلى بعض الأسرى من المصريين، وأن أقرأ تقارير الاستجوابات التي تمت للأسرى على الاتجاهات الأخرى، وعرفت وعلمت، أكبر مفاجأة لجيش الدفاع الإسرائيلي في هذه الحرب كان الجندي المصري الجديد.. لقد وجدنا أن ذلك الجندي أصبح خريج الجامعات.. منهم (المهندس والمحاسب والمدرس) ولم يعد الجندي القديم الذي لم يكن يعرف أرقام المسافات باللغة الإنجليزية على (تلسكوب) الدبابة.

صدقني ساعتها فقط أحسست بالخطر على إسرائيل وعلى جيش الدفاع، لأن إسرائيل تواجه في هذه الحرب جيشًا جديدًا.. بعنصر جديد.. هو مفاجأة تلك الحرب.. وهو الجندي المصري الذي لم نره من قبل

ويضيف شارون

بعد وقف إطلاق النار في مباحثات الكيلو (١٠١) لم يكن يشغلنا شيء. إلا تلك القوة الحديثة في الإنسان المصري ، لأننا شعرنا أنه على جيش الدفاع الإسرائيلي أن يعيد حساباته من جديد.. وإننا من الآن فصاعدًا سوف نركز على ذلك العنصر في حسابات القتال مع المصريين لأنه عنصر غير ملموس ومن الصعب حسابه وتقديره لذلك كانت المفاجأة قوية ومؤثرة.

تلك كانت شهادة ، والتي يمكن أن نعتبرها بحق وسامًا على صدر كل جندي مصري شارك في هذه الحرب بفكره وعقله وأدائه وبأغلي شيء روحه الطاهرة، ومن هنا تجئ قيمة المقاتل المصري على مر العصور، في أنه كان دائما درع الأمة الإسلامية الذي حافظ على كيانها وتراثها عبر العصور، والتي تعمل قواتنا المسلحة المصرية اليوم على أن تنمي هذه الثروة وتحافظ عليها.

وقد تساءل البعض.. هل من الممكن أن يكون الجنرال (شارون) بهذا الوضوح وهو يصف الجندي المصري..؟ ألا يتنافى ذلك مع أبسط قواعد وقوانين الحرب النفسية التي تعارض أن تذكر أمجاد عدوك.. وأن تكيل له المديح..؟ ولكننا نرى على الجانب الآخر أن صراحة (شارون) إنما أراد بها أن يوضح للجميع أن معركة إسرائيل في عام ١٩٧٣ لم تكن حربًا سهلة.. ولم تكن نزهة دخلها الجيش الإسرائيلي.. ولكنها كانت حربًا شرسة قوية أمام عدو عنيد مقاتل.. برزت فيه مفاجأة هذه الحرب وهي الجندي المصري.

دروس في الاستراتيجية

وبنظرة تحليلية للكتابات الإسرائيلية حول حرب أكتوبر.. وبالذات في كتاب (التقصير)، (وهو الكتاب الذي أثار أكبر ضجة في إسرائيل لأنه انتقد القوات الإسرائيلية خلال مراحل القتال ولم يسمح حتى الآن بنشر أجزاء كثيرة من ذلك التقرير) وبالتحديد في الجزء الأول من الكتاب عندما تناول المرحلة الافتتاحية للحرب.. حيث جاء انتقاده حادًا للقيادة الإسرائيلية التي ظلت تتعامل مع فكر القيادة المصرية العسكرية.. على أنه فكر جامد.. نمطي.. غير متطور.. وأنه يطبق التكتيكات وأساليب القتال السوفييتية بكل الجمود.. دون أي قدرة على المناورة أو الفكر المفتوح.

وذكر التقرير أن التخطيط المصري في حرب أكتوبر لأعمال القتال على مختلف المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية.. كان فكرًا مرنًا.. متطورًا.. طبقت فيه القيادة المصرية العسكرية أعلى أساليب الخداع.. والمرونة.. وتشتيت فكر واحتياطات الجانب الإسرائيلي.. واستعرض التقرير بعض حقائق هذا التخطيط المصري الذي تمثل في الآتي

أولاً نجاح المخطط المصري في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية، وهذا أمر كان بالغ الصعوبة في هذه الأيام مع التطور الكبير في الأسلحة والمعدات وأجهزة ووسائل الاستطلاع الحديثة وصور الأقمار الصناعية.

كما ركز التقرير على أن النجاح الكامل للتخطيط المصري في هذا المجال اعتبر نقطة تحول جديدة نحو تقييم فكر المخطط العسكري المصري.

ثانيًا نجاح المخطط المصري في تشتيت الفكر الإسرائيلي مع بدء أيام القتال بأعمال خاصة عديدة سواء في الاتجاهات أو في التوقيتات.. فظهر ذلك في تخبط القيادات الإسرائيلية على مختلف المستويات.. في تحليل هدف الجانب المصري من هذه الأعمال.. فكانت هذه العمليات الخاصة التي تمثلت في عمليات إبرار وحدات الصاعقة في مناطق متفرقة داخل سيناء وبأحجام رئيسية سببا في أن تشتت فكر القيادات الإسرائيلية.. وبالتالي احتياطياتها والتأخر في دفع قوات رئيسية ضد مناطق المعابر في انتظار معرفة أبعاد الفكر المصري لاستخدام هذه القوات.

ثالثًا نجاح المخطط المصري في التغلب على مشاكل عبور قناة السويس وخاصة التغلب على الساتر الترابي شرق القناة.. ويؤكد كتاب (التقصير) أن العقل المصري الذي استطاع أن يبتكر هذا الأسلوب في فتح الثغرات في الجانب الترابي قد أصاب القيادة الإسرائيلية بإحباط شديد.. خاصة وأن المخابرات الإسرائيلية كانت تعتقد أن المصريين قد فشلوا في التوصل إلى حل لهذه المشكلة التي قد تحتاج منهم ٣ - ٤ أيام لإزالة أجزاء من الساتر الترابي لعمل الكباري.. ولكن جاء الفكر المصري لينجح في ٦ ساعات في فتح هذه السواتر الترابية وبأقل مجهود.. وبدون علم المخابرات الإسرائيلية

رابعًا نجاح المخطط المصري في أن يتوصل إلى فكر حديث ومتطور في أساليب القتال على المستوى التكتيكي.. نجح من خلاله بالحفاظ على رؤوس الكباري طوال مدة المعركة حتى وصول دبابات التعاون الوثيق التي تؤمن وتدعم وحدات المشاة في قتالها لصد احتياطات العدو، فكانت الحسابات الدقيقة لجميع موجات الهجوم من القوات المصرية.. مع كل ساعة.. لتكون باسلحتها

البسيطة المحدودة من المدافع والصواريخ المحمولة على الكتف المضادة للدبابات، قادرة على صد هذه الهجمات المضادة المدرعة للعدو الإسرائيلي.

ويضيف التقرير الإسرائيلي: إن تفكير المصريين في أن يكون مع كل جندي في الموجات الأولى من الاقتحام يعبر القناة وهو يحمل على ظهره لغمين مضادين للدبابات. أمرًا جعل من العسير على الدبابات الإسرائيلية أن تخترق دفاعات تلك العناصر من المشاة التي تقاتل منفردة دون دعمها بالدبابات

خامسًا أن المخطط المصري نجح في أن تكون حدود راس كوبري القوات المصرية مرتبطة بمدى بطاريات صواريخ الدفاع الجوي الموجودة غرب القناة.. ولم يسل لعاب القوات المصرية في أن تتقدم بضع مئات من الأمتار لكي تستولى على هيئات ذات أهمية تكتيكية.. وفضلت أن تظل تحت حماية وستر مظلة الدفاع الجوي.. كل ذلك أفقد إسرائيل.. أهم قوة ضاربة لها.. وهي (اليد الطولى).. ويقصد بها سلاح الطيران الإسرائيلي.. الذي ظل عاجزًا يرقب القوات المصرية وهي تقتحم القناة.. وتستولى على الأرض.. وتؤمنها.. وتصد الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية.. وهو في موقع المتفرج العاجز عن التدخل.. لأن الاقتراب من هذه القوات يعني تدميره.

سادسًا نجاح المخطط المصري في ابتكار أسلوب جديد. أطلق عليه التقرير مصطلح (الحصار على بعد) وذلك بسبب قيام المصريين بالتخطيط بإغلاق الملاحة في منطقة (باب المندب) عند مدخل البحر الأحمر.. وهو الأسلوب الذي ابتعد تماما من مضيق (تيران وصنافير).. واستخدام القوات المصرية لقواتها البحرية في اتجاهات بعيدة تماما عن (اليد الطولى) وهي القوات الجوية الإسرائيلية.. حتى كان مجرد تفكير القيادة الإسرائيلية في أن تدفع.. ببعض القطع البحرية إلى باب المندب.. سوف يصبح مغامرة.. غير محسوبة على جميع المستويات

وهكذا أكدت بنود كتاب أو تقرير (التقصير).. في الجزء الأول (الافتتاحية للحرب) قدرة المخطط المصري.. الضابط / القائد في أن يخطط بفكر جديد. متطور.. مرن..أفقد العدو الإسرائيلي اتزانه.. وقدرته على إدارة عملياته الدفاعية.. هذا الفكر من المخطط المصري الذي غير العديد من المفاهيم القتالية الحديثة في مدارس الفكر العسكري على المستوى العالمي.. لكي يضيف مجدا جديدا للإنسان المصري



فضيحة (الصفقة المخزية) في مصر..!!

أثارت الفضيحة أزمات حزبية ووزارية طاحنة في إسرائيل.. إذ قدم رئيس المخابرات العسكرية استقالته.. واستقال وزير الدفاع.. وتوالت الأزمة تهدد البنيان الحزبي والسياسي في الدولة العبرية، كأول فضيحة مدوية تضرب هيكلها الاستخباراتي في العصب.. ولسنوات طويلة ألقت العملية بظلالها الكثيفة على المجتمع السياسي والاستخباراتي.. وفرضت نفسها على الساحة.. وباتت مصدر تهديد وتوترات داخلية لا نهاية لها..!!

لا يعرفون الولاء

إثر قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر.. سعت أمريكا في إطار لعبة المصالح إلى التقرب من رجال الثورة.. حيث استشعرت أن جمال عبد الناصر لديه طموحات الزعامة.. وأن قناة السويس لن تبقى كثيرًا بيد البريطانيين.. بل إنه يفكر بإنهاء التواجد العسكري البريطاني في منطقة القناة.. وبدا واضحًا اقتناع الرئيس الأمريكي إيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس بأن ناصر سيكون حليفًا ممتازًا في المنطقة.. وبالإمكان الاعتماد عليه في الحد من التغلغل الشيوعي في الشرق الأوسط.

إسرائيل أيضًا توقعت هذا التقارب الأمريكي المصري.. ورصدت نوايا البريطانيين في الجلاء عن قواعدهم في قناة السويس.. وكان معنى ذلك إزالة القوات العازلة البريطانية التي تفصل بينهم وبين المصريين..وما في ذلك من إحكام للسيطرة والحصار على الدولة الجديدة التي يتربص بها العرب من كل صوب.. وازداد القلق الإسرائيلي من التقارب الدولي مع مصر والعلاقات المتنامية مع الدول الكبرى

قرر الإسرائيليون عدم السكوت إزاء هذا الخطر الجديد.. ولم تمنعهم التغييرات القيادية في تبني فكرة الوقيعة بين البريطانيين والأمريكان من جهة، وبين مصر من جهة أخرى، لتقويض العلاقات بل وتفتيتها لكي تبقى مصر بعيدة عن مراكز القوة في العالم.

ففي تلك الآونة من أوائل عام ١٩٥٣ ترك رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن جوريون منصبه. منسحبًا إلى مزرعته بالنقب يأسًا من الخلافات الحزبية المحيطة به.. وخلفه موشى شاريت.. بينما تولى (بنحاس لافون) منصب وزير

الدفاع.. وتولى شيمون بيريز منصب مدير عام وزارة الدفاع[1]. أما موشى ديان فكان رئيسا للأركان.. فيما كان إيسير هاريل رئيس جهاز الموساد ويشرف في الوقت نفسه على جهاز الأمن الداخلي (شين بيت)[2].

كانت رؤية هذه القيادات تجاه المسألة المصرية متباينة.. فبينما كان لافون يتطلع إلى تحقيق سلام من خلال التفاهم مع العرب.. كان شيمون بيريز وديان على النقيض منه.. يشاركهما الرأي رئيس المخابرات العسكرية (أمان) بنيامين جيبلي.. بل إنه كان الأكثر عداء لمصر.. ومنذ عام ١٩٥٠ عندما تولى رئاسة (أمان) وهو لا يفكر سوى بإيجاد ركيزة مخابراتية لإسرائيل في مصر من خلال اليهود المخلصين هناك.. وإقامة خلايا استخباراتية نشطة ومدربة لخدمة أهداف إسرائيل فيما بعد.

لذلك أرسل إلى القاهرة بالفعل عام ١٩٥١ أحد رجال الوحدة (١٣١) الخاصة التابعة لـ (أمان) وهو (إبراهام دار)، الذي كان يحمل وثيقة سفر بريطانية مزيفة باسم (جون دارلنج)، متخذًا وظيفة ممثل لإحدى شركات الكهرباء البريطانية ساترًا تخفي وراءه. وكانت مهمته الاتصال باليهود المصريين لاستقطاب البعض وتكوين خلية تجسس لحساب إسرائيل

وفي القاهرة تعرف إبراهام دار بالفتاة اليهودية الجميلة مارسيل فيكتور نينيو ومثَّل عليها دور الحب إلى أن أوقعها في حبائله.. وفي خلال فترة محدودة كان قد سيطر عاطفيًا على إرادتها واستغلها في تنفيذ مهمته.. حيث تمكن من تكوين خليتين تجسسيتين بالقاهرة والإسكندرية.. سافر بعض أفرادهما إلى إسرائيل

---

(١) شيمون بيريز : ولد عام ١٩٢٣ بإحدى قرى بولندا وهاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٣٤. انضم إلى الهاجانا وحارب القوات العربية عام ١٩٤٨. تولى بعد ذلك عدة مناصب وزارية ثم انتخب رئيسًا للوزراء عام ١٩٨٥ حتى ١٩٨٧ وأكمل مدة رئاسة إسحق رابين بعد مقتله في عام ١٩٩٥ حتى عام ١٩٩٦

(٢) أطلق عليه بعد ذلك اسم (شاباك) وهو الاسم الرسمي الآن.

عام ١٩٥٢ عن طريق باريس ، للتدريب على أعمال التجسس المختلفة والتخريب وبث الإشاعات[1].. والمساعدة على تشجيع هجرة اليهود المصريين لإسرائيل.

أما مارسيل ، فقد أمدها إبراهام دار بالأموال اللازمة.. التي افتتحت بها شركة سياحية بوسط القاهرة اتخذت منها مركزًا آمنا للتخطيط والاتصالات والمقابلات السرية.. وكانت مارسيل إضافة إلى ذلك همزة الوصل بين الخليتين اليهوديتين في مصر

سقوط الخونة

في عام ١٩٥٤ قررت المخابرات العسكرية (أمان) تنشيط الخليتين في مصر.. وبالمصطلح المهني: (إيقاظ الجواسيس النائمين) ببث كلمة السر (سوزانا) للقيام بعمليات التخريب المتفق عليها ضد المنشآت البريطانية والأمريكية..

ففي تلك الأثناء كانت بريطانيا على وشك توقيع اتفاقية الجلاء مع مصر.. ومغادرة منطقة قناة السويس.. وحسب الرؤية الإسرائيلية فإن عمليات التخريب قد تؤجل الجلاء البريطاني.. بل قد ينسف الدم الناتج عن هذه العمليات العلاقات المصرية البريطانية.. وسيستغرق إصلاح الأمر بين البلدين بعد ذلك وقتًا طويلاً.

وما إن تلقى عملاء إسرائيل في القاهرة الأمر بالعمل الفوري.. حتى شرعوا صباح ٢ يوليو ١٩٥٤ في وضع طرود تحتوي على متفجرات داخل صناديق البريد بمحطة مصر بالإسكندرية.. لكن الطرود لم تنفجر.. وحدث فقط انبعاث دخان كثيف وتلف لبعض الخطابات بالصناديق.. وظل الحادث الأول غير معروف السبب.

---

(١) كان من بينهم إيلي كوهين (انظر فصل: فضيحة إيلي كوهين في دمشق). وكانوا يسافرون منفردين إلى تل أبيب عبر إيطاليا وفرنسا.. حيث يتم تهيئتهم فنيًا للقيام بأعمال تخريب ضد المنشآت الأمريكية والبريطانية الهامة في مصر.. وذلك بمجرد أن يستمعوا إلى كلمة السر (سوزانا) في الإذاعة العبرية ، لكنهم لم يتلقوا تعليمات عن السلوك المتبع في حال اعتقالهم .

بعدها بأيام.. وفي ١٤ يوليو.. حدث تفجير بالمركز الثقافي الأمريكي بجاردن سيتي.. وتفجير آخر مماثل وفي التوقيت نفسه بالقنصلية الأمريكية بالإسكندرية. وكان التوقيت الموحد للعمليتين هو ما لفت انتباه الشرطة المصرية والأمن العام.. وتبين أن مادة فوسفاتية حارقة استخدمت في حادثي التفجير بما يؤكد أن هناك من يخطط لهذه العمليات الإرهابية.. وبدأت عند ذلك رحلة البحث عن الجهة التي تقف وراء الحادثين

وبينما التحريات على أشدها لاكتشاف أسرار هذين الحادثين.. حدث تفجير جديد بسينما ريفولي بالقاهرة مساء ٢٣ يوليو.. وبعده بنصف الساعة تقريبا حدث تفجير آخر بسينما راديو.. لكن ما حدث أمام سينما ريو بالإسكندرية كان الأعجب بحق.. إذ اشتعلت النيران بملابس أحد الشبان فجأة، فاندفع صارخًا عبر الشارع يستغيث برواد السينما والمارة الذين ألجمهم الأمر. وأمام دهشة المارة لم يجرؤ أحدهم للحظات على إنقاذه.. حتى تصادف مرور أحد ضباط الشرطة الذي دفع الشاب فأوقعه أرضًا، واستمات في إطفاء النيران حتى تمكن بعد جهد من إنقاذه..

وبالتفتيش العفوي في ملابس الشاب للاطمئنان.. عثر الضابط على مسحوق أسود كان بجراب النظارة.. فتذكر ذلك المسحوق الذي عثر عليه داخل أحد صناديق البريد بمحطة مصر.. وأدرك الضابط بحسه الأمني أن وراء الشاب الكثير من الألغاز التي أرقت الأمن لعدة أيام سابقة.. فاصطحبه إلى قسم شرطة الرمل حيث تفجرت الحقائق.. وظهرت أولى بوادر فضيحة لافون في مصر. إذ اعترف الشاب اليهودي المصري ذي التسعة عشر عامًا.. وكان اسمه فيليب هرمان ناتانسون، بأنه عضو بإحدى الخلايا اليهودية السرية التي يرأسها الدكتور موشى ليتو مرزوق للعمل لحساب إسرائيل.

في تلك الليلة.. وبينما تعم البلاد فرحة الاحتفال بالعيد الثاني للثورة المصرية، ألقت الشرطة القبض على بقية عناصر الشبكتين[1].. وأمام المفاجأة الصاعقة اعترفت مارسيل فيكتور نينيو بأنها كانت ضحية ضابط المخابرات الإسرائيلي الهارب إبراهام دار.. الذي استغلها عاطفيًا وجنسيًا دون هوادة.. وكان من بين المعتقلين أيضًا ضابط مخابرات إسرائيلي اسمه ماكس بينيت[2].. كان قد وصل إلى البلاد للإشراف على تنفيذ عمليات التفجير والتنسيق بين الشبكتين

وفي ١١ ديسمبر عام ١٩٥٤، بدأت محاكمة الجواسيس في القاهرة.. وتناقلت وكالات الأنباء العالمية تفاصيلها التي كانت بمثابة الفضيحة المدوية لإسرائيل.. حيث كشفت محاكمة المتهمين واعترافاتهم الدقيقة عن خطة تدمير العلاقات المصرية ببريطانيا وأمريكا.. بموافقة كاملة من وزير الدفاع الإسرائيلي بنحاس

---

(١) كان خطأ الشبكتين أن بعض الأعضاء كانوا يعرفون الأعضاء الآخرين.. لهذا لم يحم أحدهم الآخر.. ولأن مارسيل كانت همزة الوصل بينهما.. سرعان ما تم اعتقالها وأرشدت في الحال عن جميع الأعضاء الذين تعرفهم.. وكان خطأ المخابرات الإسرائيلية جسيما عندما اختارت عملاء لها غير منتقين أو مدربين.. إذ كانوا من الهواة بلا تدريب فني وتقني.. لذلك سقطوا سريعا.

(٢)ماكس بينيت (مائير) دخل مصر بجواز سفر ألماني تحت اسم (اميل وايتباين) كمهندس سيارات.. وأرشدت مارسيل نينيو عن بيته فتم اعتقاله.. وبرغم أنه كان يعمل تحت غطاء سري كألماني.. كشف نفسه عندما ترك مارسيل تعرف نوع سيارته وموديلها.. مما سهل التوصل إليه في الحال.. وهذا خطأ آخر ارتكبته المخابرات الإسرائيلية عندما أرسلت إلى القاهرة بأحد ضباطها الغير مؤهلين.. وعندما ألقى القبض على بينيت في مسكنه بجاردن سيتي وضبطت لديه أدلة التجسس وأرقام تليفونات وعناوين بعض أعضاء الشبكتين، أخذ يصرخ في ذهول ثم أغمى عليه.. لكن ذلك لم يستغرق وقتًا طويلاً، فخلال دقائق من التحقيق معه، اعترف تفصيليا بكل ما عنده من معلومات.. وأنه أجرى عملية إبطال ختانه لكي لا يبدو يهوديا..
كان بينيت المولود عام ١٩١٧ في هنغاريا قد هاجر عام ١٩٣٥ إلى إسرائيل وعمل بحارا في يافا ثم استقر في الموساد.. لكنه انضم بعد ذلك إلى (أمان) وعمل في طهران وبغداد وكان المسئول عن إبراهام دار في عملية القاهرة.. وبسبب صدمة الاعتقال المفاجئ والخوف من الإعدام أصيب بانهيار عصبي حاد.. دفعه لأن ينتحر بسجن الاستئناف بالقاهرة في ١٩٥٤/١٢/٢١، كأول ضابط استخبارات إسرائيلي ينتحر ذعرًا في زنزانته بالأسر خوفًا من الإعدام. تسلمت سفارة ألمانيا جثته ودفن في إيطاليا حسب رغبة أسرته.. وفي عام ١٩٥٩ نقلت رفاته لإسرائيل حيث دفن بجوار رفيقيه اللذين أعدما بالقاهرة، وتسلمت إسرائيل رفاتهما فيما بعد .

لافون.. وتولى جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلي (أمان) مهمة تنفيذ الخطة في القاهرة .

وفي ٢٧ يناير ١٩٥٥ أصدرت المحكمة العسكرية برئاسة اللواء محمد الدجوي[1] أحكامها التالية :

الإعدام شنقاً لكلا من :

- موشى ليتو مرزوق ، رئيس خلية القاهرة.
- صمويل باخور عازار ، رئيس خلية الإسكندرية

الأشغال الشاقة المؤبدة لـ :

- فيكتور موين ليفي
- فيليب هرمان ناثانسون

السجن ١٥ عاما لـ :

- مارسيل فيكتور نينيو
- روبير نسيم داسا.

السجن ٧ سنوات لـ :

- مائير يوسف زعفران.
- مائير صمويل ميوحاس.

البراءة لـ :

- إيلي جاكوب.
- نعيم قيصر.
- جوزيف كوهين

---

(١) أسرت القوات الإسرائيلية اللواء محمد الدجوي عام ١٩٥٦ عندما كان حاكماً لغزة.. ولم تكن تعرف بأنه كان رئيس المحكمة العسكرية التي حكمت على عملاءها بالإعدام والسجن.. وإلا لكانت تصرفت بشكل آخر .

وبعدها بأربعة أيام ، في ٣١ يناير ١٩٥٥ ، نفذ حكم الإعدام شنقًا في مرزوق وعازار بسجن باب الخلق.. بينما كانت مارسيل نينيو تحاول الانتحار بسجن النساء بالقناطر الخيرية.. ووضعت على الفور تحت مراقبة شديدة حتى كفت عن محاولاتها.

فضيحة لافون

أثارت الفضيحة أزمة حزبية ووزارية في إسرائيل.. حيث أكد بنحاس لافون بأنه لم يكن يعلم شيئا عن العملية.. بل إنه لم يوقع على أية أوراق بشأنها.. في حين تم تكليف رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا بالتحقيق.. وكانت هناك إثباتات متناقضة ووثائق مزورة ومحاولات مشبوهة للتخفي.. وفشلت التحقيقات في معرفة (من أعطى الأمر بالتفجيرات في مصر؟)

استقال لافون من وزارة الدفاع في ١٧ فبراير ١٩٥٥ وخلفه بن جوريون[*] الذي كان بصدد تولي رئاسة الوزراء.. وتوالت الاستقالات والإقالات بعدها.. ففي أبريل ١٩٥٥ استقال بنيامين جيبلي من رئاسة المخابرات العسكرية.. ونقل رئيس الوحدة ١٣١ بالجهاز.. واستقال إبراهام دار من الاستخبارات احتجاجًا على فشل إسرائيل في محاولاتها للإفراج عن أعضاء الشبكة بالقاهرة.. حيث لاحقت إسرائيل زعماء العالم والمنظمات الدولية للتوسط لدى المصريين.. كما أقرت ألمانيا بأن ماكس بينيت[1] مواطن ألماني عكس ما اعترف به بينيت قبل انتحاره بقطع شرايين يده في الزنزانة الانفرادية

ومع الأزمة المستحكمة في إسرائيل.. أثيرت الشكوك حول بول فرانك، ضابط المخابرات الإسرائيلي، الذي نجا من الاعتقال في القاهرة وبقى بعد اعتقال أعضاء الشبكتين لمدة أسبوعين حرًا طليقًا ثم غادرها دون أية صعوبات. كانت هناك تساؤلات عن كيفية نجاته من قبضة المصريين، واستنتج رئيس المخابرات

(*) كان عمره وقتئذ تسعة وستين عامًا .

(١) عام ١٩٨٨ فقط اعترفت إسرائيل بأن بينيت كان عميلها في القاهرة.. ومنح رتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي.

العسكرية الجديد (يهوشافاط هاركابي)[1] أن رجل (أمان)، بول فرانك[2]، كان خائنًا.. وبعد مراقبات طويلة واستجوابات اتهم عام ١٩٥٩ بالتجسس لصالح المصريين.. وكانت هذه نكسة مريرة واجهت الاستخبارات الإسرائيلية. وإحدى النتائج المرعبة لفضيحة (الصفقة المخزية)[3] في مصر.. إذ اعترف بول فرانك بأن توقيع وزير الدفاع بنحاس لافون قبل القيام بالعملية كان مزورا. بقصد إضفاء الصفة الشرعية على عملية (سوزانا) إذا ما تم كشفها.

وبانكشاف عملية التزوير ثارت ضجة بين الرأي العام الإسرائيلي استغلتها أحزاب المعارضة.. مما دعا بن جوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك إلى تشكيل لجنة تحقيق جديدة في سبتمبر ١٩٦٠ برأت في نوفمبر ١٩٦٠ لافون.. بينما قدم إسحاق لافون وثائق تدين أتباع بن جوريون (ليفي أشكول، وشمعون بيريز، وموشى ديان). وفي ٢٤ يوليو ١٩٦١ برأ الكنيسيت الإسرائيلي لافون من مسئولية (الصفقة المخزية).. إلا أن بن جوريون وأعوانه ظلوا يلاحقون لافون بالاتهامات.. وتسببت هذه الفضيحة في هزات حزبية عنيفة وانقسامات داخلية استمرت لأكثر من عشر سنوات متصلة

أما أعضاء شبكة التجسس في القاهرة[4].. فقد أفرج عنهم في صفقة تبادل مع

---

(١) Yohoshafat Harkabi ، تولى رئاسة (أمان) خلفا لبنيامين جيبلي في أبريل ١٩٥٥ حتى ١٩٥٩

(٢)بول فرانك، اسمه الأصلي إبراهام سيدينورج وهو يهودي نمساوي هاجر لإسرائيل عام ١٩٤٥ وغير اسمه إلى (إفري إيلاد) وتم تجنيده في القاهرة إثر اعتقال أعضاء الشبكتين عام ١٩٥٤ حيث عمل جاسوسا لحساب المخابرات المصرية إلى أن تم كشفه في إسرائيل وسجنه عشر سنوات بعد محاكمة سرية للغاية.. غادر بعدها إسرائيل نهائيا .

(٣)الصفقة المخزية الاسم الشائع في إسرائيل لفضيحة لافون، وأطلق عليها شيمون بيريز في مذكراته اسم (الحادث المؤسف).

(٤) مارسيل نينيو: حضرت حفل نادي الجواسيس في تل أبيب عام ١٩٩٧ وكان عمرها ٦٦ عاما هي وبقية زملاء فضيحة لافون.. وجاء لرؤيتها خصيصا من أمريكا إبراهام دار الذي اتهمته مارسيل بأنه استغل حبها له في تشكيل الشبكة بالقاهرة وتجنيد أفرادها. كان بالحفل أيضا روبير نسيم داسا (٧٤ سنة) الذي تباهى بأنه قام بتفجير أكبر عدد من الأهداف في مصر.. وكان يعمل بعد عودته لإسرائيل موظفا ببلدية تل أبيب حتى خرج على المعاش.أما (مائير صموئيل ميوحاس)، فقد عمل بجهاز الموساد بعد خروجه من مصر عام ١٩٦٨.. ثم اشتغل بالتجارة ونال ثروة طائلة في عدة صفقات.. ومات في ٣ أكتوبر ١٩٩٤ بأحد مستشفيات جنيف عن عمر يناهز التاسعة والستين . وعند وصول فيليب هرمان ناثانسون (٦٣ عاما) إلى الحفل، هاجمه بقية زملائه وهم يتصايحون (لولا غباء تصرفك ما كنا هنا..) إذ أنه كان السبب في كشف اللثام عن شبكة إسرائيل في القاهرة. كما حضر الحفل أيضا فيكتور موين ليفي (٦٣ عاما) الذي ترددت أنباء عن وفاته بالسرطان عام ١٩٩٩ في روما .

أسرى مصر عام ١٩٦٨.. حيث استقبلوا بحفاوة في إسرائيل ومنحوا رتبًا عسكرية في الجيش الإسرائيلي تضمن لهم راتبًا ثابتًا ومعاشًا بعد ذلك مدى الحياة.

شاهد من أهلها

يقول شيمون بيريز في مذاكراته(*)

عام ١٩٥٢ كنت أنا أول من شرع بإقناع ديفيد بن جوريون على اختيار بنحاس لافون وزيرًا للدفاع مكانه، واستأنفتُ العمل فورًا في الوزارة، بمنصب نائب المدير العام. واستشرت في مسألة لافون كلا من موشى ديان الذي كان رئيس العمليات في رئاسة أركان الجيش ومن ثم رئيس هيئة الأركان، وحاييم لاسكوف، أحد كبار ضباط الجيش. بل إني قد اصطحبت لاسكوف للقاء لافون ليوجز له حالة الجيش فعاد لاسكوف بأحسن الانطباعات عنه، الأمر الذي عزز يقيني الخاص أن لافون هو الرجل المناسب لذلك المنصب.

كان لافون وزير الزراعة في حينها وأمين عام حركة كيبوتز هيفر هاكفوتزوت عندما كنت عضوًا في سكرتارية الحركة. لقد أعجبني بقوته التحليلية ومهاراته البلاغية وقدرته على التمسك برأيه. وشعرت أن الجيش الذي يقوده رجال شباب موهوبون والمعتمد على معنوياتهم العالية في قوته ونجاحه، ليستطيع الانتفاع من قيادة لافون.

بدأ بن جوريون، بمساعدة ضابط جيش محترف يدعى شالوم (فريتز) ايشت، باستعراض عميق للجيش ومؤسسة الدفاع بهدف صياغة خطة شاملة للسنين المقبلة.

(*) معركة السلام، يوميات شيمون بيريز، ترجمة عمار ومالك فاضل - الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥

وفيما يتعلق بأمر لافون فقد اتضح بسرعة أننا قد ارتكبنا خطأً شنيعًا. لقد كنا نراه حتى حينها "حمامة" ، لكنه حالما تولى منصب وزير الدفاع شرع بإظهار توجهات "صقورية" على نحو مخيف. وأعتقد أنه شعر بالحاجة للتنافس بازاء الرجل الذي تفوق على الجميع في حينها - موشى ديان. شاء لافون أن يعطي انطباعًا داخل الجيش بأنه هو، لا ديان، الذي يصدر الأمر ويتخذ القرارات في الشؤون العسكرية. فكان هذا موقفًا قاده لاتخاذ قرارات بمحض إرادته، والمثال الواضح لذلك هو العمل الانتقامي لقوات جيش الدفاع ضد الأردنيين في أكتوبر عام ١٩٥٣ ، بعد أن قتل متسللون من الحدود عائلة إسرائيلية.

لقد قُتل تسعة وستون مدنيًا أردنيًا جراء ذلك العمل، وتعرضت إسرائيل لإدانة لاذعة وجماعية في الأمم المتحدة. وكان الخطأ الثاني إصراره بأن توضع تحت تصرفه الكامل وحدة خاصة كانت ثابتة لوزيري الدفاع والخارجية. كما يظهر التحليل الأخير، أن الخطأ المميت الذي حصل في مصر كان مخاض عقل لافون المغامر.

طور لافون شكوكًا استحواذية. فقد اعتراه الشك حول ديان وأنا في التآمر الدائم ضده. كما شكك بي وبزملائي بتوقيعنا صفقات أسلحة مع فرنسا من خلف ظهره.

ففي مناسبة ما في عام ١٩٥٤ هدد ديان بالاستقالة إذا ما حاول لافون إلغاء قرار بشراء دبابات فرنسية. فقال لافون أنها الحماقة أن نرمي بأنفسنا داخل العربة الفرنسية. وأجبت بهدوء أننا لم نلق عربات أخرى تصطف لنا لنجلس بداخل إحداها. لقد ظن لافون أن ديان يخفي عليه الأشياء المتعلقة بالقضايا العسكرية وأنه يتصرف دونما تفويض منه. وعليه قرر أن يدير كامل مؤسسة الدفاع وحده - في جانبيها الاقتصادي والعسكري - لأنه لا يستطيع الاعتماد على ديان أو عليَّ.

وفي هذا السياق تحديدًا بدأت النقاشات حول إمكانية إسرائيل في تعطيل العلاقات الأمريكية – المصرية. لقد انطوت على خلق نوع من الاضطراب داخل مصر وإثارة توتر بين مصر والقوى الغربية على أمل إلغاء أو تأجيل التعهد البريطاني بسحب قواتها من منطقة قناة السويس، والذي تم التوصل إليه في المفاوضات البريطانية مع عبد الناصر. وحضرتُ بعضًا من هذه المناقشات التي جرت أثناء الاجتماعات الأسبوعية لكادر الوزارة.

كان المشاركون هم الوزير (لافون) ورئيس الأركان (ديان) وثانيه (يوسف أفيدار) والمدير العام للوزارة (أنا) ونائبي. كما كان يحضرها بعض الضباط أمثال (بنيامين جيبيلي) وحسب الحاجة المباشرة لحضورهم. لم يصدر في حضوري أي قرار يقضي بتنفيذ إجراء ما في هذا الإطار. لكنني لم أفاجأ عندما أيقن بعض الرجال – فيما بعد – بعدما سمعوا لافون يقول في تلك الاجتماعات أن ثمة عملية سرية ستتوافق مع النظرة العالمية[١] الجديدة لوزير الدفاع – أنني لا أستطيع القول أنني قد سمعتُ أمرًا محددًا بهذا الشأن تفوّه به لافون. بيد أن اتجاه السياسة العامة كان وجود مثل هذه الفكرة داخل أجواء تلك الاجتماعات.

وطرأ "العارض غير المحظوظ" نفسه، بسبب تقييدات الرقابة – في الصحافة في تموز عام ١٩٥٤. إذ سعت مجموعتان من اليهود الشباب المصريين الصهاينة، إحداهما في القاهرة والثانية في الإسكندرية إلى زرع أجهزة حارقة في المكتبات الأمريكية والأماكن العامة الأخرى. وهذه الأجهزة الخرقاء إما قد فشلت في الانفجار أو أنها سببت دمارًا طفيفًا. وفي الإسكندرية ألقى القبض على أحد مضرمي النيران عندما أضرمت قنبلة كان يحملها نارًا في جيبه. وبسرعة، أحيط بالأعضاء الآخرين للمجموعتين.

أصدرت محاكمة عامة في كانون الثاني عام ١٩٥٥ أحكام الموت لاثنين من النشطاء – شموئيل آزار والدكتور موسى مرزوق – وأحكام بالسجن لفترة طويلة

(١)النظرة العالمية : Weltanschauung : فلسفة فردية أو عرقية في تفسير التاريخ أو تفسير الغاية من العالم.

ضد ستة آخرين. وألقى القبض أيضًا على عميل إسرائيلي يعمل في مصر، وهو الرائد ماكس بينت، نتيجة هذا الحادث فانتحر في السجن.

وفي إسرائيل (التي نفت رسميًا أية معرفة أو مساهمة في القضية)، أقيمت لجنة تحقيق لتحديد هوية الذي أمر بالعملية. أصر لافون أنه لم يقدم على ذلك، وكان ديان خارج البلد في حينها، وأكد جيبلي أنه قد تسلم أمرًا من لافون. وضمت هذه اللجنة، التي كانت واحدة من عدة لجان - الرئيس السابق لهيئة أركان جيش الدفاع، يعقوب دوري، ورئيس المحكمة العليا، إسحق أولشان. وفي الثالث عشر من كانون الأول عام ١٩٥٥، قدمت اللجنة حكمها غير النهائي: "لسنا متأكدين أن رئيس الاستخبارات العسكرية لم يتسلم أمرًا من وزير الدفاع. وفي الوقت نفسه، لسنا متأكدين أن وزير الدفاع قد أعطى أمرًا يُعزى له.

وبعد أعوام، اتضح أن افري (زيدمان) ايلاد (بول فرانك)[1] ، العميل الإسرائيلي الذي قاد المجاميع في مصر وفَّر من دون أذى، قد كان عميلاً مزدوجًا. وفي الحقيقة، أتذكر أني صُعقتُ عندما سمعت أول مرة أنه قد أُدرج وأُرسل إلى مصر من جانبنا. لم أصدق بذلك. كنت أعرفه سنين عددًا: كان تلميذًا في بن شيمين، في الصف الأقل مني، وحتى آنذاك، كان محتالاً - وتم الإمساك به فعلاً وهو متلبس.

ففي ذات مرة، بصفتي أمين خزانة الكيبوتز، كان عليَّ أن أغادر إلى تل أبيب ، لأقوم بجولات في مكاتب وموارد الأغذية العديدة . وفي إحدى هذه

---

(١) إفري إيلاد، وإبراهام زيدمان (سيدينورج)، وبول فرانك، أسماء مختلفة لضابط استخبارات إسرائيلي جاء إلى القاهرة لتنشيط خلايا التجسس اليهودية في مصر، وكان الوحيد الذي نجا من الاعتقال في عملية (لافون)، والذي تجرأ على البقاء في مصر أسبوعين آخرين بعد سقوط الشبكتين. ويقول ماهر عبد الحميد في كتابه (عملاء من القاهرة) أنه تم تجنيد بول فرانك للعمل ضد إسرائيل، وغادر القاهرة عميلاً مزدوجًا ليعينه رئيس الموساد إيسير هاريل مسئول الجهاز في أوربا، وبواسطته سقط عملاء الموساد تباعًا في قبضة المخابرات المصرية ، لكن اكتشف أمره وحبس لمدة ١٧ عامًا في إسرائيل حتى أفرج عنه عام ١٩٧٤.

المناسبات، كنت على وشك أن أركب الحافلة إلى تل أبيب عندما اكتشفت أن لا نقود معي أدفعها لقاء التذكرة. كانت محفظتي فارغة. وبعدئذ، عثر على محتوياتها في حوزة إيلاد. كانت هنالك حوادث أخرى قادتني إلى الشك لذلك، كنت مذهولاً وممتعضًا أنه قد شق طريقه إلى خدمتنا الاستخبارية.

ديمقراطية القتلة

وبعد الاعتقالات في مصر وشروع إصدار الكارثة بإرسال هزاتها الأولى في بناية وزارة الدفاع في إسرائيل، تسربت القضية إلى الصحافة، وخلص رئيس الوزراء شاريت فورًا أنني كنت المسؤول. طالبت بالتحقيق وبعد أشهر دعاني شاريت واعتذر، معترفًا أن ليس ثمة دليل يربطني بتسرب المعلومات. ثم دعاني زلمان آران، وهو وزير كبير، وأقترح أن أقطع تذكرة وأطوف العالم في ستة أشهر قبل العودة لاستئناف عملي. فأجبت،

– "لماذا ينبغي لي أن أغادر إسرائيل وأدع الآخرين يجعلونني كبش فداء للقضية بكاملها؟"

لقد شعرت كأنهم يهجمون عليّ لأكون الضحية. ومضيت مباشرة إلى موشى ديان وأتفقنا على أن نقف معًا في القضية.

كان لافون يطالب بطرد ديان أيضًا "كشرط له" للبقاء في وزارة الدفاع. وتردد رئيس الوزراء شاريت بعض الوقت – كان هذا خلال شهري يناير وفبراير عام ١٩٥٥ – بين رغبته الخاصة في التخلص من لافون الذي رآه مسؤولاً تنفيذيًا لفضيحة القاهرة، وبين إحجامه عن إطلاق عاصفة عامة قبل الانتخابات التي كانت متوجبة في تلك السنة.

كان الأمر بين ديان وأنا صريحاً وعرضة للبحث. وما كان ثمة جدولة أو تستر أو "اتفاقيات". وبين وقت وآخر كنا نمضي معًا إلى مزرعة بن جوريون في (سدي بوكر)، بصحراء النقب، بيد أننا لم نشركه في جميع هذه الحوادث

المريبة، لا أثناء الكارثة في مصر ولا بعدها. لقد كانت واهية تلك القصص التي "حاك خيوطها" بن جوريون إلى حد ما في الحكومة أو الجيش حتى بعد أن ترك منصبه.

كان ليفي أشكول، وإلى درجة ما جولدا مائير أيضًا، متناقضين تمامًا دائمًا لما يتعلق بلافون، وفي أعقاب "الحادث المؤسف" قاد الاثنان كتلة رأي متنامية في مراتب الحزب العليا وطالبت بإبعاده.

استقال لافون في فبراير ١٩٥٥. وغدا فيما بعد "الأمين العام للهستدروت"، كتعويض له عن المنصب السابق. وبعث كبار الماباي وفدًا إلى سدي بوكر لإقناع بن جوريون كي يعود وزيرًا للدفاع. ووافق على طلب الحزب وعمل وزيرًا للدفاع في عهد شاريت حتى انتخابات يوليو في تلك السنة، حيث استأنف بعدها موقعه الصحيح كقائد للحزب ورئيس الوزراء.

وتفجرت فضيحة لافون، أو ببساطة القضية التي باتت تعرف كذلك، في المجتمع السياسي والرأي العام بعد سنوات خمس. فقد تلقى لافون دليلاً جديدًا من ضابط في الجيش، ادعى أن فيه دليل براءته من تهمة إصداره للأوامر. أقام بن جوريون لجنة تحقيق أخرى ضمت حاييم كوهين، قاضي المحكمة العليا ، واثنين من ضباط الجيش.

وفي تلك الأثناء، أدلى لافون بشهادته أمام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع التابعة للكنيست، فتسرب الدليل إلى الصحافة مثيرًا عنفًا لا سابق له والذي لام فيه جيبلي على (الصفقة المخزية)، واتهمه هو والآخرين بمحاولة التستر المتعمد للحقيقة. وإذ بقيت الحقائق الدقيقة للحادث تحت الرقابة الدقيقة، فقد علمت العامة بوجود انشقاق عميق ومتشعب ضمن الحزب الحاكم. وادعى لافون، الذي يسانده أغلب أنصار ماباي القدامى، أنه كان ضحية بن جوريون وعصبته من الشباب (أنا واحد منهم). فيما أصر بن جوريون من جانبه أن براءة لافون أو إدانته لا تتم إلاّ في تحقيق قضائي.

وبلغت هذه القضية ذروتها عند نهاية الستينيات، عندما نقض مجلس الوزراء أمر بن جوريون وأقام لجنة وزارية من سبعة رجال للتحقيق في الأمر. وأصدرت اللجنة قرارها لصالح لافون وكتب الوزراء السبعة:

- (لم يعط هو الأمر وأن الحادث قد وقع من دون معرفته)

وأصر بن جوريون المغتاظ بأن "الوزراء لا يمكن لهم أن يغدو قضاة"، واستقال.

قررت لجنة الحزب المركزية، في محاولتها تهدئة روع بن جوريون، طرد لافون من منصب "أمين عام للهستدروت"، وأقنعت بن جوريون على البقاء رئيسًا للوزراء. وبعد انتخابات عام ١٩٦١ تم تشكيل ائتلافًا جديدًا يقود الماباي، وتولى السلطة حتى استقالته في حزيران عام ١٩٦٣.

بيد أن القضية قد نخرت تمامًا العلاقات ضمن قيادة الماباي. إذ طور بن جوريون خصومة عميقة نحو زميل حياته وخليفته المنتخب إيشكول بعد أن رفض إيشكول إعادة فتح القضية مرة أخرى في عام ١٩٦٤ على أساس الدليل الجديد الذي أبصر النور في حينها. وعندما طالب بن جوريون بلجنة قضائية، رفض إيشكول الذي تقف خلفه أغلبية الحزب.

وعلاوة لذلك حث إيشكول الحزب على إعادة مكانة لافون، الامر الذي قد حصل وفقًا لذلك في قرار لجنة مركزية في عام ١٩٦٤.

ظلت القضية تمزق أفئدة حزب الماباي ، وأقام بن جوريون وأتباعه جماعتهم الخاصة بهم، ضمن مراتب الحزب، ولكن انقسامًا كاملاً قد أمسى قريبًا بنحو لا مناص منه، بات يهدد إسرائيل كلية ويزلزل المجتمع الحزبي من الأعماق.



فضيحة (داموكليس) في مصر..!!

تعد سويسرا، الدولة الوحيدة في العالم التي انتهكت الموساد سيادتها خمس مرات، على مدى خمسة وثلاثين عامًا، بالقيام بعمليات استخباراتية قذرة فوق أراضيها، أطاحت الأولى برئيس الموساد عام ١٩٦٣، وأطاحت الأخيرة بزميله عام ١٩٩٨، ثلاث عمليات منها كانت ضد العلماء الألمان في مصر..!!

منذ أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ والآمال معقودة على تكوين جيش مصري قوي يحمي الخطر القادم من إسرائيل التي أعلن قيامها في ١٩٤٨.

لذلك.. رأت قيادة الثورة أن تستعين بأكبر عدد من الخبراء الألمان للنهوض بالجيش وتطوير أسلحته الهجومية والدفاعية. وكان العلماء وخبراء التسليح من رجال الحكم النازي قد بدأوا بالفعل يتوافدون على مصر في نطاق محاولات المسئولين النازيين السابقين الهرب من ألمانيا بعد استسلامها للحلفاء، إذ ظهرت وقتذاك إعلانات في الصحف الألمانية تطلب ضباطًا (حتى رتبة جنرال)، وخبراء في الصناعات الحربية للعمل في إحدى دول شمال أفريقيا، ونجح المصريون في التعاقد سرًا مع عدد كبير منهم، حصل معظمهم على الجنسية المصرية وحملوا أسماء عربية بمجرد وصولهم إلى مصر[١].

أول هؤلاء العلماء هو الدكتور (فيلهلم فوس) مساعد الجنرال (جورنج[٢]) قائد سلاح الطيران الألماني ونائب (الفوهرر).

كان (فوس) أيضًا رئيسًا لمجلس إدارة التصنيع وإعادة التسليح أيام (هتلر) والمشرف على مصانع (سكودا) الحربية حينما زحف (هتلر) على تشيكوسلوفاكيا. وبعد هزيمة ألمانيا حوكم في (نورمبرج) مع (جورنج) وغيره من زعماء وجنرالات ألمانيا وأعوان هتلر، ورفض الحلفاء الإفراج عنه حتى بعدما برئ، فظل الدكتور فوس يتنقل بين المعتقلات حتى بلغ عدد السجون التي نزل فيها أربعة عشر سجنًا، ثم أطلق سراحه ووضع تحت المراقبة، إلى أن ظهر

---

(١) آخر ساعة - العدد ٩٦١ ، بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٥٣ ص٦ ، ٧، تحقيق صحفي بعنوان: (الخبراء الألمان يشهدون عملية بناء جيش).

(٢) الجنرال هيرمان جورنج : حكم عليه بالإعدام في محاكمات نورمبرج مع ١٢ آخرين من أعظم عظماء الرايخ الثالث. وتقرر تنفيذ الحكم في ١٦ أكتوبر ١٩٤٦ بالشنق. لكن جورنج اعترض مطالبًا بأن يتم إعدامه رميًا بالرصاص كضابط كبير. وأمام رفض طلبه التزم الصمت. وقبيل تنفيذ الإعدام بنصف ساعة فقط انتحر داخل زنزانته بالسم الذي وزع على أغلب زعماء النازي قبل سقوط برلين. لقد كان جورنج يرتدي زيه العسكري، ووجد مستلقيًا على ظهره، وفي فمه شظايا زجاج، وبقايا مادة "سيانور البوتاسيوم" تحت لسانه. وعلى صدره خطاب كتب فيه أنه انتحر احتجاجًا على حكم إعدامه بالشنق بدلاً من الرمي بالرصاص.

فجأة في القاهرة خبيرًا في الجيش المصري ومديرًا لمشروع صناعة الصواريخ[1].

كان هناك أيضا الجنرال (فيلهلم فادهمباخر) الذي قاد فرق الجيش الألماني في بريتاني، ثم نقل إلى الجبهة الشرقية، ووصل بجيشه إلى بعد (١٠) كيلومترات من موسكو، وتولى قيادة فرق غزو أوروبا وإعداد خطط الدفاعات عن الغزو المتحالف حتى جاءته أنباء الهزيمة والاستسلام ونهاية هتلر، فرفض أن يستسلم أيامًا وظل يقاوم حتى بعد إعلان الهدنة وخرج من معسكر الاعتقال الفرنسي إلى مصر، ليعمل خبيرًا في التدريب يساعده في إدارة مكتب الخبراء، الماجور روزير خبير الاقتصاد العسكري والملحق العسكري في السفارة الألمانية في أنقرة خلال الحرب العالمية الثانية

ويعتبر الجنرال (جيرهارد متين) من أبرز الخبراء الألمان في مصر فهو من أمهر قواد فرق المظلات الألمانية وأحد أبطال احتلال جزيرة كريت بالباراشوت، حيث كوفئ على جهده في المعركة بوسام الصليب الحديدي. وفي القاهرة عمل على تدريب فرقة المظلات المصرية، واستطاع في تدريبه لهم أن يصعد بهم إلى قمة الهرم، وهم بكامل ملابس الميدان، ثم هبطوا من فوقه في زمن قياسي. وسار بالفرقة مشيًا على الأقدام إلى كوم أوشيم على مسافة خمسين كيلومترًا من القاهرة، وكانت زوجته فراو جين هارد تشرف بنفسها على طعام الجنود.

---

(١) يقول الدكتور فوس: (لقد طاردتني الدعاية الإنجليزية والصهيونية في كل مكان، حيث اتهمت مرة بالشيوعية، ومرة بالنازية. لقد ضاقت بي الحياة في وطني الأول، فاخترت مصر وطنًا ثانيًا. إني لن أنسى ألمانيا فهي في قلبي وفي عقلي وفي مشاعري، ولكني اقسمت أن أكون مخلصًا لمصر).!!

وقد حدث أخيرًا أن كان الدكتور فوس يزور ألمانيا في مهمة خاصة. وكان يجلس مع البكباشي محب عبد الغفار ضابط الاتصال مع الخبراء الألمان، في قاعة الطعام في فندق "برايلار باخرهوف" في دسلدورف، وفجأة دخل أحد الأشخاص ، وأشار إلى الدكتور فوس وقال:

- انظروا من هنا؟ هذا أحد أصدقاء هتلر.. كيف تتركونه خارج السجن؟

وأثار الرجل ضجة، وتمالك الدكتور فوس أعصابه، ثم انصرف من الفندق مع الضابط المصري، والتفت إليه قائلاً، وهما ينصرفان:

هل تعتقد أن هذا جو يستطيع أي ألماني يحب ألمانيا أن يعيش فيه؟

أما الدكتور (جوناس فون ليرن)، الذي كان مساعدا لجوبلز[1] وزير الدعاية النازي، فقد اتخذه المصريون ضابط اتصال بالعلماء والخبراء الألمان الذين يرغبون في العمل في مصر. واستطاع بالفعل استقدام العديد منهم، وعلى رأسهم الكولونيل (فرديناند برادنر) خبير بناء الطائرات، و(أيوجين ستانجل) مدير معهد شتوتجارت للطائرات النفاثة، الذي اصطحب معه إلى مصر أنجب تلاميذه في علوم الطائرات، والعديد من علماء الكيمياء المتخصصين في الحرب الكيماوية أشهرهم دكتور هانز كلينواختر، إضافة إلى علماء البيولوجيا البارعين في حرب الجراثيم والميكروبات بينهم (أوتو فرانك جوكليك)[2] النمساوي الأصل وعدد كبير من علماء الإلكترونات يقودهم الدكتور (بول جيوركه)

هكذا.. وعلى مراحل متباعدة ازدحمت القاهرة بنخبة رائعة من العلماء والخبراء الألمان[3]، حملوا على عاتقهم مسئولية النهوض بالجيش المصري والتصنيع العسكري في مصر وتطوير صناعة الصواريخ التي تأمل مصر أن تطول العمق الإسرائيلي ويصل مداها حتى جنوب لبنان

---

(١) جوبلز J. Goebbels (١٨٩٧ - ١٩٤٥) تولى منصب وزير الدعاية في الحكومة النازية ابتداء من عام ١٩٣٣، وفي ٢ مايو ١٩٤٥ سمم أطفاله ، ثم أطلق الرصاص على زوجته، وانتحر بمسدسه قبل سقوط برلين بلحظات.

(٢) أوتو فرانك جوكليك: عميل إسرائيلي ألقى القبض عليه في سويسرا في عملية تهديدها هايدي. ابنة أستاذه بول جيوركه.

(٣) أمر هؤلاء العلماء والجنرالات لم يكن خافيًا على العالم منذ عام ١٩٥٣، فالإعلام المصري نشر تحقيقًا في آخر ساعة عدد ٩٦١ بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٥٣، أي قبل انفجار عملية (داموكليس) بعشر سنوات . لكن المثير أن الضجة الصهيونية تواكبت ضد هؤلاء العلماء حتى قبل النشر في آخر ساعة. تقول المجلة المصرية:

وهناك خبراء غير هؤلاء، من جنود ألمانيا القدامى، يعملون في الجيش المصري، ولكن مقتضيات السرية العسكرية تقضي أن تبقى أسماؤهم، وأن تبقى أعمالهم التي يؤدونها في طي الكتمان. ولقد كانت صحف العالم منذ أوائل مارس ١٩٥٣، كما تؤكد المجلة، طافحة بأنباء هؤلاء الخبراء، ولكن المبالغات التي نشرت كانت أكثر من الحقائق، فإن بعض صحف العالم صورت الأمر بحيث جعلت قراءها يتخيلون أن قواد هتلر قد جاءوا جميعا إلى مصر!.. بينما الواقع أن الجيش المصري يستخدم هؤلاء الخبراء في ميادين معينة بالذات، يشعر - الجيش المصري - أنه يحتاج فيها إلى خبرة عالمية.

عملية داموكليس

تناثرت لدى الإسرائيليين معلومات مشوشة عن كثافة التواجد الألماني في مصر، ورغبة المصريين في امتلاك أسلحة الدمار الشامل التي ستستخدم ضدهم بلا أدنى شكوك. وكان على المخابرات الإسرائيلية ، الموساد، أن تتحرك بسرعة فائقة وتأتي بالدليل القاطع وتشكل فريق عمل يقوده رئيس الموساد (ايسير هاريل ، ١٩٥٣ – ١٩٦٣) وأطلق على العملية اسم (داموكليس) ، DamocLes (سيف جاء ذكره في الأساطير الإغريقية) والمقصود هنا هو قطع رقاب الألمان الذين يعملون في مصر.

وبواسطة المخابرات الألمانية حصلت الموساد على معلومات وفيرة عن نشاط الألمان بمصر من خلال الخطابات المتبادلة بين الخبراء وذويهم في ألمانيا، واستكمل الإسرائيليون كثيرًا من البيانات التي كانت تنقصهم، فبدأ عملاؤهم في الاتصال ببعض الألمان الذين يشتبه في وجود صلة بينهم وبين مشروع استقدام العلماء الألمان. ونشط عملاء الموساد في القاهرة، وسرعان ما عثروا على سر رقم (٣) الذي بدأ يشيع في عالم الصناعة. إذ اكتشفوا أن رقم (٣) هذا له علاقة بالأرقام الكودية لتفاصيل المشروعات الحربية. وتبين لهم أن رقم (٣٣٣) ما هو إلا ميدان إجراء التجارب على الصواريخ في صحراء مصر الجديدة، وأن رقم (٣٦) ليس سوى مصنع حربي على مشارف القاهرة .

عند هذا الحد.. قرر إيسير هاريل العمل بأية وسيلة على إخراج العلماء الألمان من مصر، لأنه لم يكن من العسير عليه إدراك حقيقة أن كل النشاط الحربي المصري موجه ضد إسرائيل. ولكن كان عليه في البداية أن يحصل على معلومات تفصيلية عن الخطة المصرية، وعن الدور الذي يلعبه الألمان فيها. فضلاً عن حاجته إلى دليل دامغ لإثبات هذا الدور. وكان المطلوب بناء على ذلك، جاسوس عبقري فذ يستطيع التسلل إلى دوائر الحكم والسياسة في مصر وإلى صفوف الألمان المقيمين بها.

وجد هاريل ضالته في الكابتن (زيف) ضابط الاستخبارات الإسرائيلي المولود لأب ألماني وأم يهودية، وصاحب السجل الحافل في خدمة الصهيونية منذ هاجر إلى إسرائيل مع أمه عام ١٩٣٣ فرارا من النازية. استعاد (زيف) اسمه الألماني القديم (يوهان وولفجانج سيجموند لوتز[١]). ولأنه لم يجر عمليات الختان كاليهود، استطاع أن يثبت قصة التغطية وينقذ حياته من الإعدام في القاهرة.

لقد تم تزويده بكافة المستندات التي تثبت جنسيته الألمانية وانخراطه في صفوف الجيش النازي، وأرسل لوتز الذي كان يجيد العربية إلى ألمانيا عام ١٩٦٠ للتغطية، وإيجاد الأدلة القاطعة على أنه كان مقيمًا بألمانيا، حيث بدأت المخابرات الألمانية (البولاخ) في التعاون مع الموساد[٢]. وخلال عام واحد من إقامته في مصر كانت فيللته في القاهرة، ومزرعة خيوله في منطقة الأهرامات، مقصد العديد من الألمان العاملين في مصر.

أما حفلات الشمبانيا الساهرة التي كان يقيمها فكانت أكثر اتقانا لفن استخدام الخمر في إطلاق الألسنة من عقالها. وكانت مهمته في مصر تنحصر في الحصول على خطط إنتاج الصواريخ، وعلى خرائط المواقع العسكرية السرية، كذلك أسماء الخبراء الألمان العاملين في مصر، إلى جانب الحصول على دليلٍ

---

(١) وصل لوتز إلى مصر لأول مرة في ٢٢ فبراير ١٩٦١ تحت غطاء السياحة. ثم أقام أسطبلاً لخيول أصيلة أستوردها من الخارج، وذلك فوق أرض استأجرها في منطقة الأهرامات، بغرض إقامة معهد متخصص لتدريب ركوب الخيل. وبذلك استطاع أن يتصل بعدد من ضباط سلاح الفرسان، وبعض الشخصيات العامة، بالرغم من أن هدفه الرئيسي كان تهديد العلماء الألمان والحصول على كافة المعلومات الخاصة بمهامهم وعناوينهم وعناوين أقاربهم في ألمانيا. وأيضًا، الحصول على معلومات عسكرية عن تطور القوات المسلحة المصرية وتسليحها. (صلاح نصر - حرب المخابرات، الكتاب الثاني ص٥١).

(٢) دعَّم رئيس المخابرات الألمانية رينكارد جيلين علاقاته بالموساد في مسألة الخبراء الألمان بالقاهرة، إذ حث بون على ممارسة الضغوط على هؤلاء الخبراء، ممهدًا الطريق أمام حملة الموساد الإعلامية الضخمة التي ضخمت من خطورة تواجد العلماء الألمان في مصر، واتهمتهم بأنهم نازيون سابقون، بغرض إيجاد الأرضية المناسبة لكي تصفهم بالإرهابيين، وتبرر أية أعمال إجرامية تتم ضدهم في المستقبل.

كافٍ لشن حملة دبلوماسية ودعائية أضخم، تهدف إلى إجبار العلماء الألمان على مغادرة القاهرة إلى الأبد.

استهلت الموساد أولى الحروب بإرسال خطابات ملغومة من ألمانيا إلى القاهرة ، إلى جانب إرسال تهديدات شخصية للخبراء الألمان. ووقعت بالفعل عدة حوادث أخافت الألمان، كان لوتز وراء بعضها، لكنها على أية حال لم تقنع في البداية أغلب الخبراء بالعودة ثانية إلى وطنهم.

لذا.. دافع إيسير هاريل عن صحة رأيه حول الخط المتشدد الذي يجب أن يتبعه في عملية داموكليس، وكان رأيه هذا لا يلق قبولاً من رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون، إلا أنه اندفع في الطريق بكل قواه.. حتى وقع في مأزق أنهى خدمته كرئيس للموساد

أقصى حالات الضعف

طار هاريل بنفسه إلى أوروبا عدة مرات للقاء مساعده (رايسمان) المسئول عن العملية في ألمانيا، وأرسل فريقا إلى مدريد للالتقاء بضابط نازي سابق (أوتو شورزيني) كان صديقًا للعديد من الألمان في القاهرة، ومثَّل عملاء الموساد دور ممثلي جهاز المخابرات التابع للناتو وأقنعوه بحث أصدقائه على مغادرة مصر خدمة للمصالح الغربية، وكان أمرًا مدهشًا أن يستخدم الإسرائيليون نازيًا.

وردًا على غضب بن جوريون من تصرفه قال هاريل إن شورزيني محارب ألماني قديم.. وليس مجرم حرب، لقد كانت مفاجأة عجيبة وصدفة غير متوقعة عندما استطاع إسحق شامير الساعد الأيمن لهاريل، أن يرسل برجاله خلف الدكتور النمساوي أوتو فرانك جوكليك، الذي غادر القاهرة لزيارة شقيقه المريض في فيينا، فاقتحموا عليه شقته بشارع بورال أثناء ممارسة اللواط مع موسيقي معدم، وصوروه في أقصى حالات ضعفه وهو يمثل دور المرأة مهددين بالفضيحة إن لم يتعاون معهم

لم يكن الأمر صعبًا.. فبينما كان عاريًا يرتعد من الخوف.. والخجل، أجاب على كل التساؤلات التي طرحت على مسامعه. وصرح بأن المصريين كانوا يحضرون لتجهيز صواريخهم برؤوس تحتوي على مواد مشعة من المتبقيات[1]، وبشكل أكثر خطورة يتم الإسراع في مشروع (كليوباترا) من أجل إنتاج رؤوس حربية تحمل السلاح النووي. واعترف جوكليك بأنه كمغامر أكثر منه خبير في حرب الجراثيم، أقنع المصريين بأنه يستطيع صنع قنبلة كوبالتية ذات طاقة كبيرة وقبل راتبا كبيرا من مصر، بينما كان يعمل دون أي نجاح حقيقي.

طار رجال إسحق شامير بالصيد الثمين إلى إسرائيل، فأقنعه هاريل بالعمل لصالح الموساد حتى يستطيع أن يضيف كومة من النقود الإسرائيلية إلى الكومة التي يحصل عليها من مصر. وعلى ذلك هيأوا له، قبلما يسافر في مهمة إلى القاهرة، مكانًا آمنًا يلتقي فيه بشواذ اليهود ليشبع نزواته دون خجل.

وبعدما أمضى جوكليك ثلاثة أشهر في القاهرة، طار إلى أثينا ومنها إلى تل أبيب في رحلة لن يكررها إلى القاهرة أبدًا، حيث كان يحمل مستندات هامة وتقارير خطيرة أربكت الإسرائيليين. إذ نبه إلى خطورة الوضع في مصر وأنها تندفع نحو تطوير ما وصفه الخبراء بقوة A.B.C الضاربة وهي الحروف الأولى للكلمات ذرية ، بيولوجية، كيماوية ، ويمكن لمثل هذه الأسلحة ذات الدمار الشامل أن تركب على صواريخ يصممها الألمان

لم يخبر هاريل أحدًا في المؤسسة العسكرية والأمنية عن وجود جوكليك في إسرائيل. وقد عرف نائب وزير الدفاع شمعون بيريز بالأمر فاصر على مقابلة العميل الشاذ ليستجوبه كبار رجال الجيش، لكن هاريل رفض نتيجة لعادته المتمثلة في تقسيم العمل بدعوى أن الجواسيس أكثر أمنًا حين يقل عدد من

---

(١) المتبقيات: مواد متبقية حافظة للأشعة الصادرة عن انفجار نووي) وذلك في إطار عملية اسمها الرمزي (أبيس).

يعرفهم، إلا أن بيريز شكا لبن جوريون وهدد بالاستقالة فأمره رئيس الوزراء أن يفسح المجال لوزارة الدفاع لمقابلة جوكليك، وتشكلت لجنة من الخبراء تستطيع الحكم على قول هاريل بأن مصر قريبة من حصولها على أسلحة A.B.C . وبعد استجواب جوكليك رأت اللجنة أن معلومات العميل مشكوك فيها، إلا أن هاريل كان ما يزال متأكدًا بأن عبد الناصر يخطط لتدمير إسرائيل، وظل يؤمن بجوكليك إيمانًا راسخًا لا شك فيه.

القاهر والظافر

لقد كان جمال عبد الناصر يدرك أن استقلال الوطن لا يحميه إلا القوة.. وأن ضمان هذه القوة في التصنيع العسكري.. وتحول هذا الإدراك إلى خطة.. وقرار.. وميزانية.. بعدما حدث في حرب السويس. وكان طموحه يبدأ بإنتاج الذخائر.. وينتهي بالوصول إلى القنبلة الذرية.. وبين البداية والنهاية كانت الرغبة عارمة، صارمة لامتلاك غاز الأعصاب.. الصواريخ بعيدة المدى، والمتعددة المراحل.. والأسلحة الكيماوية.

إن إسرائيل كانت تسعى إلى ذلك أيضًا.. ولا مفر من السباق معها.. ومع الزمن كذلك.

وكان لا بد من اللجوء إلى أهل الخبرة في هذه المجالات

كان لا بد من اللجوء إلى الألمان ، الذين تركوا بلادهم بعد الهزيمة، وانتشروا في دول العالم المختلفة ، بما في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا ، ليقدموا خبراتهم مقابل إقامة وجواز سفر

ومن الدول التي فتحت أبوابها لهؤلاء العلماء، كانت مصر.

وكان ذلك، منذ عهد الملك فاروق. أي قبل الثورة.. وقبل أن يظهر جمال عبد الناصر على سطح الأحداث

وحسب المصادر الإسرائيلية كان في مصر ، قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حوالي ٥٠٠ من العلماء الألمان على هذا المستوى[1]

ولم يجد جمال عبد الناصر أفضل وأضمن منهم في تنظيم جهاز المخابرات. وفي العمل ، كخبراء ، في أسلحة الجيش، الرئيسية، المختلفة

وشجع ذلك، غيرهم إلى اللجوء إلى مصر..

وقد فضل البعض منهم الامتزاج التام بالمجتمع.. إلى حد تغيير أسمائهم إلى أسماء عربية.. مثل جورجن كنيتش (ضابط الثقافة النازية السابق في يوغوسلافيا) الذي عُرف باسم محمد حسين.. واولرنج كراوس (ملازم في الصاعقة) الذي عُرف باسم محمد أكبر.. والبروفيسور ويلهلم فاهر مباخر (من شبكة المخابرات الألمانية القديمة) الذي عُرف باسم د. عمر أمين

وفي نوفمبر ١٩٥٩، وقع رئيس مخابرات الطيران محمد محمود خليل، عقدًا، باسم الحكومة المصرية، مع مصانع ويلي شميت في ميونيخ، للاستفادة بخبرتها في صناعة الطائرات.. والتي تبيعها لحلف شمال الأطلنطي

وبعد توقيع العقد، انضم إلى العلماء الألمان في مصر، البروفيسور يوجين سانجر، مدير معهد دراسات الدفع النفاث في شتوتجارت، الذي كان يقوم منذ وقت طويل ببحوث في مجال الصواريخ.. وهو أحد أوائل رواد صناعة الصواريخ المستخدمة في إطلاق أقمار صناعية تدور حول الأرض

وجاء معه إلى القاهرة ١٢ مهندسًا وعالمًا من ألمع تلاميذه في معهد شتوتجارت.

وعندما سقط حكم بيرون في الأرجنتين، طلب عدد من العلماء الألمان الذين يعيشون هناك اللجوء إلى مصر.. وكان منهم د. كيرت فانك، الذي شارك فيما بعد في صنع أول طائرة نفاثة مقاتلة في الهند.

(١) عادل حمودة : روز اليوسف - العدد ٣٥٧٩ في ١٣ يناير ١٩٩٧

وطبقًا للعقد مع مؤسسة ويلي شميت، أنشئ مصنع ٣٦ الحربي لتصنيع أجزاء الطائرة الأسرع من الصوت.

لكن..

سرعان ما تعرضت هذه المؤسسة إلى ضغوط هائلة من المخابرات الأمريكية، والإسرائيلية، جعلتها تفسخ العقد.. وتسحب العاملين معها.. ومن ثم .. راح المصريون يبحثون عن مواهب بديلة في ألمانيا وسويسرا

كل صاروخ وأنتم طيبين

وحسب معلومات ريتشارد ديكون (ضابط المخابرات البريطانية السابق، وثيق الصلة بالموساد) فإن المصريين ، بمساعدة الألمان، قطعوا شوطًا كبيرًا في مجال تصنيع الأسلحة المتطورة.

فقد اقتربوا من صناعة الطائرة النفاثة، بمساعدة الخبير الألماني فرديناند براندنر، الذي قاد فريق العلماء الألمان في مصنع الطائرات بحلوان.. لإنتاج المحرك إتش – إيه – ٣٠٠

وأجروا عدة تجارب على القنابل الجرثومية بمساعدة كيماوية ألمانية شابة، عاشت في القاهرة، وعملت مع د. هانز إيسليه.

وابتكروا طريقة لحقن الصواريخ بالفضلات الذرية (كوبالت ٦٠، وسترونيتوم ٩٠) من خلال مشروع سُمي باسم (أبيس).

وأعدوا كل ما يلزم إنتاج سلاح ذري بسيط، وأطلقوا على المشروع اسم (كليوباترا).

وفكروا في إنتاج زجاجات من غاز الأعصاب الذي يعرف باسم (تابون).

وفي خريف سنة ١٩٦٠، بدأوا تجارب إطلاق الصواريخ في الصحراء الغربية.. واستمرت التجارب حوالي السنتين.. وعندما نجحت، أطلق الصاروخ

(القاهر) ، والصاروخ (الظافر) أمام مراسلي الصحافة العالمية، في الساعة التاسعة و٤٧ دقيقة من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢، من قاعدة في غرب القاهرة .

كان مدى (القاهر) ٣٧٥ ميلاً

وكان مدى (الظافر) ١٧٥ ميلاً

وقد تمت عملية الإطلاق بنجاح أمام جمال عبد الناصر ورجال الثورة.. ويكشف محمود مراد في كتابه (جاسوس في القاهرة) أن الاسم السري للصاروخ المصري[1] كان (الأستاذ) وأن عدد الصواريخ التي أطلقت في ذلك اليوم كان أربعة.. اثنان من كل طراز.. وبعد عملية الإطلاق الناجحة حاصر مراسلو الصحف العربية والأجنبية جمال عبد الناصر وسألوه بتعجب:

- ما الغرض من صنع الصواريخ .. ؟

* الغرض هو صنع الصواريخ . !!

- إلى أين يستطيع أن يصل الصاروخ .. ؟

* (القاهر) .. يمكن أن يصل إلى جنوب بيروت ..!!

- هل يصل الصاروخ إلى إسرائيل .. ؟

* كل صاروخ وأنتم طيبين ..!!

وحسب المصدر الأخير.. فإن رئاسة الأركان الإسرائيلية وضعت (خطة لتدمير قاعدة الصواريخ بما فيها، ومن فيها معتمدة في تنفيذها على القوات الجوية، وعلى أساس أن تتسلل طائراتها لضرب القاعدة مع قيام باقي طائرات سلاح الطيران كله بالمعاونة للحماية والاستعداد لأي طارئ)

---

(١) فشل مشروع الصاروخ فشلاً ذريعًا وكلف الخزانة العامة ملايين الجنيهات على أمل النجاح، بسبب المشكلة الرئيسية التي كانت تكمن في صعوبة بل استحالة التحكم في الصاروخ بعد إطلاقه، لعدم القدرة على ابتكار نظم التوجيه الحديثة التي تتحكم في خط سير الصاروخ وزاوية إطلاقه وسقوطه باتجاه الهدف.

يقول عادل حمودة (كانت الخطة مجنونة وتعبر عن مدى الهوس الذي انتابها، وجرى التدريب بالفعل على تنفيذها الذي حُددت له ساعة صفر بعد أسابيع قليلة من إطلاق (الأستاذ).. لكن تل أبيب تراجعت عن العملية في المرحلة الأخيرة، وفضلت عليها عمليات أخرى، نفذتها بالفعل، فيما بعد.

الإرهاب الإسرائيلي

بعد إطلاق (الأستاذ) سافر حسن كامل[1] للاستجمام في جزيرة (سيلت) القريبة من الحدود الدانماركية – الألمانية.. وهناك قضى وزوجته عدة أيام، قررا بعدها السفر إلى دوسلدورف.. فاستأجرا طائرة خاصة. لكن.. قبل الإقلاع بساعات، حدث ما جعل حسن كامل يلغي رحلته.. فسافرت زوجته بمفردها. وبعد إقلاع الطائرة بدقائق .. انفجرت في الجو..

كانت هذه أولى عمليات التخريب التي قررت إسرائيل اللجوء إليها، لتعطيل برنامج الصواريخ المصري

وقد صاحبت هذه العمليات.. حملة دعائية صهيونية، ضد النظام المصري الذي يستخدم علماء نازيين.. وعلق جمال عبد الناصر على ذلك قائلا:

(أنا مش فاهم يعني إيه العلماء نازيين، همه كل الألمان نازيين! ! كل العلماء قبل الحرب كانوا بيشتغلوا في ألمانيا، والآن يعمل معظمهم في الدول الكبرى فهل هؤلاء أيضا نازيون؟ أم أن من يعمل معنا فقط هو النازي؟ إن تعبير كلمة نازية أصبح للدس.

وأنا شفت العلماء الموجودين هنا وهم علماء لا يوجد عندهم تعصب، وهم متمسكون بصفتهم كعلماء فقط ... ولا يتحدثون في أي شيء إلا عملهم.. إن كلمة

---

(١) حسن كامل اسم عربي لأحد العلماء الألمان قيل إنه (فيلهيم يونلخت) في بعض المصادر.

النازية استعملت في الدعاية الإسرائيلية، واستحوذت على عقول الكثيرين، وليس من المعقول أن نستخدمها ضد أي ألماني)

ومن ناحية أخرى حذرت واشنطن جمال عبد الناصر من الاستمرار في برنامج الصواريخ. لكنه لم يستسلم لذلك.

وفي ١٠ سبتمبر ١٩٦٢، تقدمت السيدة (فراو) كروج إلى شرطة ميونيخ ببلاغ عن فقد زوجها (هير) هانز كروج.. مدير مكتب شركة إنترا الموجود في شارع شيلر.

وشركة إنترا شركة تجارية نشاطها الرئيسي بيع وشراء المعدات الإلكترونية ومحركات الصواريخ.

ويقول ريتشارد ديكون:

(إن هانز كروج باع للمصريين هذه البضاعة بوفرة)

وثبت من تحريات الشرطة أنه شُوهد في اليوم نفسه، يغادر مكتبه في الشركة مع رجل آخر، اتضح فيما بعد أنه إسرائيلي.

(وبعد ٤٨ ساعة وُجدت سيارته مهجورة في مكان ناء خارج المدينة، وسرت شائعات تقول إنه أُختطف، وإلى الآن لم يظهر له أثر)

وهكذا.. واصل الإسرائيليون الإرهاب

في ٢٧ نوفمبر من تلك السنة.. وقع الحادث الثالث

كان الهدف البروفيسور فولفجانج بيلز[1].. أحد العلماء الألمان في مصر.. وكان قد حل محل البروفيسور يوجين سانجر.

---

(١) د. فولفجانج بيلز.. مساعد د. براون رائد الصواريخ في ألمانيا.. حصل براون على الجنسية الأمريكية بعد هزيمة هتلر. وكان ذلك في سنة ١٩٥٧.. ولحقت به في تلك السنة مجموعة كبيرة من تلاميذه.. منهم د. بيلز.

في ذلك اليوم فتحت سكرتيرته الحسناء (هانيلور ويندي) طردًا باسمه، مرسلاً من محام في هامبورج.. إنها فعلت ذلك بحسن نية ودون إحساس بالخوف ولا الغدر.. فكان ان انفجر الطرد.. في وجهها.. فشوهه.. وشوه رقبتها وصدرها وقطعت يدها.

كان هذا الطرد هو الأول في سلسلة الرسائل الملغومة التي أرسلتها المخابرات الإسرائيلية إلى العلماء الألمان في مصر

ففي اليوم التالي وصل طرد آخر.. عبارة عن صندوق من رقائق الخشب. جاء من شتوتجارت جوا.. ومرسل إلى العميد كمال أبو عز المختص ببرنامج الصواريخ في المصنع رقم ٣٣٣، وفيه ٤ كتب أشبه بالكتالوجات.. ما كادت تُفتح، بواسطة لجنة خاصة من المصريين، حتى انفجرت في أعضائها.. فمات خمسة.. وجرح وأصيب تسعة[١].

وبعد أيام وصل طرد ملغوم ثالث من هامبورج، مرسل إلى د. بول جيوركه في القاهرة.. كان يحوي عدة كتب. لكن.. خبراء المفرقعات أبطلوا مفعوله[٢].

كان المقصود من هذه الرسائل التي تحمل الموت معها، هو إفزاع العلماء الألمان لإجبارهم على ترك مصر.. وإلا كان الموت لهم[٣].

لم تشر السلطات المصرية إلى هذه الحوادث طوال خمسة شهور.. وكانت الإشارة بعد ذلك عابرة في حديث صحفي أدلى به جمال عبد الناصر لجريدة غير مصرية

---

(١) جاء ببعض المصادر الأخرى أن الطرد الناسف انفجر أثناء فتحه، وجرح ستة من الموجودين في مكتب العميد كمال الذي لم يكن موجودًا بالعمل يومها.

(٢) ذكر يفجيني كورشونوف في كتابه: (الموساد الإسرائيلي - عملاء - إرهابيون - قتلة) أن هذا الطرد انفجر في مكتب البريد المركزي بالقاهرة، فقتل موظف وأصيب العديد بجراح.

(٣) أكد كورشونوف في كتابه أيضًا، أن خمسة من الخبراء الألمان في مصر قتلوا بواسطة الرسائل الملغومة.

لكن.. من المؤكد ، كما يضيف ديكون، أن المخابرات المصرية راحت تتحرى الأمر في مصر وألمانيا.. وجاءت بما يؤكد أن (أسر العلماء الألمان تلقوا مخابرات هاتفية، لم يعلن أصحابها عن أنفسهم، تحذرهم من أن عملاً ما سيتخذ ضدهم إذا لم يغادر الفنيون وخبراء الصواريخ مصر).

انتظر مصيرك

في فبراير ١٩٦٣ ، غادر خبير تركيب الصواريخ د. هانز كلاينفاختر القاهرة في زيارة قصيرة إلى ألمانيا.. (حيث كان لا يزال يحتفظ بمعمل أبحاثه في مدينة لوراخ القريبة من الحدود السويسرية).

وذات يوم هناك.

وبينما كان يقود سيارته في زقاق ضيق عل مقربة من بيته، انحرفت فجأة وعن عمد سيارة أمامه أرغمته على التوقف،.. كان في السيارة ثلاثة أشخاص، نزل واحد منهم، وتقدم إليه، والزقاق خال من البشر، وتقدم منه.. لم يشعر د. كلاينفاختر بالارتياح لمنظره.. فقد بدا أن ثمة شيئًا شريرًا فيه. أما الاثنان الآخران[1] فقد بقيا في السيارة لا يتكلمان.

فقال له الرجل:

هل تعرف أين يقيم د. شنكر؟!

كان السؤال بريئا.. لكن الغرض منه لم يكن كذلك.. فقد كان الغرض دفعه إلى التفكير بعيدا.. ولم تمر سوى ثوان، وقبل أن يتفوه بكلمة، حتى أخرج الرجل مسدسًا بكاتم للصوت، وضغط على الزناد.

كان العالم الألماني محظوظا.. إذ حطمت الرصاصة زجاج السيارة الأمامي.. غير أنها لم تصبه بأي أذى، لأنها دُفنت في (تلفيحة) شتوية سميكة كان يلف بها رقبته.

---

(١) هما رئيس الموساد إيسير هاريل، وأحد عناصر مخابراته. وهذا ما جاء بكتاب: (الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية)، حيث يؤكد المؤلفان: (إيان بلاك، وبني مدريس)، أن هاريل شخصيًا أمضى ليلة كاملة داخل سيارة بصحبة أحد رجاله الذي كان يخفي سلاحه بين ملابسه، وأن النار التي أطلقت على العالم الألماني انطلقت مبكرًا بسبب هلع رجل الموساد.

وحسب إضافة ديكون

أسرع الجاني إلى سيارته التي انطلقت على الفور.. وقد وجدتها الشرطة فيما بعد مهجورة على مسافة قصيرة من مكان الحادث.

وأغلب الظن أن الرجال الثلاثة انطلقوا في سيارة أخرى، عبرت بهم الحدود السويسرية.

وكان الشيء الوحيد الذي خلفوه وراءهم في السيارة الأولى جواز سفر مصريًا مزورًا باسم سمير علي.. قيل إنه ضابط طيار.. وقيل إنه ضابط مخابرات.. وكان الهدف إلقاء ظلال الشك على المصريين.. لكن.. بدا ذلك الأمر ساذجًا.. فلم يصدق أحد أن المصريين يمكن أن يفكروا في قتله.. فهو لم يكن على خلاف معهم.. كما أن سمير علي كان في القاهرة.

وحسب مصادر محمود مراد، تسلم د. كلاينفاختر، في اليوم التالي للحادث رسالة، فتحها بسرعة، فوجد فيها ورقة صغيرة، بها عبارة واحدة فقط باللغة الفرنسية ترجمتها الحرفية: (كل من يأكل اليهود جزاؤه الموت)

وبعد أيام.. تلقى رسالة أخرى أكثر وضوحا.. جاء فيها:

(. إنه من الصعب الوقوف ضدنا.. وإنك إذا كنت قد أفلت من الموت فلابد أنك ستموت. إنك الآن تنتظر مصيرك!!. إننا من القوة بحيث لا يصعب علينا أي هدف، إننا نسيطر على ثمانين في المائة من صحافة الولايات المتحدة الأمريكية، أقوى صحافة في الدنيا، ونسيطر على ٥٠ في المائة من رأس المال العالمي.. إنك لن تنجو منا..)

وعلى الرغم من ذلك..

عاد د. كلاينفاختر إلى القاهرة!!

كانت المصادر الإسرائيلية قد ذكرت أن رئيس الوزراء بن جوريون لم يقتنع في النهاية بالمضي في عملية (داموكليس)، ولما طلب من رئيس الموساد براهين

مؤكدة للخطر المحدق بإسرائيل من جراء وجود العلماء الألمان في مصر، لم يستطع هاريل إثبات ذلك، بل تأزم الموقف بينهما بعد الفضيحة المدوية التي لحقت بجهاز الموساد، نتيجة تهديد هايدي في سويسرا وإلقاء القبض على عميلي الموساد.

بيد أن التقارير الأمنية في الموساد، أكدت على أخطاء فادحة وقع فيها هاريل، بسبب قيامه بعمل غير مدروس ومبني على تقارير غير دقيقة. إذ جاء في تقرير المخابرات العسكرية (أمان) عن العملية، أنه لا يوجد أي دليل يثبت أن العلماء الألمان كانوا يعملون في الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية، فقد كان أوتو جوكليك محتالاً، وكان مشروعي أبيس وكليوباترا بكل بساطة غير موجودين.

لذلك.. غضب هاريل بسبب تقرير أمان، وحاول إقناع بن جوريون بصدق معلوماته. ولما لم يجد آذانًا صاغية من بن جوريون، قدم استقالته ليخلفه الجنرال مائير عاميت.

فضائح جواسيس السلام في مصر..!!

.. ليسوا بآخر من دفعت بهم إسـرائيل إلى مصـر..
ذلك لأنها حلقة متصلة مـن حلقـات الخسـة والحقـارة
والجاسوسـية.. فبرغم اتفاقيـة السـلام مـع مصـر..
وإطلاق إسرائيل لأقمـار التجسـس لرصـد تحركـات
الجيوش العربية، ستظل الجاسوسـية قائمـة.. طالمـا
هناك أرض عربية مغتصبة.. وشـعب مقهور مطـارد..
وحقـوق تنتـهك.. وعـدو اسـتلذ حكامـه لعـق دمـاء
الأبرياء..!!

هدايا معاهدة السلام

منذ وقع السادات اتفاقية السلام عام ١٩٧٩، وإسرائيل لا تكف عن دفع جواسيسها إلى مصر، وبكثافة تنم عن مدى تخوفها من زعامة مصر، ومركزها المؤثر في المنطقة العربية، حتى بلغ عدد جواسيسها الذين سقطوا في قبضة المخابرات المصرية منذ كامب ديفيد حتى عام ١٩٨٦، حوالي ٨٥ جاسوسًا، ومنذ عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٦ ، ٦٤ جاسوسًا ربعهم إسرائيليون وثلاثة أرباعهم مصريون. وفي عام ١٩٩٦ فقط سقطت (٧) شبكات تجسس، بما لا يدع مجالا للشك بأن إسرائيل لا تحترم، المعاهدات، ولا تعترف بالسلام.

وكيف لها أن تحترم السلام أو تعترف به وهي الدولة الوحيدة في العالم التي ولدت من رحم الإرهاب، ورضعت الإرهاب بكل صوره ومذاقاته، وجاءت عصاباتها من الشتات لتنتزع أرضًا عربية من أصحابها الأصليين، وتمحو ٣٧٥ قرية فلسطينية من الوجود بالمذابح والإرهاب، وتبيد من الشعب الفلسطيني ٢٦٢ ألف شهيد، إضافة إلى ١٦١ ألف معاق، ١٨٦ ألف جريح، ومليونين من اللاجئين خارج الوطن. بلا وطن.

هل عصابة إسرائيل إذن تعرف السلام؟ وهل يمكن لها أن تحترم معاهدات السلام المبرمة؟ فالجرح المتقيح لا يكف عن نزف الصديد. وعصابة إسرائيل ما هي إلا جرح كبير اتسع نطاق تقيحه وفاحت منه رائحة الصديد العفنة.

لقد عجزت مفردات قواميس العالم عن وصف بشاعة فيروس قذر اسمه إسرائيل، استوطن أرضًا ليست أرضه، وعلى مرأى من العالم الذي يدعي المدنية، أقام دولة فوق برك من دماء الأبرياء. إنه تاريخ أسود للدولة الصهيونية التي تزيف حقائق المنطق والتاريخ، وتبرم معاهدات سلام وقعت بأيدي قتلة، فجرة ملوثة بدماء أطفال شعب مقهور، مسجون، مشتت، مطارد.

وللإنصاف.. إن المخابرات الإسرائيلية هي الوحيدة في العالم التي قامت قبل قيام الدولة بنصف قرن. والوحيدة في العالم أيضا التي بنت دولة من الشتات والوهم. ولأن إسرائيل زرعت زرعا في القلب العربي، كان على جهاز مخابراتها عبء كبير في المحافظة على أمن الدولة الإرهابية ، لمجابهة العرب واستكشاف نواياهم ومخططاتهم، وكانت الجاسوسية هي الركيزة الأولى لأمنها قبل الجيش والسلاح. فانتصاراتها السابقة هي انتصارات حروب دبلوماسية ومخابراتية، لا انتصارات خطط عسكرية واستراتيجيات معارك مسلحة.

لذلك فهي دائمة الخوف والحذر من الصحوة العربية – التي حتمًا قادمة – لاسترداد الأرض والكرامة. فاتفاقيات السلام لن تمنع جواسيسها، أو تمنحها قدرًا من الأمل في غد أفضل. ولأنها تعلم ذلك جيدًا، فهي لا تكف عن دفع جواسيسها إلى المنطقة العربية أكثر من ذي قبل. وفي هذا الفصل سنستعرض معا أهم– وليس كل – جواسيس إسرائيل في مصر منذ وقعت معها معاهدة السلام.

خليل العطيفي

ففي مارس ١٩٧٩ – ألقت المخابرات المصرية القبض على الجاسوس على خليل العطيفي – المدلك الخاص للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وأدين في القضية رقم ١٩٧٩/٤ محكمة أمن دولة عليا لارتكابه جريمة التخابر مع إسرائيل، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

لكن السادات – مجاملة لإسرائيل – خَفَّف الحكم إلى ١٥ سنة فقط، كي لا يغضب (صديقه) الإرهابي (مناحم بيجن) الذي ألح بشدة في الإفراج عنه أو مبادلته، كما حدث من قبل مع الخائنة انشراح موسى التي أدينت بالإعدام شنقًا هي وزوجها إبراهيم شاهين ، إذ أفرج عنها السادات نهائيا تلبية لضغوط بيجين، وسمح لها بمغادرة مصر إلى إسرائيل هي وأولادها الثلاثة[١] ، فيبدلون

---

(١) الملف الأصلي للخائنة جاء بكتابنا: (انشراح موسى.. أعدمها السادات فأعتقها بيجن)، عن دار مدبولي الصغير بالقاهرة.

أسماءهم ويعتنقون اليهودية ويحملون الجنسية الإسرائيلية

فتحي الفار

وفي نوفمبر ١٩٧٩ ، حكم على الجاسوس فتحي مصطفى الفار، بالسجن لمدة عشر سنوات بتهمة التخابر مع إسرائيل في القضية رقم ١٩٧٩/١١ أمن دولة عليا. أصيبت إسرائيل بخيبة أمل من جراء سقوط جواسيسها، وكتبت صحفها تكذب أنباء محاكمة الفار، وتدعى بأن مصر تختلق الأعذار والأسباب لتشويه وجه إسرائيل

هاشم عزت

ولكن عندما ألقت المخابرات المصرية القبض على الجاسوس سيد هاشم سليمان عزت في القضية رقم ٦ لسنة ١٩٨١ ، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقًا ، التزمت الصحف الإسرائيلية الصمت. فقد كانت الأدلة دامغة بما لا يدع مجالا للشك، ولم تتقدم حكومة إسرائيل باعتذار رسمي، أو تقوم بتبرير أعمالها التجسسية ضد مصر، برغم معاهدة السلام المبرمة والتي تنص في أحد بنودها علي وقف الأعمال المخابراتية، وعدم القيام بمهام تجسسية على أرض البلدين. لكن استمرت إسرائيل في خرقها للاتفاق، واستقطبت سيد هاشم وجندته للعمل لصالحها في تبجح زائد عن الحد، يشوبه التوتر والقلق بسبب الرفض الشعبي المصري للتطبيع، واعتبار إسرائيل مثل كائن غريب مكروه لا يجب الاقتراب منه

جواسيس في عباءة الدبلوماسية

وأمام الرفض الشعبي لكل ما هو إسرائيلي، عمدت إسرائيل إلى الوصول إلى قاع المجتمع لمصري وقلبه بإغراقه في المخدرات، وتحطيم بنيته المدخرة من الشباب بحثهم على الإدمان. وقدرت بعض المصادر حجم المخدرات التي تدخل

مصر عبر إسرائيل بنحو ٧٠٠ طن سنويا، سواء بالتهريب عبر الجبال في سيناء، أو بواسطة الحقائب الدبلوماسية الرسمية التي استغلت في تهريب الهيروين. ولم تخجل إسرائيل عندما ألقى القبض على خمسة من العاملين بالمركز الثقافي الإسرائيلي بالقاهرة بتهمة تهريب المخدرات إلى مصر، والتجسس لصالح إسرائيل. وكان على رأس العصابة الملحق العسكري بسفارتهم الذي طردته مصر، وقد تم التكتم على أسماء الشبكة ولم يتخذ أي إجراء قانوني

يوسف الطحان

وبعد طرد عصابة الملحق العسكري وإبعاده، دفعت إسرائيل عام ١٩٨٤ بيوسف أمين طحان إلى مصر، ومعه مجموعة أخرى يتزعمهم إبراهيم شامير نائب مدير المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة. وهذه المرة عن طريق مطار القاهرة. حيث حملت حقيبته ٢,٥ كيلو هيروين خام مخبأة في أنابيب معجون الأسنان، وقدم طحان إلى المحاكمة التي أدانته بالإعدام شنقاً. ومنذ ذلك الحين لا أحد يعرف: هل أعيد الطحان سرًا إلى إسرائيل، أم لا يزال في أحد السجون المصرية ينتظر حكم الإعدام الذي لم ينفذ لأسباب نجهلها.

والمركز الأكاديمي الإسرائيلي أنشئ في القاهرة عام ١٩٨٤ لأغراض خدمة الجاسوسية الإسرائيلية، وتولى رئاسته عدد من ضباط الموساد المكشوفين منهم شمير شامير الذي اتهم بالتجسس ثم أصبح - في تبجح سافل - سفيرًا لإسرائيل في مصر. والمركز يعد فرعا من فروع الموساد في القاهرة، وله دور حيوي في توجيه وتجميع الجواسيس والشبكات، وخلال عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦ اكتشفت المخابرات المصرية ثلاث شبكات داخلة مكونة من عدد من الجواسيس الإسرائيليين والأمريكيين والمصريين، كل ذلك بزعم التطبيع بين البلدين، والدفع به نحو فعالية وانتشار لصالح البلدين طبقًا لبنود اتفاقية السلام المبرمة، تلك التي استغلها العدو الصهيوني في تحقيق مآربه في التغلغل، لخلخلة المجتمع المصري من الداخل

عبد الحميد اللباد

وفي ١٩٨٥ - سقط جاسوس جديد لإسرائيل في قبضة المخابرات المصرية، وهو مدرس اسمه عبد الحميد صبح اللباد، من منطقة جوز غانم شمالي سيناء.

اعتاد اللباد عبور الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل من مناطق جبلية بعيدة عن الأعين بمساعدة حرس الحدود الإسرائيليين في الليالي المظلمة. وفي بئر سبع تعهد ضابط مخابرات إسرائيل اسمه الحركي (أبو هارون) فدربه على أحدث الوسائل في إرسال المعلومات ، وكيفية استعمال الحبر السري في الكتابة، واستقبال الرسائل وحلها بواسطة الشفرة، واعترف اللباد بأنه عبر الحدود الدولية سرا عدة مرات، وأن إجمالي ما حصل عليه مقابل تجسسه مبلغ ستة آلاف جنيه مصري. وحكمت محكمة أمن الدولة بسجنه ٢٥ عاما وغرامة عشرة آلاف جنيه. وصرح الجاسوس بأنه كان يساعد على نشر السلام بين البلدين، والعمل على منع الحرب بينهما بإمداد إسرائيل بكل تحركات القوات المصرية في سيناء ، لكنه لم يكن ليتخيل أن المخابرات المصرية كانت ترصده منذ البداية، وتراقب تحركاته دون أن يشعر..!!

شبكة (التسعة)

وفي عام ١٩٨٥ أيضا - تمكنت أجهزة الأمن المصرية من القبض على شبكة تجسس جديدة مكونة من ٩ إسرائيليين يخدمون في جهاز الموساد قدموا إلى مصر ضمن فوج سياسي توجه (٤) منهم إلى الإسكندرية و(٥) إلى بورسعيد. وضبطوا أثناء تصويرهم لأماكن حيوية ممنوع تصويرها، وضبطت بحوزتهم خرائط تفصيلية لميناءي الإسكندرية وبورسعيد.

والجدير بالذكر أن إسرائيل على مدى سنوات طويلة سعت بما يشبه الجنون لاختراق ميناء الإسكندرية لمعرفة ورصد حركة الميناء الحيوي الهام، وكم من جواسيس للموساد سقطوا في قبضة الأمن المصري كانت مهمتهم الرئيسية معرفة

ما يجرى داخل الميناء، وحركة السفن التجارية به، للدرجة التي دفعت إسرائيل من قبل إلى إرسال عدد من الضفادع البشرية لاستكشاف الميناء ورسم خرائطه، ووقعوا على الفور في أيدي الحراس اليقظين الذين توقعوا كل غريب وشاذ من ممارسات العدو الصهيوني ضد منشآتنا البحرية.

(عصابة) الأربعة

وفي عام ١٩٨٩ - سقط أربعة جواسيس آخرين تبين أن ثلاثة منهم ضباط في جهاز المخابرات الإسرائيلية ، والرابع يعمل موظفا مدنيا في الموساد، وكان ذلك أثناء مرورهم من إحدى نقاط المراقبة الخاصة بقوة حفظ السلام الدولية في منطقة شرم الشيخ. وحين تفتيشهم عثر لديهم على ٧ وثائق سفر، و١٩ (ميكروفيلم) لمنشآت عسكرية مصرية هامة قاموا بتصويرها بكاميرات دقيقة، متخذين من السياحة ستارًا لهم في التحرك داخل القطر المصري

إبراهيم عرارة

وفي عام ١٩٩٠ - اكتشف أمر عميل الموساد إبراهيم عرارة - أخطر عميل لإسرائيل على مدى أكثر من عشر سنوات. وعرارة مصري من سيناء، تعاون مع العدو الصهيوني وعمل جاسوسا على المصريين وعلى الفلسطينيين، وبعد انسحاب إسرائيل من سيناء خاف من البطش به والانتقام منه، فحصل على الجنسية الإسرائيلية وانتقل ليعيش في مدينة رفح في الجانب الإسرائيلي، متخذًا من منفذ رفح البري مصيدة للجواسيس، و(فرز) العابرين من مصريين وفلسطينيين، وانتقاء ضعاف النفوس من بينهم للعمل لصالح الموساد، يعاونه سائق سيارة أجرة يعمل ما بين القاهرة ورفح اسمه عوض موسى ثابت زعرب.

وحدث أن كانت الفتاة المصرية سحر سيد محمد عمر (٢٣ عاما) في طريقها إلى القاهرة بعد زيارة شقيقتها حياة المتزوجة من فلسطيني وتعيش معه في رفح، وعند المنفذ اصطادها زعرب، وأقنعها بالربح الوفير من تجارة منتجات خان

الخليلي في إسرائيل، فعادت معه إلى المنفذ بعدما اشترت كمية من الأنتيكات. وفي الجانب الآخر استلمها عرارة، وقدمها إلى ضابط المخابرات (أبو هارون) على أنه تاجر كبير، وأقنعها أبو هارون بالعمل مقابل مبالغ خيالية وثراء فاحش، وفي القضية رقم ٢٦٨ لسنة ١٩٩٠ حكم على سحر وزعرب حضوريًا بالسجن ٢٥ عاما، ومازال عرارة هاربا..!!

شبكة مصراتي

وفي فبراير ١٩٩٢ - ضبط (فارس صبحي مصراتي)، الذي يتزعم شبكة جاسوسية مكونة من ابنته فائقة (١٧ عامًا) وابنه ماجد (١٦ عامًا)، بالإضافة إلى ضابط المخابرات الإسرائيلي ديفيد أوفيتش. وكانت مهمة مصراتي التغلغل داخل المجتمع المصري والانخراط في علاقات مع أعضاء جماعة الإخوان المسلمين المنحلة، واستغل مصراتي ابنته[١] في توطيد علاقاته وتوسيع دائرتها. وحينما ألقى القبض على الابن ماجد على الحدود أثناء قدومه من ليبيا، اعترف تفصيليا بالمهمة التي كلف بها والده من قبل المخابرات الإسرائيلية[٢]، وكيف أنهم جاءوا إلى مصر بحجج أنهم من أصل ليبي، ويسعون للبحث عن بقايا عائلة مصراتي في الصحراء الليبية.

انتهزت إسرائيل الفرصة وأعلنت أن شبكة مصراتي تعمل لحساب ليبيا، ولكن اعترافات ديفيد أوفيتش خيبت ادعاءات إسرائيل ومزاعمها، إذ فضح نية مصراتي في تزويج ابنته من شاب مصري لتحصل على إقامة دائمة في مصر، وبذلك يسهل له العمل لصالح الموساد والتنقل بشكل (شرعي) دون أن يشك به أحد.

---

(١)لم تكن ابنته جميلة بالمرة.. بل كانت إلى حد كبير قريبة الشبه بسيد قشطة.. لكن عندما ألقى القبض عليهم كان معهم بالشقة شاب مصري ابن مسئول كبير، قال إنه خطيب فائقة.. كيف (؟!!) ربما تكون مسألة (أذواق) لا أكثر..!

(٢) اعترف مصراتي أيضًا بمحاولة اغتيال الدكتور بطرس غالي، وجاء ذلك تفصيليًا في الجزء الثاني من (حراس الهيكل).

واتضح من التحقيق مع أوفيتش أنه كان يرعى الجواسيس العرب في القاهرة أثناء حرب الخليج، إلى جانب محاولاته لضرب الاقتصاد المصري عن طريق تشويه سمعة صناعة الأثاث المصري المصدر إلى أوروبا ويلقى هناك إقبالا شديدا. وفي صفقة بين مصر وإسرائيل - تمت مبادلة آل مصراتي، أما أوفيتش الذي كان يعمل في وظيفة إدارية في سفارة بلاده في القاهرة، فقد طرد من مصر دون عقاب، ذلك لأنه يحمل جواز سفر دبلوماسي.

عامر أرميلات

وفي نوفمبر ١٩٩٣ - ألقى القبض على العميل عامر سليمان أرميلات، أطول جواسيس سيناء عمرًا، ١٠ سنوات، في خدمة المخابرات الإسرائيلية. وهو بدوي من مواليد ١٩٤٣ يعمل فراش مدرسة في رفح، ويعرف دروب الصحراء وممراتها الجبلية جيدًا، كما يجيد فن التنكر ويمتلك قلبًا من حديد، إضافة إلى أنه خبيث ماكر كالثعلب، قليل الكلام، يظهر فجأة ثم يختفي فجأة، ويذوب في الوديان والمدقات في حالك الليل فلا يعلم أحد أين ذهب؟ وفي أي اتجاه؟.

لذلك ، كانت عملية الإمساك به صعبة، وضرب من المستحيل ، فالجاسوس المدرب جيدًا تم تجنيده في أول عام ١٩٨٢ بواسطة ضابط الموساد أبو شريف في بئر سبع قبيل الانسحاب النهائي من سيناء. وبعد الانسحاب، اعتاد التسلل للجانب الإسرائيلي بصفة منتظمة كل شهرين عبر الحدود الدولية، إذ كانت مهمته مراقبة المنطقة (ج) المتاخمة للحدود مع إسرائيل في سيناء، وهي منطقة محظور التواجد العسكري بها.

كلفه أبو شريف بتجنيد آخرين نظير مكافأة مالية ، ووعد بمساعدته على تهريب ١٢ كيلوجرام هيروين إلى مصر مقابل إخلاصه وتعاونه. وسعى عامر لتجنيد قاعود حمدان - ويعمل سائقًا - مستغلاً مشاكله المادية والعائلية، حيث إن له شقيقة تقيم مع زوجها في الأرض المحتلة، وعده عامر بتسهيل أمر زيارة

شقيقته، واستقل معه السيارة كثيرًا لرصد التواجد العسكري المصري بسيناء، لكن قاعود أبلغ عنه الجهات الأمنية، بل وقاده بنفسه إلى كمين معد سلفاً، حيث ألقى القبض عليه بعد سنوات طويلة من الخيانة والدهاء.

ديفورا جناتي

وفي ١٤ يوليو ١٩٩٥ – نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية على صفحتها الأخيرة خبرا يقول إن الجهات الأمنية في مصر تتهم سيدة الأعمال الإسرائيلية ديفورا جناتي بالتجسس لحساب إسرائيل.

وديفورا هذه ولدت في القدس من اسرة روسية فقيرة،وكانت ضابطة في الجيش الإسرائيلي، واشتركت في حرب ١٩٦٧ في العريش، ثم عملت في الموساد لعدة سنوات قبل أن تغادر إسرائيل إلى أمريكا، وجاءت إلى القاهرة عام ١٩٩٣ كوكيلة لشركة أمريكية كبرى،وكانت مهمتها اختراق الشركات الوطنية المصرية، والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، خاصة شركات الغزل والنسيج في كفر الدوار والمحلة والإسكندرية.

ومن خلال شركة عمر أفندي اخترقت المجتمع الاقتصادي المصري بعدما فتحت لها جميع الأبواب. وعندما فاحت رائحتها، أبلغ عنها أحد رجال الأعمال المصريين ، حيث تبين أنها تعمل لحساب الموساد تحت غطاء سميك من التمويه، وأنها ما جاءت إلى مصر إلا لضرب الاقتصاد الوطني وتدميره، فقد قامت بالفعل بإقناع بعض الشركات الكبرى بأنها ستفتح لها مجالات للتصدير إلى أوروبا، لكنها كانت تقوم بإبدال العينات الأصلية من السلع بأخرى تالفة وغير مطابقة للمواصفات، فترفض بالطبع، وحينئذ، تعرض عينات إسرائيلية لنفس المنتج ، فتروج بذلك السلع الإسرائيلية وتهدم بأسلوب الأفعى سمعة التجارة المصرية في الأسواق العالمية، إنها الجاسوسية الاقتصادية ، نوع آخر من قذارات إسرائيل ودناءاتها وحروبها السرية مع مصر

جاسوس المنصورة

وفي مارس ١٩٩٦ - ألقت أجهزة الأمن القبض على جاسوس جديد لإسرائيل، كان يعمل رقيبا في القوات البحرية المصرية وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٧٨. إنه جاسوس المنصورة، عبد الملك عبد المنعم علي حامد، ٤٨ عاما، الذي سافر إلى إسرائيل للعمل ضمن عدد كبير من أبناء قريته (نوسا الغيط) مركز أجا، وهناك عمل شيالاً في ميناء إيلات، معتادًا ألا يمكث في إسرائيل أكثر من شهرين في كل مرة يسافر فيها عن طريق منفذ طابا البري. وفي كل مرة أيضًا، كانت تستدعيه مباحث أمن الدولة، وتجري معه التحقيقات التقليدية مثل أبناء قريته، إلا أنه في المرة الأخيرة مكث في إسرائيل سبعة أشهر كاملة، وكانت هذه المرة هي التي تم تجنيده فيها بواسطة ضباط المخابرات الإسرائيلية، الذين وجدوه صيدا سهلا ، بعدما عرفوا أنه كان رقيبًا متطوعًا في القوات البحرية، وشارك في حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣.

والرقباء المتطوعون في سائر الجيوش عامة، على عاتقهم يقع عبء كبير، فهم عماد الجيش الذين يسيرون حركته، ويعرفون أدق أسراره ونقاط ضعفه وقوته، ويطلعون على وثائقه وخرائطه الغاية في السرية.

لقد فشل عبد الملك كثيرًا في عدة مشاريع عمل وتجارة، وأرهقته مطالب المعيشة وحوائج أسرته، وبعدما سمع عن نجاح أبناء قريته في العمل في إسرائيل، وعودتهم بمبالغ طائلة، راودته أحلام الثراء وسافر هو الآخر يأمل في أن يوفق بعدما خسر الكثير في ليبيا.

هناك.. اصطاده ضباط الموساد بعد أن عرفوا نقطة ضعفه فأغروه بالمال.. وعرفوا من خلاله الكثير من المعلومات عن قواتنا البحرية، وأسلحتها المختلفة، وتمركزها، وتحركات الغواصات المصرية، وتسليحها، وكذا تسليح القطع البحرية الكبرى. كذلك طلبوا منه أن يمدهم بمعلومات عن قاعدة (شاوة) الجوية بالمنصورة، كما دربوه على أساليب التجسس وجمع الأخبار العسكرية.

اعترف الجاسوس بخيانته حال القبض عليه، وعثرت أجهزة الأمن بمنزله على أدلة تجسسه، وحكمت عليه المحكمة العسكرية العليا بالسجن ٢٥ عامًا. وبسببه، توقف سفر العمالة المصرية إلى إسرائيل، بعد حملات الصحافة المصرية ضد التطبيع.

وأذكر زيارة ابنتيه هند ودعاء لمكتبي عندما كنت أعمل مديرا لتحرير جريدة (الوقائع العربية). حيث جاءتا برفقة الزميلة القديرة صفية حمدي، وكان ذلك بعد صدور الحكم بوقت قصير، يحملان ثقة كبيرة في براءة أبيهما، وما تردد حينذاك عن كونه كبش الفداء لضرب عملية التطبيع في مقتل، ولكن الأدلة الدامغة والاعتراف الصريح، والمراقبات لفترة طويلة - كلها عرضت على قضاء عادل لا يصدر أحكاما عن هوى ..!!

الجاسوس الغوَّاص

ثم كانت أغرب قصة جاسوسية بعد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.. قصة الجاسوس سمير عثمان (٤٧ عاما) والذي كان أيضا برتبة رقيب بالقوات البحرية المصرية، وشارك في عملية تدمير المدمِّرة الإسرائيلية (إيلات)، وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣. لقد سافر الجاسوس إلى اليونان والمجر وتركيا، وأخيرًا إلى إسرائيل ثم تجنيده في تل أبيب بإغراءات المال، وتردد عدة مرات على طابا ومنها إلى ميناء إيلات.

وبعدما استدعته مباحث أمن الدولة لتحقيقات أمنية روتينية، قرر ألا يسافر لإسرائيل بشكل رسمي، بل استغل موهبته في السباحة والغوص لدخول إسرائيل.. كيف؟.

نزل بفندق هيلتون طابا، وفي الليل والهدوء سبح لمسافة ٦٠٠ متر ليجد نفسه في إسرائيل. يستقبله ضباط الموساد ويخفونه عن الأعين، ويحصلون على ما معه من معلومات عسكرية، وفي مساء اليوم التالي يعود إلى فندق هيلتون طابا سابحا

دون أن يلحظه أحد.. وكرر هذه الطريقة ٧ مرات إلى أن رصدته أعين الأمن المصري في المرة الثامنة، عندما كان يسبح باتجاه إيلات وقد أصابه شد عضلي مؤلم، فانتشله ضباط الموساد الذين أيقنوا بأنه أصبح (عميلاً مكشوفًا)، لذلك سلموه إلى مصر ليعترف اعترافًا تفصيليًا بعمالته للموساد، وعثر لديه على تليفونات مكتبها في اليونان. إنها بحق أغرب قصة تجسس في السنوات الأخيرة، تستدعى أن نطلق عليها قصة (الجاسوس الغواص).

عزام متعب عزام

ونصل إلى أشهر (شبكة) جاسوسية إسرائيلية سقطت في مصر مؤخرًا، وأثارت - ولا تزال - جدلا وشهرة لم تصل إليها قصة سقوط شبكة جاسوسية منذ سنوات بعيدة. إنها شبكة عزام متعب عزام التي ضبطت في نوفمبر ١٩٩٦، وتضم الجاسوس المصري عماد عبد الحميد إسماعيل ابن قرية الراهب بالمنوفية، وفتاتين إسرائيليتين من عرب فلسطين.

القصة معروفة بتفاصيلها للجميع. فإسرائيل لن تكف أبدًا عن المضي في تجسسها، مهما أبرمت معها معاهدات السلام.. أو تبسمت وجوه خنازيرها، فإسرائيل دولة العصابات والشتات، التي تدرك جيدا بأننا أصحاب الأرض والحق، ومعاهدات السلام هذه ما هي إلا هدنة مؤقتة، ستليها وثبة وهجمة فجائية لا تتوقعها.

فالسلام الذي يتحدثون عنه، خدعة كبرى، وحيلة من حيل الشياطين.. وكما قال جمال عبد الناصر (ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة) لذلك.. تعيش إسرائيل فوق بركان من الغضب العربي.. حتما سيثور.. وينفجر، حتى وإن ملأت الفضاء بشتى أنواع أقمار التجسس .!!

شريف الفيلالي

هناك أيضًا جاسوس الموساد المهندس (شريف فوزي محمد الفيلالي)، الذي اعتقل في وقت متأخر من مساء ٧ سبتمبر ٢٠٠٠ من منزله الكائن بأرض الجولف بالقاهرة، وأعلن نبأ اعتقاله في يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٠

تخرج شريف من كلية الهندسة جامعة عين شمس دفعة ١٩٩٠ ، وبرغم أن والده يشغل منصب مدير عام ببنك مصر، سافر شريف إلى الخارج بحثًا عن المال والثراء إلى جانب الدراسة التي فشل في إكمالها في ألمانيا

وفي عام ١٩٩٥ تقرب إلى سيدة يهودية ألمانية اسمها (أرينا)، وتطورت علاقتهما وقدمته لمدير شركة لاهامير الألمانية في فرانكفورت للعمل بقسم الشرق الأوسط والذي كلفه على المركز الثقافي الإسرائيلي لتعلم العبرية استعداد لتكليفه بمهام خاصة. وخلال تلك الفترة استطاع مدير الشركة واليهودية "ارينا" إقناعه بقوة إسرائيل في الشرق الأوسط(١) وأهمية التعاون معها. وفي عام ٩٦ سافر إلى إسبانيا ليقع في شباك امرأة يهودية إسبانية هي "روزا سانشيز" ونمت علاقتهما حتى تزوجها في ٩٧/٢/١٤ ثم عرفته على "جريجوري شفنتي" الروسي عميل المخابرات الإسرائيلية بإسبانيا والذي قدمه لضابطي الموساد (تومس وكريستوفر) وقد تم تكليفه بعدة مهام منها:

- بيان أنواع الأسلحة في الجيش وما تم من تطوير لها.
- تصوير بعض المناطق العسكرية في مصر.
- معرفة ما إذا كانت مصر تصدر صفقات أسلحة إلى العراق سرًا.

وأن يقوم بإقناع بعض أقاربه للسفر إلى إسبانيا وتجنيدهم.. وإرسال معلومات تفصيلية عن توشكى.. ومعلومات حول تطوير أسلحة يستخدمها الجيش المصري.

---

(١) العمال - الإثنين ١٥ يناير ٢٠٠١ - جمعة عبد الرازق .

ويضيف الفيلالي: أنه فشل في فتح ثغرة يحصل من خلالها على معلومات عن تطوير الأسلحة المصرية وأن تجنيده تم بإغراءات الجنس والمال وأن الموساد يعمل على اختراق مصر والتجسس على قدراتها العسكرية.

وليد لطفي هاشم

وهو محام شاب في التاسعة والشعرين من عمره، أراد استغلال المعلومات العسكرية التي عرفها خلال فترة تجنيده بالقوات المسلحة ، ببيعها إلى سفارة العدو الصهيوني بالقاهرة.

وكان المحامي العام لنيابة أمن الدولة العليا ، المستشار هشام بدوي، قد أحال المتهم (وليد لطفي أحمد هاشم) إلى محكمة أمن الدولة العليا طوارئ لأنه في خلال الفترة من ١٠ أبريل ٢٠٠٣ حتى ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣ سعى لدى دولة أجنبية بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد بأنه اتصل هاتفيا عدة مرات بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة عارضًا التعاون معها والإدلاء بمعلومات مهمة للمسئولين بها وأرسل خطابا بطريق الفاكس يتضمن بيانات ومعلومات من شأنها الإضرار بالمصالح القومية للبلاد واستعداده لمدهم بمعلومات أخرى مماثلة.

كما طلب المتهم لنفسه من دولة أجنبية نقودًا بقصد ارتكاب أعمال ضارة بالمصالح القومية للبلاد بأن طلب من السفارة الإسرائيلية بالقاهرة مبلغ ألفين وخمسمائة دولار مقابل مدها بمعلومات تضر بالمصالح القومية للبلاد.

وتداولت القضية على مدى عدة جلسات استمعت خلالها المحكمة إلى شهادة شهود النفي، والذين تضاربت أقوالهم ومرافعة الدفاع.

وفي النهاية حصل الجاسوس على حكم مخفف في ٣١ مارس ٢٠٠٤، بالسجن المشدد ١٥ عامًا، يجتر آلام المعاناة والفضيحة، والعار الذي لطخ اسمه وعائلته إلى الأبد .!!



فضيحة اللاسلكي المدفون في سوريا..!!

استعانت إسرائيل في التنصت على الجبهة السورية بجهاز لاسلكي مدفون أسفل عمود تليفون، يبث لتل أبيب اتصالات السوريين العسكرية على مدار الـ٢٤ ساعة. وفجأة تعطل الجهاز، فأوفدت إسرائيل أربعة من خيرة ضباطها لإصلاحه، ولكن.. انكشف أمرهم، وفشل السوريون في استبيان حقيقة مهمتهم لعدة أيام، إلا أن أحدهم، وكان مصابًا بعقدة الخوف من الظلام، اعترف بالحقيقة كاملة، وتقوم القيامة في تل أبيب.. فأحدهم عمته هي زوجة رئيس دولة إسرائيل.. التفاصيل مثيرة وغريبة.. والنهاية مأساة تفوق كل تصور..!!

كانت سوريا ، وما زالت ، هي الكابوس المفزع الذي يؤرق أمن إسرائيل منذ قيامها وحتى اليوم. لذلك نشطت أجهزة مخابراتها لاختراق سوريا على مر السنوات، مستغلة في ذلك كل الوسائل تحسبًا لهجوم سوري مفاجئ يجتاح إسرائيل ويفتت قوتها.

وفي ١٢ من أكتوبر عام ١٩٥٤ ألقت القوات السورية القبض على أربعة ضباط إسرائيليين داخل أراضيها، دفعت بهم المخابرات العسكرية الإسرائيلية للقيام بمهمة سرية غاية في الغرابة والخطورة، وكان من بينهم ابن شقيق زوجة رئيس الدولة الإسرائيلية (إسحاق بن زفي). ادعى الأربعة في البداية بأنهم هربوا من الجيش الإسرائيلي احتجاجًا على ضعف رواتبهم، لكن أحدهم وكان جبانا يخاف الظلام.. صرخ معترفا بالحقيقة لينجو من حبسه الانفرادي، وأثناء محاكمته.. تحدث مفاجأة صاعقة للإسرائيليين..!!

الجهاز المدفون

اتبعت المخابرات العسكرية الإسرائيلية وسيلة ناجحة تستطيع بها اختراق شبكة الاتصالات التليفونية العسكرية في سوريا، تتمكن من خلالها من التنصت طوال ٢٤ ساعة على ما يدور عبر الهواتف بين الوحدات العسكرية على الجبهة وغرفة العمليات الرئيسية في دمشق، وذلك عندما زرعت جهاز التنصت أسفل أحد أعمدة التليفون[(١)] بالقرب من مدينة القنيطرة. هذا الجهاز، ولعدة سنوات أمد إسرائيل بأسرار التحركات العسكرية السورية ، كاشفًا لهم عن مجريات الأمور صغيرها وكبيرها، لحظة بلحظة ، دون مناورات أو خداع.

---

(١) عمدت الاستخبارات الإسرائيلية إلى تلغيم الجهاز اللاسلكي، بحيث ينفجر ذاتيًا عند محاولة فكه لتكشف أجزائه، بحيث تصبح طريقة عمله سرية، لكن أحد الفنيين السوريين تمكن من فك الجهاز بعد إبطال تلغيمه. في حين نشرت المصادر الإسرائيلية كذبًا أن عناصر الهندسة السورية قاموا بتفجير الجهاز عام ١٩٥٥، بعد أن عجزوا عن تأمين اللغم الموجود أسفله.

فالسوريون لم يكن بحسبانهم أن تلجأ مخابرات إسرائيل لهذه الحيلة الماكرة، أيضا لم يكونوا أكثر حرصًا في استخدام الشفرة في اتصالاتهم العسكرية، أو تغيير أسلوب الاتصال وأوامر التحرك والبلاغات الحيوية.

والأكثر دهشة أن قطاعات الجيش السوري كانت تعتمد على الاتصال الهاتفي في تلقي مصطلحات الشفرة الجديدة من القيادة العامة، مما جعل كل الأسرار مكشوفة تمامًا للعدو. فالمتبع في مثل هذه الحالات أن تحتاط القيادة العامة تحسبًا لمحاولات استراق السمع وتبلغ قطاعات الجيش بشفرتها الجديدة بوسائل أخرى خلاف الهاتف أو اللاسلكي، ولكن.. هذا ما حدث وما كان يحدث بالفعل، وهو الأمر الذي تسبب فيما بعد في فك أسرار الاتصالات العسكرية العربية على الجبهات الثلاث ، لتكون النتيجة الحتمية هزيمة يونيه ١٩٦٧

الترقب والقرار

فجأة.. توقف جهاز اللاسلكي[١] المدفون في سوريا عن العمل، وارتبكت الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية بسبب توقف سيل المعلومات المنهمر من الجبهة السورية. وبتحليل الموقف كان هناك احتمالان لا ثالث لهما، أولهما، أن تكون القوات السورية قد كشفت السر وأبطلت الجهاز، وثانيهما، أن يكون الجهاز قد أصيب بعطل نتيجة خلل في دائرة التليفون الذاتي أو قطع بالسلك أعلى التليفون الموصل بالجهاز المدفون بباطن الأرض.

ونظرًا لوجود عمود التليفون بمنطقة عسكرية يطلق فيها النار دون إنذار على من يدخلها ولو بطريق الخطأ، كان لزاما على المخابرات الإسرائيلية أن تضع خطة ما ليعود الجهاز للعمل. فإن تعذر ذلك.. لا مفر إذن من زرع جهاز آخر

---

(١) ذكر في المصادر الإسرائيلية بشكل مبالغ فيه، إن الجهاز يستطيع فصل خط الهاتف العسكري، بين القيادة السورية ووحداتها على الجبهة، لتمرير أوامر عسكرية مزورة إلى القطاعات السورية مصدرها إسرائيل وليس القيادة في دمشق.

بمنطقة أخرى. وبعد اجتماعات مطولة لخبراء (أمان) استقر الرأي بناءً على الاحتمال الأول على ضرورة الانتظار لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر، حتى تيأس المخابرات السورية وتفقد الأمل في قيام إسرائيل بمحاولة لاستكشاف أمر الجهاز.

لكن وبعد خمسة أيام واصل الجهاز بث إرساله بشكل جيد لاثنتى عشرة دقيقة ثم توقف، واستمر هكذا لثلاثة وعشرين يوما في إرسال وتوقف بغير انتظام إلى أن سكت تماما.. وخمد، فأيقن الإسرائيليون عندئذ أن ما حدث هو مجرد عطل في الجهاز، واستبعدوا بنسبة مائة بالمائة وجود خدعة من قبل السوريين، وانتهى بهم الأمر إلى التفكير في حل سريع.. وجرئ، وكان الاقتراح بإيفاد فريق متخصص للعبور سرًا لإصلاح الجهاز

رحلة الهلع

بعد الحصول على الموافقات العليا، اختير أربعة ضباط عسكريين على درجة عالية جدًا من الخبرة في مجال الإلكترونيات وهندسة الاتصالات، عرض عليهم جهازًا مشابهًا فألموا بأجزائه، وبعد تدريب سريع على كيفية العبور والتخفي والتصرف في حالات الطوارئ، حملوا خارطة للموقع وبوصلة وجهاز اتصال لاسلكي ، ثم استقلوا سيارة جيب أخذتهم لأقرب نقطة على الحدود السورية، لتبدأ بعدها رحلة المغامرة والخوف والخطر .

في منطقة (ميتة) [1] وفي ظلام الليل الدامس عبروا الحدود وقطعوا نصف المسافة تقريبًا بينهم وبين منطقة الهدف، ساعين بحذر ألا يقعوا في قبضة إحدى الدوريات الليلية التي لا تتوقف، وألا يطأوا أرضًا رخوة تحسبًا لوجود ألغام أرضية، وعلى ذلك كان عليهم أن يتحسسوا الصخور ويمروا فوقها متتابعين، قدمًا فوق قدم. وقرب الفجر اختبأوا بداخل الزراعات الجبلية المنتشرة إلى أن يجئ الليل ليكملوا بقية الرحلة.

---

(١) منطقة واقعة بين نقطتي حراسة مثلاً، حيث تضعف الرقابة دائمًا عند الأطراف. وفي عام ١٩٧٣ استغلت إسرائيل المنطقة الفاصلة بين الجيشين الثاني والثالث، وأقامت رأس كوبري عبرت منه إلى الضفة الغربية للقناة، وهو ما عرف بثغرة الدفرسوار.

وما إن رقدوا في مخبأهم بضع دقائق إلا وسمعوا أصواتا تقترب، ووقع أقدام لا عدد لها.

تملكهم الفزع من هول الموقف، فقطيع من الماعز يسوقه راع عجوز يتجه ناحيتهم. همس أحدهم في زملائه ألا يتحركوا وأن يظلوا هكذا في وضع الانبطاح. مرت الماعز من حولهم وكادت تدوس أحدهم وعندها.. ذعرت الماعز وجرت مسرعة ولما حاول الراعي إيقافها، اصطدم على ما يبدو بضابط إسرائيلي وسقط فوقه فيخطئ الأخير ويصيح بالعبرية ، فيهب الراعي مذعورًا مطلقًا ساقيه للريح ، تاركًا أغنامه تجري شاردة في كل اتجاه

فوق الأشواك

في غبش الفجر كانت هناك أربعة أشباح منحنية اطمأنت لعدم وجود ألغام فأخذت تقفز بعيدا عن المنطقة. ثغاء الماعز يبدد السكون ويملأ الدنيا ضجيجًا، وصراخ الراعي يجلجل في الفضاء ، بينما ثمانية أرجل بشرية مضطربة تسعى في هلع باحثة عن مخبأ مستور. وبرغم لياقتهم البدنية الممتازة إلا أن الضباط الأربعة أصيبوا بحالة من الجنون.. فقفزاتهم السريعة لم تزح هاجس الخوف لديهم ، إذ شعروا لحظتئذ وكأنهم حفاة فوق أشواك دامية، أو أنهم جرذان تقاد إلى شرك محكم لا فرار منه أبدًا. وعلى بعد كيلومتر إلى الخلف استقروا بين أعشاب كثيفة بمنطقة جبلية عالية تتيح لهم كشف مساحة هائلة من المنطقة أمامهم.

وعندما كانوا يبحثون عن مخبأ استراتيجي، انزلقت قدم أحدهم بين صخرتين فانكسرت ساقه. وبينما زميلاه يساعدانه على النهوض كان قائدهم يجري اتصالات لاسلكيا بتل أبيب يخبرهم فيه بما جرى، وانتظر إلى أن جاءته الأوامر بالانسحاب زحفًا إلى الخلف. أعاد الضابط اتصاله بالقيادة وصرخ في رؤسائه طالبًا منهم الدعم العسكري لتأمين انسحابهم إلى الحدود، موضحًا لهم بأن أحد أفراد الفريق كسرت ساقه ولا يستطيع الحركة، فجاءه الرد بالأمر السابق دون زيادة.

بصق قائد الفريق قرفًا وأغلق الجهاز، بينما أنين زميله المصاب يؤكد استحالة تنفيذ الأمر.. هكذا خيم الهلع.. وانطفأت كل مصابيح الأمل في النجاة مع انبعاث أشعة الشمس.

الحصار

ظل راعي الماعز يجري مذعورًا إلى أن وصل إلى مخفر (العزيزيات) فأطلع الضابط المناوب بما رآه وما سمعه من صراخ بالعبرية. وفي الحال أبلغ الضابط قيادة (القنيطرة)[1] بوجود متسللين إسرائيليين بالقرب من منطقة (مسعدة). وخلال زمن قياسي حاصرت قوات سورية مسلحة قوامها نحو سبعمائة جندي المكان، وشكلوا ما يشبه الدائرة ، تتقدمها أربعة وثمانون عربة مصفحة ، فيما تحلق طائرتان عموديتان تمسحان منطقة قطرها عشرة كيلومترات وقد أغلقتا أي منفذ لهرب المتسللين.

أصوات المجنزرات الهادرة كانت تقترب من الإسرائيليين الأربعة، بينما حلقت فوق مكمنهم الهليوكبتر فلم ترهم.. وباتت الدائرة تضيق حولهم والصدور تلهث، والموت أضحى أقرب من حلقومهم.

عندما أيقنوا بالمصير المجهول الذي ينتظرهم على أيدي السوريين، هشم قائدهم جهاز اللاسلكي وألقى به في حفرة بين الصخور ، ثم هال فوقه التراب والعشب، وفي حسرة أمر رفاقه الثلاثة بالوقوف رافعين الأيدي.. مستسلمين للقوات السورية، ثم يصيح بالعربية الركيكة بأنهم (جنود) هربوا من الجيش الإسرائيلي ويطلبون الحماية والأمن في سوريا.

حملوهم إلى مكتب القيادة الفرعي في القنيطرة وهناك جرى استجوابهم مبدئيا.. ثم أرسلوا إلى القيادة العامة في دمشق.

---

(١) القنيطرة : أكبر مدينة سورية متاخمة للحدود الفلسطينية في منطقة الجولان والمشرفة على وادي الأردن. إذ تقع بحيرة الحولة وبحيرة طبريا غربًا، بينما تشرف على سهل حوران من ناحية الشرق. وتشتهر القنيطرة بزراعة الحبوب والأشجار المثمرة وذلك لخصوبة تربتها ووفرة مياهها.

لم تكن لتنطلي الحيلة على السوريين فهم أكثر الناس علمًا بمكر ودهاء اليهود، وفي مبنى المخابرات العسكرية السورية أنكروا هوياتهم ورتبهم وادعوا بأنهم ضاقوا بالخدمة الإجبارية إضافة إلى المعاملة السيئة من الضباط في الجيش الإسرائيلي ، لذلك خططوا كثيرا للهرب. إلى أن تمكنوا من تحقيق أملهم في مغادرة إسرائيل[1] آملين في حياة هانئة بين السوريين

في الظلام

باستماتة.. قاوم الضباط الأربعة آلام التعذيب المتصل لانتزاع الحقيقة منهم فما وهنوا أو اعترفوا.. ذلك أنهم قد دربوا جيدًا على تحمل أقسى أنواع التعذيب البدني بشتى درجاته وأساليبه، للدرجة التي كاد السوريون أن يصدقوا ادعاءهم الهرب من الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي، لكن ضابطًا سوريًا خبيرًا بأساليب اليهود لم يقتنع أصلاً بهذا الادعاء فكر في حيلة أخيرة، وعليه فقد تم حبسهم انفراديًا في زنزانات بباطن الأرض ضيقة.. مظلمة.. ومنع عنهم الطعام طوال نهار اليوم الأول وفي الليل.. سمع الحراس صراخ أحدهم وكان مشحونًا بالخوف الشديد:

- افتحوا الباب.. سأعترف بكل شيء

ففتحوا له الباب واقتادوه إلى المحقق فما اعترف بشيء وازداد إصراره على المراوغة الإنكار.

ولما أعادوه إلى زنزانته وأغلقوا عليه بابها، عاود الصراخ هلعًا بعد دقائق معدودة، فلم يستجيبوا لصراخاته في البداية حتى نطقها صراحة:

- أنا ضابط مخابرات إسرائيلي.. أخرجوني من هنا.. أخرجوني من الظلام وسأعترف.

---

(١) جاء بالمصادر الإسرائيلية أن الضباط الأربعة ادعوا للسوريين بأنهم يتبعون قوات حرس الحدود وقد ضلوا الطريق.

هذه المرة، ذهب إليه المحقق بنفسه فوجده معروقًا يرتجف، وفي الحال وجه كلامه للمحقق قائلاً إنه سيعترف بكل ما عنده مقابل وعد بألا يتم حبسه في زنزانة مغلقة ومظلمة.

تعجب الضابط السوري لهذا الطلب الغريب من الأسير الإسرائيلي، ووعده مؤكدًا بأنهم سيلبون طلبه بعد اعترافه الصريح الكامل. وبهدوء شديد بدأ الاستجواب

س: اسمك ؟

ج ماير مناحيم يعقوبي، يهودي عراقي الأصل.

س: عمرك؟

ج ٢٧ عاما.

س: رتبتك العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي؟

ج نقيب في المخابرات العسكرية.. في (الفرقة السوداء).

س: رقمك العسكري ؟

ج ٩١٢٩٥٦

س: موقع وحدتك العسكرية.

ج جنوب عتليت.

س: ما المهمة التي كلفتم بها ؟

ج إصلاح جهاز لاسلكي مرسل، كانت المخابرات الإسرائيلية قد دفنته تحت عمود تليفون يصل ما بين القيادة العامة في دمشق والقنيطرة، وبين الوحدات العسكرية على الحدود السورية الإسرائيلية.

س: أين موقع هذا العمود ؟

ج : عند (تل صبيغ) غربي طريق (مسعدة – القنيطرة) [1].

---

(١) تردد أن اللاسلكي المدفون كان في أراضي قرية (عين غيث) على بعد سبعة عشر كيلومترًا في عمق الأراضي السورية، في منطقة مهجورة مملوءة بالصخور.

س: أين خبأتم خريطة موقع العمود ؟

ج ممزقة في إحدى الحفر حيث تم دفنها مع اللاسلكي الذي هشمه زميلي قبل استسلامنا لكم

س: هل كنتم تحملون أسلحة وأدوات.. ؟

ج نعم.. أربعة مسدسات أتوماتيكية في نفس الحفرة وأربعة خزن إضافية، وبوصلة وخناجر ومياه وطعام وأدوات طبية، وكانت معنا أيضًا بطارية وقطع غيار لجهاز اللاسلكي المدفون

س: هل يمكنك إرشادنا لمكان الحفرة؟

ج نعم.. أنا أعرفها بالتأكيد ، فهي قريبة من المكان الذي اعتقلنا عنده

س: من هم زملاؤك؟ وما هي رتبهم (جئ بهم أمامه)؟

ج هذا (جاك كاستلانتس) ضابط في المخابرات الإسرائيلية، والده رئيس مستعمرة، وعمه الموسيقار الإسرائيلي الشهير (كاستلانتس) ، وهو خبير متفجرات.

وهذا قائد المجموعة، (ماير مورس)، ضابط في المخابرات الإسرائيلية وشقيق كل من بنيامين موزس رئيس الجمعية الصهيونية ليهود رومانيا، والدكتور موزس رئيس دائرة الحسابات في الحكومة الإسرائيلية.

ارتعد الضابط الأخير ونفرت عضلات وجهه المحمر رعبًا ، وأشار إليه يعقوب قائلا:

– وهذا (أوري إيلان) ضابط في المخابرات الإسرائيلية، وخبير الإلكترونيات العبقري ومبتكر أحدث أجهزة اللاسلكي في إسرائيل.

وبعد تردد أردف:

– عمته هي زوجة الرئيس الإسرائيلي (إسحق بن زفى)، ووالده رئيس مستعمرة (كفار شموئيل)، وعمه الجنرال (زفى إيان) قائد المنطقة الوسطى في جيش الدفاع الإسرائيلي، وأمه السيدة (إيلافيت) عضوة الكنيست

حينئذ.. انهار الضباط الثلاثة أمام ما اعترف به زميلهم.. وقامت القيامة في إسرائيل ، وذلك لأن بين أيدي السوريين كنوز بشرية ما حلموا بها من قبل، ويستطيعون بما لا يدع مجالاً لأي شك فرض شروطهم المستحيلة على إسرائيل وهم على ثقة من تحقيقها.

إلى الجبهة

تم عزلهم مرة ثانية بعيدًا عن بعضهم البعض، وقدم إليهم أطيب أنواع الطعام والشراب، وسئل الضابط الإسرائيلي مرة ثانية بعدما سمح له بالاستحمام والتدخين كيفما شاء

س: ماير يعقوبي.. ما الذي دعاك إلى الاعتراف هكذا.. وبسهولة؟

ج سيدي.. منذ سنوات وأنا أتدرب في المخابرات الإسرائيلية على تحمل التعذيب والألم والجوع وعدم النوم لأيام. ولكن الذي لا يعرفه أحد أنني أخاف.. بل أنهار تماما إذا ما حبست في مكان مغلق ومظلم.. هذه نقطة ضعفي الوحيدة[1].

س: هل لكم شركاء داخل الأراضي السورية للمعاونة في إنجاح في المهمة؟

ج لا يا سيدي.. فالمنطقة التي بعثنا إليها منطقة عسكرية لا يستطيع عملاء مدنيون دخولها.

س: لماذا ارتديتم الملابس العسكرية السورية وثلاثة منكم لا يعرفون كلمة عربية واحدة؟

ج اعتقدت المخابرات الإسرائيلية أن بإمكاننا إنجاز المهمة دون حاجة لضباط يعرفون العربية، فالثقة في نجاحنا كانت كبيرة لولا راعي الماعز الذي لم يكن في حسباننا.

---

(١) عقدة الخوف من الأماكن المغلقة Claustrophobia مرض نفسي معروف، وإذا كانت إسرائيل لم تجر اختبارات كاملة لرجال أجهزة استخباراتها قبل إرسالهم في مهام إلى الخارج، فهذا خلل كبير في منظومة عملها، وهو ما أدى بعد ذلك إلى تكرار هذا الخطأ مرة ثانية عام ١٩٧٣، عندما ألقى القبض في النرويج على العميل الإسرائيلي دانييل آربيل. وعند سجنه في زنزانة انفرادية أصيب بالفزع وتعالى صراخه، واعترف بدوره في عملية سرقة اليورانيوم لإسرائيل. (راجع الجزء الأول من حراس الهيكل من ص٣١٧: ٣٢٦)، وعملية (اغتيال الجرسون المغربي في ليليهامر) التي جاءت بالجزء الثاني من الكتاب.

الموت أرحم

أخذ ماير يعقوبي برفقة عدد كبير من الضباط السوريين إلى حيث الحفرة التي ألقوا بمعداتهم بها، وهناك أرشدهم إليها فأعادوا لصق وترتيب قصاصات الخريطة واتجهوا إلىالعمود التليفوني المقصود، وبعد الحفر على عمق ستين سنتيمترًا عثروا على كيس مطاطي يغلف صندوقا من الخشب أبعاده ٣٧ × ٤٤ × ٢٩ سنتيمترا بداخله جهاز الإرسال اللاسلكي المطور، يمتد منه سلك دقيق حشر في بدن العمود الخشبي حتى قمته ليتصل بأسلاك التليفون الهوائية.

وعند استجواب أوري إيلان اعترف بصعوبة بأن هذا الجهاز ليس هو الوحيد من نوعه، وأن هناك أجهزة أخرى مدفونة في باطن الأرض أسفل أعمدة الهواتف العسكرية في أماكن مختلفة، وأنه لا يعرف خرائط أو مواقع تلك الأجهزة المدفونة بشكل سري للغاية، حتى أنه لا يسمح بفتح ملفاتها في إسرائيل إلا لرئيس المخابرات العسكرية ومساعديه فقط. كما يعترف إيلان بأن إسرائيل تستخدم أجهزة شبيهة في أماكن أخرى من البلاد العربية المجاورة، لتكون على علم تام بتحركات القيادات العسكرية والقوات المسلحة بها

حاولت المخابرات السورية كثيرا مع أوري إيلان الحصول على معلومات وافية عن كيفية تطوير أجهزة التنصت الإسرائيلية. وبرغم دورات تحمل التعذيب التي نالها الضباط الإسرائيليون الأربعة قبل إرسالهم للمهمة الثمينة في سوريا، إلا أنهم رضخوا في النهاية، وأدلوا باعترافات خطيرة وبمعلومات عسكرية غاية في السرية، أمدت المخابرات السورية بالمزيد من المعلومات عن هذا الكيان الغريب الذي اسمه إسرائيل.

لقد التزمت سوريا الصمت المطبق طوال مرحلة التحقيق، أما في إسرائيل فقد صدر بيان عسكري مقتضب يشير إلى اختفاء أربعة (جنود) إسرائيليين، وجدت سيارتهم الجيب العسكرية في سهل (الحولة) شرقي نهر الحاصباني، على بعد مسافة قصيرة من الحدود الإسرائيلية – السورية. وذكر البيان أن احتمال خطف

(الجنود) الأربعة بواسطة القوات السورية أمر وارد، حيث لم يعثر على جثثهم أو أوراقهم الثبوتية. وأضاف البيان العسكري الإسرائيلي أن الجنود الأربعة، (دون ذكر لوحداتهم العسكرية) عرف عنهم كراهيتهم للجندية، وكثيرا ما دعوا زملاءهم إلى التمرد.

كانت المخابرات الإسرائيلية حتى وقت إذاعة البيان، تعتقد في قدرة صمود ضباطها في المعتقلات السورية ولم يكن لديها أدنى شك في انهيار أحدهم. وعندما وصل إلى دمشق وفد الصليب الأحمر الدولي في محاولة (لإعادة الجنود الهاربين، كانت سوريا قد أعلنت رسميًا قبلها نبأ القبض على أربعة ضباط إسرائيليين عبروا الحدود السورية بغرض التجسس، وأنهم رهن التحقيق والمحاكمة أمام محكمة عسكرية عليا شكلت في دمشق. وكشف البيان السوري عن شخصيات الإسرائيليين الحقيقية، مما أوقع الإسرائيليين في حرج دولي بالغ، وحدث ارتباك داخل مجتمع المخابرات الإسرائيلية، بسبب ذلك الفشل الذريع الذي أحاط بالعملية، وإلقاء القبض على أربعة ضباط ينتمون إلى عائلات ذات مناصب رفيعة في الدولة.

لم تستغرق المحاكمة العسكرية السرية للضباط الإسرائيليين وقتًا طويلاً، إذ أعلنت سوريا فجأة بعد ٤٣ يومًا أن حكمًا بالإعدام رميًا بالرصاص قد صدر بحقهم. وفي اليوم الثالث بعد إصدار الحكم، لم يستطع أوري إيلان، ٢٩ عاما، مكابدة مشاعره ومعاناته، فانتحر يأسًا داخل زنزانته الانفرادية بتمزيق شرايين يده بعدسة نظارته الطبية[١] ونشرت الصحف الأمريكية صورة عمته، حرم

---

(١) أوري إيلان Uri Eilan ضابط الاستخبارات الإسرائيلية رقم (٢) في قائمة الانتحار داخل زنزانته في السجن. انتحر إيلان في ٢٦ يناير عام ١٩٥٥، عندما اقتطع قماشًا من فراشه صنع منه حبلاً وعلّق نفسه من رقبته في حديد نافذة السجن ليموت مشنوقًا، وكتب على الحائط بالحفر، إنه ليس خائنًا لوطنه (إسرائيل)، وإن كان يستحق الموت لأنه فشل في تنفيذ المهمة وأفشى أمرها بسبب مرضه النفسي.!!. قبله بـ٣٥ يومًا، وفي ٢١ ديسمبر ١٩٥٤، انتحر بقطع شرايين يده زميله ماكس بينيت، داخل سجن الاستئناف بالقاهرة، بسبب صدمة الاعتقال المفاجئ وخوفاً من حكم الإعدام. (انظر التفاصيل في فصل: الصفقة المخزية الذي جاء بكتابنا).

رئيس إسرائيل إسحق بن زفي، بملابس الحداد تبكي وإلى جوارها زوجها لا يدري ماذا يفعل..؟!

أرجأت السلطات السورية تنفيذ حكم الإعدام في الضباط الإسرائيليين الثلاثة الباقين دون أن تعلن ذلك صراحة، وتحولت دمشق فجأة لساحة كبرى يفد إليها مسئولون رسميون من دول العالم المختلفة، يرجون الحكومة السورية ألا تنفذ حكم الإعدام في الباقين الثلاثة، مقابل أن تفرج إسرائيل عن سبعة عشر سوريًا متهمين بالتجسس على إسرائيل، بالإضافة إلى دفع تعويضات مالية تصل إلى خمسة ملايين دولار. إلا أن السوريين رفضوا الإصغاء لكل تلك الوساطات.. وأغلقوا آذانهم للمغريات الإسرائيلية، وبات من الواضح للجميع أن سوريا جادة في تنفيذ حكم الإعدام فيهم ما بين ساعة وأخرى، وتحولت منظمات حقوق الإنسان في أرجاء الكرة الأرضية إلى أبواق تطالب بوقف تنفيذ الحكم والإصغاء لصوت العقل وبرغم المكاسب المعنوية والسياسية التي كانت ستحصل عليها سوريا من ذلك، إلا أنها أغلقت الملف دون تحديد لنواياها، وانشغلت بقضاياها الكبرى التي تمس أمنها ومستقبلها.

يتمنى الموت

في سجن (المزة) الحصين[1] بالقرب من دمشق، نزل الضباط الإسرائيليون الثلاثة ، كل منهم يجتر آلامه ويدفن آماله ما عدا (جاك كاستلانتس) الذي لم ييأس، إذ لازمه هاجس مجنون بأن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لن تتركهم هكذا ينتظرون الموت بأعصاب خائرة في كل لحظة تمر، وستسعى حتمًا، بعملية عسكرية ناجحة، لإنقاذهم.

---

(١) سجن المزة أشهر سجون سوريا وأكبرها. وهو سجن مدني يشتمل في جزء منه على معتقل سياسي شهد حالات اعتقال لسياسيين سوريين كبار. وفي هذا المبنى المنفصل من المعتقل، سجن عميل الوساد الشهير إيلي كوهين حتى إعدامه بميدان المرجة عام ١٩٦٥.

هكذا صور له خياله الواهم، وكلما مرت الأسابيع تلو الأسابيع ينخفض لديه مؤشر الأمل في العودة لإسرائيل، ولزوجته (جونايدا) التي تزوجها قبل ثلاثة أشهر فقط من رحلته المشئومة إلى سوريا. كان يعرف جيدا أنها بحاجة دائمة إليه!! وبعد مرور تلك المدة الطويلة في الأسر، راوده إحساس فظيع بأنها تفتقد أشياء كثيرة هامة تحتاجها، وسترتمي في أحضان أي رجل.. هذا الإحساس كان يعذبه.. ويبكيه.. ويذهب بعقله، فيتمرغ في زنزانته ضاربًا رأسه بالأرض، وكثيرا ما طالب بإعدامه رحمة به من الظنون.. والجنون.

أما (ماير موزس) عندما ألقى القبض عليه كانت ساقه المكسورة تسبب له آلامًا مبرحة ورغم ذلك قاوم آلامه ولم يعترف أبدًا وظلت ساقه تؤلمه بشدة أثناء التحقيق. وعندما تدخل الطب بعد ذلك كان الأمل ضعيفًا في علاجها. ففي المستشفى العسكري بدمشق كانت المرة الأخيرة التي يرى فيها ساقيه ممددتين.. متجاورتين.

على الجانب الآخر.. تغيرت مفاهيم كثيرة عند ماير يعقوبي الذي انكمش على نفسه لفترة طويلة، ثم كتب رسالة من عدة صفحات إلى الحكومة العراقية، يرجو فيها التوسط لدى الحكومة السورية لإلغاء حكم الإعدام، والسماح له بقضاء مدة سجنه بالعراق بلده الأول الذي ندم على مغادرته.. وتكررت رسائله تحمل نفس المضمون إلى العراق، دون أن يفقد الأمل.

الرواية الإسرائيلية [1]

عند اعتقال الضباط الإسرائيليين الأربعة، بواسطة دورية عسكرية سورية، لوحظ أنهم عمدوا إلى التخلص من أشياء كانت بحوزتهم، وأمكن العثور على بعض قطع الأسلحة الخفيفة، ومعدات لصيانة وإصلاح الأجهزة الإلكترونية مع بعض قطع الغيار الدقيقة.

---

(١) عن كتاب: (الموساد: أفعى الإرهاب الإسرائيلية في العالم) تأليف دينيس ايزنبرج، ويوري دان، وإيلي لانداو. ترجمة منتخب يونس ورفيقه العبد لله. دار علاء الدين - دمشق ٢٠٠٤م.

في اليوم التالي وصل الكولونيل جاستون رئيس لجنة الهدنة المشتركة إلى مقر القيادة السورية في القنيطرة للاستفسار عن الإسرائيليين الأربعة، وبعدما علم بوجودهم رهن التحقيق، طلب عدم التحقيق معهم(!!)، وإطلاق سراحهم فورًا(!!)، معلنًا أن إسرائيل مستعدة لاستبدالهم بجميع الأسرى العرب لديها، ومستعدة أيضًا لتقديم الاعتذار المناسب وقبول جميع الشروط السورية. لكن رفض طلبه في الحال.

وبعد عدة أيام من الحادثة، أجرت عدة سفارات لدول أجنبية اتصالاتها بالخارجية السورية، ولا سيما السفارة الأمريكية بدمشق، بهدف إطلاق سراح الأسرى الأربعة، حيث عرضت مبلغًا ضخمًا من المال لقاء ذلك، وهو العرض الذي تقدمت به أيضًا هيئة الأمم المتحدة ورفضته دمشق.

وتضيف الرواية في شيء من المبالغة واللا معقولية :

- خلال أربعة أيام تسلل سبعة عشر شخصًا وسلموا أنفسهم للسلطات السورية، حيث نقلوا إلى السجن نفسه الذي احتجز به الضباط الأربعة، وكان أشهر المتسللين (شلومو بن يهودا)، أحد كبار قادة منظمة الهاجانا، و(موريس حكاك) أحد الجواسيس اليهود، و(يوسف شماس) أحد كبار ضباط حرب العصابات اليهود، وكان القصد من تسلل هؤلاء أن يتصلوا بأي وسيلة بأحد الأربعة من أجل تحذيرهم بعدم الاعتراف بأي شيء عن اللاسلكي المدفون[1]، وفي الوقت نفسه إشاعة روح الاطمئنان في نفوسهم.

من كل ذلك استنتج السوريون أن هناك سرًا خطيرًا يخفيه هؤلاء الأربعة. لذلك حاول رجال الاستخبارات العسكرية في دمشق الوصول إلى السر، ولا سيما بعد بطلان جميع الادعاءات التي حاول الأربعة التمسك بها، مثل زعمهم أنهم ضلوا الطريق، وأنهم أفراد وحدة عسكرية من حرس الحدود، وهو ما تم تلقينهم به من قبل في إسرائيل.

---

(١) رواية التسلل هذه غير منطقية بالمرة ولم ترد بأي مصدر سوري، ولم يكن هناك داع لترويج هذه القصة، لأن من أساس عمل أجهزة المخابرات في مثل هذه العمليات توقع كل شيء، وبالتالي كانت هناك مسائل متفق عليها وخُطط لها، طالما هناك احتمالات عديدة عند القيام بعمليات على أرض معادية.

استمر التحقيق معهم أيامًا طويلة وتغير المحققون بلا فائدة. إلى أن جاء محقق خبير بالنواحي النفسية والفراسة، هادئ الطباع، توصل إلى الأسلوب الواجب استخدامه لجعل أحد الأربعة يعترف بسر المهمة التي دخلوا من أجلها إلى الأراضي السورية.

لاحظ المحقق الجديد أيضًا أن المتسللين الجدد الذين أرسلتهم إسرائيل لا يتركون ناحية من نواحي السجن إلا ويكتبون عليها بالعبرية عبارات تطلب من الضباط الإسرائيليين الأربعة عدم البوح بشيء[1]، بما ينم عن أن هناك أمر هام تخشى القيادة في إسرائيل من انكشافه، لذلك ضحت في سبيل ذلك بعدد كبير من رجالها، كانت مهمتهم تحذير الضباط الأربعة، ورفع معنوياتهم.

كان أوري إيلان، كما لاحظ المحقق، هو أضعف الأربعة، فقد كان منظره يدل على الدلال والاعتزاز، فهو قريب زوجة رئيس إسرائيل.

استغل الضابط السوري فراسته، وأمر بكتابة عبارات في دورة المياه بالعبرية، مفادها أن (جاك كاستلانس) خائن لأنه اعترف. وعندما ذهب إيلان إلى دورة المياه وقرأ ما كتب على جدارها، راح يشتم ويتوعد، وطلب مقابلة المحقق حيث ألح عليه أن يسمح له بمقابلة زميله (موزس)، فوافق الضابط على إحضار موزس إليه، وأبعد الحراس عنهما لإشعارهما بالأمان في حين أن المكان زرعت به أجهزة تنصت دقيقة متصلة بغرفة التحقيق[2].

ولما اجتمع إيلان وموزس وجدا أن المكان خالٍ من الحراس(!!) فأمسك إيلان بزميله وقال له:

---

(١) بسهولة يستطيع القارئ اكتشاف مدى سذاجة ما جاء بالرواية الإسرائيلية. فمن غير المعقول أن تترك السلطات السورية هؤلاء المتسللين يتحركون في جميع نواحي السجن وكأنهم يتحركون في ميدان عام، أو داخل بيوتهم. إن ما جاء بالرواية يعد خيالاً لا صلة له بالواقع..!!

(٢) لاحظ أن الرواية تصور الأسرى الأربعة بلا قيود حديدية، وبلا حراسة، ويتحركون بحرية وتجاب طلباتهم فورًا.

– إن "جاك" اعترف وأرشد السوريين إلى سر الجهاز.

لكن موزس أمسكه بعنف وهو يقول:

– أي جهاز تتحدث عنه..؟ يجب أن تنسى هذه الحكاية تمامًا حسب الأوامر.

– وما الفائدة بعدما أخبر "جاك" السوريين وأصبحوا على علم بكل شيء..؟

أنَّبه موزس بقسوة وطلب منه ألا يفتح فمه بهذا الخصوص.

اكتفى المحقق بما سمع، وأدرك أن إيلان في حالة هياج وانهيار عصبي، فاستغل ذلك في معرفة السر، ومن فوره استدعى إيلان وأخبره أن التحقيق شارف على الانتهاء، وقريبًا سوف يتم إطلاق سراحه مع زملائه، بعدما عرفوا بسر الجهاز الذي سوف يتم اصطحاب جاك للإرشاد عن مكانه.

استمر الحديث الودي بينهما بصورة طبيعية لفترة طويلة من الوقت، ولم يكن إيلان يعلم أنه يدلي بمعلومات ثمينة للغاية. وهكذا استطاع المحقق أن يكتشف أن الأمر يتصل بجهاز إليكتروني غريب جدًا للتنصت، يعد من أحدث الأجهزة الأمريكية. وأن هذا الجهاز مدفون في باطن الأرض بالقرب من أحد أعمدة الهاتف العسكري الذي يربط بين غرفة عمليات قيادة الجيش العربي السوري في دمشق، مع قيادات الوحدات والقطاعات السورية المنتشرة على طول خط الجبهة، حيث قامت المخابرات الإسرائيلية بوصله مع خط الهاتف العسكري السوري.

لم يكن رئيسًا للوزراء

علم المحقق أن مهمة هذا الجهاز هي التقاط المكالمات الهاتفية بين القيادة السورية ووحداتها على الجبهة وبثها لاسلكيًا إلى إسرائيل، وبهذه الطريقة المبتكرة، أصبح بإمكان المخابرات الإسرائيلية أن تعرف أولاً بأول جميع الأوامر والتعليمات والمعلومات المتعلقة بالجيش السوري، وكذا تقارير الوحدات الأمامية

ووصفها القتالي بشكل فوري ودائم، كما أن الجهاز يستطيع أن يمرر أوامر عسكرية مزورة إلى القطاعات السورية مصدرها إسرائيل بالطبع.

كذلك عرف المحقق من إيلان أن هذا الجهاز الإلكتروني الحديث ليس الوحيد من نوعه، وأن إسرائيل تستخدم مثله في أماكن أخرى على خطوط هواتف الجيوش العربية، وأن سبب تسلل الأربعة إلى الأراضي السورية هو أن ذلك الجهاز السري قد أصابه عطل مفاجئ وقد جاءوا لإصلاحه ، حيث وضع في صندوق محكم الإغلاق، في أسفله جهاز تفجير ذاتي ينفجر عند محاولة العبث به.

وفي اليوم التالي، عقد المحقق السوري اجتماعًا حضره مراقب الهدنة الكندي والإسرائيليون الأربعة، وأعلن أنه اطلع على جميع المعلومات المتعلقة بالجهاز، وأنه يريد منهم إرشادهم إلى مكانه لإزالته وإنهاء القضية، ومن ثم إطلاق سراحهم(!!) وهنا وقع شجار بين الأربعة، وراح كل منهم يتهم زميله بإفشاء السر الذي يعد من أهم الأسرار العسكرية. وأدرك إيلان أنه هو الذي أفشى السر الخطير.

قامت عناصر من الجنود السوريين بالحفر حول أحد أعمدة الهاتف الميداني، وعلى عمق نحو المتر ظهر الجهاز اللاسلكي. عند ذلك أعلن موزس أنه مستعد لعزل اللغم ومنعه من الانفجار وإخراج الجهاز سليمًا، وطلب من زملائه الثلاثة الاقتراب منه. عندئذ شك المحقق السوري أن موزس ينوي تفجير الجهاز فأمر بإعادته مع زملائه إلى السجن، وكانت علامات الغضب والغيظ ظاهرة على وجوه الأربعة.

في الليلة نفسها، وفي زنزانته الانفرادية ، قام أوري إيلان بشنق نفسه، وكان ذلك في أواخر يناير عام ١٩٥٥ ، ولما علمت الأوساط الإسرائيلية عم استياء شديد، وحضر وفد رسمي برئاسة موشى ديان لتسلم جثمانه من الصليب الأحمر عبر جسر (بنات يعقوب).

بعد أيام ترك بنحاس لافون منصبه في رئاسة وزراء إسرائيل[1]، وأصيبت المخابرات الإسرائيلية بفشلين: عملية لافون وهذه العملية.!!

(١) هكذا جاء بالرواية الإسرائيلية المليئة بالكذب، والجهل، ذلك لأن لافون لم يكن رئيسًا للوزراء في إسرائيل في يوم من الأيام، بل كان وقتها وزيرًا للدفاع ، لكننا ننقل جهل المصدر الإسرائيلي وكذبه، ليكتشف القارئ العربي ذلك بنفسه. (انظر صفحة ١٠٧ من المصدر السابق) .!!



فضيحة الطيارين الإسرائيليين الأسرى في سوريا..!!

في عام ١٩٧٠، أسر السوريون ثلاثة من أكفأ الطيارين الإسرائيليين، واشترطوا لمبادلتهم الإفراج عن السجناء العرب في معتقلات العدو.

قوبلت الشروط بالرفض، ولجأت إسرائيل إلى أعوانها من ضعاف النفوس في لبنان، وتمكنت من خطف ثلاثة ضباط عسكريين سوريين استدرجوا لتفقد جبهة الجنوب. وبالرغم من ذلك لم يتراجع السوريون عن شروطهم السابقة. وفي النهاية.. أجبرت إسرائيل على الاستسلام والرضوخ.!!

الأسرى

في عـام ١٩٧٠ ، وبينمـا حـرب الاسـتنزاف في قمـة تصعيدهـا لرفـع الــروح المعنوية المنهارة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧، كان الجيش العربي، في مصر وسوريا، يعمل جاهدًا لمنع تسلل الطائرات المعادية إلى العمق. محاولاً سد الثغرات بإقامة حائط الصواريخ سام٣، وسام ٦، وتنظيم شبكة الدفاعات الجوية الـتي تـتربص بها إسرائيل وتقصفها أولاً بأول قبل أن تجف قواعدها الأسمنتية لتظل في وضع السيطرة والقوة والهيمنة على الأجواء العربية بلا منازع.

جاهد القادة العسكريون لمحــو العقـدة النفسـية لـدى رجـال الدفـاع الجـوي الراسبة فيهم ولازالت عالقة منذ ٥ يونيه، وأصبحت عادة فتح النيران على أية طائرة مقتربة نحوهم تغلب علــى وعـي التميـيز بـين الطـائرة المعاديـة والطـائرة الصديقة[١]. واستخدم العدو في تسلله للعمـق أسـلوب القـذف المفـاجئ والهـرب السريع مستغلاً الثغرات الرادارية بالاقتراب المنخفض جدا.

لاحظ ضـابط سـوري خبـير أمـرًا غايـة في الغرابـة، وهـو أن طـائرات العـدو الاعتراضية تنطلق عندما يبدأ أي تشكيل جوي في الإقلاع من المطارات الحربيـة الخلفية. لقد ساوره الشك في تسـرب معلومـات عـن تحركاتـهم كـل مـرة. لكـن أجـهزة الاسـتطلاع والمخـابرات العسـكرية اكتشـفت امتـلاك إسـرائيل لأجـهزة استشعار ومراقبة حديثة جدًا فوق مرتفعات الجولان، عجزت الطائرات السورية في هجماتها عن ضربها لوجود قواعد رادارية هيكلية متعددة، ولجــوء العـدو إلى تغيير أماكن أجهزته بشكل مستمر مع مواقع تبادلية أخرى.

وعلى ذلك صدرت الأوامر للطيارين بضرورة ضرب عدة مراكز مراقبـة في كـل هجمـة دون الاكتفـاء بضربـها لمرة واحدة . وبذلك اسـتطاع السـوريون اختراق

(١) حرب الثلاث سنوات. الفريق أول محمد فوزي. دار المستقبل العربي - القاهرة ١٩٨٤.

الدفاعات الجوية الإسرائيلية بطائرات (ميج ٢١) دون خوف من طائرات العدو الاعتراضية. ولكن لوحظ أن العدو الإسرائيلي استحدث أجهزته الالكترونية التي زودته بها أمريكا للاستطلاع والتشويش، والتداخل الإلكتروني للسيطرة على شبكة التوجيه الأرضية للمقاتلات القاذفة العربية.

وبنظرة تحليلية ودراسة عسكرية مستفيضة، استطاع الضابط الكفء ملاحظة أمر آخر شديد التعقيد. فما أن ينطلق تشكيل جوي من ٤ طائرات ميج ٢١ لأغراض الحماية الروتينية كمظلة لوقاية التجمع الرئيسي، حتى يشتبك معه طيران العدو بست طائرات مقاتلة قبل بضع دقائق من انتهاء زمن طيران (الميج ٢١) في قتال غير متكافئ من ناحية زمن وقدرة الطيارين القائمين بواجب الحماية الروتينية، وتكون النتيجة خاسرة بالنسبة للسوريين

أعد الضابط السوري تقارير تحليلية مفصلة عن المعارك الجوية غير المتكافئة مع الطيران الإسرائيلي، خلص فيها إلى نتيجة واحدة وهي أن شاشات رادارات العدو تلتقط أنفاس (الميج ٢١) حتى وهي تنطلق على الممر. فينتظر لبضع دقائق قبل عودة (الميج ٢١) إلى قاعدتها، وينطلق في إثرها سرب من ٦ طائرات ميراج ٣ بأكفأ طياريه. وعلى الفور.. صدرت تعليمات بانتقاء طيارين للاشتباك مع سرب الميراج، بحيث ينطلق التشكيل المجهز وينقض على الطائرات الإسرائيلية في مفاجأة لا يتوقعها.

هذه الخطة المحكمة أربكت نظم الهجوم الجوي للعدو، ورجحت الكفة لسوريا عندما تساقطت طائراته واحدة تلو الأخرى، وخسر العدو عددًا كبيرًا من طياريه الأكفاء انفجرت بهم طائراتهم في الجو، قصفتها (الميج ٢١) بصواريخها المعدلة الطرازات (أتول Atoll) (جو/جو) قبلما يتمكنوا من القفز منها، ما عدا ثلاثة طيارين استطاعوا القفز بالبراشوت ووقعوا أسرى في قبضة السلطات السورية في يوليو ١٩٧٠.

هؤلاء الثلاثة، وللحظ، كانوا من أمهر وأكفأ طياري سلاح الجو الإسرائيلي على الإطلاق، حيث يعهد إليهم تنفيذ المهام القتالية الصعبة التي يعجز زملاؤهم الصغار على أدائها. وكان لهم الدور الأكبر في اختراق الدفاعات الأرضية على الجبهتين السورية والمصرية، وقيادة التشكيلات المهاجمة لأهداف العمق في البلدين.

كان لذلك الحادث وقع سيئ لدى الإسرائيليين الذين سعوا بإلحاح إلى قبول المشروع الأمريكي لوقف إطلاق النار المؤقت في ٨ أغسطس ١٩٧٠. إذ أدركوا أن العرب على مدى ثلاث سنوات من حرب الاستنزاف عرفوا الكثير عن أسلوبهم في القتال وتكتيكاتهم، وبذا حرموا من أي ابتكار أو مفاجأة أو خداع. كما أن دوام الاشتباك طوال تلك المدة حقق للعرب معرفة قدرات العدو الحقيقية، فانهدم جدار الخوف من الجندي الإسرائيلي وأجبر العدو على طلب الهدنة مما أثر على خفض معنوياته، وتشككه في قدرات قواته وتخطيطها للدفاع عن أرض لا تملكها

بدون تعذيب

في شمال درعا منطقة تمتد لمسافة ٢٥ كيلومترا إلى (الشيخ مسكين)، سقط بها الطيارون الثلاثة: (يكتوئيل كازان) قائد التشكيل، ٣٠ عامًا، و(داني فولسكي)، ٣٠ عامًا، و(أدمون أهارون)، ٢٩ عامًا.

الأول.. أمسك به الأهالي وكبلوه بالحبال محتفظين بسلاحه وأوراقه والأجهزة التي بحوزته، ثم أوسعوه ضربا مدة ثلث الساعة شجوا خلالها رأسه إلى أن وصل رجال الجيش بسياراتهم.

أما الثاني.. فقد تخلص من البراشوت وأخذ يعدو خائفًا بين الأشجار والزروع، ولمحته صبية ريفية تدعى (ميساء) يتغطى بكومة من العشب الجاف في زاوية الحقل

كانت الصبية تقوم بتقليم شجيرات اللوز وانحنت فلم يرها. وظلت تزحف لمائتي متر بعيدا ثم انطلقت كالسهم لتعترض سيارة عسكرية كانت تجوب

المنطقة بحثًا عن طياري العدو، وتخبر قائدها بما شاهدت. فاتخذ القائد والجنود وضع الأسد الذي يتربص بفريسته زاحفين ببطء شديد، وانقضوا فوق الكومة للفوز بالصيد الثمين. (ميساء) كوفئت من وزارة الحربية فيما بعد بعشرة آلاف ليرة سورية.

أما الطيار الثالث ، فلم يظهر له أثر على الإطلاق لمدة يومين.. وفي اليوم الثالث بعد تمشيط دقيق للمنطقة، عثروا على الباراشوت مطويا بإحدى الحفر، وآثار حذاء الهارب تتجه صوب بيت مهدم مهجور على مقربة من الحفرة. داهموا المكان بلا فائدة، وبنظرة أكثر دقة لمح أحد الجنود خيط دخان رفيع متقطع ينبعث من الأرض فأدرك الأمر وأمسكوا به في حفرة مطموسة كانت تستخدم كخزان للصرف الصحي للبيت المهجور، وكان عقب سيجارته الذي ظل مشتعلا يبعث دخانه سببا في كشفه.

أخذ الأسير يصرخ في هلع يرجوهم بالعبرية ألا يضربوه. وكان لسقوط الطيارين الثلاثة أسرى لدى السوريين بمثابة نصر معنوي كبير.. فهناك مائة وسبعون سوريا تضمهم معتقلات إسرائيل، بعضهم من المدنيين الذين قاوموا العدو في القنيطرة وجبل الشيخ، تعنت العدو من قبل ورفض مساع دبلوماسية عديدة للسماح بوصول رسائلهم إلى ذويهم، بل ورفض أيضًا الإفراج عن كبار السن من بينهم مقابل رفات تسع طيارين تفحمت جثثهم بداخل طائراتهم التي أسقطت فوق الأراضي السورية في معارك سابقة.

حبس السوريون الطيارين الثلاثة في زنازين انفرادية لعدة أيام دون استجواب. وأمدوهم بأفخر أنواع الطعام والعصائر والسجائر، واستخدموا معهم أسلوبا غاية في التعقيد استخدمه النازيون من قبل مع الطيارين الأمريكان المأسورين في الحرب العالمية الثانية.

ولكي نعرف ماذا تم بالضبط..؟! تعالوا نقرأ معا ما دونه العريف (سكراف) من المخابرات الحربية الألمانية عن أسلوب استجواب الأسرى الذي ابتكروه (بدون تعذيب).

يقول سكراف[1]:

كان الأساس الذي نقوم به هو التوسل بعلم النفس وحده دون اللجوء إلى أية وسيلة من وسائل التعذيب أو الضغط. فمثلا كان طيارو الحلفاء يلقنون في مراكز التدريب عن الطريقة التي يتصرفون بها إذا ما وقعوا في الأسر. كما قيل لهم أن يكونوا مستعدين نفسيًا لاحتمال تعذيبهم وعقابهم بشدة حتى يرغموا على الكلام كما لقنوا بأنه حتى إذا لم يعذبوا، فإننا سنخادعهم بالشراب وبالنساء الجميلات حتى تنهار صلابتهم، إلى درجة يفصحون عندها بالإجابات على أسئلتنا. وكان علينا أن ندرك مدى الحالة النفسية التي يكون عليها الأسير، فنتصرف على العكس تماما مما كان يتوقع. فبدلا من تعذيبهم أو امتهانهم، كانوا يعاملون باحترام مذهل.

لقد قمت منتصبًا في وضع الانتباه ضاربا كعبي أكثر من ٥٠٠ مرة مؤديًا التحية العسكرية في أصح أوضاعها للأسرى الأمريكان من طياري المقاتلات، وكنت أقدم نفسي للأسير قائلا بأدب وبشاشة:

- سيدي الملازم أو سيدي الرائد.. أنا العريف سكراف وأنا مكلف بسؤالكم بضع أسئلة.. هل لسيدي أن يجلس.. فلك أن تجيب على الأسئلة الثلاثة: اسمك ورقمك ورتبتك فقط ولا شيء خلاف ذلك.. سيجارة سيدي؟

---

(١) هذه القصة جاءت في ملحق (بدون تاريخ) لمجلة النصر المصرية، بقلم محمود فوزي الوكيل، وهي خلاصة الشهادة الرسمية التي أداها العريف السابق (سكراف) من المخابرات الحربية الألمانية أمام هيئات التحقيق الأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا. فقد شكلت في أمريكا هيئة للتحقيق مع مئات من الطيارين الأمريكيين الذين أسروا في الحرب، وكانوا متهمين بالخيانة وإفشاء الأسرار الحربية عقب أسرهم مخالفة للأوامر واللوائح. لكنهم نفوا جميعًا أنهم تفوهوا بأي سر، كما أكدوا على أنهم لم يتعرضوا للضرب أو التعذيب، وبالتالي لم يرغموا على الإدلاء بأي أقوال. لذلك تم استدعاء العريف سكراف للمثول أمام إحدى هيئات التحقيق بأمريكا لاستجوابه في شأن التقارير التي كان يرفعها بعد استجوابه لكل طيار أسير. وقد كان لشهادته هذه أكبر الأثر في تبرئة ساحة هؤلاء الطيارين..!!

يضيف سكراف:

أسر الملازم أول طيار (جاك أسبرات)[1] مع آخرين مرتديًا ثيابًا مدنية، وقد أجابني على الأسئلة التقليدية الثلاثة ثم مضى استجوابه كالتالي

س: هل الرقم خاص بالطيران الأمريكي أو الإنجليزي؟

ج · آسف.. لن أقول.

س: هل أنت طيار مقاتل أو من قاذفي القنابل؟

ج .. .. !!

س: ما عنوانك المنزلي في وطنك ؟

ج : .. .. !!

س: هل لك أن تتناول سيجارة..؟ اختر ما يحلو لك. (وكان أمام الأسير علبة سجائر أمريكية وأخرى بريطانية.).

ج : شكرًا.

(يتناول الأسير سيجارة أمريكية.)

س: من أقرب الناس إليك حتى يمكن للصليب الأحمر الاتصال بهم؟

ج : لا إجابة

س: أي نوع من الطائرات تقود ؟

ج أسف

س: هل لديك علامات رتب..؟

---

(١) كان اسبرات طيارًا أمريكيًا عمره ٢١ عامًا، يقود طائرة مقاتلة لحراسة بعض القاذفات في أثناء الهجوم لقصف منشآت ومواقع عسكرية ألمانية. وفي مكان ما فوق فرنسا حدث عطل بمحرك طائرته فاضطر للقفز بالمظلة، حيث تلقفه أفراد من جماعات المقاومة السرية أخفوه وألبسوه ثيابًا مدنية وبدأوا في ترحيله سرًا إلى إنجلترا بواسطة زورق يعبر به بحر المانش، لكنه وقع في الأسر. وبسبب عدم إجادته للفرنسية تم ترحيله لمعسكرات الأسرى لاستجوابه.

ج لا.. فقد فقدتها.

س: ما رقم وحدتك ؟

ج · آسف ..!

س: متى أسقطت طائرتك وأين ؟

ج : لن أجيب .!

س: هل تعتقد أنني أقتنع بمثل هذه الإجابات ؟

ج : ليس عندي ما أقوله.

س: ماذا عندك إذن يا سيدي الضابط، وما الحل وليس لديك ما تثبت به أنك طيار سقطت طائرته؟ لماذا لا تكون مجرد جاسوس أمريكي وأنك تدعي ما تدعيه خوفًا من إعدامك؟ يجب أن تعطينا بعض المعلومات عنك كرقم وحدتك وبعض المعلومات الفنية التي يعرفها الطيار ولا يعرفها الجاسوس حتى يمكننا البت في أمرك، إما كرجل عسكري يعامل كأسير حرب، أو مجرد جاسوس مصيره الإعدام فورًا رميا بالرصاص؟

ج ليس لدي أي شيء

يضيف سكراف: تركته ليفكر ويقلب الأمر على وجوهه، وأديت له التحية العسكرية فخرج عائدًا إلى حجرته في عزلة تامة. فلا حديث مع أحد ولا قراءة. وحتى النافذة زجاجها غير شفاف فلا يمكنه رؤية ما بالخارج. وإن كانت بالغرفة مدفأة وفراش مريح وطعام جيد، فالإنسان الذي قضى وقتًا طويلاً بدون عمل أي شيء يشغل به وقته، فإنه يصبح أكثر ميلا للحديث مع أي شخص يقابله ويبدي نحوه ودًا.

فإنني لم أحاول قط الحصول على معلومات من الخمسمائة طيار الذين استجوبتهم بالضغط أو التهديد أو التعذيب النفسي والبدني، لقد كنت أشعره تماما باهتمامي بسلامته وبكرامته. وكانت المخابرات الحربية تمدني بكل

المعلومات الحيوية التي أواجهه بها عنه وعن وحدته ورؤسائه من خلال ملفات تحوي آلاف المعلومات تم جمعها، فيدرك الطيار الأسير أنه يتعامل مع أناس مهذبين أذكياء يعرفون عن جيشه وقطاعاته وقواده ووحدته كل شيء. وأن من الأدب تبادل الحديث طالما أن الأمر أصبح كذلك. كما أنني كنت أحرص على أن أجعل سؤالي في صيغة من الحديث يجد الأسير نفسه بلا وعي مندفعًا للدفاع عن أي شيء يمس كفاءته أو زملاءه

هكذا تعامل الألمان أيام هتلر مع الأسرى.. واستخدم السوريون الطريقة نفسها في تعاملهم مع الأسرى اليهود الذين كانوا يدركون بلا شك أنهم يحاربون العرب أصحاب الحق.. بينما هم مجرد عصابات من اللصوص اغتصبت فلسطين اغتصابًا، دون أن تجمعهم لغة واحدة أو تراث حضاري واحد، بل جاءوا من أقاصي الأرض بحثًا عن أرض وعن وطن وعن مصير.

لقد فوجئ السوريون عند استجوابهم للطيارين الثلاثة بانكشاف غطاء بئر يفيض بالمعلومات و الأسرار العسكرية التي هم في أمس الحاجة إليها، وفوجئوا أيضا بأن أحدهم وهو (داني فولسكي)، الشقيق الأصغر لزوجة وزير إسرائيلي سابق في عهد بن جوريون. أما أدمون أهارون فأبوه عضو بالكنيست ويتزعم جبهة متشددة ضد الفلسطينيين، ومن أكثر المطالبين باحتلال أكبر رقعة ممكنة من الأراضي العربية وإعلان ضمها لإسرائيل

سايريت ماتكال

بينما السوريون يشعرون باطمئنان وقد بدت في الأفق انفراجة نحو تحرير أسراهم، كان الإسرائيليون على العكس يعيشون أسوأ أيامهم بسبب موجة خطف الطائرات المدنية التي تقوم بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور جورج حبش، والتي تزامنت مع سقوط طائراتها القتالية على الجبهتين السورية والمصرية، ووقوع طياريها أسرى لدى البلدين.

ففي ٢٢ يوليو ١٩٧٠، بعد أسر السوريين للطيارين الإسرائيليين الثلاثة بأيام، تم اختطاف طائرة ركاب من رودس إلى أثينا. ونجح الخاطفون في إطلاق سراح سبعة فدائيين فلسطينيين، وفي سبتمبر حدثت مأساة أيلول الأسود ومذابح جرش وعجلون التي ارتكبت ضد الفلسطينيين في الأردن، واشتدت قبضة العمليات الفدائية ضد إسرائيل عندما تم خطف ٤ طائرات لشركات طيران عالمية مختلفة جرى نسفها على الأرض، وعم الرعب كل إسرائيل وكان عليها أن توقف هذا السيل من الخزي الذي التحفت به، خاصة بعدما رفضت سوريا مبادلة الطيارين الثلاثة الأسرى بسجنائها في معتقلات عسقلان وأشكلون، لقد انعكس الموقف الآن.. وتشدد السوريون في مطالبهم التي تلخصت في إفراج إسرائيل عن المئات من الأسرى الفلسطينيين في سجونها بالإضافة إلى السوريين المعتقلين.

أبطال من ورق

صعق الإسرائيليون للتعنت السوري، ولم يروا أسلوبًا لكسر جمود الموقف سوى القيام بعملية مخابراتية جريئة تنقذ ماء وجوههم.

على الفور اجتمع (أهارون ياريف) رئيس المخابرات العسكرية مع مساعده الجنرال يوئيل بن بورات قائد وحدات التنصت وكبار ضباطه المنوطين بالعمليات الخاصة، وعرض عليهم الموقف بشكل عام ورغبة القيادة العليا، بمباركة جولدا مائير نفسها، على القيام بعملية خاصة تكسر جمود السوريين وتشددهم، وتجبرهم على الرضوخ للشروط الإسرائيلية، ودون خسائر في الأرواح.

وبعد اجتماعات مطولة بين قيادات أجهزة الاستخبارات.. نوقشت خلالها تصورات مختلفة، انتهوا إلى الموافقة بالإجماع على خطف ضباط سوريين ذوي شأن بواسطة (أصدقائهم) في الجنوب اللبناني، على أن يوكل للوحدة ٢٦٩ تنفيذ العملية.

وحسبما تقول المراجع ، تعد هذه الوحدة من أشرس فرق العمليات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، وتتبع قسمًا في المخابرات العسكرية اسمه (سايريت[1] ماتكال) Sayeret Matekal . ولكل قطاع تقريبًا من قوات الدفاع الإسرائيلية وحدة سايريت خاصة به، إلا أن (سايريت ماتكال) هذه تعني: نخبة النخبة، وتخضع رسميًا تحت القيادة المباشرة لرئيس الأركان، وتعرف أيضًا باسم (وحدة الكوماندوز العليا) التي تأسست لتمكين الاستخبارات العسكرية من وضع خططها في حيز التنفيذ، خصوصًا خلف خطوط الجيوش العربية[2].

وفي آخر أبريل ١٩٧٢ ، استدعى (جوناثان نتانياهو) - الشقيق الأكبر لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق - وأوكل إليه (أهارون ياريف) قيادة فريق الكوماندوز الذي سيتولى مهمة خطف الضباط السوريين، أحياء، من الجنوب اللبناني إلى إسرائيل.

كان جوناثان نتانياهو مجرم عتيد فظ بلا قلب، جده مراب جشع عاش مدهوسًا في ليتوانيا، وبسبب فقره المدقع واحتقاره وسط مجتمعه، أورث أولاده دماء المكر والخبث والإجرام وهاجر بهم إلى فلسطين عام ١٩٢٠. هناك، اختار ابنه، بن زيون (بن صهيون) والد جوناثان ، اسمًا عبريًا هو (نتانياهو) أي: (هبة الله) وهو أول من صنف ونشر قاموسًا عبريًا شاملاً عام ١٩٤٨.

الفقر والخيانة

هاجر نتانياهو بأسرته بسبب الظروف المعيشية الصعبة ، إلى أمريكا عام ١٩٦٢، ولم يرق الحال لابنه جوناثان هناك ، فعاد في ١٩٦٤ إلى تل أبيب

---

(١) (سايريت) : كلمة مشتقة من اللغة العبرية تعني (استطلاع) .

(٢) أمراء الموساد. يوسي ميلمان - دان رافيف . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٩١.

ليتزوج من مجندة يهودية تدعى (توتي) عام ١٩٦٧ بعدما انضم لسايريت ماتاكال، وفي ١٩٧١ أصبح قائدًا لفرقة خاصة، فانشغل بعمله وأعطاه جل وقته، بعدما هزته خيانة زوجته مع يهودي مغربي يعمل سائقا لسيارة نظافة تتبع بلدية تل أبيب.

تكتم جوناثان المخدوع على الأمر وحبس آلامه ومعاناته في صدره.. وانشغل بتدريب فرقته للحفاظ على لياقة جنوده بدنيًا وذهنيًا.. استعدادًا لأية مهام قد يكلف بها فجأة. ولما استدعوه ليستعد لمهمة الجنوب اللبناني، جمع فريقه وعسكر به في إحدى الوحدات إلى أن أعطي أمرًا بالتحرك.

الخنزير الدموي

حرصت المخابرات الإسرائيلية على التخطيط المستمر من أجل المستقبل، وكانت بيروت في ذلك الوقت مكانًا خصبًا لعملياتها وساحة آمنة لعملائها الذين يحملون جوازات سفر مختلفة الجنسيات المزيفة . ولأن العقيدة اليهودية تعتبر الجنس في عمل أجهزة استخباراتها أمرًا مشروعًا.. ويحمل الصبغة الدينية في كتبهم المقدسة، عبر التاريخ السحيق، استغلت الموساد أجمل نسائها حيث تم زرعهن في لبنان، لعمل علاقات حميمة بموظفين ومسئولين صغار، وتصويرهم في شتى حالات الضعف الإنساني، حتى إذا ما تبوأوا مناصب رفيعة في الدولة، تتم مواجهتهم بالماضي القديم، وإخضاعهم لمآرب إسرائيل في لبنان، وهو ما يطلق عليه مخابراتيًا لقب (الجواسيس النائمون)، ويتم إيقاظ هؤلاء حين الحاجة إليهم للقيام بمهام سرية لصالحها.

وقد حدث أن اطلع الإسرائيليون من خلال بعض هؤلاء الخونة في مواقعهم الحساسة، على تحركات العسكريين السوريين في سهل البقاع، نظرا لرغبة اللبنانيين في المساعدة السورية لتقوية تسليحهم ، وتدريب كوادر متخصصة على الأجهزة الفنية بالتنسيق مع دمشق، وتقرر لذلك إيفاد ثلاثة خبراء عسكريين

سوريين للاطلاع على المواقع اللبنانية الاستراتيجية في الجنوب، لوضع الخطط الدفاعية المناسبة.

طلب الإسرائيليون من العملاء في لبنان استدراج الضباط السوريين الثلاثة إلى منطقة تم الاتفاق عليها في الجنوب حتى يتسنى لهم خطفهم أحياء، وتم التنسيق اللازم بين الطرفين لإنجاح العملية دون أية خسائر في الأرواح، واتفق فيما بينهما على خط سير الموكب، وموقع السيارات التي سيركبها السوريين، وكذا سيارات المرافقين وعربات الحراسة المسلحة.

كان هؤلاء الخونة ، أمثال اللواءين سعد حداد[1] وأنطوان لحد[2] وميليشيات الكتائب المسيحية، تحت السيطرة الاستخباراتية الإسرائيلية الكاملة.. ونظرًا لما كانوا يتحصلون عليه من أموال الموساد، في شكل مرتبات شهرية وهدايا ونساء، فقد أبدوا إخلاصًا لإسرائيل أكثر من أي صهيوني متعصب. وبسبب هذا الولاء الكامل لم تكن عملية تسليم العسكريين السوريين بالأمر الشاق أو المستحيل فتاريخ الخونة في لبنان يطول ويتسع ليملأ مجلدات.

وفي موعد الزيارة المقرر، اتجه الضباط اللبنانيون بزملائهم السوريين الثلاثة صوب الجنوب. وقبل النقطة المحددة بكيلومترين تقريبًا، تمهل الخونة بسياراتهم تاركين ضيوفهم يتقدمون ترافقهم سيارات الحراسة.

---

(١) اللواء سعد حداد : لبناني عميل لإسرائيل. كان ضابطًا في الجيش اللبناني ثم انشق عنه وأسس جيش لبنان الجنوبي الموالي لإسرائيل، ثم أعلن قيام جمهورية لبنان الجنوبي. لكنه ما لبث أن ترك لبنان وغادر إلى فرنسا كلاجئ سياسي تاركًا الجمل بما حمل لأنطوان لحد ، ومات بباريس عام ١٩٨٤

(٢) أنطوان لحد : اعتبر منطقة نفوذه في الجنوب جزءاً من إسرائيل. وبرغم خدماته وتضحياته في سبيلها، خذلته إسرائيل بانسحابها المفاجئ في مايو ٢٠٠٠ من جنوب لبنان، فهرب بجلده ليعيش ذليلاً بأحد فنادق تل أبيب. أما جيشه المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل، فالبعض حذا حذوه، والبعض الآخر يحاكم بلبنان بتهمة الخيانة.

وعندما ظهرت السيارات عند المنحنى المتفق عليه والمحدد سلفًا، دهش الحراس الثمانية لما رأوه أمامهم فجأة. وقبل أن يتمكنوا من استخدام رشاشاتهم، انطلق وابل من طلقات فريق جوناثان نتانياهو الذي كان مختبئًا خلف بعض الأشجار الجبلية الكثيفة، وقُتل الحراس الثمانية على الفور.. أما الضباط السوريون فلم يصب أحد منهم بسوء.. ولم يتمكنوا من استخدام سلاحهم لأنهم لم يشكّوا للحظة في زملائهم.

واقتيدوا وهم غارقون في ذهولهم إلى داخل المنطقة الإسرائيلية على وجه السرعة، في الساعة الواحدة ظهر ١٥ يونيو ١٩٧٢

(إننا بحاجة إلى عمليات عبقرية نافذة من هذا النوع). هكذا علّق جوناثان مضيفًا: (يجب أن نقاتل أعداءنا في كل مكان، وليس في إسرائيل فقط)[1]

الحرب النفسية

غضب السوريون لخيانة جواسيس العدو الإسرائيلي في الجنوب اللبناني. وبرغم ثقتهم في أن وراء هذه العملية مؤامرة خيانية مرتبة، لم يصعّدوا المشاكل مع اللبنانيين، وتعاملوا مع حادث الاختطاف ببرود أقلق اليهود الذين اعتقدوا بأن دمشق ستقبل بالأمر الواقع: (ثلاثة أسرى) مقابل (ثلاثة مختطفين)

إلا أن القنوات الدبلوماسية الدولية الوسيطة، فشلت في التوصل إلى حل مرضٍ يوافق عليه الطرفين لإنهاء مشكلة الأسرى والمختطفين، واعترفت بأن السوريين غاضبون ويرفضون بشدة مبدأ مبادلة أسرى حرب بمختطفين، ولو كانوا عسكريين.

---

(١) قُتل جوناثان نتانياهو في عملية (عنتيبي) عام ١٩٧٦، وكان ضمن فريق الكوماندوز الإسرائيلي، الذي قام بعملية إنقاذ لرهائن الطائرة الفرنسية المختطفة، حيث أطلق عليه قناص أوغندي أكثر من ثمان رصاصات اخترقت جميعها جسده، وظل ينزف على أسفلت المطار وهو ينتفض لمدة خمس دقائق حتى مات قبلما يتمكن رفاقه من إنقاذه وإسعافه.!!

وبينما يحاول اليهود في دأب وإصرار ، كعادتهم ، ألا يخسروا أو يتنازلوا عن شرطهم مرغمين، أعلنت سوريا رسميًا قرارها واضحًا.. صريحاً :

(إن الموقف السوري لن يتغير، فلا تنازل مطلقاً عن الشروط السابق طرحها، مقابل تحرير الطيارين الإسرائيليين الأسرى الثلاثة).

ليس هذا فقط.. إنما فوجئ الإسرائيليون بما لم يخطر ببال، فعبر الإذاعة السورية، وجه الطيارون الأسرى نداءات متكررة للحكومة الإسرائيلية تطالبها بالتدخل، وكذا رسائل صوتية لذويهم ملأى شجون تحرق الأعصاب وترتج لها المشاعر. وشاهد الإسرائيليون فجأة على شاشات تليفزيون دمشق ولعدة مرات على مدار يومين ، وجوه أسراهم المرهقة الشاحبة، تفيض عيونهم بنظرات الانكسار والأسر والأسى، مع هالات الحزن (التي أجاد رسمها خبير الماكياج).

وأمام هذا المشهد الكئيب بكت الناس في الشوارع.. وتحركت كالأمواج الصاخبة، في تظاهرات شعبية وحزبية إلى مبنى الكنيسيت تهدر بصيحات الغضب مطالبة الحكومة بعدم التعنت، والسعي بإخلاص لتحرير أسراهم الثلاثة من قبضة السوريين.

تحولت القضية بذلك إلى قضية رأي عام، وغضب شعبي كاسح أزعج رئيسة الوزراء جولدا مائير وحكومتها، خاصة بعدما تظاهرت جماعات السلام وأعلنت حملتها ضد الحكومة، معلنة انضمامها إلى الرأي السوري الذي يصر على عدم مبادلة مختطفين بأسرى حرب. وبالكثافة ذاتها نشطت الصحافة كلها تصرخ بلا هوادة.

وأمام التشدد السوري.. وثورة الرأي العام فى أنحاء إسرائيل، خاصة بعد ازدياد ضربات العمليات الفدائية ضد شركة طيران (العال) بقيادة الدكتور جورج حبش، وآخرها وقتذاك عملية مطار روما الدولي في ١٩ أغسطس ١٩٧٢ ، ركعت

عندئذ إسرائيل في ٢٢ أغسطس وأعلنت ، على استحياء ، قبولها الكامل للشروط السورية

تمت المبادلة بواسطة منظمة الصليب الأحمر الدولية، وبينما اعترف طيارو سلاح الجو الإسرائيلي الأسرى لوسائل الإعلام العالمية في إسرائيل بمدى المعاملة المثالية والإنسانية التي عوملوا بها في دمشق، أقر الضباط السوريين الثلاثة بأنهم تعرضوا للتعذيب الشديد طوال (١٣٠) يومًا في إسرائيل. وعرف العالم الفرق الشاسع ما بين المدنية والتحضر والأصالة، ودولة قامت على جثث الأبرياء دستورها الذبح والإجرام والخداع.

هكذا انتصرت سوريا.. وإلى جانب فضيحة العدو الإسرائيلي انفضح ضباط جيش لبنان الجنوبي، الذين باعوا عروبتهم لحماية أمن إسرائيل مقابل ثمن بخس، فأضافوا بفعلتهم سطورًا جديدة للتاريخ الأسود الذي ينوء بخياناتهم حتى ذاقوا مرارة الضياع والتشرد والقهر، عندما انسحبت إسرائيل فجأة من الجنوب اللبناني أمام ضربات المقاومة، وتركتهم يواجهون مصيرًا كالح السواد سواء في لبنان ، أو داخل حدود الدولة الصهيونية العنصرية ، وتلك قصة أخرى.



فضيحة إيلي كوهين في دمشق..!!

انهار منذ اللحظة الأولى لانكشافه، وبدا كالفأر المذعور الذي فقد وعيه لوقوعه في الشرك، حتى أنه بكى ذليلاً راجياً ألا يضربونه لانتزاع اعترافاته.

إنه إيلي كوهين الذي أطلق عليه في إسرائيل سيد الجواسيس، ونسجت الموساد حوله أساطير الدهاء والجرأة لإضفاء صفات الكمال على رجالها..!!

ترنيمة الأمل

لَقَّبته الموساد بـ (سيد الجواسيس) . ووصفته الصحافة الإسرائيلية بأنه (ضحية الغرور).. وصَنَّفته أجهزة الاستخبارات العالمية تحت مسمى (العميل الأكثر ثقة بنفسه).. وهذه الثقة الزائدة هي أفدح نقاط الضعف في العميل الذي يقوم بالتجسس في بلد آخر.. إذ تقوده ثقته المطلقة بمواهبه وقدراته إلى السقوط السريع المدوي

إنه إيلي كوهين أشهر جواسيس الموساد.. جاء من سوريا إلى مصر ومن مصر غادر إلى إسرائيل.. ثم إلى سوريا من جديد جاسوسًا هذه المرة.. لتنتهي حياته هناك على حبل المشنقة.. ويظل جسده هكذا لأربعة أيام حتى انتفخت جثته. وفاحت رائحته النتنة الكريهة قبلما يدفن بمقبرة سرية.. وطوال أكثر من أربعون عاما مازالت إسرائيل تطالب برفاته.. لكن سوريا ترفض.. وبشدة.

فمن هو إيلي كوهين ..؟

تلك حكاية مثيرة جدًا.. نقرأها معًا من البداية

والبداية كانت في حلب.. أكبر مدن سوريا بعد دمشق.. حيث عاش حوفي كوهين الذي عمل بتجارة الملبوسات.. لكن طموحه في التجارة كان محدودًا.. لذلك عاش مع زوجته شاؤولا عيشة بسيطة يتوجه الأمل في حياة معيشية أرحب.. وما كان يتأتى له ذلك من خلال أقمشته التي يبيعها للنساء في قرى حلب.. وما يتكبده من مشقة في السعي والسفر اليومي ليعود إلى بيته مهدودًا. محبطًا.. فتجارة الأقمشة والملبوسات كانت بحاجة إلى رأس مال منفصل لا ينفق منه على البيت والأولاد.. إنما يكون الإنفاق من هامش محدود من الربح الذي يتحصل عليه

وزاد من خنقة الحال لديه أن تجارًا آخرين نزلوا القرى التي يرتادها ببضائع حديثة متنوعة.. فخسر زبائنه أمام المنافسة التي لا قبل له بها. لذلك.. فكر بالنزوح إلى الإسكندرية التي لم يكن قد رآها من قبل.. لكن بعض التجار الذين سافروا إليها وعادوا كثرت حكاواهم عن المدينة التجارية الرائعة. وإمكان العيش بها والاستقرار. ولما فكر بالسفر وحده أولا.. بكت شاؤول ورجته الانتقال معه.. وبعد رحلة سفر طويلة وصل كوهين وأسرته إلى الإسكندرية عام ١٩٢٢.. وعمل أيضا بتجارة الملابس

وفي ١٦ ديسمبر ١٩٢٤[1] ولد ابنه (إيلي) والتحق في سن السادسة بمدرسة (الليسيه فرنسيه) وسط جو اجتماعي مثالي كان التسامح الديني أحد أبرز ملامحه

اهتم إيلي كوهين بالرياضيات وبالعلوم الطبيعية.. وكانت المواضيع الدينية تأتي عنده في المرتبة الثانية.. برغم أن والده حرص على تدينه وتلقينه جذور دينه.. إذ أرسله إلى مدرسة دينية لدراسة التلمود حتى يراه عالمًا من علماء الدين.. لكن إيلي لم تعجبه الفكرة.. وانشغل بالرياضيات مما أغضب والده.

وفي ٥ نوفمبر ١٩٤٤ كان إيلي كوهين تلميذًا في الصف الثاني الثانوي. عندما اغتيل وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الأوسط، اللورد موين[2] ، في

---

(١)عام ١٩٢٤ أيضا عين يوسف قطاوي باشا وزيرا للمالية في حكومة سعد زغلول باشا.. و(قطاوي) أول وزير يهودي في تاريخ مصر الحديث.. ثم شغل منصب وزير المواصلات في حكومة أحمد زيوار باشا عام ١٩٢٥

(٢)جاءت عملية اغتيال اللورد موين ردًا على قتل الإرهابي الصهيوني إبراهام شتيرن بواسطة القوات الإنجليزية في فلسطين. كان شتيرن المعروف بتعاونه الوثيق مع النازيين، قد كشف أسماء عملاء الإنجليز في فلسطين، وساعد على طرد البريطانيين منها. كما اتفق على تشكيل مجموعات دعم للألمان في الشمال الأفريقي تقوم بعمليات تخريب ضد القوات البريطانية. وفي حال تحقيق النصر تساعد ألمانيا اليهود على إقامة دولتهم. وفي الوقت نفسه قامت عصابات الهاجانا بالعمل مع القوات الإنجليزية ضد ألمانيا. وبعد مقتل شتيرن أثناء محاولته الفرار من السجن البريطاني بفلسطين، تولى إسحاق شامير (إيزير تينسكي) القيادة، وهو الذي أمر أفراد عصابته بقتل موين بالقاهرة. وجاء بالمصادر أن شامير تولى رئاسة المنظمة بقتله لغريمه إلياهو جيلانوي، حيث أخذه في جولة صحراوية وعاد بدونه.!!

القاهرة .. وكان الجناة يهوديين (إلياهو بيت زوري، وإلياهو حكيم) أعضاء في منظمة (ليحي)، إحدى المنظمات الصهيونية الإرهابية بفلسطين..

منذ تلك الحادثة تسرب القلق لأول مرة بين اليهود في مصر.. فقد تعاظم حجم الغضب الشعبي، وبين أوساط المثقفين المعادين للحركة الصهيونية

في ظل هذه الظروف انتبه إيلي كوهين لتطورات الأحداث.. برغم عدم اهتمامه بالسياسة من قبل.. لكن حادث كهذا اتهم فيه يهوديين كان مثار انتباهه.. ومع المحاكمة وما تنشره الصحف عنها بدأ يفكر في الشابين وما ينتظرهما من مصير غامض. وكان هذا التفكير بداية اهتمام إيلي بفلسفة الحركة الصهيونية ورغبتها في إقامة دولة عبرية على أرض فلسطين.. حتى أنه تأثر كثيرًا عندما نفذ حكم الإعدام في الشابين في ٢٢ مارس ١٩٤٥.. وترددت حكاية إعدامهما شنقًا بين أوساط اليهود حيث أشيع أن الشابين وهما بطريقهما إلى غرفة الإعدام ظلا يرددان (ترنيمة الأمل) هاتاكفيا[1] وترك هذا الحادث أثره العميق بداخل إيلي كوهين.. وبدأ يقرأ باستفاضة كل ما يتعلق باليهودية وعن حلم دولة إسرائيل، وما تجيئه من أخبار المنظمات الصهيونية في فلسطين التي تسعى لإقامة الدولة . وتحقيق حلم (أرض الميعاد)

عملية سوزانا

خلال تلك الفترة تصادف أن التقى إيلي كوهين بفتاة يهودية اسمها (بولاند جابي) كانت تعمل سكرتيرة بأحد البنوك.. وعضوة بمنظمة الشباب اليهودية المصرية.. فشجعته على الانضمام للمنظمة.. واكتشف إيلي كوهين مدى ارتباطه واهتمامه بتطورات العمل اليهودي في فلسطين.. وأظهر آراء تبين معاناته ورغبته في الهجرة إلى أرض الميعاد.. مظهرًا اهتمامه بالتلمود وتعاليمه وحفظ

---

(١) النشيد الوطني لدولة إسرائيل بعد ذلك .

الكثير من فقراته. إلا أن بولاند حذرته من إعلان رأيه.. وطلبت منه الانتظار في صمت إلى أن يحين الوقت المناسب

وفي عام ١٩٤٦ حصل إيلي كوهين على الثانوية العامة (البكالوريا) والتحق بكلية الهندسة بالقاهرة (جامعة فؤاد الأول) وعمل أيضًا كاتبًا بإحدى الشركات التي يديرها يهود.. حيث أثبت جدارة حقيقية في التحدث بالإيطالية والفرنسية والإنجليزية.

ومع إعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ وخروج إسرائيل منتصرة في حربها مع العرب.. شك المصريون في ولاء اليهود المصريين واليهود الذين يحملون جنسيات أخرى ويقيمون في مصر.. وبدأت أعدادا كبيرة منهم تغادر مصر إلى موانئ وعواصم أوربا ومنها إلى إسرائيل.. وكان من بين الذين هاجروا حوفي كوهين وزوجته وأولادهما. أما الابن الأكبر (إيلي) فقد تخلف عنهم حتى ينتهي من دراسة الهندسة.. إلى جانب اهتمامه بعمله السري في تشجيع هجرة اليهود من مصر.. حيث انضم مع بولاند إلى إحدى الخلايا السرية لتنظيم حركة الهجرة اليهودية من خلال شركة سياحية يهودية بالقاهرة تحمل اسم: جرونبرج تورز.

وفي عام ١٩٥٣ جاء سرًا إلى القاهرة أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية وهو (إبراهام دار) الذي كان يحمل وثيقة سفر بريطانية باسم (جون دارلنج) لتكوين خليتين سريتين من اليهود المصريين في القاهرة والإسكندرية.. واختيار أفضل العناصر لتدريبها في تل أبيب ، حيث كان إيلي كوهين أحد هؤلاء الذين سافروا إلى فرنسا ثم لإسرائيل لتلقي التدريبات المخابراتية على كيفية إعداد المتفجرات واستخدام وسائل وأدوات التجسس المختلفة.. وبعد ثلاثة أشهر تقريبًا عاد إيلي كوهين إلى مصر ثانية في انتظار الأوامر التي سيتلقاها من تل أبيب

ومع التقارب المصري الأمريكي عام ١٩٥٤.. انتاب القلق حكام إسرائيل.. وشرعوا في العمل لهدم هذا التقارب الذي يضر بأمن دولتهم الوليدة.. كذلك تعطيل انسحاب القوات البريطانية من منطقة قناة السويس بعدما أعطى الإنجليز وعدًا بسحب قواتهم من المنطقة الاستراتيجية، بما يعني حصارًا تامًا لحركة الملاحة الإسرائيلية

وبدأت عملية (سوزانا) بتفجير قنبلة بالمكتبة الأمريكية بجاردن سيتي.. وكذلك في القنصلية الأمريكية بالإسكندرية في التوقيت نفسه.. وحدثت انفجارات بصناديق البريد في الإسكندرية لخطأ ما.. وانشغل الأمن المصري بحل لغز هذه الانفجارات التي اتسع نطاقها لتشمل دور السينما بالقاهرة عشية الاحتفال بعيد الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٤ إلى أن أمسك أحد الضباط بشاب أمام سينما ريو بالقاهرة اشتعلت بملابسه النيران فجأة.. ومنذ تلك اللحظة تكشفت مفاجآت مثيرة.. أدت إلى القبض على خلايا شبكة اليهود السرية في القاهرة والإسكندرية.. فقد اعترف الشاب.. واسمه فيليب ناتانسون بأنه يهودي وعضو بحركة الشباب اليهودية.. وكان مكلفًا بعملية تفجير في السينما.. حيث إنه عضو بإحدى الخلايا التخريبية في مصر[1].. وأنه وأعضاء الشبكة يتلقون تعليمات بالمهام من تل أبيب بواسطة الإذاعة العبرية

ألقي القبض على أعضاء الشبكتين وعلى العديد من اليهود في مصر.. وكان بينهم إيلي كوهين.. وبعد محاكمة المتهمين التسعة أفرجت المحكمة في ٢٧ يناير ١٩٥٥ عن ثلاثة.. وعوقب اثنان بالإعدام شنقا وعلى الأربعة الآخرين بالسجن مددا متفاوتة.. وهي القضية التي اشتهرت باسم (فضيحة لافون)، و(سوزانا)، و(الصفقة المخزية) أيضًا.

---

(١) عثر في شقته عند تفيشها على الكثير من الوثائق، بخلاف كمية كبيرة من القنابل والمواد الناسفة، ووجدوا أيضًا غرفة مظلمة مخصصة لتحميض الأفلام احتوت على بعض الأفلام المظهرة، التي أخذت لقطاتها لمنشآت عسكرية وحيوية أخرى، يمكن أن تكون أهدافًا لعمليات تخريب من قبل الشبكة.

بعدها مباشرة أفرج عن بقية المعتقلين بتهمة الاشتباه.. ومنهم إيلي كوهين الذي عاد إلى دراسته وعمله.. لكنه كان شديد الحذر لأن أعين الأمن تراقبه وترصد تحركاته.

وفي أكتوبر ١٩٥٦ حدث العدوان الثلاثي على مصر.. واعتقل كوهين كـإجراء أمني مع عدد كبير من اليهود.. وفي ديسمبر أفرج عنه حيث طُلب منه السفر خارج مصر.. فغادرها إلى إيطاليا في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ على باخرة تابعة للصليب الأحمر الدولي.. وهناك عرف طريقه إلى إسرائيل.

زيارة غامضة

واجه إيلي الواقع المؤلم للحياة في إسرائيل.. وإحساسه المحزن بالعنصرية والإهمال.. فقد نسوا خدماته لهم في مصر وتركوه وحيدا يبحث عن عمل يتعيش منه.. وفي غمرة معاناته تقدم بطلب للعمل بوظيفة (باحث) بوزارة الدفاع.. وقبل طلبه بعد اختبارات مريرة.. وانتظار مرهق.. لكنه كان وقتها يشعر بانهيار معنوي صعب لحاجته إلى المال والسكن.. فمنزل الأسرة الصغير كان لا يتسع لساكن جديد.. مثله

وفي وزارة الدفاع انصب عمله على ترجمة ما ينشر بالصحف العربية إلى للغة العبرية التي تعلمها.. ولأنه أجاد عمله باتقان شديد.. طلب نقله إلى (الموساد) لكن طلبه رفض.. فعاود الكرة مرات ومرات دون جدوى.. واشتد غضبه وهو الجاسوس المدرب والذي يحمل تراثًا ضخمًا من (الوطنية) في خدمة إسرائيل وتهجير يهود مصر إليها . وقدم استقالته ثائرًا ليلتحق بالعمل بإحدى الشركات الغذائية.. وفي عمله الجديد نسى كل ما يربطه بالماضي.. وفكر جديًا بالمستقبل وبالزواج.. وفي رحلة بحثه عن عروس قادته قدماه إلى مستشفى (حداسا) بالقدس لفحص أسنانه.. وهناك انجذب إلى المرضة الجميلة (ناديا)

العراقية الأصل.. وبعد تردد صارحها برغبته بالزواج منها.. ولم تمض ثلاثة أسابيع إلا وضمهما عش الزوجية

هكذا انخرط إيلي كوهين في حياته الجديدة داخل المجتمع الإسرائيلي.. وكان عمله في الشركة الغذائية يضمن له راتبًا معقولاً، لكن تغمره لحظات قلق وهو ينتظر طفلا تكور في أحشاء زوجته

وذات يوم زاره صديق قديم له في وزارة الدفاع.. وتناقش معه حول عمله. عاتبًا عليه تسرعه في تقديم استقالته من عمله كباحث.. وعندما برر له إيلي موقفه. أوضح له صديقه أن طلبه العمل في الموساد كان من الطبيعي أن يرفض.. ذلك لأن الموساد لا تقبل متطوعين.. مهما كان تاريخهم السابق في عمل المخابرات.

بدا إيلي كوهين خلال هذا اللقاء متفائلاً، إذ سأله صديقه عن سجله الأمني في مصر.. وهل يعرفون هناك بأنه عضو بالخلايا اليهودية..؟ فنفى إيلي بشدة أن يكون الأمن المصري على علم بأية نشاطات له، وإلا ما خرج من السجن هناك.

بعدها بأيام زاره صديقه ثانية.. وكانت هذه الزيارة لاستكشاف أعماق إيلي، وعما إذا كانت رغبته في العمل مع الموساد مازالت قائمة أم لا .. فأبدى إيلي رغبته الفورية في ممارسة عمله الاستخباراتي لسابق خبرته وممارسته له في مصر.. وتدريبه لثلاثة أشهر من قبل على شتى وسائل وأساليب التجسس.

هكذا دخل إيلي كوهين جهاز الموساد الإسرائيلي يحدوه الأمل في حياة رغدة آمنة.

وفي أول أيام العمل جلس إلى النقيب (إسحاق زلمان) وسأله

– هل تخاف من الأماكن المظلمة ..؟

– لا.. أبدا

- هل لك ميول جنسية خاصة..؟

- إنني يا سيدي رجل طبيعي ومتزوج وأحب زوجتي

- هل تهب نفسك وروحك للعمل لصالح إسرائيل؟

- وهبت نفسي وروحي لإسرائيل من قبل عندما كنت أعيش في مصر.. ولا شيء عندي أثمن من وطني إسرائيل.. فأنا فداء له.

- أولى مبادئ العمل معنا السرية المطلقة.. والطاعة.. والصدق. فهل أنت واثق من أنك ستخفي طبيعة عملك.. وتكون مطيعًا وصادقًا..؟

- نعم سيدي .. أؤكد لكم أنني واثق

- إذن أنت من الآن عضو في جهاز الموساد.. وسأتولى تدريبك.

- إنه لشرف لي سيدي.. شرف ما كنت أريد سواه.. وستجدني مستعد لتلقي الأوامر والتدريبات من الآن.. وفورًا.

في الموساد

كان إيلي كوهين يدرك تماما أنها فرصته الذهبية.. هيأتها له أعماله السابقة لخدمة إسرائيل في مصر.. وعليه أن يستثمر هذه الفرصة لصالحه. فالفقر كان يطارده كالشبح، والقلق من المستقبل المجهول لا يتراجع. ولم يكن من الممكن أبدا أن يسمح لأية أهواء أن تحول بينه وبين المستقبل المشرق المنتظر فهو لم ينس معاناته في إسرائيل لحظة واحدة، وكيف تعدى الثلاثين من عمره حتى تزوج مؤخرًا، وإن كانت خطوط مستقبله واستقراره مجهولة تحفها غيوم كثيفة.

لذلك - عقد العزم على ألا يتكاسل أو يجبن. فالجسارة في طبعه.. والمكر في دمه.. والخباثة لا تهجر خلاياه.. فما أن تولاه النقيب (زلمان) وشرع في تدريبه.. تملكته الدهشة لذكاء إيلي الحاد.. وانتباهه لدروس الجاسوسية الأولى.. إلى جانب حاسة أمنية عجيبة يمتاز بها. كل ذلك مطلوب في

الجاسوس بالطبع. لكنه كان يتمتع بمواهب أخرى أثلجت صدور مدربيه الذين أسعدهم تمكن إيلي من استعمال أبجدية مورس وأجهزة اللاسلكي الحديثة بسرعة فائقة.

استطاع إيلي كوهين أيضا في فترة محدودة للغاية تعلم صنع المتفجرات من مواد أولية متوافرة في الصيدليات، ونقل إلى أحد المعسكرات حيث برع في عمليات التدمير ونسف الجسور والمنشآت. واتسع برنامجه التدريبي ليشمل فنون المخابرات والطبوغرافيا وتسجيل وتحليل الأخبار. ولم يكن من الصعب عليه بالطبع استعمال المسدس (حيث فشل في استخدامه فيما بعد حينما اقتحم السوريون شقته).

إن الجاسوس عادة ما يستغرق من ستة أشهر إلى عام كامل لتعلم كل أمور الجاسوسية، إلا أن إيلي كوهين تفوق بشكل كاسح على نفسه، وبعد أربعة أشهر فقط تخرج من أكاديمية الموساد جاسوسًا خبيرًا في فنون الجاسوسية بما فيها التمييز بين الأسلحة الشرقية والغربية، يمتلك عدة طرق لفتح الأبواب والأقفال، إلى جانب استعمال الحبر السري في الكتابة، والهرب من المراقبة

نجح بتفوق أيضًا في اختبارات عملية للمطاردة واقتفاء أثر شخص بدون أن يشعر، والتنكر بشخصيات مختلفة معتمدًا على اتقانه عدة لغات أجنبية. وتمهيدًا للاعتماد عليه كجاسوس مدرب، منح جواز سفر فرنسي وتقمص شخصية يهودي فرنسي هاجر إلى إفريقيا.. وفي القدس ظهر بشخصيته الجديدة، وقام باتصالات عديدة مع أشخاص مهمين في القدس منهم مسئول كبير عرض عليه مشاريع مختلفة، وتباحث معه بشأن نقل أمواله من فرنسا إلى إسرائيل. لقد كانت كل خطواته واتصالاته مراقبة. لذلك هنأوه بنجاحه عندما عاد إلى تل أبيب.. ومنحوه إجازة يقضيها مع أسرته استعدادًا لمهمته القادمة خارج إسرائيل

السوري المهاجر

كانت ناديا كوهين في أشهر الحمل الأخيرة، يملؤها القلق لغياب زوجها الدائم.. وبقدر سعادتها بالمستوى المعيشي الرغد الذي وفره لها، إلا أنها تمنت لو أن حياة التقشف عادت ليظل إيلي إلى جوارها.

بكت كثيرا لافتقاده.. ولمحت بوجهه قسمات لم تألفها من قبل. ورجته ألا يغادرها لفترات طويلة لكنه كان يطمئنها، محلقًا بها عبر سحابات من الأحلام والآمال، لكنها ازدادت قلقًا وخوفًا هذه المرة.. فمنذ شهر ونصف لم يذهب إلى عمله، قابع في مكتبه يقرأ ويترجم ويسبح في فضاء لا نهائي

لقد كانت تبكي خفية، فلا بد لهذا السكون المريب من حركة مفاجئة وغياب طويل.. طويل. آلام القلق وخز بلا دم في العروق.. وانتظار المجهول خلط للأعصاب. والخوف وحش جائع ينهش العقل ويمضغ المصير

وعندما رن جرس التليفون في شقتهما الجميلة ذات صباح.. قرأت على وجه إيلي ما كانت تخشاه.. إذ شرع في إعداد حقيبته.. وعانقها مودعًا.. متعمدًا ألا يلتفت إليها حيث كانت واقفة بالباب ملتاعة، بينما تنتظره سيارة مجهولة. أسرعت به إلى مصير مجهول

لقد رصت الموساد ومنذ مطالع الخمسينيات تطور الأوضاع السياسية في البلاد العربية المحيطة بها. وبخاصة في سوريا ومصر.. ولاحظت أن حزب البعث في سوريا نجمه دائمًا في صعود.. وربما يتسلم الحكم عما قريب. وتوقعت أن البعثي القوي العقيد أمين الحافظ – الملحق العسكري السوري في الأرجنتين – تؤهله زعامته وخبرته لتزعم الحزب وتولي قيادته في سوريا.

أما في مصر.. فالأمر جد خطير. فعبد الناصر وزملاؤه تملؤهم الثورية ويفيض بهم الحماس الزائد.. وها هي الأمور تزداد سوءًا في إسرائيل خاصة والوحدة بين مصر وسوريا قد أدمجتهما منذ فبراير ١٩٥٨ في دولة واحدة هي الجمهورية

العربية المتحدة. وترى إسرائيل في هذه الوحدة تهديدًا استراتيجيًا يطبق (كالكماشة) عليها من الشمال والجنوب. لذا.. فقد كان من الضروري مراقبة الأمور في الدولة الاندماجية الجديدة التي يحكمها عبد الناصر ويتحكم في مقاليدها، فزرعت في القاهرة عميلها (يوهان وولفجانج سيجموند لوتز)[1] في ديسمبر ١٩٦٠ ، ولم تجد أفضل من إيلي كوهين لتزرعه في سوريا. (تشاء الظروف أن يسقطا في قبضة المخابرات العربية واحدا تلو الآخر عام ١٩٦٥ - يفصل بينهما ٣٤ يوما فقط)

بدأت مهمة إيلي كوهين أولاً من الأرجنتين، حيث تقمص شخصية سوري مهاجر تسبح بعروقه ثورية العروبة، ويحلم باليوم الذي يعود فيه ثانية لوطنه (سوريا). إنه كامل أمين ثابت..!!

ففي مبنى الموساد أُبلغ إيلي كوهين بالمهمة التي اختير لها. وشرع مدربوه في تلقينه كيفية التعايش باسمه الجديد - كامل أمين ثابت - السوري المسلم الغيور على وطنه. ولكي يتعلم شعائر الدين الإسلامي أعدت له الموساد إقامة في مدينة الناصرة بالقرب من أحد المساجد، حيث طلب من الإمام الشيخ محمد سليمان أن يساعده في الإلمام بأصول الدين ، وخلال فترة وجيزة عرف الكثير عن عادات وتقاليد الإسلام، بالإضافة إلى الصلوات الخمس (رغم ذكائه اعترف بأنه لم يستطع أبدًا حفظ سورة الفاتحة) وبعد ذلك استدعى لتل أبيب حيث أطلعوه

---

(١) ولد لوتز عام ١٩٢١ في مانهايم بألمانيا، لأم يهودية وأب ألماني مسيحي، هربت به أمه إلى إسرائيل وبدلت اسمه إلى زيف جور أرييه، وكلمة زيف بالعبرية تعني وولف.. أي: ذئب. درس في مدرسة الزراعة بتل أبيب ولحبه للخيول أطلق عليه لقب: سوس.. وهي تعني بالعبرية: حصان..أرسل إلى مصر للتجسس عام ١٩٦٠ كألماني خبير في الخيول.. وكان يبث رسائله بواسطة جهاز إرسال يخبئه بكعب حذاء الفروسية.. وفي يونيو ١٩٦١ تزوج من ألمانية شقراء أحبته وعاونته في التجسس واعتقلا في ١٩٦٥/٢/٢٢ وحكم عليهما بالمؤبد، ثم تمت مبادلتهما عام ١٩٦٨ ببعض الأسرى المصريين. الغريب أن لوتز لم يعترف بأنه كان يتجسس لصالح إسرائيل، وظل يؤكد أنه يعمل لصالح المخابرات الألمانية. ولكي يؤكد ذلك خلع ملابسه الداخلية أمام المحكمة، وكشف عورته، ليبين أنه لم يختتن، أي أنه ليس يهودي. وبواسطة هذه الحيلة أنقذ نفسه من الإعدام.

على أحوال المهاجرين العرب في الأرجنتين.. وأبرز الشخصيات العربية والدبلوماسية هناك.. وعرضت عليه عشرات الأفلام والصور عن بوينس آيرس العاصمة.. تضم أشهر شوارعها ومقاهيها ومنتدياتها.. ورسموا له خطوط تحركاته وعلاقاته، وكيفية التقارب مع الجاليات العربية هناك

ولكي تتم تغطية شخصيته[1] التي سيظهر بها في الأرجنتين.. تسلم أوراقا تثبت بأنه من أصل سوري ولد في لبنان وسافر مع والديه إلى مصر حيث استقر بهم المقام في الإسكندرية. ولأنه يحب السفر والمغامرة فقد جاء إلى الأرجنتين عام ١٩٤٧، ومارس التجارة مع عمه ثم انتقل ليعيش في أوروبا عام ١٩٤٩ وأخيرًا قرر العودة مرة ثانية إلى بوينس آيريس.

هكذا غادر إيلي كوهين إسرائيل في ٣ فبراير ١٩٦١ إلى الأرجنتين بشخصيته الجديدة.. يحفه الأمل في تحقيق حلم المجد الذي ينتظره.. عقله مليء بالأفكار.. وذكاؤه الشديد يطمئنه إلى نجاح مهمته لا محالة.

ثورية متدفقة

اختيار الموساد للأرجنتين كنقطة انطلاق لعميلها المدرب لم يأت من فراغ. فهي أبعد نقطة عن أعين المخابرات العربية، بالرغم من وجود حشد هائل من الجاليات العربية بها. هكذا تصورت الموساد، ولكنه الحذر على أية حال. ومن أجل تأمين تغطية سليمة لكوهين لا تترك ثغرة تافهة إلا وسدتها. فظهوره فجأة بين الأوساط العربية هناك قد يثير بعض الشكوك. لذا.. لم تنس الموساد أن تخلق لعميلها ماض وعلاقات وحياة وعمل ومال في أوربا.

---

(١) يطلق على هذه العملية في عالم أجهزة الاستخبارات والتجسس اسم : الساتر أو الغطاء Cover، فلكل عميل يدخل إلى بلد معادٍ بقصد التجسس غطاء أمني يحفظه ويجيد ترديد تفاصيله لفترة طويلة قبل انطلاقه، حتى يتشبع بشخصيته الجديدة تمامًا، تلك الشخصية التي يتقمصها بشكل مثالي لا يكاد يقبل الخطأ.

فما أن وطأت قدماه مطار زيوريخ في سويسرا ، حتى اختفت تمامًا شخصية إيلي كوهين وأوراقه الرسمية.. وحلت محلها شخصية كامل أمين ثابت بأوراقه الموثقة، ولغته السورية وبثوريته وعروبته.. وفي فندق آستور تعرف على بعض العرب وتحدث إليهم بطلاقة، ثم فتح لنفسه حسابا بأحد البنوك السويسرية. ولإحكام خطته وقع اتفاقًا مع رجل أعمال (عميل للموساد) يمتلك شركة تجارية كبرى في شارع هارد، وصدقا على الاتفاق الذي ينص على أن يكون كامل أمين ثابت ممثل للشركة في الأرجنتين. هكذا تمت تغطية شخصيته في أوربا

ومنذ وصوله إلى الأرجنتين عمد رجل الموساد إلى السكن بمنأى عن العرب، حيث استأجر مدرسة تعلمه الإسبانية الدارجة، وبسرعة البرق كانت درجة استيعابه، فأسرع عندئذ بالاختلاط بالعرب المهاجرين والظهور بأماكن تجمعاتهم بحي (كال توكوراي).. مدعيا بأنه وكيل لشركة تجارية كبرى. وهكذا امتزج عميل الموساد بالعرب خاصة السوريين منهم.. متخفيًا وراء شخصيته الجديدة.

بدأ إيلي كوهين ينفق بسخاء على النشاطات السورية حتى اشتهر بين السوريين بالثوري السخي، ساعيًا لتوطيد علاقاته بالمقاولين الأثرياء الذين تربطهم علاقات قوية بالدبلوماسيين السوريين ورجال الصفوة، ليتعرف من خلالهم إلى عبد اللطيف الخشان رئيس تحرير مجلة (العالم العربي) التي تصدر باللغة العربية في بوينس آيرس.

اندهش الخشان للثورية المتدفقة والمشاعر القومية العظيمة عند كامل أمين ثابت.. فسمح له بكتابة مقالات طويلة في المجلة، بل أنه سعى مسرورًا لتقديمه إلى أصدقائه من الدبلوماسيين والشخصيات الرسمية في السفارات العربية. كان من بينهم بالطبع – العقيد أمين الحافظ – الملحق العسكري بالسفارة السورية.

أثار ظهور كامل أمين ثابت فجأة في الأوساط العامة انتباه رجل مخابرات سوري في الأرجنتين، احتار في أمر هذا الشاب المتحمس ذو القدرة العجيبة على اكتساب ود وصداقة من حوله، بما يثيره من أشجان تفيض بالمعاناة من الغربة الطويلة، وحديثه الدائم عن رغبته في العودة مجددًا إلى سوريا. فأرسل رجل المخابرات إلى (المكتب الثاني) في دمشق، وهو جهاز المخابرات السورية، معلومات عن كامل أمين ثابت طالبًا التحري والاستيضاح. وكانت شكوك الضابط السوري نابعة من محاولات الموساد الدائمة اختراق المجتمعات العربية في الأرجنتين.. واضعًا نصب عينيه عملية خطف الزعيم النازي (إدولف آيتشمان)[1] من بوينس آيرس إلى تل أبيب في مايو ١٩٦١.

وحسبما تم الترتيب له ، جاءت التحريات من دمشق لتؤكد بأن أمين ثابت سوري الأصل. مسلم.. عاش في لبنان وتزوج من لبنانية تدعى (سعيدة) أنجب منها ابنه (كامل) وابنته (عينة) التي ماتت وهي طفلة صغيرة، ولازم سوء الحظ الأسرة فهاجرت إلى مصر وفي الإسكندرية قضى كامل أمين ثابت شبابه، حيث احتفظ أبوه بجنسيته السورية التي أورثه حبها حتى أنه انتزع منه وعدًا وهو على فراش الموت بأن يعود يومًا لسوريا.

وفي نادي الإسلام – وهو النادي الاجتماعي الشهير للعرب في بوينس آيرس– اشتهر اسم كامل أمين ثابت الذي لا يكف عن الحديث عن سوريا. فقد كان يعرف أن أكثر ما يحبه السوري المهاجر هو الحديث عن وطنه الأول، وعن العودة إليه يوما ما بعد هجرته الطويلة.

تلك النبرة الوطنية المتحمسة، وإلمامه بإدارة الأعمال جعلت من كامل أمين ثابت شخصية عامة، فكانوا لذلك يدعونه لحفلات السفارة السورية ، خصوصًا، مع ما أشيع عنه من ثراء وصلات في أوربا وأمريكا الجنوبية .وعندما

---

(١) جاءت تفاصيل عملية اختطاف آيتشمان بالجزء الأول من (حراس الهيكل).

ساقه الحظ في إحدى الحفلات لمقابلة العقيد أمين الحافظ ، أدار (أسطوانة) الوطنية المفتعلة ، فجذب الرجل إليه متأثرًا بحماسه وقال له :

(ليس من واجبي أن أحدثك في السياسة ولكني أعتقد أن من مصلحتك أن تنضم لحزب البعث[1]. فعما قريب سأنهي مهمتي في بوينس آيرس، وسأعود إلى سوريا ليكون لي دور في سياسة بلادي. فلماذا لا تأتي معي؟ إننا بحاجة لرجال بمثل وطنيتك وثقافتك وخبرتك)

أجابه كامل :

(سيدي القائد.. لو كنت مكانك لفعلت نفس الشيء.. ومن يدري.. فربما وجدت الشجاعة يوما لأحتذي بك، وأسير في نفس الدرب).

ولم يكن أحدهما يدري في تلك اللحظة، أن أمين الحافظ سيصبح رئيسًا للجمهورية السورية خلال وقت قريب.

العودة إلى تل أبيب

كان إيلي كوهين يبعث بتقارير مفصلة إلى الموساد عن مراحل تقدمه وانخراطه في الجالية السورية. وبعد مضي ثمانية أشهر رأت الموساد أن هذه المدة تكفي. فأوعزت إليه أن يستعد للمرحلة التالية في مهمته. حينئذ.. أعلن إيلي كوهين للمحيطين به نبأ استعداده للسفر إلى سوريا. فحمَّلُوه خطابات إلى ذويهم هناك، يطلبون منهم مد يد العون له وتسهيل إقامته في سوريا. وأقاموا له

---

(١) أسس حزب البعث ميشيل عفلق، وهو سوري غادر دمشق إلى بغداد للإقامة إلى جوار صدام حسين، لكن صدام غدر به وحدد إقامته ثم قتله. والدرجات الحزبية هي: مؤيد، نصير، نصير متقدم، عضو مرشح، عضو، عضو فرقة، عضو شعبة، عضو فرع، عضو قيادة قطرية، عضو قيادة قومية. وفي الظروف العادية لا يرتقي البعثي من درجة إلى درجة بالتقادم الزمني، بل هو مطالب بتقديم خدمات متميزة تقنع القيادة الحزبية بأهليته للصعود إلى درجة أعلى. وغالبًا ما يستغرق الصعود من درجة إلى درجة حزبية أعلى مدة طويلة، قد تصل أحيانًا لسنوات. وقد يقضي البعثي حياته كلها في درجة واحدة.

حفل وداع في النادي العربي قبلما يغادر بوينس آيرس إلى لندن، ومنها إلى زيوريخ حيث تسلم جواز سفره الإسرائيلي وطار إلى تل أبيب.

مكث يومان في مبنى الموساد يحلبون منه الأخبار والأسرار ، بعدها انصرف إلى أسرته انتظارًا لسفره الحاسم المثير إلى سوريا. استقبلته ناديا غير مصدقة وعلى ذراعها طفلتهما ذات الستة أشهر. ولزم البيت كالمرة السابقة يقرأ ويترجم بينما ناديا يأكلها الخوف والقلق لعلمها أن فراقًا طويلاً ينتظرهما.

كان إيلي كوهين أكثر ثقة في قدراته بعدما أتم المرحلة الأولى من مهمته بسلام. واثقًا تمام الثقة من نجاحه الأكيد في سوريا. أما في جهاز الموساد فقد وضعوا الخطوط الرئيسية لعميلهم القادم في سوريا بناء على ما استخلصوه منه من معلومات، حيث كان على إيلي كوهين أن يمر بدورة تدريبية أكثر أهمية أثناء وجوده بينهم. لذلك استدعى على عجل وأعيد إلى نفس المبنى الذي تدرب فيه من قبل لأول مرة ، وعرضت عليه عشرات الأفلام لمدينة دمشق وأشهر شوارعها ومبانيها وفنادقها.. وكذا عشرات الصور لطائرات ميج ١٧ ، ١٩ السوفييتية، كما تدرب على أحدث ما لدى الموساد من أجهزة لاسلكية، وازدادت سرعة إرساله بالمورس إلى مائة كلمة في الدقيقة.

لقد استمع باهتمام إلى خبراء الموساد الذين علموه كيفية التعامل مع السوريين، والالتحام بهم من خلال حزب البعث ورجالاته، وعلى رأسهم (اللواء) أمين الحافظ الذي عاد إلى سوريا ويمارس نشاطه السياسي من موقعه على رأس حزب البعث.. حذره خبراء الموساد أيضًا من التهور والمخاطرة في سبيل الحصول على أي معلومة.. فقط عليه بالتريث فالمعلومات ستنهال عليه من تلقاء نفسها إذا ما وطد علاقاته بكبار رجال الدولة خاصة الضباط العسكريين منهم. ومن خلال أموال الموساد التي سينفقها عليهم سيكون الأمر أكثر سهولة وهدوءًا.

حذروه أيضًا من العلاقات النسائية الخاصة. فالسوريات عرف عنهن الجمال الأخاذ.. إذ قد توقعه إحداهن في حبها فيعجل ذلك بسقوطه. ومن جملة ما لفتوا انتباهه إليه، اختيار مواعيد معينة جرى الاتفاق عليها لبث رسائله اللاسلكية كل أسبوع والتشديد في التنبيه بعدم المغامرة ببث رسائل متلاحقة - مهما كانت أهمية الخبر - قد تؤدي إلى التقاطها من قبل أجهزة الأمن، وبالتالي تتبع الذبذبات وانكشاف أمره في النهاية. وبعد هذه الدورة المكثفة عاد إيلي كوهين إلى زوجته ينتظر أمرًا بابتداء مهمته الخطيرة في سوريا.

الاستعداد للتحرك

انقشعت مساحة من سحابة الخوف لدى قادة الموساد عندما حدث الانفصال بين مصر وسوريا في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، إثر انقلاب عسكري تولى فيه العسكريون الحكم في سوريا. وأعقب هذا الانفصال خروج الضباط المصريين ورجال المخابرات المصرية من سوريا. إذ كان وجودهم بدمشق أمر يخيف إسرائيل ويسبب لها القلق.. فهم وعوا أساليب العمل المخابراتي وحيله.. ولديهم خبرة كبيرة في أساليب مكافحة الجاسوسية والإيقاع بالعملاء والجواسيس. أما وقد غادروا سوريا فالساحة إذن خالية للعب. ولانتشار عملاء إسرائيل بها يحصون الأنفاس وينقلون الأخبار. كما ستتاح أكبر فرصة لعميلهم إيلي كوهين كي يزرع ويترعرع في بيئة جديدة خصبة تناسب قدرات عميل مدرب مثله. لقد وافقوا من قبل على التريث بعض الوقت قبل بدء المرحلة الثانية في مهمة إيلي كوهين.. لكن الآن.. لم تعد هناك ضرورة للانتظار.. فالظروف السياسية والأمنية في سوريا باتت مناسبة تمامًا للمهمة الخطيرة.

استدعى إيلي كوهين مرة أخرى. وفي مبنى خاص ملحق بجهاز الموساد تعلم كيفية استخدام أدوات النجارة.. وحيل إخفاء الأفلام داخل تجاويف الأثاثات

الخشبية بعدما يقوم بتحميضها. أيضًا كيفية التعامل مع المشغولات الخشبية اليدوية المطعمة بالصدف لحشو بعض تجاويفها بالصور والمستندات والخرائط. وكذلك .. طرق إخفاء إيريال جهاز الإرسال اللاسلكي[1] الذي يختلف كلية عن إيريال الراديو والتليفزيون. كما تمرن على التصوير باستخدام كاميرا صغيرة للغاية تلتقط ١٨ صورة، ابدعت في ابتكارها عقول خبراء المخابرات. وبعد هذا الكم الهائل من الدورات التدريبية في فنون التجسس التي أجادها كوهين، اطمأنوا إلى عميلهم الثمين المدرب.

وفي الأول من يناير ١٩٦٢ أطلقوه من تل أبيب قاصدًا سوريا.. مارًا بميونيخ.. حيث تسلم هناك جواز سفره الأرجنتيني.. وتقمص من جديد شخصية كامل أمين ثابت السوري الوطني الذي يسعى إلى وطنه الأول – سوريا– كما تسلم أيضا تحويلا بنكيا باسمه من بنك التجارة الألماني بمليوني ليرة سورية إلى البنك التجاري السوري بميدان الحريقة بدمشق.

وبعد أربعة أيام في ميونيخ طار إيلي كوهين إلى روما.. وبالقطار إلى ميناء جنوا (نفس الميناء الذي أبحر منه إلى إسرائيل في مارسل ١٩٥٧، بعدما طرد من مصر) وفي فندق ريناتشي قبل إبحاره لإسرائيل بيوم واحد، زاره أحد عملاء الموساد متخفيا بزي عربي. وسلم إيلي كوهين جهاز إرسال لاسلكي صغير جدًا تمت تخبئته ضمن عصارة فواكه كهربائية. أما الهوائي فكان على شكل ناقل كهربائي لماكينة حلاقة، وبين أغراضه كانت هناك أيضًا كاميرا صغيرة لا يتعدى وزنها مائة وخمسون جرامًا.. إضافة إلى كيس يحوي مواد كيماوية تستخدم في المفرقعات وتحميض الأفلام وتثبيتها. بجانب زجاجة الحبر السري التي تحمل اسم دواء للسعال، وعدة كبسولات شديدة السُّمية لأعدائه وله عند اللزوم. خبأ كوهين أدواته بحرفية زائدة.. وابتدأ رحلته الخطيرة.

---

(١) أغلب الجواسيس الذين تم ضبطهم في مصر، كانوا يخفون هوائي اللاسلكي بين شجيرات الأزهار في شرفات بيوتهم، وقلة منهم استخدموا سطح البيت لإخفائه.

وعلى السفينة الإيطالية (أوزونيا)[1] في العاشر من يناير ١٩٦٢ – أبحر الجاسوس المغامر في طريقه إلى بيروت. وكان معه على ظهر السفينة (ماجد شيخ الأرض)[2] أحد الشخصيات السورية المرموقة، الذي سهل لكوهين فيما بعد دخول سوريا من لبنان دون تفتيش

إيلي في دمشق

تنفس إيلي الصعداء بعدما تسلم جواز سفره من الضابط السوري على الحدود، وأوصله رفيقه ماجد إلى أحد الفنادق في دمشق وتركه لحاله، فقد كانت لكل منهما مهمة يسعى إليها، ولكل طريقه المغاير. وما إن استقر إيلي بالفندق بضع ليال، قام أثناءها باتصالاته بأقارب أصدقائه في الأرجنتين، حتى تخيروا له شقة سكنية رائعة بحي أبو رمانة الراقي[3]، أثثها إيلي كوهين بأفخر الأثاثات والمفروشات.. بما يتناسب وشخصيته الثرية ذات البريق. ثم بحث بنفسه عن شقة أخرى تصلح مكتبًا له وجدها أخيرًا بشارع معاوية بالقرب من ميدان الحريقة.

وفي إحدى الصحف نشر إعلانًا (كبيرًا) يطلب سكرتيرة لشركة (ثابت) للاستيراد والتصدير. ومن بين عشرات المتقدمات اختار إحداهن وهي (ريتا الخولي) التي لفتت انتباهه بجمالها الأخاذ وتحررها الزائد عن الحد. إذ وجد فيها ضالته حيث ستساعده فيما بعد في مهمة توطيد علاقاته بكبار الشخصيات، واستدراجهم لمستنقع موحل معد لهم. لذلك قرر لها راتبًا (مغريًا)

---

(١) جاء ببعض المصادر أن اسم السفينة أوستيريا Osteria، أي المضيفة.

(٢) تردد فيما بعد أن هذا اللقاء الذي بدا عفويًا، كان بترتيب مسبق مع ماجد شيخ الأرض عميل الموساد الخفي في سوريا.

(٣) يقطن بحي أبو رمانة أغلب الأثرياء ورجال السلك الدبلوماسي، وقالت المصادر الإسرائيلية أن شقة كوهين كانت بالطابق الرابع وتشرف تمامًا على مباني هيئة أركان الجيش السوري.

يفوق الرواتب المعروفة في ذلك الوقت، متعمدًا إغراقها في بحر من المال لا تستطيع الخروج منه، ومتحاشيًا قدر الإمكان وحسب الأوامر المعطاة، ألا تربط بينهما علاقة خاصة أبدًا.. قد تقوده دون أن يدري إلى طريق مسدود ونهاية مأساوية.

كان إيلي أيضًا قد ارتبط بعلاقات مع بعض أصحاب ورش النجارة والموبيليات، وتعاقد معهم على تصنيع أثاثات يقوم بتصديرها إلى روما[1]، وما هي إلا أيام إلا وكان مكتبه خلية عمل لا تتوقف وعلاقاته تمتد وتتشعب إلى كافة الشخصيات. جاء هذا في وقت كانت فيه سوريا تعاني من اهتزاز مقعد الرئاسة لكثرة الانقلابات العسكرية، والزج بالعسكريين في السجون.

فمنذ أوائل الخمسينيات، كبلدان أمريكا اللاتينية، غدت سوريا مسرحًا لانقلابات عديدة كانت تشل حركة النمو والتطور وتقضي على حالة الأمن والاستقرار، ففي مارس ١٩٤٩ وقع الانقلاب الأول بقيادة حسني الزعيم، الذي انقلب على حكومة شكري القوتلي ووضع رجالات الحكم في سجن (المزة) الرهيب، ثم وقع انقلاب آخر في أغسطس ١٩٤٩ قام به العقيد سامي الحناوي قتل فيه الرئيس حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي بالقرب من سجن المزة، وفي ديسمبر ١٩٤٩ انقلب أديب الشيشكلي على حكومة الحناوي وهرب الأخير إلى لبنان فطارده الشيشكلي حتى قتله هناك

حكم الشيشكلي سوريا كديكتاتور متعطش للدماء، إذ أقصى المدنيين عن الحكم وشل سلطة القضاء ومد نفوذ المخابرات العسكرية إلى جميع مرافق الدولة وانقلب على أستاذه أكرم الحوراني وزج بأعوانه في السجون إلى أن انقلب على

---

(١) لم يضيع عميل الموساد وقته في دمشق. إذ استغل عملية تصدير الأثاث إلى خارج سوريا في حفر مخابئ سرية داخل بعض القطع، ملأها بالتقارير والأفلام الصغيرة. كان إيلي كوهين قد برع في انتقاء التحف الشرقية، والمصنوعات اليدوية، والموبيليات الدمشقية المزخرفة والمزينة بالصدف، وطاولات الزهر، وكانت في أغلبها تمثل مخابئ لمواد التجسس لا تثير انتباه رجال الجمارك في سوريا.

الشيشكلي ضباط بعثيون بمساعدة جماعة أكرم الحوراني، فأعادوا في مارس ١٩٥٤ السلطة للمدنيين شكلاً وبقيت بيد المخابرات فعلاً، وفر الشيشكلي متنقلاً بين الدول إلى أن قتله شاب سوري درزي في أمريكا اللاتينية انتقامًا لهجماته بالمدرعات على الدروز[1]. وجاء الانقلاب الانفصالي في سبتمبر ١٩٦١ (بقيادة الضباط حيدر الكزبري وعبد الكريم النحلاوي وموفق عصاصة وآخرين) الذي حطم آمال العرب والمسلمين بتحطيم الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا ثم انقلب الانفصاليون على أنفسهم في مارس ١٩٦٢.. (بعد وصول إيلي كوهين إلى سوريا بعدة أيام).

هذا.. وقد جرت خمسة انقلابات أخرى منذ وصل كوهين لسوريا حتى سقط عام ١٩٦٥، أحدها قام به اللواء أمين الحافظ[2] صديق إيلي كوهين المقرب، حتى أن السجين كان يلتقي مرارًا في السجن بالشخص الذي أمر بسجنه، فقد

---

(١) قاد الدروز من أبناء سلطان الأطرش حركة انتفاضة ضد الشيشكلي في سوريا، مما أدى إلى اعتقال العديد من زعماء الدروز، وأدت محاولة الإفراج عن المعتقلين بالقوة إلى صدام مسلح بين الدروز والشرطة، فأرسلت الحكومة عددًا من الوحدات العسكرية إلى المناطق الدرزية فانتقل بعضها إلى جانب الأهالي. فقام الجيش بهجوم ساحق أواخر ديسمبر ١٩٥٣ هدم خلاله عددًا من القرى الدرزية، فهرب سلطان الأطرش. ومن بيروت دعا مائتين من زعماء العائلات الدرزية الشعب السوري للإطاحة بالشيشكلي، مما عجل بالثورة على الديكتاتور المتعطش للدماء، الذي اعتقل الآلاف من أفراد الشعب والجيش والشرطة، ووضع رئيس الجمهورية السابق هاشم الأتاسي تحت الإقامة الجبرية، وأعلن حالة الطوارئ في العديد من المدن السورية، منصبًا نفسه حاكمًا عسكريًا حتى أطيح به في مارس ١٩٥٤.

(٢) أمين الحافظ: بعثي سوري اشترك في ثورة ٨ مارس ١٩٦٣، فرقي إلى منصب لواء وعين وزيرًا للداخلية. وفي ١٣ مايو ١٩٦٣ تشكلت حكومة جديدة شغل فيها أمين الحافظ منصبي وزير الداخلية ونائب رئيس مجلس الوزراء. وعندما استقال وزير الدفاع زياد الحريري من منصبه في ٩ يوليو ١٩٦٣ تحول المنصب الشاغر إلى أمين الحافظ. وفي ٢٧ يوليو ١٩٦٣ استقال القائد العام للقوات المسلحة لؤي الأتاسي، فتحول المنصب أيضًا إلى أمين الحافظ، بالإضافة إلى منصب رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة. وبعد ثلاثة أشهر ونصف (١١ نوفمبر) تشكلت أول حكومة بعثية سورية وكانت برئاسة اللواء أمين الحافظ، الذي انتخب في ١٤ مايو ١٩٦٤ رئيسًا للمجلس الرئاسي (رئيس الجمهورية)، وشهدت الساحة السياسية والشعبية السورية في عهده الكثير من الاضطرابات، حتى أطيح به في انقلاب عسكري في ٢٣ فبراير ١٩٦٦، وزج به في سجن المزة. (الصراع في سوريا، بيير بوداجوفا. ترجمة ماجد علاء الدين. دار المعرفة - دمشق ١٩٨٧).

التقى عدد كبير من رؤساء الجمهوريات ورؤساء الوزارات والوزراء والنواب وقادة الأحزاب ورجال الفكر والصحافة جميعًا في سجن المزَّة على فترات متقطعة متعاقبة، فبدا الأمر مضحكًا.. مبكيًا في ذات الوقت.

وسط هذا الجو غير المستقر تواجد إيلي كوهين في سوريا وكانت عملية زرعه ناجحة تمامًا. فالظروف كلها اتجهت لصالحه وليست ضده وكان عليه أن ينتهزها دون خوف أو كسل.. خاصة.. وقد وطد علاقاته بصفوة المجتمع. فاندس بيسر بينهم تحيطه هالة من ثقة وأمان، تعاونه ريتا مبهورة به وبوظيفتها وبراتبها الضخم، فتربط بينه وبين من يريد بصداقة سريعة قوية، وتتنازل أحيانًا كثيرة من أجل تعميق علاقاته، طمعًا في مزيد من المال الذي لا يبخل به كلما أجادت.. ومنحت.. وأطاعت.

في حزب البعث

رأى إيلي كوهين في حزب البعث وسيلته لدخول المجتمع السوري الرفيع من أوسع أبوابه، واعتمادًا على صديقه اللواء أمين الحافظ رئيس الحزب، كرس الكثير من وقته لخدمة الحزب بثورية مدهشة، فازداد بسبب حماسه قربًا من أمين الحافظ وقيادات الحزب المختلفة، حتى أطلق عليه لقب (المهاجر العائد)، وانبرى الجميع في خدمته وتسهيل نشاطاته التجارية.

أما هو فقد تفانى بشكل آخر على خدمتهم. إذ سهل للصفوة منهم مقابلات خاصة جدًا مع سكرتيرته الرائعة الجمال داخل مكتبه أو شقته، وأغدق عليهم بالمحظورات التي تفرضها تقاليد مجتمع مسلم لا يبيح نزوات الرجل المتزوج ولا يقرها. وفي ٨ مارس ١٩٦٣ وقع انقلاب عسكري استولى فيه العسكريون البعثيون على الحكم في سوريا، وشكلوا مجلس قيادة ثورة عين فيه اللواء أمين الحافظ وزيرًا للداخلية ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء. ومنذ تلك اللحظة. أحس

إيلي كوهين بقدر كبير من الثقة، وواصل عمله التجسسي يحفه الهدوء النفسي والاطمئنان.

كانت الموساد قد بثت رسالة إلى كوهين تستدعيه لتل أبيب. وقبل سفره زار اللواء أمين الحافظ في مكتبه بوزارة الداخلية يستأذنه في السفر إلى أوروبا لإنهاء بعض أموره التجارية والمادية، وودعه الوزير بحرارة راجيًا منه ألا يتغيب كثيرًا في أوروبا. وسأله إيلي عن هدية معينة يود جلبها إليه فضحك الوزير ممتنا وقال له: (وجودك بيننا أعظم هدية)

وقبل أن يتجه إيلي إلى المطار، أغلق شقته جيدا.. وأخفى جهاز اللاسلكي والكاميرا وأدوات التجسس التي بحوزته في (سيفون) الحمام بعد إفراغه من المياه. طار بعد ذلك إلى روما ومنها إلى ميونيخ لتسلم جواز سفره الإسرائيلي. ورأسًا اتجه إلى تل أبيب ليستقبلوه استقبالاً حارًا وفي مبنى الموساد كان بانتظاره فريق من الضباط بحاجة ماسة إليه.

سبع ساعات كاملة انكبوا عليه يسألونه فيجيب. أطلقوه بعدها ليذهب لأسرته بينما يحللون هم كل كلمة نطق بها، ويضعون الخطط اللازمة للمرحلة المقبلة. وبينما إيلي ينعم بإجازته وسط زوجته وابنته الصغيرة، أخبروه باعتلاء صديقه اللواء أمين الحافظ مقعد الرئاسة في سوريا. لذلك.. كان عليه أن يحزم حقائبه للسفر فورًا إلى دمشق.

في قصر المهاجرين

لا تملك (ناديا) كوهين سوى دمعها كلما جاء إيلي في إحدى إجازاته. يقينا كانت تدرك أن وراء غيابه الطويل سرًا خطيرًا لكنها دائمًا تحترم رغبته في ألا تسأله عن شيء.. تتعارك بداخلها مشاعر الخوف عليه وتنقلب وحشًا ينهشها، فلا تجد مفرًا من الصمت.. والبكاء. لكن هذه المرة.. لم تستطع أن تتمالك نفسها أو تصمت كدأبها. إذ أنقض عليها كالصاعقة جبل ضخم من الهموم

فارتعبت خائرة بين يديه ترجوه ألا يسافر.. وتشبثت طفلتـه الصغـيرة بركبتيـه صارخة، فما حَرَّك عاطفته صراخ أو رجاء.. فأمامـه نـداء أقـوى يسـلب إرادتـه ويدفعـه غصبًـا عنـه لتلبيتـه. إنـها الرغبـة الكاملـة في التحـدي.. والمغـامرة.. والوطنية، مهمة مقدسة يجب ألا يؤخرها أو يتخاذل في سبيل تحقيقها، مهمـة نسى أمامها أمر أسرته وانشغل بالقادم المجهول.. ومن ميونيخ عاد مرة أخـرى إلى سوريا يحمل حقيبة خاصة بها هدية ثمينة

انتصب حرس بوابة قصر المهاجرين في دمشق لتحيـة الرجلـين الجالسـين في خلفية السيارة الرسمية السوداء، التي دخلت ببطء ساحة المقر الرسمـي لرئيـس الجمهورية ، وبعد دقائق استقبل الرئيس أمين الحافظ القـادمين بحفـاوة بالغـة واصطحبهما لمائدة الطعام وسط حشد هائل من السـفراء وكبـار قيـادات الجيـش السوري.

كان الرجل الأول هو سامي الجندي وزير الإعلام، والثاني نجم نجوم صفـوة المجتمع السوري كمال أمين ثابت أو.. إيلي كوهين.

يومها.. أصر أمين الحافظ على أن تؤخذ له معه صـورة رسميـة أحـاط فيـها كتفه بذارعيه وعرفه بضيوفه قائلا لهم

– (هذا الشاب ساقته وطنيته ليترك أعماله المزدهرة في أوروبا وأمريكا ليعمـل في سوريا في مناخ اقتصادي صعب).

صافحه الضيوف وهنأوه.. وانفرد إيلي كوهين بالرئيس بعـد ذلـك، وجـاءت زوجته ليهديها كوهين معطفًا ثمينًا من الفراء.. فتشكره بحفاوة ولا يملـك إيلـي إلا أن يقول: (سيدتي..هذه هدية متواضعة)، ولكن هذه الهديـة كلفـت الموسـاد ألف دولار

وذات ليلة ، لاحظ إيلي كوهين أمرًا عجيبًا في مبنى القيـادة العامـة للقـوات المسلحة السورية الذي يقع أمام منزله مباشرة. فبث رسالة عاجلة للموساد قـال فيها:

- (المبنى مضاء لساعات طويلة ليلاً، وهناك حركة متزايدة لسيارات كبار الضباط المترددين على المبنى، ومن المرجح أن تكون هناك تحركات سورية عسكرية تجاه الحدود، يواكب ذلك زيادة الحملة الإعلامية المعادية لإسرائيل وللصهيونية وتحركات حربية في الشوارع.).

اهتمت الموساد بالرسالة الخطيرة، وبعد ٢٤ ساعة أكدت مراكز المراقبة الإسرائيلية عند بحيرة (جاليلي) صدق الرسالة، فقد كانت هناك بالفعل تحركات مدرعة بالقرب من قاعدة (نوكيب) فشنت إسرائيل هجوما عليها ودمرتها في عملية (إجهاض وقائية).

وشاءت الظروف أن يلتقي إيلي كوهين بالملازم أول (معزى زهر الدين) وهو ابن شقيق اللواء (عبد الكريم زهر الدين[1]) وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان القوات المسلحة السورية، وبدافع فضول (وطني) أبدى كامل ثابت رغبته في الاطمئنان على الوضع العسكري لقوات بلده وتحصينات الجيش على الحدود مع العدو أيضًا مشاهدة الاستعدادات العسكرية الكفيلة برد هجوم إسرائيلي محتمل على الأراضي السورية. أفاض معزى زهر الدين في سرد التفاصيل العسكرية، موضحًا شروحه لصديقه الذي بدا متغابيًا برسوم كروكية لخطوط الجبهة وأسلحتها وتحصيناتها ومواقعها وقواتها.

هكذا انفتح بئر المعلومات الثمين عند الملازم أول المندفع، والذي كثرت زياراته لمكتب إيلي كوهين ليفوز بابتسامة سكرتيرته السحرية ممنيًا نفسه أن يفوز ذات مرة برشفة من ينبوع حسنها الفتاك. ولما كان إيلي يدرك ذلك.. فقد أمر (ريتا) بألا تمنحه سوى الدلال.. ليظل هكذا أسيرًا لرغبته.. يتطلع لنيل مأربه باستمرار تردده على المكتب.

---

(١) في ١٦ أبريل ١٩٦٢ شغل اللواء عبد الكريم زهر الدين منصب وزير الدفاع، واحتفظ لنفسه بمنصب القائد العام للجيش والقوات المسلحة، وأطيح به وبالرئيس ناظم القدسي في انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣، وتولى منصب وزير الدفاع رئيس الجمهورية الجديد لؤي الأتاسي.

فبعد كل زيارة له كان عميل الموساد يسارع إلى شقته ويغلق الباب جيدًا مسدلاً الستائر الثقيلة ليختفي كمال أمين ثابت تمامًا ويحل محله إيلي كوهين، حيث يبعث برسائل سريعة مختصرة بواسطة جهازه اللاسلكي الصغير الذي أخفاه في النجفة الكريستال الكبيرة المعلقة في حجرة مكتبه، وبواسطة الإيريال الذي وضعه بين الزهور وأشجار الياسمين الهندي في شرفته[1]، لم يعد بحاجة لإعادة بث رسائله مرة ثانية

جاسوس على الجبهة

في أحد الأيام.. دعا صديقه معزى زهر الدين إلى حفل عيد ميلاده بشقته. وقبل الشاب الأغر الدعوة على الفور بعدما أخبره إيلي أن ريتا ستكون هناك. هذه المرة كان إيلي يطمع في المزيد من المعلومات بشكل آخر، وكان لابد من (تحية) زهر الدين تحية تتناسب مع أهميته. حيث كانت أوامره لسكرتيرته أن تكون (لطيفة) قدر الإمكان بالضيف الغارق في حبها. وعندما ألمحت له ريتا بأنها أعطته (بعض) ما يريد.. انتهزها عميل الموساد فرصة ذهبية ثمينة، وطلب منه أن يساعده في الاطمئنان بنفسه على استعدادات قوات بلده المسلحة على الحدود، وحدثه بلهفة قائلا:

-إنني بذلك سأزداد ثقة في قواتنا.. وسأتكلم بحرارة في الإذاعة السورية عن قوة جيشنا ودفاعاتنا، وبذلك ستكون انفعالاتي أقوى آلاف المرات لأنني رأيت بنفسي كل شيء بدلاً من الكلام الإنشائي الذي يخلو من الإحساس بالواقع

أمام النبرة الوطنية الحماسية ، ورغبة في عدم حرمانه من قطوف اللذة، وافق زهر الدين على تحقيق رغبة الثوري الوطني كامل أمين ثابت ، حيث

(١) بعدما تعمقت ثقة العميل الإسرائيلي في نفسه، يبدو أنه استعان بإيريال آخر أكثر قوة، قام بوضعه بطريقة غير ملفتة فوق سطح البيت الذي يسكنه، وهو الإيريال الذي ضبط فيما بعد عند انكشاف إيلي كوهين، واعترف العقيد أحمد السويداني رئيس الاستخبارات السورية بأنه كان يراقب كوهين، ودخل شقته بنفسه وشاهد الإيريال على السطح.

أخذه معه بالفعل إلى الجبهة السورية الإسرائيلية ، وأدخله مواقع يطلق فيها الرصاص على أي مدني بدون سابق إنذار. وعلى مرتفعات الجولان رأى بعينه مواقع المخابئ الخرسانية التي بناها السوفييت لإخفاء بطاريات مدفعية المدى الطويل، التي جاءت رأسها من ميناء (أوديسا) على البحر الأسود إلى سوريا.

وفي زيارة أخرى عد الجاسوس على المنحدر الغربي للتلال القريبة من الجبهة، أكثر من ٨٠ بطارية جديدة لمدافع (هاون) ١٢٢ مم مداها ٢٠ كيلومترًا، وداخل وادي الأردن تعددت زيارات إيلي كوهين للجبهة السورية بموافقة أعلى السلطات العسكرية بعد ذلك.. فقد استطاع أن ينال ثقة كبار رجال الدولة لقربه الشديد من الرئيس أمين الحافظ، وكانوا يتوقعون في أية لحظة نبأ تعيينه لوظيفة عليا، حتى أن بعضهم خمن بأن يختاره أمين الحافظ وزيرًا، وبعضهم ذهب في تخمينه لأبعد من ذلك، إلى نائب رئيس الجمهورية.

لذا. كانت زياراته المتعددة للجبهة لا غبار عليها. حتى أن الضباط المرافقين له كانوا يسمحون له بتصوير المنشآت السرية جدًا للمدافع الجديدة ١٣٠ مم، وكذلك تصوير الأراضي الإسرائيلية[١] بواسطة كاميرات ذات عدسة زووم كان يحملها علانية على كتفه في زياراته إلى الجبهة

إنها كاميرا يابانية من طراز متطور تتيح له التصوير لمسافات بعيدة.. بعثت بها الموساد إليه في طرد خاص من زيوريخ. واعتمادًا على علاقته بالرئيس، وما أشيع حوله من قرب اختياره لمنصب هام ، كان إيلي كوهين يلقى ترحيبًا حارًا

---

(١) بواسطة هذه الصور استطاعت إسرائيل تحديد المواقع العسكرية السورية التي التقط إيلي كوهين صوره عندها، ومن ثم رسمت خرائط تضم مرابض الدبابات السورية، ومنصات الصواريخ، ومخازن المؤن والذخيرة وغيرها. لقد كان عميل الموساد يلتقط هذه الصور بزوايا فنية معينة، تتيح للموساد سهولة التوصل للمواقع بدقة متناهية، وكانت تلك آفة أفقدت سوريا الكثير.

من مراكز القيادة والضباط الكبار والصغار على الجبهة في مرتفعات الجولان، فكان دائمًا يتظاهر بالغباء ويبذل مجهودًا كبيرًا لفهم خطط الدفاع التي قالوا له إنها في مجموعها تشكل أصعب وأقوى مدفعية أرضية بعد الاتحاد السوفييتي طبعا.

لقد كان يعتمد على ذاكرته الجبارة المدربة على حفظ المعلومات وتخزينها، فتمكنه من تسجيل كل ما يراه خلال النهار على الجبهة ليبثه إلى تل أبيب ليلاُ. وكانت المعلومات التي يبثها لإسرائيل بإشارات المورس، تغطي كل صغيرة وكبيرة على الجبهة السورية وتصف انتشار القوات على الحدود بالتفصيل، وكذا مواقع (مصائد) المدرعات التي يمكن أن تحول دون تقدم القوات الإسرائيلية إذا نشبت حرب بين البلدين. أيضًا بث إيلي كوهين لإسرائيل قائمة بأسماء أغلب الطيارين السوريين، والمخططات الدقيقة لأسراب الطائرات والأسلحة المركبة على طائراتهم

في الإذاعة السورية

طبقًا لما هو مرسوم، وطد إيلي كوهين علاقته بسامي الجندي وزير الإعلام السوري وبقيادات حزب البعث. وفي محاولة جديدة لتأكيد وطنيته وانتمائه الحزبي، سافر إلى الأرجنتين باسم الحزب البعثي لتوثيق روابط المهاجرين السوريين بوطنهم، والاطمئنان على أحوالهم هناك. وأيضًا للوقوف على مشاكلهم في بلاد المهجر حتى يربطهم بقضايا الوطن الأم ومسيرته السياسية والاقتصادية. وبعد رحلة قصيرة رجع إلى دمشق يحمل عدة آلاف من الدولارات كتبرعات لصالح الحزب، هذا بالإضافة إلى ألف دولار تبرع هو بها من ماله الخاص. وفي تمثيلية متقنة، سلم الشيك بالمبلغ الإجمالي للرئيس أمين الحافظ، فنشرت الصحف السورية لفتته الكريمة وموقفه الوطني مما دعا قيادة الحزب وعلى رأسهم وزير الإعلام إلى منحه ميكرفون إذاعة دمشق ليتحدث من خلاله،

وبوطنيته (الصادقة)، إلى السوريين في كل مكان لتأييد حزب البعث، ودعوتهم للمشاركة من أجل النهوض بوطنهم في شتى المجالات ولمدة عام كامل.

كانت الإذاعة السورية تذيع حلقاته الثورية التي تفيض بحرارة ثوري غيور على وطنه ووحدة أراضيه، فتحلل الموساد بعض العبارات المتفق عليها عند الضرورة القصوى أو الإحساس بالخطر، وهكذا.. أوجد إيلي كوهين وسيلة اتصال أخرى بإسرائيل.. لكنها علنية هذه المرة. ولما اختاروه عضوا في لجنة الدفاع عن حزب البعث، فتح له هذا الوضع بابًا جديدًا ينفذ منه إلى خزائن الأسرار في سوريا، فعن طريق هذا المنصب أصبح يختلق الأسباب لقضاء أيام بمقر قيادة الجبهة الجنوبية فوق مرتفعات الجولان، حيث إن مهمته تقضي بمعرفة ما يجرى هناك من تطورات يومية. وكان يسجل كل ما تقع عليه عينه صغيرة أو كبيرة.. ويعد تقارير غاية في الأهمية يعيد بثها بالمورس إلى إسرائيل. فأرسل تقارير تفصيلية بأماكن الأسلحة السوفييتية الحديثة ومخازن قطع الغيار والذخيرة.

وبواسطة الموبيليات الخشبية حفر بنفسه مخابئ سرية قام بحشوها بالأفلام والصور والخرائط الحقيقية والكروكية لمواقع الجبهة السورية والمطارات والدشم وطول وعمق المخابئ الخرسانية التي تحتمي فيها المواقع، كذلك خرائط لأماكن الخنادق الحصينة التي تحمي الدبابات والمدرعات من الهجمات الجوية. ومن أعظم الأسرار التي نقلها إلى إسرائيل، خبر وصول ٢٠٠ دبابة سوفييتية طراز (تي ٥٤) ، وصور فوتوغرافية للطائرات الهجومية ميج ٢١ التي تسلمتها سوريا في نفس العام. وكانت أول صور تقع في يد القيادة الإسرائيلية العليا لهذه الطائرات. كل ذلك نقله إيلي كوهين محشوا بتجاويف الموبيليات الخشبية التي يصدرها إلى أوروبا.. وتتسلمها الموساد هناك.

الخطة الروسية

لقد كانت سوريا تعتمد اعتمادًا كليًا على السلاح الروسي وتصلها أولاً بأول أحدث تكنولوجيا السلاح الذي تنتجه الترسانة الروسية، وتتواجد أعداد كبيرة من الخبراء الروس لتدريب السوريين على أسلحتهم الحديثة.. وفي حديثه مع معزى زهر الدين، تحدث الضابط السوري عن أمر خطير للغاية كان يعرف بـ (الخطة الروسية) لم تكن عند معزى معلومات كاملة أو شروح بخصوصها. وعندما أرسل إيلي بهذا الأمر لتل أبيب.. جاءه الرد المحدد.. (أجمع كل ما تعرفه عن موضوع الخطة الروسية)

لذلك ظل كوهين يبحث بشغف وباهتمام شديدين عن هذا السر. وفي إحدى الحفلات الرئاسية التي كان من العادة أن يدعى لها تعرف إيلي كوهين بالعقيد (سليم حاطوم)[1] قائد أقوى كتيبة مظلات في الجيش السوري وظل يستدرجه في الحديث إلى أن اكتشف السر المخيف، سر الخطة الروسية التي وضعها الخبراء العسكريون الروس، وفيها يقترحون فصل الجزء الشمالي من إسرائيل عن بقية الدولة اليهودية في هجوم مفاجئ. لم يكتف كوهين بذلك.. بل استطاع بمساعدة الرائد حاطوم أيضًا الحصول على خرائط مفصلة باللغة الروسية للخطة ومراحل تنفيذها.

لقد أدرك الإسرائيليون أن إيلي كوهين وصلت ثقته بنفسه إلى مرحلة لا حدود لها.. لقد نسى كوهين قواعد الحذر والتعقل وأصبح راضيًا عن نفسه، نتيجة السهولة التي لا تصدق، والتي استطاع بها أن يصادق أعلى القيادات في

---

(١) العقيد سليم حاطوم عين في (اللجنة العسكرية) التي تشكلت عام ١٩٦١ في أعقاب انفصال الوحدة بين مصر وسوريا. وفي ٢١ فبراير ١٩٦٦ أصدرت القيادة القومية في حزب البعث بيانًا طالبت فيه بتسريح سليم حاطوم من الجيش ونفيه مع آخرين إلى خارج البلاد. وفي ٢٣ فبراير أمر قواته الموجودة تحت قيادته بالهجوم على دمشق واحتلال مقر رئيس الجمهورية أمين الحافظ. وبعد قصف المقر بالمدفعية استسلم الرئيس وألقى به في السجن مع مؤسس حزب البعث ميشيل عفلق والعديد من قيادات الدولة.

سوريا، فواصل إرساله بالمورس بلا توقف أو تقيد بمواعيد محددة، حتى أصبحت عمليات البث أكثر تكرارًا للدرجة التي جعلته - لتزاحم المعلومات - يبث بإحدى وثلاثين رسالة في غضون أيام قليلة إلى تل أبيب، وكانت رسائله التجسسية المتفق عليها تبث في الثانية صباحا كل أسبوع في يوم محدد، وتدرج الأمر فأصبح يبث رسائله كل يوم تقريبًا لعدة أيام متتالية ، متناسبا كل دواعي الأمن، واثقا من أنه لا يوجد سوري واحد يشك في إخلاصه.. ووطنيته، للدرجة التي كان فيها أحيانًا يبث رسالتين في يوم واحد.

وذات صباح قبلما يغلق جهازه وصلته رسالة من تل أبيب: (ماذا حدث لسرب الميج ٢١ الذي سقط؟)، وبعد العصر بث لهم إجابة مفصلة: (قتل أحد الطيارين عندما ارتطمت طائرته بطائرة أخرى أثناء التدريب)

لقد خطت بدايات السقوط عندما أصبح كوهين متهاونًا جدًا على جهاز الإرسال اللاسلكي كما لو أنه كان يستدرج لمصيره. لذلك كان على ضباط حالته في تل أبيب أن يكبحوه، لكن أحدًا منهم لم يفعل ذلك.. فقد كانت المادة التي يبعث بها جيدة لا تستدعي كبحه، خاصة وقد تعرف إلى جورج سيف مدير الإعلام العسكري في الحكومة السورية الذي أفقدته ريتا عقله، فتمكن إيلي من الحصول على تقارير سرية كانت بحوزته، ويعد من خلالها الخريطة الإعلامية لبلاده.

السلاح السري

كانت هناك أيضًا أبرز المهمات الخطيرة التي قام بها إيلي كوهين في سوريا، وهي تجسسه على خطة تهديد المخزون الإسرائيلي من الماء التي تعمل سوريا على تنفيذها في أقرب فرصة وهي الخطة التي أشار إليها الرئيس أمين الحافظ باسم (السلاح السري) الذي يقتل إسرائيل ويحرقها. لقد صدرت الأوامر لكوهين

واضحة ومحددة بإرسال كل التفاصيل الخاصة بهذا المشروع من خطط ورسومات وخرائط بيانية ونوعية التجهيزات ومواقعها، فهناك ثلاثة أسئلة كانت تؤرق إسرائيل وتلح على كوهين بسرعة الإجابة عليها: أين؟ متى؟ كيف؟

ولم يتحير إيلي كوهين كثيرًا.. فالمعلومات تجيئه بيسر وسهولة وبمصداقية تفوق الوصف. إذ فوجئ بالعقيد سليم حاطوم بمكتبه مبتسمًا بشوشًا كعادته كلما منحته ريتا قبلة ملتهبة في الحجرة الداخلية استغل كوهين الفرصة وسأله بتعجب: ماذا يقصد الرئيس الحافظ بالسلاح السري أيها الرفيق؟ ضحك حاطوم قائلاً: كيف لا تعرف وأنت من المقربين إليه شخصيًا؟ أبدى عميل الموساد أسفه لجهله، طالبًا من حاطوم أن يشرح له الأمر بالتفصيل.

لم يفاجئ إيلي لعلم حاطوم وإحاطته بتفاصيل المشروع السري فقط.. بل اكتشف أنه أيضا أحد المسئولين العسكريين المكلفين بحماية المشروع. وتفصيل (السلاح السري)[١] يعتمد على أنه بما أن نهر الأردن يوجد فوق هضبة الجولان، ثم يصب مع بحيرة اليرموك في بحر جاليلي، حيث أقامت إسرائيل مشروع أنابيب شديد التعقيد، يمكنها من تخزين الماء بكميات وفيرة لري الأراضي ولتغذية بعض المدن بمياه الشرب.

كان على سوريا إزاء هذا أن تفكر في منع إسرائيل من المضي في مشروعاتها الزراعية وخنقها بمنع المياه عنها، بتغيير مجرى نهري بانياس وحاصباني

---

(١) في يناير ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربية لبحث مسألة التحركات الإسرائيلية على الحدود مع سوريا، ومشكلة نهر الأردن. واتخذ المؤتمر قرارًا بضرورة العمل لتحويل مياه نهر الأردن بما يخدم الأراضي العربية المحيطة بالنهر، خلال مدة ١٨ شهرًا بتكلفة ٦,٤ مليون جنيه مصري، وتكوين قيادة عسكرية موحدة لها ميزانية خاصة بها وإدارة ذاتية، ووضع مخطط دفاعي (بما في ذلك استخدام القوات المسلحة) ضد محاولات إسرائيل لعرقلة تنفيذ المشروع العربي من أجل تحويل مجرى النهر، وخنق إسرائيل بحصار قاتل.

الذي يمثل المنابع الأولية لنهر الأردن، حيث تولت شركة يوغسلافية كبرى (أنرجا برويكت) تنفيذ هذا المشروع الباهظ التكاليف والذي يشل إسرائيل. وينص على بناء قنوات تسمح بتغيير مجرى المياه الجارية نحو بحر جاليلي.

لقد تباهى العقيد حاطوم بمركزه أمام ريتا وبالمعلومات التي لديه. وعندها استغل إيلي كوهين مهاراته وعرض رغبته في شراء مساحة أرض شاسعة على المجرى الجديد، طالبًا من حاطوم المغيب العقل بفعل الخمر وابتسامات الفتاة المثيرة أن يطلعه على خرائط ورسومات المشروع فوافق.. وبعد عدة أيام كانت تفاصيل (السلاح السري) كلها على مكتب إيلي كوهين. ليس هذا فحسب.. بل جاءه أيضًا بالمهندس اللبناني ميشيل صعب الذي أعد برنامج العمل الضخم الذي يمتد لأكثر من ٧٠ كيلومترا فوق هضبة الجولان.

ومن بعده عرفه بالمقاول السعودي الكبير محمد بن لادن[١] الذي يمتلك أسطولاً من الجرافات والحفارات. ولم تكد تمر تسعة أسابيع منذ طلبت منه الموساد موافاتها بالخطة.. إلا وكانت مستندات المشروع وخرائطه وجداول العمل الزمنية تحت أيدي خبراء الموساد في إسرائيل[٢].

وبدأ الخوف يطفو

في عام ١٩٦٤ تولى أحمد السويداني رئاسة الاستخبارات السورية، وهو من المقربين جدًا للرئيس أمين الحافظ.. وقد لعب السويداني دورًا كبيرًا في مكافحة

---

(١) كانت شركته مسئولة عن عمليات الحفر والتسوية الترابية للمشروع التي تقدر بملايين الأمتار المكعبة. وهو، حسبما تردد، أحد أعمام أسامة بن لادن. وجاء بالعديد من الكتب الصادرة عن الموساد، أن إيلي كوهين ارتبط بصداقة وثيقة مع بن لادن، وأن الأخير أعار إيلي كوهين خرائط المشروع لكي يدرسها ويختار بنفسه مساحة أرض ذات موقع مناسب. وكانت هذه الخرائط توضح أماكن القنوات الجديدة ومراحل التنفيذ لكل مرحلة، كذلك وصف ومواقع محطات الرفع العملاقة، إلى جانب المواقع العسكرية المكلفة بالدفاع عن المشروع.

(٢) في نوفمبر ١٩٦٤ وجهت القوات المسلحة الإسرائيلية ضربة مفاجئة دمرت مشروع تحويل نهر الأردن إلى الأبد.

الجاسوسية ومحاصرة الخونة والإيقاع بـهم.. حتـى أن مجـرد ذكـر اسمـه كـان يلقي الرعب في الصدور وترتعد الأبدان لمرآه. عرف عنه الذكاء الشديد والوطنيـة الزائدة. إلى جانب تفوقه بين رفاقه وثقافته العاليـة لمعرفتـه بـاللغتين الفرنسـية والإنجليزية، وكان لديه طموح عجيب لأن يصبح أصغر اللواءات سنًّا في الجيش السوري.

زار السويداني موسكو مـع وفـد سـوري بنـاء علـى دعـوة رسميـة، واسـتقبل استقبالاً حارًا من فلاديميري سيمتشاسني رئيس المخابرات السـوفييتية ونائبـه الميجور جنرال زاخاروف، وقدما له كل ما يحتاجه في حقل التجسس، وعندمـا عاد كان قد زود بجهاز حديث لتصيد الذبذبات وتتبع الجواسيس.

هذا الجهاز كان له الفضل في تعقب رسائل إيلي كوهـين إلى أن تم سـقوطه، فلقد دأب كوهين في الفترة الأخيرة على المغـامرة والاسـتهتار.. يبعـث برسـائله صباح ومسـاء دونمـا تحسـب لأيـة عواقـب وعندمـا نشـرت الصحـف السـورية تفاصيل سقوط أحد الخونة من عملاء إسرائيل، تحسس رقبته وتملكـه رعـب لا يرحم وأبرق لرؤسائه في تل أبيب أنـه مضطـرب وقلـق ولا يشـعر بالارتيـاح مـن أحمد السويداني. بل وابدى رغبته في إنهاء المهمة والسماح لـه بـالعودة إلى تـل أبيب، لقد خالف أوامر أسـاتذته في الموسـاد بعـدم قـراءة أخبـار الجواسـيس في الصحف السورية ليحتفظ بأعصابه سليمة ولكي لا تصدر عنه تصرفات قد تؤدي إلى كشفه.

حاول أساتذته تهدئته لكنه بدا كلص تطارده الشرطة، كلما صادفه ضـابط أو شاويش في الشارع كانت ترتعد فرائصه فزعًا وهو يتخيل غرفة الإعـدام والجـلاد يلف الحبل حول رقبته. وبعد مرور عدة أسابيع اعتبروا في الموساد أن رجلهم في دمشق يستحق أن يمنح مكافأة قيمة، وهي إجازة يقضيـها مـع عائلتـه، حيـث

صادف ذلك مع قدوم المولود الثالث له: شاؤول[1]. وعلى الرغم من مظهر كوهين السعيد أثناء الإجازة، إلا أن زملاءه في العمل اعتقدوا أنه كان في حالة تصدع تقترب من حافة الانهيار. إذ كان بالإضافة إلى مهماته التجسسية كان يقوم أيضًا بإدارة تجارته في التصدير والاستيراد، وفي المساء عليه أن يحلل المعلومات ويشفر البرقيات اللاسلكية ومن ثم يرسلها إلى تل أبيب، إلى جانب تحضير مسودات (الميكروفيلم) وحفر مخابئ لها في طاولات الزهر[2] واستقبال الأصدقاء وخدمتهم. كل ذلك كان يتطلب منه أن يعمل ٢٤ ساعة في اليوم، وهذا أدى إلى حدوث تأثير سلبي على طباعه وسلوكه وأعصابه.

في الموساد قدروا حالة إيلي كوهين وتقرر منحه إجازة إضافية، وعندما تقرر سفره إلى دمشق بقى طوال ثلاثة أيام مع أسرته لم يغادر خلالها المنزل. لم يكن هذه المرة منشغلاً بالقراءة كعادته، إنما انشغل بملاعبة أطفاله طوال الوقت دون كلل، وهو ما أقلق زوجته التي اعتادت تصرفات مغايرة خلال إجازاته البعيدة القصيرة الغامضة. وفي دمشق.. عاود نشاطه مضطربا.. ودون أن يدري كان يقترب رويدًا رويدًا من نهايته ومصيره المحتوم.

وفي يناير ١٩٦٥ ، بعدما تناول عشاءه مع الرائد سليم حاطوم، بث إلى تل أبيب بآخر رسائله الهامة عن قرار الرئيس السوري البالغ السرية، الذي يؤيد جمع اللاجئين الفلسطينيين وتدريبهم في أحد المعسكرات ، ليقوموا بعد ذلك بعمليات فدائية ضد إسرائيل. حصل إيلي كوهين على تفاصيل القرار الرئاسي وأماكن التدريب والأسلحة التي سيتدربون عليها، كل ذلك بثه إلى إسرائيل في رسالة طويلة استلقى بعدها على سريره ينتظر رد الموساد على رسالته، وبجانبه

---

(١) جاءت الطفلة الأولى لإيلي كوهين، (صوفي)، في يونيو ١٩٦٠. ثم جاءت (آريت) في مارس ١٩٦٢، وأخيرًا (شاؤول) في نوفمبر ١٩٦٤.

(٢) طاولة الزهر بالعبرية تنطق : شيس بيش Shesbesh .

جهاز اللاسلكي الصغير ونوتة الشفرة الخاصة. إضافة إلى عدة صفحات حوت تقارير أخرى كان يختزلها ليعيد بثها إلى إسرائيل.

لكن المفاجأة أذهلته عندما تحطم الباب الخارجي في لحظة كالبرق، واقتحم شقته ثمانية رجال مسلحون بينهم العقيد السويداني صوبوا رشاشاتهم إلى رأسه فعجز تمامًا عن القيام أو استخدام المسدس الشخصي الذي يحتفظ به محشوا أسفل وسادته. وكل ما استطاع أن يفعله، هو أنه بدأ يصرخ في هلع. طالبًا منهم ألا يعرضونه للتعذيب والضرب، على أن يعترف لهم بكل الحقيقة. وبدا رجل الموساد الذي أطلق عليه سيد جواسيس الموساد في دمشق هلوعًا مرتجفًا ذاهلاً. حتى أنه تبول على نفسه منهارًا خائرًا يسب إسرائيل ومن في إسرائيل، أولئك الذين خدعوه وأوهموه بأن مهامه في سوريا من المستحيل أن تنكشف.

كيف إذن سقط إيلي كوهين؟

هناك قصتان مختلفتان روجتا حول أسباب سقوطه، كل منهما بعيدة تمامًا عن الأخرى.

القصة الأولى إسرائيلية خالصة.. تقول بأن السفارة الهندية في دمشق تقدمت بمذكرة لوزارة الخارجية السورية، أوضحت بها شكوى موظف اللاسلكي بالسفارة من تداخلات لاسلكية عند بث رسائلهم الدبلوماسية إلى نيودلهي وكانت السفارة الهندية تبث رسائلها الساعة الثانية صباحا كل يوم. عندئذ أيقنت المخابرات السورية أن التداخلات اللاسلكية صادرة عن جاسوس يعمل بحرية في دمشق. لذلك سافر العقيد السويداني إلى موسكو طالبًا من المخابرات السوفييتية إمداده بسيارة التتبع الراداري المتحركة (صائدة الموجات)، حيث قامت السيارة بمسح المنطقة المحيطة بالسفارة الهندية.

وعمدت السلطات السورية لقطع التيار الكهربائي عن المنطقة بأكملها خلال توقيت البث، فاضطر إيلي كوهين إلى استخدام البطاريات السائلة.. ووقع بذلك في خطأ جسيم كلفه حياته. إذ تمكنت سيارة التتبع من تحديد المبنى الذي يقيم فيه كمصدر للترددات اللاسلكية. وبعد مراقبات مطولة نظرا لعدم شكهم في كوهين، اكتشفوا وجود إيريال اللاسلكي ممتدا بشرفته وسط الزهور، فاقتحموا شقته وعثروا على الجهاز بجانبه وعثروا أيضًا على جهاز لاسلكي آخر في مخبأ بسيفون الحمام. ومن ضمن ما عثروا عليه كيس البودرة المتفجرة وجهاز للتفجير، وحبتين من حبوب السيانيد - أشرس أنواع السموم الفتاكة - ونوتة الشفرة مفتوحة وبجانبها ١٤ صفحة فولسكاب بكل صفحة ما بين ١١ ١٤ سطرا تحوي تقارير استراتيجية مختلفة غاية في السرية

زميل الدراسة

والقصة الثانية - الحقيقية - تؤكد بأن ضابط مخابرات مصري - كان زميل دراسة لإيلي كوهين - كان يقرأ الصحف السورية.. ويتابع أنباء زيارة القائد العام الفريق أول علي علي عامر للقيادة العربية السورية الموحدة على رأس وفد عسكري، فلفت انتباهه وجود شخص يرتدي الملابس المدنية بين العسكريين المصريين والسوريين في إحدى الصور المنشورة بمناسبة زيارة الوفد العسكري العربي للجبهة السورية.

دقق الضابط المصري في الصورة ولاحظ تشابهًا كبيرًا بين الشخص المدني الموجود بها وشخص آخر كان يعرفه وهو اليهودي إيلي كوهين، الذي أعتقل مرات في القاهرة بتهمة الاشتباه في القيام بنشاطات صهيونية في مصر.. وبالبحث في الملفات الأمنية القديمة عثر على صورة إيلي كوهين وتيقن بأنه الشخص نفسه الموجود في الصورة.

على الفور طلب رئيس المخابرات المصرية ، صلاح نصر ، لقاءً عاجلاً بالرئيس جمال عبد الناصر وأطلعه على الأمر.. دق جرس التليفون بمكتب الرئيس السوري ليبلغه عبد الناصر بأن مبعوثًا خاصًا سيصل إلى دمشق في غضون ساعات يحمل مظروفًا خاصًا. وعلى طائرة خاصة طار صلاح نصر إلى دمشق والتقى فور وصوله بالرئيس أمين الحافظ في قصر المهاجرين، فأذهلته المفاجأة وأخذته الدهشة مما جاء برسالة الرئيس عبد الناصر. وبعد نصف الساعة وصل العقيد أحمد السويداني وعندما قدم له الرئيس الرسالة.. قرأها السويداني[1] ولم ينبس ببنت شفة، واستأذن في الحال ليقتحم شقة إيلي كوهين، ويعتقل مئات الأشخاص الذين كانوا على علاقات وطيدة به

جرت محاكمة إيلي كوهين لمدة ٧٦ يوما وكان الرائد سليم حاطوم أحد أعضاء المحكمة العسكرية التي أصدرت حكم الإعدام شنقًا على الجاسوس الإسرائيلي الداهية، وحاولت إسرائيل بشتى الطرق إنقاذ عميلها من الإعدام فعرضت مبادلته بـ١٢ عربيًا متهمين بالتجسس لصالح سوريا، كما عرضت أيضًا دفع عدة ملايين من الدولارات مقابل إطلاق سراحه، فرفضت سوريا ذلك بحزم.

أيضًا.. لم تنجح نداءات إسرائيل لبابا الفاتيكان ولرؤساء حكومات أوروبية ومنظمات عالمية سعت للحصول على عفو عن إيلي كوهين. وفي يوم الإثنين ١٨ مايو ١٩٦٥ اقتيد إلى ساحة المرجة بوسط دمشق.. وأمام حشد هائل من السوريين ووكالات الأنباء قام حاخام الطائفة اليهودية في دمشق نديم أندابو بتلاوة الصلاة لراحة نفس إيلي كوهين.

(١) في حوار مع أحمد السويداني بمجلة الحوادث البيروتية يقول: (كنت أشك منذ فترة طويلة بشخصية كامل أمين ثابت.. لذلك وضعته تحت المراقبة، وقمت بالتعرف على زواره الذين يترددون على الشقة، وبنفسي اكتشفت هوائي جهاز الإرسال اللاسلكي الذي ركبه على "سطح" البناية. ومن لائحة أصدقائه التي تضم أسماء كبار المسئولين، تبين لي أنني أمام جاسوس على مستوى عالٍ من الخطورة. لقد راقبنا هاتفه وقمنا بتحليل تصرفاته.

وترد الموساد على السويداني قائلة (كتاب الموساد: إيلي لاندو، يوري دان، دينيس إيزنبرج): كان كلام السويداني أبعد كل البعد عن الحقيقة. إذ خلال ثلاث سنوات لإيلي كوهين في دمشق لم يشك أحد إطلاقًا في شخصيته، وكذلك لم تتم أبدًا مراقبة أي شخص من معارفن، ولم يتم اعتقال أي واحد منهم. وكذلك لم يتعرض كوهين نفسه لأي مراقبة، وجاء اكتشافه بالصدفة بسبب شكوى السفارة الهندية.

أضيئت الساحة بكشافات قوية ووسط حراسة مشددة وصمت لا يقطعه سوى صراخه، علقت على صدر جاسوس الموساد لائحة جرائمه ومنطوق الحكم، ثم شنق وترك معلقاً بحبل المشنقة لوقت طويل، ورفضت سوريا حتى اليوم تسليم رفاته إلى إسرائيل

هذا ولم يترك إيلي كوهين قبل إعدامه سوى رسالة واحدة إلى زوجته ناديا يقول فيها: (آسف يا حبيبتي. آسف جدًا على ما سببته لك من آلام ستلازمك طيلة حياتك. لقد كنت اؤدي واجبي نحو وطني وشعبي.. وقبيل إعدامي سمحوا لي بكتابة رسالتي هذه إليك لأقول لك راجيًا. متضرعًا.. تزوجي.. تزوجي مرة ثانية حتى لا يتربى الأطفال من دون أب. تزوجي إن كنت تحبينني فالمستقبل أمامك. أما أنا فسأصير بعد قليل مجرد حلم.. وسراب).

لم تتزوج ناديا كوهين حتى اليوم.. ولازالت تصرخ عبر وسائل الإعلام العالمية. آخرها في ديسمبر عام ١٩٩٧، تطالب برفات زوجها وبأصل الرسالة التي تركها لها.. ولكن.. سوريا لا تستجيب.. ولا توافق.. لتظل مشكلة "عظام" إيلي كوهين إحدى أشهر المآسي في إسرائيل.. وأبرز فضائح الثقة المفرطة التي تغرسها الموساد في عقول رجالها.!!



فضيحة تقارير ضابط الموساد المزيفة..!!

يجب أن تُنَقُّوا جهاز الموساد من المحتالين واللصوص.. لقد خدع (يهودا جيل) المخابرات الإسرائيلية.. بل خدع إسرائيل كلها أكثر من عقدين.. وليس المهم أنه استولى على مليون دولار بالكذب والتحايل، لكن المهم أن الرجل الأرعن كاد أن يتسبب، بتقاريره المزيفة، في صدام عسكري وشيك مع السوريين..!!

افتتاحية هآرتس

خدعة مزمنة

دائمًا وأبدًا تخشى أجهزة المخابرات الإسرائيلية إخفاء خطط حرب عربية، كما حدث لإسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣. إن ذلك هو الفزع الأكبر، إضافة إلى الخوف من اختراق (عملاء) لأجهزة تجسس معادية مراكز حساسة بالموساد. ولكن فقط قليلون للغاية ممن يتخيلون أن التضليل يمكن أن يأتي من الداخل، ليس من عملاء لإسرائيل بل من أولئك الذين يتلقون ويحللون المعلومة في الموساد. فمن غير المألوف أن يقوم أحد هؤلاء بعملية خيانة للأمانة والتي تتعلق بالمعلومة الحيوية التي يتابعها وذلك بتزييف تلك المعلومة، والأسباب لذلك متنوعة، ما بين الرغبة في الثراء، أو أيديولوجية سياسية ، وحتى رغبة في خلق سمعة واسم متخصص.

أحيانًا يقوم ضابط استخبارات معين بمحاولة تأكيد نجاحه بإضافة تفاصيل من هنا أو هناك من أجل التعظيم من شأنه. ولكن من النادر جدًا أن يتم ذلك على مدى سنوات وسنوات، ويتم مزجها بمعلومات سبق أن نشرت بالصحف، وتقدم للحكومة ولرئيسها، على أنها معلومات استخباراتية يبنى على أساسها القرار السياسي.

يقول زئيف شيف بجريدة ها آرتس Ha'aretz الإسرائيلية[1]:

إن الجهاز كله يجب أن يكون مبنيًا بشكل يضمن عدم استمرار خلل كهذا لفترة طويلة. وعندما تستمر مشكلة خيانة أمانة مخابراتية لسنوات طويلة فإن الأمر يدل على خلل وظيفي في جميع أجهزة وأطقم المخابرات، وليس فقط بفرع واحد. وعند حدوث خيانة للأمانة بالجهاز ، يصبح من الواضح وجود مرض

---

(١) نشر المقال التحليلي في ٥ ديسمبر ١٩٩٧ في أعقاب فضيحة التقارير الاستخباراتية المزيفة، التي تسبب فيها ضابط الموساد يهودا جيل..

خطير، وربما يكون أيضا قد تفشى الفساد والذي يستوجب عملية تدخل جراحية شاملة للتطهير.

إن أي معلومة مخابراتية جدية ، يجب تعامدها مع مصادر أخرى، وأيضًا مع أذرع مخابرات أخرى . فالمعلومة التي تأتي من مصدر حي، أي من إنسان، يجب فحصها وتعامدها مع مصادر إليكترونية. وإذا لم يؤد هذا التعامد إلى التصديق على المعلومة ولو لمرة واحدة ، يجب هنا أن (يثار شك). إن المسئولين ملزمون بالتصديق بطرق وبأساليب مختلفة للتأكد من صحة المعلومة

فعلى سبيل المثال ، يوجد تقليد بناء عليه، يجب أن يرافق أي لقاء بين رجل مخابرات وعميل شخص خبير من فرع مخابرات آخر. وإذا لم يحدث ذلك لأي سبب من الأسباب فالشك يجب أن يكون مضاعفًا.

إن أجهزة المخابرات يجب أن تحرص على عدم تشغيل عميل بشكل احتكاري بواسطة شخص واحد على مدى سنوات عديدة. فإذا ما طالت الفترة ورفض العميل مقابلة أشخاص آخرون فإن نظرية المخابرات تلزم إجراء اختبار آخر بحيل مختلفة وليست قاصرة كتلك. وهناك عملاء كل عدة سنوات يتم دعوتهم للقاء يطلق عليه (حديث الكشف)، وفي حديث كهذا والذي يستمر لعدة أيام ، يتم أحيانا تشغيل أجهزة الكشف عن الكذب

والسؤال هو

هل أيضًا يتم دعوة رجالنا لفحص أمني متكرر كل عدة سنوات؟.

ففي كل جهاز مخابرات متقدم توجد قواعد مختلفة في هذا الصدد. وكذلك أيضًا في المخابرات الإسرائيلية بكل أذرعها. أنه سؤال واحد فقط من عدة تساؤلات يجب بحثها عندما يتم البدء في تنقية الأجواء المخابراتية

أيضًا يقول أوري أفنيري في صحيفة معاريف[1]:

---

(١) نشر المقال في معاريف بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٧.

لقد خدع يهودا جيل[1] الموساد والدولة بأكملها طيلة عشرين عامًا، حيث باع معلومات عن زعيم سوري ليس له وجود، وكاد أن يورط الدولة في حرب لا داع لها مع سوريا. وحدد بدرجة كبيرة سياسة إسرائيل واستراتيجيتها.. ياله من شيء غريب. لا إنه ليس بشيء غريب، حيث أن يهودا جيل وعلى الرغم من شذوذه إلا أنه يمثل أجهزة الأمن أكثر من أي شخص.

أخطر أنواع التخريب

هذه هي الحقيقة البسيطة. فمنذ قيام دولة إسرائيل لم تنج أجهزة الأمن الإسرائيلية من الفشل في جميع العمليات الهامة التي نفذتها. وقد بدأ ذلك في عام ١٩٤٨. ففي شهر يناير من نفس العام دعا بن جوريون إلى منزله خبراء المخابرات من منظمة الهاجانا والقسم السياسي وسألهم:

– هل الجيوش العربية سوف تشارك في الحرب ضد إسرائيل التي بدأت الآن؟

ورد جميع الخبراء بلا استثناء بالنفي المطلق. وقالوا بالإجماع أن الفلسطينيين هم العنصر المتطرف ولن تشارك أي دولة عربية في الحرب.

وأنصت بن جوريون في هدوء وفي النهاية قال لهم:

– (كلكم مخطئون.. حيث سوف تنشب حرب كبيرة وسوف أذهب للحصول على الأسلحة الثقيلة التي ستستخدم في حرب تشارك فيها الجيوش النظامية العربية).

وفي عام ١٩٥٦ تنبأ الخبراء الإسرائيليون (مع نظرائهم الفرنسيين والبريطانيين)، بأن الهجوم الثلاثي على مصر سوف يؤدي إلى سقوط جمال عبد الناصر وتم تنفيذ الهجوم وخسر عبد الناصر عسكريًا ، ولكنه حقق انتصارًا سياسيًا كبيرًا وأصبح الزعيم الذي لا نظير له في العالم العربي

---

(١) يهودا جيل : نال شهرة فائقة في جهاز الموساد عندما حصل على معلومات عن المفاعل النووي العراقي (أوزيراك) الذي دمرته إسرائيل عام ١٩٨١.. كما ساهم في عملية نقل اليهود الأثيوبيين (الفلاشا) من السودان عام ١٩٨٥ إلى تل أبيب .

وفي شهر مايو ١٩٦٧ ذهلت أجهزة الأمن عندما فوجئت بتشكيلات الجيش المصري في سيناء. وحسب التقديرات المخابراتية كان من المفروض أن يكون الجيش المصري متواجدا في اليمن البعيدة، حيث تورط المصريون هناك في حرب أهلية طويلة.

وفي أكتوبر ١٩٧٣ أكدت التقديرات الاستخباراتية أن الجيش المصري لا ينوي مهاجمة إسرائيل. وعلى الرغم من أنه كانت هناك علامات كثيرة واضحة دلت على قرب الهجوم المصري، إلا أن المخابرات العسكرية كانت سجينة الثقة بالنفس لدرجة وصلت إلى حد الجنون وأكدت أن احتمالات نشوب الحرب ضئيلة. لكن كانت النتيجة آلاف من القتلى الإسرائيليين وبعد الحرب أظهر رئيس الأركان دافيد اليعازر التقديرات المخابراتية العسكرية، وكانت هناك عشرات الحقائق التي تكفي واحدة منها فقط للتأكيد بما لا يدع مجالاً للشك أن الجيش المصري يوشك على شن الهجوم. ولكن المخابرات العسكرية أخفت هذه الحقائق عن أعين رئيس الأركان لأنها كانت مقتنعة بأن المصريين يناورون كالعادة.

ويضيف المحرر العسكري الإسرائيلي

وتجدر الإشارة إلى أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية لم تحذر مسبقًا من مبادرة السادات للسلام، ومن سقوط الشاه في إيران عام ١٩٧٩، وكذلك الحرب العراقية الإيرانية والانتفاضة. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

– ما مصدر كل هذه الفضائح المستمرة؟

من الناحية النفسية ، نجد أن الاستهانة المتزايدة والمبالغ فيها بالعرب الذين يعتبرون في نظر رجال المخابرات بمثابة شبه بني آدميين، (ونذكر أن بعض رجال المخابرات الذين تمت استضافتهم في وسائل الإعلام لتغطية الشئون العربية قد تحدثوا عن هذه الظاهرة المرضية) ، ولكن هناك سبب نفسي أكثر عمقاً.. ومن المعروف أن أجهزة المخابرات في الدول الأخرى تفشل أيضًا بشكل ثابت. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد فشل المخابرات السوفييتية عشية الغزو

النازي[1]، وفشل المخابرات الأمريكية عشية الهجوم الياباني على بيرل هاربور، وعشية ثورة الخوميني في إيران. إنه فشل ذو أبعاد تاريخية

الخطة المضادة

هذا وقد تناولت وسائل الإعلام الإسرائيلية بأنواعها المسموعة والمرئية سرد تفاصيل فضيحة جهاز الموساد الإسرائيلي من كافة جوانبها، خاصة وأن فضيحة التزوير في التقارير التي قدمها للجهاز ضابطه المخضرم (يهودا جيل) كادت أن تدفع بإسرائيل للحرب ضد سوريا، بدعوى أن الأخيرة تعد لمهاجمة إسرائيل بشكل مفاجئ.

وقد علقت خبيرة تحليل المعلومات والمخابرات الأمريكية (روبرتا ولستاتر) على ما قام به جيل، بأنه أخطر أنواع التخريب الذي تتعرض له أجهزة مخابرات أي دولة بالعالم، حيث أن أقوى الأجهزة بالعالم لا يمكنها مواجهة فيروس وجود ضابط خائن لا يراه أحد مثل جيل، يزور في المعلومات حتى يبدو أمام القادة المميز والأكفأ على رأس الموساد الإسرائيلي

لكن.. كيف بدأت الحكاية.. ؟

كانت السلطات الإسرائيلية قد شكت في جيل وملفات معلوماته ، وذلك عقب تعدد الأخطاء التي تظهر بشكل مستمر لدى فحص كل معلومة على حدة، وتحليل البعض الآخر على ضوء معلومات مخابراتية جاءت من مصادر مختلفة، لكنها صحيحة مائة بالمائة على حد تعبير وسائل الإعلام الإسرائيلية التي نشرت القضية.

---

(١) كان ذلك صباح ٢٢ يونية عام ١٩٤١، حيث كان ستالين يمضي إجازته على شواطئ البحر الأسود، وفي السادسة ونصف صباحًا عندما كان يصطاد السمك في عمق البحر، جاءته رسالة عاجلة من وزير خارجيته فيانسلاف مولوتوف (١٨٩٠ - ١٩٨٤) في الكرملين بأن هتلر غزا الأراضي السوفييتية. حنى ستالين رأسه قليلاً وراح يفكر، وبعد لحظات صمت نطق قائلاً: (لقد خدعنا هتلر). والتفت إلى سكرتيره (بوسكر بيشيف) وهو يقول بصوت هادئ ولكنه أجش:

(لم أكن أظن أنه سوف يهاجمنا الآن. لقد فعلنا كل ما نستطيع فعله لكي نتجنب الحرب.. ونتجنب الخراب الذي تجره.. ولكننا الآن لم يعد أمامنا خيار ولم تبق لنا حيلة. إذ علينا أن نقبل التحدي.. والنزال.. فإما الحياة وإما الموت.. ولن نفوز على قوات هتلر إلا إذا قام شعبنا قومة رجل واحد.). "آخر ساعة العدد ٩٥٩ - ١١ مارس ١٩٥٣".

الخبيرة الأمريكية أشارت بأن المخابرات الإسرائيلية ستستهلك وقتًا طويلاً، حتى تتخلص من فيروس المعلومات المغلوطة التي زود جيل بها شبكات معلومات الموساد على مدى حوالي عشرين عامًا(!!) ، هي مدة خدمة جيل بجهاز الموساد الإسرائيلي. وأكدت الخبيرة الأمريكية بأن لجان كاملة تقام في أجهزة المخابرات التي تتعرض لفضائح مثل فضيحة جيل، لبحث ملفات كل الأعوام التي خدم فيها الخائن بالجهاز، وذلك لغرض تنقية شبكات معلومات الجهاز من المعلومات غير الصحيحة التي يمكن أن تكون قد زودت بها.

أما خبراء المخابرات الأمريكية المركزية الذين استعانت ببعضهم وسائل الإعلام الإسرائيلية لتحليل الفضيحة بشكل علمي، فقد ذكروا أن من بين أسباب هزيمة الولايات المتحدة في معركة بيرل هاربور الشهيرة خلال الحرب العالمية الثانية، كانت المعلومات غير السليمة عن مدى قوة الجيش الياباني وقوته الجوية التي فاجأت المدمرات والسفن الأمريكية ودمرتها[1].

الصحف الإسرائيلية أكدت على أن مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١ كان هو نقطة التحول في الموساد الإسرائيلي بالنسبة للمسألة السورية، حيث بدأت أقسام تحليل المعلومات والبحوث الاستراتيجية في دراسة الموقف السوري خلال المؤتمر، وراح الجميع يدخلون إلى نفق جدال ليس له بداية أو نهاية محددة حول النية السورية الفعلية بالمنطقة، وهل توجد لدى سوريا نية مهاجمة إسرائيل عسكريًا أم أن الرئيس السوري يسعى للسلام فعلاً.

---

(١) في ٧ ديسمبر ١٩٤١ قصفت الطائرات اليابانية بقيادة متسو فوشيدا، الأسطول البحري الأمريكي في ميناء بيرل هاربور بجزر هاواي، ودمرته، بناءً على أوامر من القائد العام للأسطول الياباني الأميرال ياماموتو الذي أسقطت القوات الأمريكية طائرته بعد ذلك. بدأت موجة الهجوم الأولى بـ١٨٣ طائرة حربية يابانية، (٤٩ قاذفة قنابل. و٤٠ حاملة طوربيد، و٥١ طائرة قاذفة انقضاضية، و٤٣ مقاتلة)، أتت على الأسطول الأمريكي ومطاري هيكام وهويلر، وكانت الموجة الثانية مكونة من ١٧١ طائرة يابانية، أكملت على بقية القوة البحرية الأمريكية وقضت عليها قضاءً مبرمًا.

ومن هنا كلف عدد كبير من ضباط المخابرات الإسرائيلية الكبار، بتولي ملف عملية جمع المعلومات التي تصب وتخدم في هذه النقطة الحاسمة. من بين هؤلاء كان الضابط المخضرم يهودا جيل الذي كان يعمل في قسم تشغيل عملاء الموساد في العالم، وهم العملاء ذوي المكانة الكبيرة لدى الموساد، والذين تعتبر مصادر معلوماتهم من أصدق المصادر على الإطلاق ، بعد تجربة صدقها في العشرات من المواقف التي احتاجت فيها الموساد لتأكيد أخبار ومعلومات بذاتها

(جيل) تخصص كما تقول ملفات القضية في الملف السوري. وعلى هذا كلف بتشغيل عدد من جواسيس إسرائيل في سوريا، لجمع المعلومات الهامة والناقصة التي يمكن أن تعطى صورة جلية عما تدبر له العقول السورية. وكان من بين هؤلاء العملاء مصدر اعتبر من أهم المصادر السورية بسبب صدق أكثر من ٧٠٪ من حجم المعلومات التي يرسل بها للموساد[١]، أو تلك التي سلمها بنفسه خلال وجوده في أوروبا للقاء جيل المسئول عن تشغيله[٢].

على هذا راح جيل من فترة إلى أخرى يطلب السفر إلى أوروبا بدعوى لقاء مصدره السوري الهام ،الذي رفض أن يفصح عن شخصيته لأحد بالجهاز، بدعوى أنه يخشى عليه من أن ينكشف فتضيع على الموساد فرصة من أفضل فرص جمع المعلومات عن سوريا. وزيادة في إقناع رؤسائه بالموساد راح جيل يكتب بنفسه تقارير مزورة بها معلومات ليس لها أي أساس من الصحة، تفيد بأن سوريا تحرك جيوشها تجاه الحدود الإسرائيلية، وأن القوات المدرعة السورية تقترب من الحدود السورية - الإسرائيلية الملاصقة لهضبة الجولان المحتلة، وأن سوريا تشتري أسلحة جديدة حديثة يمكن بها قصف إسرائيل بصواريخ المدى البعيد.

---

(١) هكذا تدعى الموساد كما هو معروف لإثارة الشكوك، ولإرباك أجهزة الاستخبارات السورية في عملية البحث عن عميل لا وجود له.

(٢) ضابط الحالة بالمصطلح المخابراتي.

وزيادة في إرهاب وإخافة الموساد وسائر الشعب الإسرائيلي من مدنيين وحكومة، زعم يهودا جيل، أن سوريا اشترت عددًا كبيرًا من الصواريخ (سكود) بعيدة وقصيرة المدى، جرى تزويدها بالرؤوس الكيماوية التي أصبحت معدة لقصف إسرائيل بشكل مفاجئ.

وعلى أساس هذه المعلومات بدأ الجيش الإسرائيلي في دفع قواته بالفعل تجاه الحدود مع سوريا سرًا، وراحت وزارة الدفاع الإسرائيلية تعد الخطة المضادة، بل إن العقلية الإسرائيلية العسكرية التي تفضل دائما القيام بضربات وقائية ضد العدو، بدأت تفكر في ضرب سوريا قبل أن تبدأ هي ضربتها المفاجئة لإسرائيل. أي بمعنى أن معلومات الضابط الإسرائيلي المحتال، كادت بالفعل أن تدفع بالمنطقة إلى حافة معركة رهيبة لا يعلم مداها غير الله

اللص الأنيق

وسائل الإعلام الإسرائيلية ذكرت أن أخطر المواقف الأمنية على إسرائيل، كانت بسبب التقارير الكاذبة التي ألفها (جيل) في شهر سبتمبر عام ١٩٩٦، عندما سافر إلى أوروبا كعادته بدعوى لقاء مصدره، وتسلم تقارير جديدة غاية في الأهمية والخطورة، وسمحوا له بالسفر كالعادة مع حرية السحب من الحسابات المفتوحة للموساد ببنوك العالم. غير أن تلك المبالغ التي كان يسحبها كان يأخذها لنفسه، لأن الواقع أن وجود المصدر السوري الهام الذي يمد جيل بالمعلومات والتقارير المزعومة، ليس إلا وهمًا كبيرًا عاش فيه الموساد على أيدي جيل لمدة عشرين عامًا

في سبتمبر ١٩٩٦ وصل جيل إلى أوروبا وطلب رئيس الموساد داني ياتوم من جيل أن يصطحب معه في اللقاء ضابط موساد آخر أكثر خبرة وأطول خدمة بالموساد. إلا أن جيل غضب من ياتوم بدعوى أنه لن يتحمل في هذه الحالة

مسئولية فقدان المصدر إلى الأبد، لأن المصدر علـى حـد تعبـيره يرفـض لقـاء أي ضابط غير جيل.

وأمام هذا التهديد من جيل رضخ رئيس الموساد للأمر، لكـن الشـك كـان قـد بدأ ينتابه، فطلب تحليل كافة المعلومات التي سيأتي بها جيل عقب عودتـه. وبالفعل صدق حدس الشك، فقد اتضح أن معظم معلومات جيـل مسـتوحاة مـن التقارير الصحفية لا أكثر. لذلك قرر داني ياتوم متابعة جيـل في المـرات التاليـة لسفره إلى أوروبـا. وبـالتتبع اكتشـفت الحقيقـة، وهـي أن جيـل يسـافر للمتعـة الشخصية، وأنه يزور الحانات وبيـوت الدعـارة ويشـتري أفخـم الملابـس علـى حساب الموساد. وعندما يعود يكون قد أعد تقريره المفبرك بداخل غـرف إقامتـه بالفنادق التي اعتاد على النزول بها. وبعد أن صوروه تقرر اعتقالـه فـور وصولـه لإسرائيل.

أما جيل المزور، فقد اعترف بعد اعتقاله بأنه قام بفعلته لكي يظلـوا بحاجـة إليـه دائمًـا، مؤكـدًا بـأن كافـة الملفـات الـتي قدمـها للموسـاد كـان منـها ٥٠٪ معلومات عامة، و٣٠٪ معلومات سليمة ، و٢٠٪ معلومات ألفها هو.

هذا وقد ادعت الموساد بأن المصدر السوري رجل كبير في السن تعـدى ربمـا الستين من عمره، وأنه كان يعمل في الماضي بمنصب هام، ولكنــه خـرج مؤخـرًا على المعاش ونضبت مصادر حصوله على المعلومـات. وفي أوروبـا كعادتـه تقـابل جيل مع المصدر السوري وراحا يتحدثان عن الماضي وكيف كانا يعمـلان معًـا في المواقف المتوترة للغايـة. ودار الحديـث بينـهما علـى هـذا المنـوال حتـى انتـهى اللقاء، وعاد جيل إلى إسرائيل ليقدم تقريره المعتاد والمزيف لمعلوماته المغلوطة.

يومها.. تمت دعوة جيل لتقديم التقرير رأسًا إلى رئيس الموساد. وبعد أن قـرأ ياتوم الملف الذي قدمه إليه جيل صرخ فيه قائلا:

– لم يكن ينقصك أي شيء لكي تفعل هذا. كل ما كتبته عن اللقاء مجرد قصة طويلة فاسدة ، حتى الأموال التي كنت تحصل عليها لم تصل للعميل كما كتبت في كل التقارير[1].

بعدها خرج ياتوم من مكتبه وطلب من رجاله اعتقال جيل ضابط الموساد المخضرم الذي تربى على يديه العديد من ضباط الموساد الحاليين

إن الجدال في المحكمة بين الإدعاء في قضية (يهودا جيل) وبين المحامين المترافعين عنه لن يكون حول جوهر اتهامه. فيهودا جيل اعترف في ا لحقيقة أثناء التحقيق معه أنه منذ نهاية الثمانينيات قام بإمداد جهاز المخابرات الإسرائيلي بمعلومات كاذبة. وفي المخابرات يقولون أن الأمر كان قد بدأ في عام ١٩٧٦. والسؤال المطروح هو كم من الوقت استمرت الخيانة الداخلية؟

ترميم الموساد

على أية حال ، تسببت هذه القضية في فضيحة مدوية ، وفي خسائر ثقيلة أفدحها الضرر البالغ الذي لحق بسمعة المخابرات الإسرائيلية. حتى ولو زعم ضباط في المخابرات العسكرية بأنهم قد اشتبهوا من وقت لآخر أكثر من الآخرين في المعلومات التي وصلت من (جيل) (منذ عام ١٩٧٩)، ففي جهاز المخابرات العسكرية (أمان) كان هناك من صدق حتى وقت قريب، المعلومات التي وصلت من (جيل) . وكان هناك من وصف مصدر معلومات (جيل) بأنه مصدر استراتيجي وليس له بديل.

يقول الصحفي الإسرائيلي (زئيف شيف) في عدد ١٢ ديسمبر ١٩٩٧ بصحيفة ها آرتس[2]:

---

(١)ذكرت مصادر إسرائيلية أن جيل حصل على ١.٥ مليون دولار مقابل المعلومات المزيفة التي ادعى أنه قدمها للعميل السوري (الغير موجود أصلا) وهي معلومات تتصل بالخطة العسكرية السورية لاستعادة الجولان التي احتلتها إسرائيل في ١٩٦٧ وضمتها ضمن حدودها في عام ١٩٨٠.

(٢) نشر بالمجلة الشهرية التي يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عدد فبراير ١٩٩٨.

إن السرية هم أكثر الأسلحة المتقدمة للموساد وللمخابرات الإسرائيلية، وهي التي خلقت السمعة والهالة لجهاز المخابرات الإسرائيلي على الرغم من أنه قد كان له في الماضي أيضًا تجارب فاشلة.

إن المعلومات التي جلبها جيل لم تؤثر في الأعوام الأخيرة على تقديرات المخابرات القومية، ولكن ماذا سيستنتج بالفعل القائمون بالتقييم في المخابرات الأمريكية؟ وسوف يتساءل القادة في شك إلى أي مدى يمكن الاعتماد بالفعل على المخابرات؟ وحتى الآن كان هناك شعورا سائدًا بأننا نعرف عن العرب أكثر مما يعرفونه عنا

وربما الطرفان لا يعلمان بشكل كاف وصحيح

وهناك أيضا (الضرر المباشر) في مجال المخابرات بسوريا بصفة عامة، والضرر الناتج عن التأخر (التقهقر) المخابراتي. وهذا غير معلوم للآن. مثلما يحدث في حالات سقوط الشبكة، مثلا، حيث يسود جمود مخابراتي معين والذي يكون دائما مؤقتا. وبعد ذلك تعود الحياة إلى طبيعتها

إن تشويه الصورة الذاتية من الممكن أن يضر بالروح المعنوية الداخلية. ومن المثير للدهشة أنه في الموساد بالذات، يوجد إحساس طيب بأنهم لم يخفوا القضية، وأنهم عملوا جاهدين لترميم المنزل من الداخل، حتى وإن أخذوا في اعتبارهم أن التحقيق سوف يفضح القضية



فضيحة الموساد في (إيران جيت) ..!!

(مبادلة الرهائن الغربيين في لبنان بالسلاح رفضتها بريطانيا بحسم.. أما أمريكا فقد لجأت للقنوات السرية للاتصال بالإيرانيين عبر إسرائيل.. برغم حظر بيع الأسلحة لإيران الذي تزعمته أمريكا عَلَنًا. إلا أن طهران سرَّبت أخبار الصفقة.. ومن ثم تناولتها الصحف ووكالات الأنباء.. وتحولت في النهاية إلى فضيحة مدوية لإسرائيل وأمريكا.. وعرفت عالميًا باسم (فضيحة إيران جيت)..!!)

صدام يغزو إيران

بذلت إسرائيل جهودًا جبارة منذ قيامها، لكسر الطوق العربي المحيط بها؛ عن طريق الدخول في علاقات مصالح متشابكة مع إيران وتركيا، والدول الإفريقية الأخرى، لتطويق الدول العربية، وحصارها من الشمال والجنوب والشرق.

ففي الشمال والشرق. أسست المخابرات الإسرائيلية أواخر عام ١٩٥٨، منطقة ثلاثية تسمى (ترايدانت Traidant) بالاتفاق مع جهاز الأمن الوطني التركي (المخابرات) ، والمنظمة الوطنية للاستخبارات (السافاك) في إيران. وبتوقيع هذه الاتفاقية، توافرت للموساد علاقات حميمة إضافية بهذين الجهازين، حيث نصت بنود الاتفاق على تنظيم تبادل مستمر للمعلومات، بالإضافة إلى اجتماعات شبه دورية على مستوى رؤساء الأجهزة الثلاثة.

وأيضًا، نص الاتفاق الأصلي مع تركيا، على إضفاء الشرعية على الارتباط الاستخباراتي بين البلدين، على أن تقدم الموساد معلومات حول نشاط عملاء السوفييت في تركيا، وكذا العملاء الذين يعملون ضد الأتراك في الشرق الأوسط، مقابل إمداد الإسرائيليين بمعلومات حول ما يمكن أن يؤثر على أمن الدولة اليهودية من النوايا السياسية والعسكرية للدول العربية، وحول نشاط وشخصيات عملاء (الجمهورية العربية المتحدة) - (هكذا في النص) - الذين يعملون ضد إسرائيل.

إن الغرض الأساسي للعلاقة الاستخبارية بين إسرائيل وتركيا، يكمن في تطويق العراق وسوريا من الشمال، وأيضا، تطويق العراق من جهة الشرق، بإقامة علاقة وطيدة بالنظام في إيران.

هكذا عملت الدولة اليهودية على تنمية سياساتها مع الإيرانيين لمعاداة العرب، ودخلت في (عمليات) مشتركة مع السافاك الدموي[1] منذ أواخر الخمسينيات، ودعمت أكراد العراق لزعزعة استقرار الحكم في بغداد.

ولكي ترتكز الموساد على أرض صلبة في إيران، قدمت للسافاك معلومات وافية عن اتجاهات السياسة في العراق، والنشاط الشيوعي في البلاد العربية المؤثرة على إيران.

لقد تصاعدت علاقة التنسيق الاستخباري بين الجهازين، لتصل إلى القمة في منتصف الستينيات، خاصة بعدما ازداد التوغل السوفييتي في المنطقة العربية، مما اضطر شاه إيران لفتح الأبواب السرية المغلقة لرجال الموساد، وإسباغ صفة الشرعية على عملياتهم الاستخبارية ضد العراق. إذ جعل من المناطق المتاخمة للحدود العراقية نقاط انطلاق، ومراكز لتجنيد وتدريب الجواسيس العراقيين على اختلاف الملل والاتجاهات، بل وكانت توجد بهذه المناطق محطات استقبال لاسلكية للمعلومات المتدفقة من بغداد

لكل ذلك ، أمكن لضباط المخابرات الإسرائيليون ، أن ينعموا بالأمن والانتشار والتحرك، بمعاونة ضباط السافاك، فاستطاعوا تكوين شبكات جاسوسية خطيرة ومتشعبة، تمد الموساد بما يشبه خريطة سير العمل اليومي ،

---

(١) السافاك – SAVAC - جهاز الاستخبارات الإيراني. قريب الشبه من SAVAGE أي التوحش والبربرية، أنشئ عام ١٩٥٣ لمساندة حكم الشاه وتعضيده، بعد ثورة مارس ١٩٥٣ التي قادها الدكتور محمد مصدق رئيس مجلس الوزراء، واعتصامه بمبنى البرلمان (بالبيجاما) هربا من اغتياله. وحكم الشاه إيران بالحديد والنار، حيث اتبع السافاك كل أساليب الوحشية مع الشعب الثائر من أجل تثبيت حكم الشاه بالقوة.. وطارد السافاك المعارضين بالخارج والداخل. وتحت هذه المزاعم أباد عشرات الآلاف من الإيرانيين لقوا حتفهم في سراديب السجون وتحت وطأة التعذيب.. وكان رئيس السافاك الثالث والأخير، نعمت الله نصيري، يلقب بالمكروه الأول. ووصف بالسادي المتوحش وكانت ميزانية الجهاز تتعدى المليار دولار، وبلغ عدد موظفيه أكثر من مليونين موظف وعميل. وكان عدد المعتقلين خلال عام ١٩٧٥ مائة ألف داخل السجون.. وبعد ثورة الخوميني ظهرت حقائق بشعة عن السافاك، واعتقل رئيسه (نصيري) وحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص، ونفذ فيه الحكم فوق سطح المبنى الذي كان يشغله الإمام الخوميني في مدينة (قم).

وسجل للحياة المختلفة في العراق[1]. كما تقوم بتنفيذ المهام والأوامر التي تكلف بها، لرسم خطط السياسة الإسرائيلية واستراتيجيتها لكل مرحلة.

ولسنوات طويلة ظلت إسرائيل وإيران على علاقات وثيقة، وكانت مخابرات إسرائيل في إيران تتمتع بحرية كبيرة في النشاط والتحرك بلا قيود.. إلى أن قامت الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ بزعامة الإمام الخوميني.. فغادر الشاه طهران مقهورًا.. وبقيام الجمهورية الإسلامية في إيران وحل جهاز السافاك.. انتهى النشاط الاستخباراتي الإسرائيلي هناك.. بل ولم تنس إيران في غمرة حربها مع العراق. أن تعلن بأن هذه الحرب مجرد مرحلة مؤقتة.. وستمتد عما قريب إلى إسرائيل

العداء التاريخي

تأزم الموقف إثر هذه التصريحات في تل أبيب.. فالثورة الإسلامية بدت حربًا جديدة تتهدد أمن إسرائيل وحلمها في التوسع والهيمنة.. ولا يفتأ الأئمة الإيرانيون في الإعلان عن تحرير فلسطين[2] وعودة القدس.. وطرحت الثورة الإسلامية نفسها على الساحة السياسية. إذ أثارت كلمات الخوميني الحماسية شعورا قويا بالهوية الشيعية.. فتحركت الجماهير الشيعية في جنوب العراق التي يسيطر عليها السنة.

وفي صيف ١٩٧٩ عبأ زعيم الشيعة في النجف آية الله محمد باقر الصدر أتباعه في مظاهرات ضخمة تأييدًا لثورة الخوميني.. وراح الخوميني نفسه يطعن في جوهر فلسفة حزب البعث.. وبصوت روحاني ترددت خطب وبيانات الخوميني، الذي وصف في إحداها القومية العربية بأنها متعارضة مع الإسلام، لأنها تعوق الإسلام على العمل كقوة موحدة دينيا وسياسيا.

---

(١) التجسس الإسرائيلي على العراق.. انظر كتابنا: (جواسيس الموساد العرب - قصة سقوط ٢٥ جاسوسًا) - الفصل الثاني منه بداية من صفحة ٢٧٧ : ٣٨٨، عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

(٢) فور قيام الثورة الإسلامية في إيران، عمد الإمام الخوميني إلى الاستيلاء على السفارة الإسرائيلية في طهران. وتسليمها إلى منظمة التحرير الفلسطينية.

ورد صدام حسين.. ففي أكتوبر ١٩٧٩، أصبح أول رئيس دولة عربية يصطدم بالنظام الجديد في طهران.. فوصف الثورة الإيرانية بأنها (غير إسلامية) وسخر من سلطة آية الله وقال:

- (إن القرآن كتب بالعربية.. وأن الله كتب على العرب - وليس الإيرانيين- القيام بدور الريادة في الإسلام)

وفي أول أبريل ١٩٨٠ فشلت محاولة اغتيال نائب رئيس الوزراء طارق عزيز.. وكان الشيعة هم الذين خططوا لاغتياله.. وأعطى هذا الحادث الذريعة لصدام حسين للبدء في القضاء على الحركة السياسية الشيعية العراقية.. فاختفى إلى الأبد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى، رمزا المعارضة الشيعية. وأجبر ثلاثمائة ألف شيعي على مغادرة وطنهم إلى إيران بدعوى أنهم من أصول إيرانية، ولا يحق لهم العيش فوق الأراضي العراقية

أمام تسارع الأحداث دعا الخوميني العراقيين (للإطاحة بالنظام الفاسد). ووصف صدام علانية بأنه (كائن طفيلي خائن).. وتوعد بالإطاحة به كما أطاح بالشاه[1].. ووصف نائب الخوميني.. حسين علي منتظري.. نظام (الجزار صدام حسين)، بأنه معادٍ للإسلام

وفي سبتمبر ١٩٨٠ امتد الصراع المحتدم بين القومية العربية والإحياء الإسلامي.. العداء التاريخي المستمر منذ قرون طويلة بين العرب والفرس.. والنزاع على الأراضي المتدة من بلاد ما بين النهرين العثمانية إلى العراق البعثية.. ليلحق بمخاوف صدام حسين من الاضطرابات الشيعية في جنوب العراق.. حيث يمثل الشيعة ٦٠٪ من مجمل السكان، ويشترك السُّنَّة مع الأكراد في الشمال في نسبة الـ ٤٠٪ الباقية

---

(١) عن الحرب العراقية الإيرانية، وتطورات الأحداث حتى انهيار نظام صدام حسين، انظر كتابنا: (ماذا حدث في بغداد؟ - قصة الخيانة والسقوط) عن دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة .

لكن ، أمام كاميرات التليفزيون العراقي .. وفي تصعيد خطير.. مزق صدام حسين اتفاقية الجزائر[1] التي سلمت العراق بموجبها بسيادة إيران على شط العرب.. وقام صدام حسين بشكل مفاجئ بغزو الأراضي الإيرانية.. داعيًا العرب لمؤازرته في حربه ضد الفرس.

نغمة الوعيد

وخوفًا من الثورة الإسلامية على نظمها.. سارت الدول العربية خلف قائد لم تختره.. وأعلن الملك حسين أن (العراق هو خط المواجهة ليس فقط للأردن بل للمنطقة كلها.. للخليج والسعودية وسلطنة عمان).. وكانت الدول الخليجية أكثر حذرًا.. إذ رفضت منذ البداية أن يقودها صدام.. لكن مع مرور الوقت وتطور الأزمة.. وإزاء مخاوفها المتزايدة من امتداد الثورة الإسلامية إلى شعوبها. تحولت أموال السعودية والكويت والإمارات للمجهود الحربي في العراق.. رغبة في احتواء إيران.. ومنذ بداية الحرب عمل صدام حسين على أن يضع في الأذهان أن تلك الحرب عربية ضد القوة الفارسية التي تريد السيطرة على العالم العربي السني.. ومع طول سنين الحرب راح صدام حسين ينتقد الموقف العربي من الحرب التي تستنزف العراق.. ويقول مستنكرًا (لقد بذلنا الدماء بينما السعوديون يبذلون الأموال).

---

(١) فرضت إيران هيمنتها على شط العرب.. وحاول العراق كثيرًا الوصول لاتفاق مع الشاه لتقسيم المياه في الشط.. وتوسيع حدود العراق فيه، لكن الشاه رفض بشدة.. مفضلاً أن يظل العراق مخنوقًا "بحريًا" هكذا إلى الأبد.. وعام ١٩٧٥ وقع صدام حسين، (وكان وقتها نائبًا لرئيس الجمهورية) مع الشاه اتفاقية الجزائر.. التي يقر فيها العراق بحدوده مع إيران في شط العرب. ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران.. اعتقد صدام حسين أنه يستطيع الهيمنة على شط العرب بزوال حكم الشاه القوي.. لكن صدام كان واهمًا.. فبعد حرب طويلة مريرة قاسية استغرقت ثمان سنوات.. لم ينتصر خلالها طرف على آخر.. وافق صدام حسين على الاعتراف باتفاقية ١٩٧٥.. وعقد مجددًا اتفاقية صلح مع الإيرانيين على هذا الشرط.. وكانت النتيجة أنه تسبب برعونته في قتل عشرات الآلاف من جنوده وضباطه.. وإضاعة ٨٠ مليار دولار هي مجمل نفقات الحرب.. دون تحقيق مكسب واحد يعلنه أمام شعبه.. إلا أنه أمام التذمر العسكري والشعبي.. قام بإعدام المئات من أكفأ ضباطه.. ليحل محلهم مجموعة من أقاربه أفضلهم لم يحصل على الشهادة الإعدادية.. وجعلهم على رأس أجهزة الدولة لضمان الأمن الشخصي والولاء الكامل.. فكانت النتيجة أن ضاع العراق.. لأن الجهلة الذين لا يعرفون أشكال الحروف حكموه.. فأذاقوه الذل.. والقهر..!!

أما في إسرائيل التي تقطعت بينها وبين إيران سبل الاتصال.. فقد تضاعف القلق على مصير أكثر من ثمانين ألف يهودي ينتشرون في إيران.. وكان عليها أن تؤمن طرق الخروج لأولئك الذين يرغبون بالهجرة لإسرائيل.. وبواسطة قنوات دبلوماسية دولية. حاولت إسرائيل الدخول في حوار مع نظام الخوميني لتجديد العلاقات مع البلدين . ولفتت إسرائيل نظر طهران إلى أنها أنقذت إيران من خطر الهجوم الذري مستقبلاً.. بتدميرها المفاعل النووي العراقي (أوزيراك) في ٧ يونيه ١٩٨١، إلا أن المحاولة فشلت فشلاً ذريعًا.. فإيران تنظر إلى إسرائيل على أنها عدوها الثاني. أما أمريكا فهي العدو الأول، والشيطان الأكبر. !

تواكب ذلك مع ظهور قوة الشيعة الجديدة في لبنان.. يساعدها ثوار الخوميني بالتدريب والتمويل.. وما حدث بعد غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ كان مفاجأة صاعقة للإسرائيليين على الإطلاق. إذ أن قوة حزب الله في التحرك والمقاومة قد تنامت وتعاظمت لدرجة التوحش.. وتعددت عمليات المقاومة بشكل مذهل أصاب العسكرية الإسرائيلية بالصدمة المروعة.. وباتت عمليات حزب الله تشكل أحد أهم المخاطر للتواجد العسكري الإسرائيلي في لبنان. إذ نشط الاستشهاديون بحماس زائد.. وتنوعت العمليات العسكرية تعززها مخابرات قوية خططت ونفذت عمليات مدهشة.. حيث نسفت السفارة الأمريكية في بيروت وقتل خمسة وأربعون شخصا.. وفجرت مقر رئاسة القوات البحرية الأمريكية.. ومقر فرقة عسكرية فرنسية.. وأجبرت هذه العمليات على انسحاب القوات الإسرائيلية خارج لبنان مع الاحتفاظ بوحدات رمزية مع الميليشيات اللبنانية في الجنوب.

وفي غضون سنوات قليلة اختطف رجال المقاومة الإسلامية في لبنان أكثر من خمسة وثلاثين رهينة من البريطانيين والأمريكيين وجنسيات أوربية أخرى. ورفضت رئيسة الوزراء البريطانية مرجريت تاتشر التفاوض معهم أو تلبية

مطالبـهم.. إلا أن الولايـات المتحـدة برغـم التصريحـات الرنانـة بعـدم الرضـوخ لهؤلاء (الإرهابيين).. فقد لجأ الرئيس الأمريكي رونالد ريجان للقنـوات السرية للتفاوض معهم من أجل إطلاق الرهائن

كـانت إيـران، كمـا هـو معـروف، تمـد المقاومـة الإسـلامية في لبنـان بالمـال والتدريـب.. برغـم انشـغالها بـالحرب مـع العـراق في معركـة طـالت والتـهمت الاقتصاد والعتاد والشباب.. لذلك اعتقدت الولايات المتحدة أن إيران قد تمارس لعبة الإفراج عن الرهائن في لبنان بالتلويح لهـا بـتزويد قواتـها المسلحة ببعـض العتاد.. لكن كيف يتم ذلك والعلاقـات بـين واشـنطن وطـهران سيئة للغايـة. خاصة بعد حادث احتلال السفارة الأمريكية في طـهران[1] وهـو الحـادث الـذي أذل الأمريكيين وحطم كرامتهم. لقد كانت هذه الرؤية مطروحة في الوقت نفسـه الـذي تـزود فيـه أمريكـا العراقيـين بالسـلاح المتقـدم ، وصـور الأقمـار الجويـة للجبهة ، للقضاء على القوة الإيرانية وتعريتها.

التقطت إسرائيل هذا الخيط وأرادت اسـتثماره عمليًـا.. وكـانت تـهدف مـن وراء ذلك عدة أهداف.. فهي من ناحية تريد مجاملة أمريكا وإسداء خدمة إليها بعد توتر العلاقات مع واشنطن بسبب فضيحة جوناثـان بـولارد.. ومـن ناحيـة ثانية كانت إسرائيل تمتلك مخزونًا كبيرًا من الأسلحة التي استولت عليـها مـن الفلسطينيين في غزوها للبنان.. إضافة إلى رغبتها الملحة في تهدئـة نغمـة الوعيـد التي دأب الإيرانيون على إطلاقها ضد إسرائيل.. وكانت صفقة أسلحة أمريكية من إسرائيل لإيران[2] ، كفيلة بأن تحقق كل هذه الأهداف والمصالح.. وفي ذات

---

(١) احتل الشباب الثوري السفارة الأمريكية في طهران مدة ٤٤٤ يومًا، وكان تحـت أيديـهم بعـض الرهـائن مـن الدبلوماسـيين، عجـزت الولايـات المتحـدة عـن تحريرهـم في ٢٤ أبريـل ١٩٨٠ بواسـطة عمليـة إغـارة فاشـلة بالهليوكبتر.

(٢) كان شاه إيران محمد رضا بهلوي قد سلح جيشه بالعتاد الأمريكي ، حيـث أمدتـه واشـنطن بـأحدث مـا في ترساناتها الحربية منه. لذلك كانت إيران بعد حربها مع العراق بحاجة إلى قطع غيـار لأسـلحتها، وإلى بعـض أنواع الأسلحة التي ترى أهميتها لتحقيق مكاسب في الحرب.

الوقت تحقق علاقات طيبة مع طهران قد ترقى ذات يوم إلى علاقات رسمية بين البلدين.

اتصل رجال الموساد بصديقهم القديم يعقوب نمرودي.. وهو رجل أعمال شغل من قبل منصب الملحق العسكري الإسرائيلي في طهران.. وانحصرت مهمته في البحث عن إيرانيين معتدلين يمكن التفاوض معهم.. وكان الأمل كبيرًا في مهمة نمرودي الذي كان رجل الموساد في إيران من ١٩٥٦ إلى ١٩٧٠.. وتتشابك علاقاته ومصالحه برجال السافاك السابقين.. وبرغم قيام الثورة الإيرانية ظل نمرودي محتفظاً بعلاقات وثيقة بذوي النفوذ في إيران.. حيث تغاضى رجال الثورة عن صداقته الحميمة بالشاه.. وكونه تاجر سلاح دولي معروف.

تحمس نمرودي منذ البداية للمهمة التي كلف بها وأحس بالزهو وإسرائيل وأمريكا تلهثان خلفه للمساعدة في الإفراج عن الرهائن.. ولما كانت المهمة بالنسبة إليه أكثر المهام حساسية في تاريخه، اتصل على الفور بصديقه عدنان خاشقجي، رجل الأعمال السعودي وتاجر السلاح المعروف، وتوالت الاتصالات بشخصيات أخرى منها ضابط كبير سابق في السافاك اسمه مانوتشر جورباني فار.. وهو مشهور بـ (جوربا) وكان يهوي صفقات الإطارات ويمتلك شركة شحن بحرية.. حيث يسعى لتكوين علاقات تجارية مع إسرائيل وأمريكا.

أفهم جوربا صديقه نمرودي أن له علاقات واسعة برجال الثورة في إيران.. وأن بإمكانه الاتصال بهم والتفاوض بشأن مطالبهم من السلاح لإنقاذ الرهائن الغربيين في بيروت كمقابل.. إلى أن جاء الرد من طهران.. وكان محددا وقاطعا: (نريد صواريخ هوك أرض / جو الأمريكية المضادة للطائرات، وصواريخ (تاو) المضادة للدبابات).

الفضيحة..!!

دخلت المسألة في إطار أعمق.. ومتشعب الحساسية.. إذ كان تزويد طهران بالصواريخ في حربها ضد العراق.. يعد خرقًا لحظر تزويد الإيرانيين بالسلاح..

وتوترًا للعلاقات بين بغداد وواشنطن.. بما يؤثر سلبًا على علاقات واشنطن بالعواصم العربية التي تدعم صدام حسين ضد إيران.. لكن أمام الحاجة الملحة للإفراج عن الرهائن تواصلت خطوات المغامرة..!!

عندما عرضت الفكرة على حسين الموسوي رئيس الوزراء الإيراني تعجب في البداية وتملكته الدهشة. لكنه أدرك أن زمام الأمر في يده هو. لذلك اشترط صواريخ (هوك) التي يحتاجها جيشه بإلحاح.. واستراتيجيًا كان يمكن لهذه الصواريخ أن ترجح كفة الميزان العسكري في المنطقة لصالح إيران. إلا أن المصالح الأمريكية والإسرائيلية تجاهلت ذلك، واندفع جوربا بقوة لإتمام الصفقة التي سيتحدد على مصيرها وضعه التجاري في السوق العالمية.؟

إنها دائرة متشابكة من المصالح غرق فيها كل من اشترك في تفاصيل الصفقة وعمل على إنجاحها.

أرسل حسين موسوي رئيس مخابراته (محسن كانجارلو) إلى سويسرا للتفاوض، وإملاء الشروط والمواصفات العسكرية طبقًا للمواصفات الأمريكية المعدلة.. وكان المقابل المادي للصفقة ٢٤ مليون دولار عن ثمانين صاروخًا. ستقوم إسرائيل بشحنها إلى طهران.

وعندما كان كانجارلو في جنيف مع نمرودي.. وصلت إلى تبريز في إيران طائرة نقل مستأجرة يقودها كولومبي محملة بالصفقة.. حيث كان موسوي وخبراء الصواريخ بانتظارها.. وعند فحص الصواريخ بهت رئيس الوزراء.. فقد كانت الصواريخ هوك من الطراز القديم[1] الغير معدل، عكس ما جاء بالمواصفات المطلوبة.. ومن تليفون المطار الإيراني صرخ موسوي في رئيس مخابراته:

---

(١) كانت هذ الصواريخ تقوم منذ سنوات طويلة، على حماية مفاعل ديمونة النووي في النقب، ولما استبدلتها إسرائيل بالصواريخ المعدلة من ذات الطراز، تخلصت منها بإرسالها إلى إيران، بعد تنظيفها ودهانها من جديد باللون الأصلي.

– أيها الأحمق.. لقد ورطتنا مع عصابة من الأوغاد ..!!

– سيدي. أنا لا أفهم شيئًا.. ما الأمر..؟

– هؤلاء اليهود الأقذار أرسلوا ما لم نطلبه.. لقد تعرضنا لخدعة..!!

ارتجف بدن رئيس المخابرات وفقد القدرة على الكلام.. وكان صوت موسوي الجهوري المتوعد عاليًا بحيث سمعه نمرودي.. إذ اتضح أن الصواريخ كانت من الموديل القديم الذي لم يتم تعديله.. واضطر موسوي لاحتجاز الطائرة واعتقال طاقمها مما اضطر إسرائيل إلى الاعتراف بأن الصواريخ بالفعل قديمة الطراز وأن هناك خطأ ما في الصفقة.. ثم اضطرت أخيرا لإرجاع الأموال الإيرانية.. وترك أمر الرهائن في لبنان لمصير مجهول.. حيث تم إعدام غالبيتهم[1] ووجدت جثثهم على أرصفة شوارع بيروت وفي طريق المطار.

تكشفت فضيحة (إيران جيت).. ولاحقت أمريكا وإسرائيل الاتهامات وأوصاف الخيبة في الأوساط الدبلوماسية.. مما أدى إلى اتساع نطاق الفضيحة ليتعدى حدود القارات.. وكانت إيران أول من سربت أخبارها ومن ثم تناولتها الصحف في أمريكا باستنكار شديد. وأخيرا أكدتها اعترافات ضابط الموساد عميرام نير للواشنطن بوست قبلما يموت في حادث طائرة صغيرة وهو في مهمة سرية إلى المكسيك

وجاءت اعترافات نير ضربة قاصمة لأمريكا وإسرائيل على السواء.. حيث واجهت أمريكا مأزقا دبلوماسيًا حرجًا[2].. بينما بررت إسرائيل سبب تدخلها

---

(١) كان أشهرهم ضابط المخابرات الأمريكي وليم باكلي الذي تم إعدامه في بيروت بعد تعذيب شديد، وعثر على جثته بطريق المطار حيث كان مربوطًا بسلاسل .

(٢) المأزق الدبلوماسي الأمريكي الحرج، هو أن أمريكا تمد العراق بالسلاح من أجل إخضاع إيران والانتقام منها، في الوقت نفسه الذي تساعد فيه إيران بالاسلحة لضرب العراق وإنهاك قوته وبالتالي تفكيكها. ولأن صدام حسين خرج من حربه مع إيران محتفظًا ببعض قوته، شجعته السفيرة الأمريكية في بغداد (أبريل جلاسبي) على غزو الكويت، لتقليم أظافره نهائيًا، بحيث يصبح العراق بلا قوة..!!

ودورها في المهمة القذرة.. وكان عذرها الوحيد أن رئيس الوزراء (شيمون بيرين) كان حريصًا على تقديم العون لحلفائه الأمريكان.. بعد فتور العلاقات مع واشنطن إثر فضيحة جوناثان بولارد[1].

قتل الجانبين معًا

يقول الصحفي الإيرلندي (جوردون توماس) في كتابه: انحطاط الموساد.. اغتيالات وأكاذيب وارتزاق:

كان رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحق رابين) يتلوى مما أصاب إسرائيل من الهجوم المصري - السوري المفاجئ في حرب أكتوبر ١٩٧٣، لذلك رأى أن أفضل طريقة لتجنب وقوع مثل هذا الخطأ الاستخباري مرة أخرى، إنشاء هيئة دائمة ترصد أجهزة الاستخبارات الأخرى، وفي الوقت نفسه تقوم بجمع المعلومات السرية الخاصة بها.

وتحت مظلة قسم (العلاقات الخارجية) بوزارة الدفاع، أنشئ عام ١٩٧٤ مكتب (ريش)، وهو من أقوى تنظيمات أجهزة الاستخبارات وأكثرها سرية. وفي عام ١٩٧٧ تولى رئاسة (ريش) ضابط الاستخبارات (آري بنمناشي) حتى عام ١٩٨٧، وعينت له مسئولية الملف الإيراني.

تسلم بنمناشي وظيفته في الوقت الذي كانت إسرائيل توشك أن تخسر أقوى حلفائها في المنطقة. لقد عمل شاه إيران بجدّ طوال ما يزيد على ربع قرن وبعيدًا عن الأضواء لإقناع جيران إسرائيل من العرب بإنهاء حال العداء تجاه الدولة اليهودية. كان لا يزال يحقق نجاحًا محدودًا حتى أطاحت به ثورة آية الله الخميني الإسلامية في فبراير ١٩٧٩. وعلى الفور سلّم الخميني مبنى السفارة الإسرائيلية في طهران إلى منظمة التحرير الفلسطينية وبالسرعة نفسها عمدت

---

(١) يوجد بالكتاب فصل كامل عن فضيحة بولارد التي زعزعت روابط أمريكا وإسرائيل وكادت أن تؤثر كثيرًا على العلاقات بين البلدين.

إسرائيل إلى مساعدة الأكراد على شن حرب عصابات ضد النظام الجديد. كذلك استمرت إسرائيل بمدّ طهران بأسلحة تستخدمها ضد العراق. كانت سياسة "قتل الجانبين معًا" التي تبنَّاها رجال الموساد قد وضعت قيد التنفيذ.

وسرعان ما وجد بنمناشي نفسه شريكًا في مخطط ضابط الموساد الكبير (ديفيد كيمحي)، وهو مخطط جهنمي وضع لمقايضة الرهائن المختطفين في لبنان بأسلحة تقدم إلى إيران. وسافر الرجلان معًا إلى واشنطن حيث يزعم بنمناشي أنه طاف خلسة في أروقة البيت الأبيض الواسعة، واجتمع إلى الرئيس رونالد ريجان[1] وتخاطب مع كبار مساعديه.

أُعفي بنمناشي من جميع الواجبات الأخرى ليعمل مع رافي إيتان. ويذكر بنمناشي أن غرضهما كان صريحاً: "كان أصدقاؤنا في طهران في حاجة ماسّة إلى معدّات إلكترونية متطوّرة لقوتهم الجوية ودفاعاتهم الجوية والأرضية. وطبيعي أن تريد إسرائيل مساعدتهم بقدر ما تستطيع في حربهم ضد العراق".

استخدم الرجلان في سفرهما إلى نيويورك جوازي سفر بريطانيين، وأسسا شركة في حي المال في نيويورك. ولم يلبثا أن شكّلا فريقًا من خمسين رجلاً راقبوا صناعة الإلكترونيات الأمريكية ، بحثًا عن المعدات المناسبة.

أرسلت المعدات جوًّا إلى تل أبيب. وهناك، ومن دون المرور على الجمارك نقلت إلى طائرات مستأجرة من شركة "جينيس بيت" في أيرلندا التي نقلتها إلى طهران.

---

(١) أصيب ريجان عقب خروجه من البيت الأبيض بعدة أمراض نفسية معقدة، منها مرض (انفصام الشخصية)، حيث فقد تفاصيل حياته الماضية وفترة رئاسته، ويخلط كل الأحداث ببعضها بشكل مشوش. والفصام كلمة يونانية الأصل معناها: (تشقق النفس) أو: تصدع العقل Split of the soul. وهو مرض يتصف بوجود هذيان Delirium وهلوسة Hallucination والشعور بسماع أصوات لا وجود لها أو رؤية أشياء غير مرئية. ووصل ريجان في حالته المرضية هذه إلى أعلى درجاتها وأصعبها، ألا وهي فقدان الدافع لمتابعة الحياة الاجتماعية، والانعزال عن الجميع في غرفة مفردة عازفًا عن مقابلة الأقارب والأصدقاء، مع عدم الاكتراث بكل ما يحيط به..!!

لكن.. كيف استقبل المجتمع الأمريكي أخبار وتداعيات فضيحة إيران جيت..؟ وماذا عن وثائق المخابرات الأمريكية المرفوعة إلى الرئيس ريجان..؟ تقول الوثائق: بناء على معلومات مخابراتية مطلعة واستنادًا إلى تقرير: ذي كريستيان سينس مونيتور The Christian Science Monitor ٢٢ مايو ١٩٨٩ وتقرير "مارك بروزونسكي" الخبير بشؤون الشرق الأوسط والمنشور في جريدة "بي فينال Bee Final" بسكرمانتو في ٢١ أكتوبر ١٩٨٧) نرفع هذا التقرير:

"في نوفمبر ١٩٨٦ أخذت وسائل الإعلام الأمريكية والإسرائيلية تذيع أن فئات إسرائيلية قامت، ربما بمساعدة من الحكومة الإسرائيلية، بدفع إدارة ريجان إلى تزويد آية الله الخميني بالأسلحة. وعندما قام المدّعي العام أدوين ميز بتأكيد الخبر في مؤتمره الصحفي المشهور بتاريخ ٢٦ نوفمبر، نفى إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي بغضب أن تكون إسرائيل لعبت دور المحرّض والمشجّع في القضية. فما كان يخشاه المسؤولون الإسرائيليون هو أن يتخذ البيت الأبيض من إسرائيل كبش فداء في محاولة منه لشرح ما لا يُشرح للشعب الأمريكي.

وفي يناير ١٩٨٧ اشتد قلق إسرائيل عندما أتت اللجنة المختارة بمجلس الشيوخ الأمريكي للنظر في قضايا المخابرات بالتفصيل، والدور الذي قام به ديفيد كيمحي وعميرام نير[1] Amiram Nir، وحتى رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز، في إقناع البيت الأبيض بإرسال الأسلحة إلى إيران واقتطاع جزء من الربح لتمويل الكونترا بنيكاراجوا.

ومما زاد في قلق إسرائيل أن هذه الفضيحة تكشفت في أعقاب افتضاح أمر بولارد. وكان من الواضح أنه لا بد من عمل شيء لإزالة الانطباع المتزايد في أمريكا بأن كبار المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية استغلوا سذاجة الإدارة الأمريكية.

---

(١) كان يعمل في السابق مراسلاً عسكريًا في التليفزيون الإسرائيلي إلى جانب عمله في الموساد، ثم شغل منصب منسق عمليات مقاومة الإرهاب في الحكومة الائتلافية عام ١٩٨٤، وكان عمله يتبع مكتب رئيس الوزراء مباشرة.

وهكذا وبينما كان بولارد يقوم بفضح أسرار أمريكا العليا، وبينما كان المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية ومساعد كبير لرئيس الوزراء الإسرائيلي يزجّان البيت الأبيض في قضية إيران، كان الإسرائيليون يتسللون إلى الصحافة الأمريكية لتضليل الرأي العام بأكاذيب ملفقة.

وكانت لفضيحة مقايضة الرهائن بالسلاح تداعيات كثيرة.. وخلافا لنتائجها، فقد أظهرت لنا في النهاية الوجه القذر للسياسة الأمريكية التي تعلن عكس ما تبطن.. وتكذب على شعوب الأرض بدعاوى الحرية والسلام.. وفي الوقت نفسه أكدت حميمية العلاقات بين الموساد والمخابرات الأمريكية وتعاونهما اللا محدود في العمليات القذرة..!!



فضيحة التجسس في إيران..!!

كان شاه إيران قد فتح الباب على مصراعيه أمام رجال الموساد.. ووصل التنسيق الاستخباراتي بين السافاك والموساد إلى أعلى درجاته.. وبقيام الثورة الإسلامية انتهى كل شيء.. وبذلت إسرائيل جهودًا خارقة لاحتواء الإيرانيين.. بلا فائدة.. إلا أنها لم تفقد الأمل.

وبعد انكشاف شبكة التجسس الإسرائيلية في إيران عام ١٩٩٩.. تورطت الموساد.. وفضحت بذلك نوايا إسرائيل.. ليضيع الأمل نهائيا في عودة العلاقات مع إيران..!!

على جزيرة لاوان

لم يكن تفاعل علماء الشيعة في إيران أو العراق مع الأزمة الفلسطينية ، حديث العهد. إنما يرجع إلى سنوات طويلة بعيدة.. ففي عام ١٩٢٨ شارك الشيخ محمد للحسين كاشف الغطاء[1] (١٨٧٧ - ١٩٥٣) في المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس.. وألقى خطبة عصماء وصلى خلفه جميع علماء المذاهب الأربعة

وفي عام ١٩٣٣ أفتى الشيخ كاشف الغطاء بتحريم التعامل مع اليهود.. وفي عام ١٩٤٥ أصدر فتوى جاء فيها (إن من يساعد الكافر أو المستعمر هو مثل الكافر بل أسوأ حالاً عند الله منه) ووصف الصهيونية بأنها (مثل جرثومة السل الخبيثة التي تقتحم جسد الإنسان وتسكن في أعضائه الرئيسية من الرئة والقلب فتفتك بحياته)

وفي إيران برز آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني[2] الذي نظم المظاهرات في طهران عام ١٩٤٨ المنددة باغتصاب فلسطين، وقام بجمع التبرعات للمتطوعين المجاهدين، وكانت له مواقفه الجريئة ضد الصهيونية.. وضد التواجد الإسرائيلي في إيران.. وتتسم نظرة الإيرانيين إلى المجاهدين الفلسطينيين بالقدسية.. فقد وصفوهم في مقامات سامقة مع الصديقين والقديسين والمخلصين.. وتصوروهم امتدادًا للصحابة والتابعين وفرسان المسلمين الأوائل

وعندما وطد إمبراطور إيران محمد رضا بهلوي علاقاته بالإسرائيليين، وباتت لهم بعثة دبلوماسية في طهران برغم المعارضة الشيعية الشديدة.. ضاعف ذلك من حجم الكراهية للشاه.. وعجل برحيله عام ١٩٧٩ إلى خارج بلاده.. وبقيام الثورة الإسلامية واعتلاء آية الله الخوميني قمة السلطة في إيران.. تحول مبنى

---

(١) عالم ومرجع كبير في النجف الأشرف بالعراق.

(٢) آية الله الكاشاني كان الشخصية الدينية الرفيعة في إيران التي وقفت مع رئيس الوزراء محمد مصدق عام ١٩٥٣ ضد الشاه محمد رضا بهلوي .

البعثة الإسرائيلية إلى سفارة فلسطين.. واكتشف الإيرانيون أن المبنى كان يشبه القلعة الحصينة المنيعة.. وتتوافر به جميع احتياطات الأمن والسلامة.. بما يؤكد أن الإسرائيليين كانوا يدركون أنهم وسط جو مشحون بالكراهية والمقت لهم.

وخلال عدوان ١٩٥٦ على مصر كانت مدينة النجف الأشرف في حالة اشتعال وغليان.. إذ قامت المظاهرات الصاخبة منددة بالعدوان وقتل العديد في الإضرابات والمصادمات مع الشرطة العراقية.

وفي أعقاب حرب ١٩٦٧ برزت الحركة الإسلامية إلى الواقع السياسي.. وأصدر الإمام الخوميني – وكان منفيًا ومقيمًا في النجف – بيانًا هامًا يدعو فيه الجماهير العربية إلى مساندة الثورة الفلسطينية ماديًا ومعنويًا.. وبعث آية الله أبو القاسم الخوئي إلى رئيس وزراء إيران عباس هويدا[١] يطالبه فيها بقطع علاقات إيران بالكيان الصهيوني

ومنذ ١٩٦٨ دعا الإمام الخوميني إلى مناهضة الحركة الصهيونية التي وصفها بأنها غدة سرطانية في قلب العالم الإسلامي.. وطالب الشعب الإيراني (أن يعمل بكل طاقاته على قطع كل تعاملاته مع الصهاينة القاطنين في إيران وأن يضيقوا عليهم)

---

(١) أمير عباس هويدا: آخر رئيس وزراء في عهد الشاه. كان أبوه دبلوماسيا في الأردن وسوريا.. وتعلم هويدا في مدارس بيروت حتى المرحلة الثانوية.. ثم حصل على بكالوريوس العلوم السياسية من جامعة بروكسل، وحاز على الدكتوراه في التاريخ من باريس، ليشق طريقه في الخارجية الإيرانية إلى أن اختاره الشاه عام ١٩٦٥ رئيسا للوزراء وكان عمره وقتئذ ٥٦ عاما. كان هويدا يجيد العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية بطلاقة.. وبسبب ذلك كون علاقات صداقة مع أغلب زعماء العالم.. اشتهر هويدا أيضًا بحبه لزهرة الزنبق التي كان يضعها على صدره.. وفي عام ١٩٧٩ تم اعتقاله مع بدايات الثورة الإسلامية.. وأجريت له محاكمة واحدة سريعة بمقر الخوميني في مدينة قم هو ورئيس مخابراته (السافاك) نعمت الله نصيري.. وحاول هويدا تبرئة نفسه بإلقاء الاتهامات على نصيري الذي كان يصرخ مكذبا اتهاماته.. وحكم عليهما في الجلسة ذاتها بالإعدام رميا بالرصاص.. ونفذ حكم الإعدام فيهما فوق سطح مقر الخوميني.. وآخر ما طلبه هويدا قبل إعدامه بلحظات.. ألا يضربوا بعائلته وأولاده.. وقرأ الشهادة حتى منتصفها.

هكذا رفض الشيعة في إيران والعراق الكيان الصهيوني جملة وتفصيلا.. وأوجبوا القتال من أجل تحرير فلسطين والقدس.. وأباحوا دفع الأموال والتطوع لدعم الجهاد الإسلامي.. بل وجعلوا آخر جمعة من شهر رمضان يوما للقدس للتذكير باغتصابها.. وإثارة العواطف ضد اليهود في فلسطين المحتلة.. وبقيام الثورة الإسلامية في إيران أحست إسرائيل بمدى الخطر القادم من الشرق.. وعملت بكل الوسائل على استبيان رؤى السياسة الإيرانية الغير معلنة.. وكذا تطور الجيش الثوري واستعداداته التسليحية الخفية التي باتت تشكل لغزًا أمام الاختراقات الإسرائيلية والأمريكية معًا.

وفي أكتوبر ١٩٩٧ ندد الأميرال علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني بالمحاولات الأمريكية - الصهيونية، الهادفة إلى خلق ضجة مفتعلة في الخليج العربي.. بزعم الحفاظ على منطقة الحظر الجوي المفروض على العراق.. وأن إرسال أمريكا لحاملات طائراتها يستهدف تأجيج الموقف في الخليج.. مشيرا إلى أن نجاحات السياسة الإيرانية هزيمة وفشل لسياسة الحصار الأمريكي ضدها.

وكانت إيران في الشهر نفسه قد قامت بمناورات بحرية ترمي إلى اختبار مدى قدرة القوات البحرية على رد أي هجوم مفترض.. علاوة على أنها ترمي إلى زيادة التنسيق بين قوات الجيش وحرس الثورة.

هذه المناورات البحرية تسببت في قلق أمريكي وإسرائيلي.. حيث إنها جرت على مساحة خمسة آلاف ميل بحري بين جزيرة لاوان والحدود البحرية بينها وبين الكويت.. واشتركت فيها قوات جوية وبحرية وبرية ضخمة إضافة إلى غواصتين من بين الغواصات الثلاث التي اشترتها إيران من روسيا وتسلمتها عام ١٩٩٦. وكان لاشتراك حوالي خمسون قطعة بحرية وفرقاطة ومدمرة ومائة زورق سريع أحد أشكال استعراض القوة التي تمتلكها إيران.. في رسالة تحذيرية واضحة استوعبتها أمريكا على الفور.. والتزمت إسرائيل حيالها الصمت المغلف

بالتوتر بسبب تنامي القوة الإيرانية التي هددتها بها منذ قيام الثورة الإسلامية.. وتجئ فعالياتها في الهزائم المتتالية التي تسببها لها ضربات حزب الله في الشمال.

الأمل الأخير

هذا الخوف الإسرائيلي جاء أيضًا بسبب عدم إمكانها اختراق النظام الإيراني المنغلق والشديد السرية.. وما تردد من امتلاك إيران صواريخ بعيدة المدى أمدتها بها كوريا الشمالية وباكستان والصين.. تستطيع بها ضرب العمق الإسرائيلي بسهولة.. وكان تخوفها الأكبر أن تكون إيران قد حصلت على رءوس نووية من باكستان والروس بعيد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق.

بهذه الاحتمالات التي لا إجابة حقيقية لها أو تفسير صحيح. أرادت إسرائيل تكشف الأسرار الإيرانية.. والوقوف على ترسانتها التسليحية البالغة السرية

واعتمادًا على يهود إيران الذين يتجاوز عددهم المائة ألف.. كان من المحتم أن تدفع إسرائيل ببعضهم للعمل ضد إيران.. حيث تمكنت عام ١٩٩٧ من تجنيد حميد تيفلين المقيم في مدينة شيراز بجنوب إيران

كان تيفلين الشهير بـ (داني) في الرابعة والخمسين من عمره.. يهودي طماع شره يحب النقود ويعشق الخمر والنساء.. وفي وقت ارتدت فيه المرأة الإيرانية الزي الإسلامي وتبدلت صورة الحياة الاجتماعية في إيران إلى مجتمع متشدد محافظ.

استغل حميد تلك الظروف واستقطب العديد من النساء اليهوديات الساقطات لإقامة حفلات ماجنة يبحث عنها الرجال في مجتمعات إيران.. ومن خلال هذه الحفلات تمكن من تجنيد أعضاء شبكته الذين أدمنوا سهراته وإغداقه عليهم باللحم الأبيض والخمور الممنوعة وبالمال أيضا.

كانت شبكة تيفلين تهدف أيضًا إلى معرفة مدى تطور المنظومة العسكرية الإيرانية.. ومحاولة التغلغل إلى المجتمع السياسي والعسكري والأمني.. ولكون أعضاء الشبكة من اليهود أيضا كان هناك تصميم ملح على اجتذاب مسلمين ذوي مراكز ومناصب حساسة.. حيث ينظر المجتمع المسلم لليهود نظرة شك في ولائهم لإيران. لذلك فقد عكفت أجهزة الأمن على تتبع اليهود الإيرانيين ومراقبتهم.. إلا أن حميد تيفلين الذي تدرب جيدًا على كيفية التمويه والظهور بمظهر الإيراني المخلص.. مكن أعضاء شبكته – وكانوا عشرة من اليهود – من انتهاج المسلك الهادئ في حياتهم وتصرفاتهم حتى لا تثار حولهم شبهات الأمن.

وبعد عام كامل من النشاط السري لشبكة تيفلين أمكن تجنيد مسلمين اثنين في شيراز ، بدافع الحصول على المال ومصادقة اليهوديات بشكل آمن داخل منزل تيفلين المحاط بأسوار عالية ، وحديقة واسعة تحجب ما يدور بالداخل من مجون وفسق في أحط صوره(١)

وفي محاولة تجنيد مسلم ثالث للشبكة ، سايرهم الرجل بإيعاز من الأجهزة الأمنية التي أبلغها عن محاولات استغلاله لنشاطات مريبة ، بدعوى أنهم يحتفظون له بالعديد من الصور العارية التي قد يقضي ظهورها على مستقبله. وظل الرجل يظهر لهم الطاعة إلى أن ألقى القبض على جميع أفراد الشبكة الثلاثة عشر عام ١٩٩٩ ، حيث جرت محاكمتهم في جلسات مغلقة لتتوالى اعترافاتهم واحدًا تلو الآخر

---

(١) ذكرت المصادر أن زعيم الشبكة اليهودي استغل أيضًا ابنة شقيقته ذات السبعة عشر ربيعًا وشجعها على ممارسة الفجور بإذنه وتحت رعايته لاستقطاب العملاء والجواسيس، وكانت الفتاة بعين واحدة بعدما فقدت في طفولتها إحدى عينيها. وبالرغم من وجهها الغير مكتمل الحسن والإثارة، كانت فاتنة الجسد وتفوقت به على زميلاتها اليهوديات اللاتي يستغلهن خالها..!!

أثار اعتقال شبكة اليهود الإيرانية تنديدًا واسعًا داخل إسرائيل التي اتـهمت حكومة طهران باضطهاد اليهود الإيرانيين ومعاداة السامية. وقـادت المنظمـات الصهيونية في الدول الغربية هجومًا شرسًا ضد النظام في إيران، بسبب المحاكمة السرية لهؤلاء اليهود (الأبرياء) الذين لا ذنب لهم سوى أنهم يعيشون في إيـران وسط مجتمع يكن لهـم الكراهيـة والحقـد.. ووصـف ريتشـارد هولـبروك السـفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت المحاكمة بأنها (إجراءات لم تتضمن مراعاة القانون أو العدالة)

أما إيران فقد أعلنت رسميا أن اعترافات الجواسيس اليهود جاءت صريحـة دون إكراه.. وضبطت بحوزتهم أدلة التجســس لحسـاب إسـرائيل.. وبعـد عـدة جلسات سرية صدر حكم بالسـجن علـى حميـد تيفلـين بالسـجن ١٣ عامًـا هـو وتسعة يهود ومسلمين اثنين.. وفي سبتمبر ٢٠٠٠ إثر التماسات دوليـة خفضـت مدة العقوبة إلى تسع سنوات فقط.

وفي ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٢ أعلنت الطائفة اليهودية الإيرانية أن السلطات منحت إفراجًا مبكرًا لثلاثة يهود من أعضاء شبكة تيفلين وهم (جـاويد بيـت يـاكوف، وفرزاد كاشي، وشــهروخ باكناهـاد)، قبـل انقضـاء مـدة العقوبـة الـتي صدرت بحقهم وتتراوح بين ثلاث وخمس سنوات.

وبقدر ما كانت تسعى إسرائيل لتحسين علاقاتـها بـإيران منـذ قيـام ثورتـها الإسلامية في عام ١٩٧٩.. فقد أضرت فضيحة شبكة التجسس الإسرائيلية ضررًا بالغًا بأي بارقة أمل في تحسين العلاقات ولو على مستوى ضئيـل ومحـدود مـن التعامل.. وضاعت آخر فرصة أمـام الإسـرائيليين لاقتحـام طـهران بعـد الرخـاء الذي عاشوه أيام الشاه ..!!



فضيحة زوجة الدبلوماسي الإسرائيلي العاشقة..!!

تمردت على المجتمع الدبلوماسي الإسرائيلي في المجر.. وعاشت حياة العبث والمجون بكل صورها.. ولما حاول زوجها الدبلوماسي منعها.. تركته في بودابست وسافرت إلى تل أبيب.. وهناك ارتبطت بضابط مخابرات سوفييتي وسيم.. وفحل.. فعشقته.. وأدمنت الخيانة معه.. حتى كانت الفضيحة..!!

صفقة للسفير

ابـتزاز الدبلوماسـيين في عواصـم العـالم أمـر قديـم ومعـروف لأجـهزة الاستخبارات.. ودائمًا تتناقله الألسنة بحذر داخـل أروقـة وزارات الخارجيـة. إذ نادرًا ما يتم الكشف عنه على صفحات الصحف.. لكن القليل منه أفلت مـن الرقابة الصارمة وتحول إلى ما يشبه الفضيحة الدبلوماسية

ومن بين أجهزة الاستخبارات العالمية الـتي اشـتهرت بـابتزاز الدبلوماسـيين وتسخيرهم لخدمتها.. المخابرات السوفييتية (من قبل).. والمخابرات الصينيـة. والمخابرات الإسرائيلية.

وكانت للمخابرات السوفييتية في أوج عظمتها حادثة فريدة ونـادرة.. حينمـا أوقعت عميلة سوفييتية رائعة الجمال بالشـاب الأندونيسـي سـوكارنو فاتخذهـا عشيقة له لسـنوات طويلـة.. وكـانت لقاءاتـهما الحميمـة في جاكرتـا أو عواصـم أخرى يتم تصويرها بالكامل.. حتى إذا ما اعتلى سـوكارنو منصـب الرئاسـة في بلاده.. أراد السوفييت السيطرة عليه من خلال صـوره الشـائنة.. ومـا إن اطلـع سوكارنو على الصور الفاضحة حتـى بـهت عمـلاء الـ KGB وانتابتـهم الدهشـة التي انقلبت إلى صدمة مروعة.. إذ ضحك الرئيس الأندونيسي وهو يقلب الصـور بين يديه ويقول لهم: (إنها رائعة جدا.. أريـد منـها عـدة نسـخ أخـرى لتطلـع عليها زوجتي وأعضاء حكومتي.. وأكون ممتنًا لو حققتم رغبتي في أسرع وقت). وهكذا أسقط في أيديهم وفشلوا في ابتزازه وتهديده

أما المخابرات الصينية فكانت لها قصة هـي مـن أغـرب قصـص المخـابرات والجاسوسية على الإطلاق.. قصة السيطرة على دبلوماسي فرنسي في بكين اسمه (برنار بورسيكو) من خلال ضـابط المخـابرات الصيـني المحـترف (بـاي بـوش) الذي أقام علاقة خاصة مع بورسيكو وأقنعه خلالها بأنه امرأة بكامل صفاتـها.

ليس هـذا فقـط.. بـل أدعـى بأنـه حـامل في جنـين منـه.. وصـدق الدبلومـاسـي الفرنسي الساذج اللعبة القـذرة.. وتعـامل مـع (بـوش) علـى أنـه امـرأة بـالفعل أنجبت له ابنه (دو دوش).

وعلى ذلك استمر بورسيكو في إطلاع الصينيين بكل أسرار السفارة الفرنسية في بكين.. وأيضًا سفارة فرنسـا في أولان بـاتور حيـث عمـل بـهـا أيضًـا. إلى أن مرت تسعة عشر عامًا وصار الطفل صبيًا يافعًا ينادي بورسيكو بـ (أبي) ويتعامل مع بوش على أنه أمه الحقيقية.. حتى تكشفت الفضيحة في فرنسـا عـام ١٩٨٣ وجرت محاكمة علنية ببـاريس أضحكـت العـالم لغبـاء الدبلوماسـي الفرنسـي.. وذكاء المخابرات الصينية.. وأبكته في الوقت نفسه شفقة بالشاب البرئ ضحيـة المخابرات والجاسوسية الذي اكتشف فجأة أنه بلا أب أو أم.. حيث تم شـراؤه طفلاً وليدًا مقابل بضع دولارات من أسرة معدمة..(!!)

لكـن المخـابرات الإسـرائيلية الـتي كـانت أقـل شـهرة في حـوادث ابـتزاز الدبلوماسيين في تل أبيـب.. إلا أنـهـا الأكـثر انتشـارًا في هـذا المجـال.. حيـث تسعى دائمًا لاختراق المجتمع الدبلوماسي بأسلوب الإغواء فالسيطرة فالتهديد.. وكانت واحدة من أشهر فضائحها عندما اشتكى دبلوماسي مصري[1] منـذ عـهد قريب من مطاردة فتاة إسرائيلية له بغرض إقامة علاقة معه.. والغرض معـروف بالطبع من وراء ذلك

إلا أن ما حدث لدبلوماسي إسـرائيلي كبـير في المجـر ، ويقـال إنـه السـفير نفسـه، كـان صفعـة للدبلوماسـية الإسـرائيلية في أوربـا الشـرقية تنـذر بخطـورة شديدة.. وكانت في النهاية فضيحة مشهورة عملت إسـرائيل علـى منـع تسـرب تفاصيلها إلى الصحافة.

---

(١) كان هو السفير المصري السابق محمد بسيوني.. حيث ادعت راقصة إسرائيلية أنه تحرش بها جنسيًا بغرض إحداث فضيحة دبلوماسية لمصر، ولما فشلت الخطة اضطرت السلطات الإسرائيلية لحفظ التحقيق. التهمة نفسها وجهت أيضًا في أبريل ٢٠٠٣ لأحد أبناء الدبلوماسيين المصريين في تل أبيب.. حيث اتهمته طفلة إسرائيلية بأنه دأب على مطاردتها في الشوارع.. وكان عمر هذا (الابن) ١٢ عامًا (اثنى عشر عامًا فقط).

تعشق الحرام

كانت زوجة الدبلوماسي الكبير امرأة شابة جذابة تهوى التسـوق والتحـرر.. ومجتمعات الليل.. وفي العاصمة المجرية بودابست حذرها زوجها من ممارسة هواياتـها كـي لا تسـئ إلى الواجهـة الدبلوماسـية لإسـرائيل.. إلا أنـها ملـت الـبروتوكول والرسميـات المفروضـة علـى المجتمـع الدبلوماسـي.. ممـا أشـعل الخلافات بينها وبين زوجها.

حاولت أيضًا زوجات أعضاء السفارة احتواء تصرفاتها بدمجها معهن، لكـن الزوجة المتمردة كانت أكثر إصرارًا على التحرر والخروج كثيرًا للتنزه غير مبالية بالمقابلات الرسمية المفروضة ، أو بالحرج الذي أوقعت فيه زوجها.

وذات يوم في أحـد أسـواق بودابسـت أفلتـت مـن مراقبـة سـائقها الخـاص، وتعرفت بشاب مجري يصغرها في العمر، حيث أفصحت له في اللقاء الأول عـن شـخصيتها الحقيقيـة ، وأنـها تبحـث عـن الحـب الـذي فقدتـه مـع زوجـها المشـغول عنها دائمًا. يومها أنفقت مئات الدولارات على الشـاب البـاحث عـن المال قبل المتعة، لذلك قاسمها لهوهـا وهواياتـها وتعـددت اللقـاءات بينـهما في شقة استأجرتها لهذا الغرض.

ويبدو أن الزوج المخدوع عرف بطريقة أو بأخرى بأمر هذه العلاقة المشـينة.. وبعد خلاف محتدم قررت الزوجة العودة إلى تل أبيب.. برغم إلحاح الـزوج ألا تفعـل حفاظًـا علـى المظـهر الاجتمـاعي الـذي يتطلـب وجودهـا إلى جـواره في المناسبات المختلفة.. إلا أنها أصرت.

وفي تـل أبيـب .. في صيـف عـام ١٩٥٥ بعيـدا عـن رقابـة الـزوج.. ازدادت الزوجة اللاهية تحررًا وانطلاقًا.. ويبدو أن المخابرات السوفييتية كـانت تراقـب تصرفاتها المتمردة منذ زمن طويل في بودابست.. لذلـك زرعـت في طريقـها شـابًا وسيمًا يعمل دبلوماسيًا بالسفارة السوفييتية في تل أبيب.. التقى بـهـا في إحـدى المناسبات وأبدى إعجابًا بأناقتها وجمالهـا.. ولم يـترك لهـا الفرصـة لتفيـق إلى نفسها حيث حاصرها بسيل منهمر من كلمات الغزل الرقيق الـتي تشـفي غـرور أنوثتها.

انجذبت المرأة بشدة إلى الدبلوماسي الوسيم.. فدعته إلى زيارتها بشقتها. وعلى فراش الزوجية أسلمت نفسها له، فدغدغ أنوثتها التي كانت في مرحلة الاحتضار، فركعت لفحولته حتى باتت عجينة طيعة بين يديه لا تستطيع أن ترفض له أمرا

هذا الأسلوب في الاحتواء والسيطرة استخدمته المخابرات السوفييتية كثيرا من قبل. حيث تتعمد إيفاد دبلوماسيين شبان إلى سفاراتها بالخارج يكونون على درجة عالية جدًا من الوسامة والفحولة في الوقت نفسه.. للسيطرة بالجنس على نسوة بعينهن ذوات مكانة ما لاستخلاص معلومات منهن أو تجنيدهن عند الحاجة

وقد اشتهرت فضائح عديدة من هذا النوع في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا (الغربية) من قبل.. حيث يوفر عملاء السوفييت ذوي الفحولة مصادر مهمة للمعلومات.. وكانت (جودي كوبلن) المحللة بوزارة العدل الأمريكية أشهر ضحية من هذا النوع استطاعت أن تمد عشيقها السوفييتي بالوثائق بالغة السرية مقابل لحظات متعة معه في واشنطن

جهاز الأمن الداخلي، شين بيت[1]، في إسرائيل.. وهو المختص بالجاسوسية المضادة وبمراقبة الدبلوماسيين والأجانب.. اكتشف تردد الدبلوماسي السوفييتي على شقة زوجة الدبلوماسي الإسرائيلي.. ولأن الوضع كان على درجة عالية من الحساسية تم زرع أجهزة تصوير وتنصت بالشقة. وتبين أن علاقة الزوجة الشرهة جنسيًا بالدبلوماسي السوفييتي آخذة في التطور.. لتتحول تدريجيًا إلى علاقة عشق مجنون من الصعب احتواؤها.. وأن الدبلوماسي الأجنبي الذي هو في واقع الأمر ضابط بالمخابرات السوفييتية. اصطحب عشيقته إلى شقته وبالتالي قام بتصويرها عدة مرات من أجل ابتزاز زوجها في بودابست.

---

(١) استبدل الاسم بعد ذلك إلى (شاباك).

كان ايسير هاريل وقتها رئيس الموساد والشين بيت أيضًا.. أقلقه تورط السيدة الطائشة واتخذ قرارين لإنهاء الأمر بشكل سري.. حيث استدعى المرأة العاشقة إلى مكتبه وحذرها بشدة من التمادي في علاقتها بالدبلوماسي السوفييتي.. ومن جهة أخرى عندما سافر إلى فيينا في رحلة عمل، أرسل في استدعاء الزوج من بودابست وسأله:

- هل قام أحد بابتزازك في المجر..؟

أجاب

- لم يحدث لي أبدًا أن حاول شخص ابتزازي.

قال هاريل:

- اسمع.. زوجتك تنام مع رجل مخابرات سوفييتي في تل أبيب.

وفهم الدبلوماسي الرسالة.. فالمعنى منها أن وجوده داخل نطاق دول الكتلة الشيوعية في شرق أوربا غير مرغوب فيه.. وبعدها بأيام تم نقله إلى إسرائيل تحاشيًا لتعرضه للابتزاز، عندما يرى صور زوجته العارية في أوضاع مختلفة، بين أحضان رجل أجنبي داخل شقته وبحجرة نومه في تل أبيب

أما الزوجة العاشقة المتمردة فلم تسكت.. إذ أفشت سر علاقتها الجنسية لعدد كبير من صديقاتها.. وانتشر الخبر.. وعمت الفضيحة المجتمع الدبلوماسي الإسرائيلي[1].. وبسبب هذه الفضيحة منع الزوج من المهام الدبلوماسية خارج إسرائيل.. وخير بين العمل بوزارة الخارجية أو بالتقاعد.. فقد أشارت التحليلات النفسية للزوجة بأنها تعاني حالة تقلب دوري في المزاج Cyclothymic .. ومن الصعب جدًا أن تستقيم نفسيا لأنها تجد لذة كبيرة في ممارسة الجنس الحرام.. وهذا النوع من النساء الذي تربى بأسلوب خاطئ لا

---

(١) القصة جاءت من مصادر إسرائيلية.. وأشارت إليها بإيجاز كتب أصدرتها الموساد أهمها (أمراء الموساد) ص (٨١).

يشبع Insatiability في الغالب في العلاقات الجنسية السوية بالزواج.. إنما العكس هو الصحيح. وهو ما يقودنا إلى بذور الخيانة التي لا تجتث جذورها عند هؤلاء المرضى.. فالخيانة أحد أهم ركائز اهتماماتهم ومتعتهم التي لا نشوة بعدها.

وفي النهاية قرر الزوج المسكين ، إشفاقًا على زوجته التي انهمرت دموعها أسفًا ، أن يضحي بعمله في الخارج والداخل.. وأن يبقى إلى جوار زوجته.

لعل وعسى !!



فضيحة تفجير الطائرة الليبية فوق سيناء..!!

(نريدها حبات رذاذ تتطاير في السماء..).

هكذا جاءتني الأوامر صريحة وواضحة.. فصعقت.. والتفت إلى ناحية الطائرة.. لمحت أطفالاً يلصقون وجوههم بالزجاج ويلوحون لي.. وعندما أوشكت الطائرة على الهرب.. ضربت مفصل الجناح بالصاروخ.. بعدها.. حدث انفجار هائل.. ولم يعد للطائرة أي أثر..!!)

زامير الجبان

لم تكن مذبحة صبرا وشاتيلا أبشع مذابح الموساد وآخرها. فالموساد لها تاريخ أسود يفيض بشاعة ووحشية. ذلك أنها اعتادت الإرهاب منذ قيامها تحت أسماء ظاهرها البراءة وباطنها الشر المستطير. فالموساد هي: المنظمة الصهيونية العالمية، والشركة اليهودية للأراضي، ثم الوكالة اليهودية، فمنظمة بيلو ونيلي وغيرها وهذه كلها كانت محاولات مبدئية لتأسيس الموساد... جهاز المخابرات الإسرائيلي بأفرعه المختلفة..!!

ومن أشهر بطولات الموساد الإسرائيلي، حادث إسقاط طائرة الخطوط الجوية الليبية، البوينج ٧٠٧ ، بركابها في ٢١ فبراير ١٩٧٣ فوق شبه جزيرة سيناء

ذلك أن سكون الجبهات والمدافع بعد حرب الاستنزاف تبعته سلسلة طويلة من أعمال رجال الكوماندوز الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها، وكان آخرها حادث ميونيخ الذي انتهى بقتل الرهائن الإسرائيليين في سبتمبر ١٩٧٢ على يد منظمة أيلول الأسود الفلسطينية. لقد عم الرعب إسرائيل ووصلت بعض الأنباء عن احتمال قيام أيلول الأسود باختطاف طائرة مدنية وتفجيرها فوق تل أبيب. لذلك حذرت الموساد وزارة الدفاع بمخاوفها هذه، وكان رئيس الموساد في ذلك الوقت زيفي زامير (١٩٦٨ - ١٩٧٤)، رابع رؤساء الجهاز، المعروف عنه الجبن وضعف الشخصية. وكانت جولدا مائير لا تطمئن إليه كثيرًا ولا يستريح إليه وزير الدفاع موشى ديان منذ فشله في حل أزمة الرهائن في ميونيخ، وتهربه ملقيًا المسئولية على جهاز الأمن الداخلي الشين بيت (الشاباك حاليًا) بعيدًا عن الموساد

تلقى ديان تقرير الموساد وحوله إلى دافيد أليعازر رئيس الأركان لدراسته. ولسوء الطقس والحظ معا - تعطلت في تلك الأثناء بعض الأجهزة الملاحية في

طائرة الخطوط الجوية الليبية. وفقدت الطائرة خط سيرها في مدخل خليج السويس وكانت العواصف الرملية شديدة لدرجة أنها حجبت الرؤية. واستمرت الطائرة في طيرانها باتجاه جنوب سيناء المحتلة. وصدرت الأوامر فورا من سلاح الجو الإسرائيلي فلحقت بها طائرتان حربيتان مسلحتان للتعامل معها ولكن. كان الموقف أشد ذهولا. لقد شاهد الطياران الإسرائيليان طائرة ركاب مدنية تحمل شعار واسم الخطوط الجوية الليبية تطير باطمئنان عجيب دون أن يدرك قائدها الفرنسي ومساعده الليبي أن طائرتهما تطير فوق شبه جزيرة سيناء. ولم يدركا أيضا أن الطائرة الحربية التي أمامهما - والثانية التي فوقهما - تحملان نجمة داود شعار دولة إسرائيل.

أيضًا ، لم يدرك الركاب أي شيء. فقد كانوا يعتقدون - ومعهم مذيعة التليفزيون المصري سلوى حجازي - أنها طائرات حربية مصرية تحوم حول الطائرة عن بعد كنوع من المداعبة. ولكن الطيار الفرنسي لمح فجأة النجمة السداسية فتملكه الذعر وحاول الهرب بالطائرة خارج سيناء بالدوران إلى الخلف وهو الذي كان يقترب من وسط سيناء

في هذه الأثناء كانت قيادة سلاح الجو الإسرائيلي على اتصال بدافيد أليعازر رئيس الأركان الذي كان بحمام منزله ويحاول الاتصال بموشى ديان وزير الدفاع الغارق بين أحضان عشيقته (أليشيفا تشاسيس) في مسكنه بضاحية (تسهالا) بتل أبيب. ولما فشل أليعازر في محادثة ديان، اتصل بزيفي زامير رئيس جهاز المخابرات وأطلعه على الأمر، فارتعش صوت زامير وهو يقول له في رعب ما بعده رعب: أسقطها.. أسقطها يا أليعازر. إنها طائرة مخطوفة سيفجرها رجال أيلول الأسود فوق تل أبيب. أسقطها قبل أن تحدث كارثة

اتصل أليعازر بجولدا مائير.. صرخت المرأة العجوز الشمطاء: أتستشيرني أيها الأحمق؟ هذا ليس من صميم عملي. افعل شيئا وبسرعة فالوقت يجري والطائرة تقترب.

ولم يجد أليعازر سوى أن يعطي أمرًا على مسئوليته وهو لا زال في الحمام[1]، بإسقاط الطائرة المدنية الليبية

الدقائق تمر في هلع على الأرض. وفي الجو كان الطياران الإسرائيليان على قناعة تامة بأن الطائرة الليبية فقدت خط السير لا أكثر، وها هي الآن قد تبينت ذلك وتتجه إلى الخط الملاحي السليم، ويستحيل أن تكون طائرة مخطوفة جاءت للقيام بعملية فدائية، أو حتى للتجسس..!!

زامير رئيس الموساد ولأنه إنسان جبان ذاق رعب حوادث منظمة أيلول الأسود، كان على اتصال بأليعازر يتابع معه الموقف. واشتد رعبه وهو يتخيل انفجار الطائرة الليبية فوق مفاعل ديمونة الذري في صحراء النقب. كان يرتعد من الخوف وانتقل خوفه إلى أليعازر فحوله إلى صراخ هستيري لسلاح الجو: أسقطوا الطائرة فورا ومهما كانت النتائج. وكرر أوامره بلهجة حاسمة لا تقبل الرجوع

وصلت الأوامر باللاسلكي. وترك الطياران الفرصة الأخيرة للطائرة المدنية لتهرب خاصة والمجال الجوي المصري أصبح وشيكا. إلا أن الأوامر كانت مكررة وسريعة وواضحة تلغي أي تردد أو تفكير.

يقول الطيار اليهودي الذي أسقط الطائرة الليبية

(اتخذت أنا وزميلي وضع الهجوم. وأطلقنا بعض الطلقات التحذيرية نحو مقدمة الطائرة في محاولة لإرغام قائدها على الهبوط بمطار ريفيديم العسكري (في بئر جفجافة) ولكن الطائرة استمرت في الهرب والاندفاع تجاه مصر. سكتنا لعدة ثوان إلا أن صوت قائد سلاح الجو كان يهدر بأسفل: أغبياء.. جبناء.. لا يهم هبوط الطائرة. نحن لا نريدها تجري على الممر.. نريدها حبات رذاذ تذروها الرياح.. هيا والآن فورا

(١) جاء هذا على لسان أليعازر، ونشر في بعض الصحف الإسرائيلية.

عندئذ أطلقنا بعض القذائف نحو مفصل أجنحة الطائرة قبل أن تتمكن من عبور قناة السويس ودخول المجال الجوي المصري. وبدا لنا بالفعل أن الطائرة على وشك الهبوط في سهل رملي في سيناء فلقد اتجهت مقدمة الطائرة نحو الأرض.

ولكن.. اشتعلت الطائرة بأكملها فجأة وبدأت تهوي إلى الأرض ثم حدث انفجار هائل. لقد انفجرت الطائرة بركابها الـ ١٠٦ [1] وتناثرت إلى قطع وشظايا كالرذاذ مع جثث الركاب) .!!

المجد التليد

ألقت الحكومة الإسرائيلية باللائمة على جهاز المخابرات، الموساد، الذي ألقى الرعب في قلب الحكومة من احتمال حدوث عمليات انتحارية بطائرات مدنية، رغم أن الطائرة الليبية أسقطت وهي تحاول الخروج – هاربة – من المجال الجوي لجزيرة سيناء المصرية المحتلة، والمؤلفة من جبال وصحاري تؤلف ٩٠٪ من مساحتها.

ودارت عجلة الدعاية الإسرائيلية من جديد تحاول تبرير الحادث وملابساته والذي تسبب فيه بجبنه زيفي زامير رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي. ووصف بالخائن كل من ينتقد إسرائيل فهي دولة ضعيفة وسط العرب الذين يتحينون الفرصة لهدمها وتدميرها.

ولم تمض عدة شهور حتى اختطف ليبي مجنون يدعى محمد التومي طائرة لبنانية بوينج ٧٠٧ أيضا كانت في طريقها من بنغازي إلى بيروت. وفوق قبرص تم اختطافها وأجبر قائدها على الهبوط بمطار اللد الإسرائيلي مارا بتل أبيب.

---

(١) ترددت أقاويل عن سبب تفجير الطائرة الليبية التي قيل إن هبة عبد الرحمن سليم عامر جاسوسة الموساد المصرية كانت على متن الطائرة حيث جرى استدراجها إلى ليبيا واعتقالها من قبل مخابراتنا هناك.. ورأت إسرائيل قتلها قبل الاستجواب .

الغريب في الأمر أن طائرات سلاح الجو الإسرائيلي لم تعترض الطائرة ، ولم يصدر أليعازر أوامره من الحمام بإسقاطها برغم أن المجنون الليبي نجح في تنفيذ ما وصف بأنه غير قابل للتنفيذ. إذ أنه حلق بالطائرة فوق عدة مدن إسرائيلية دون أن يعلم أحد أن الخاطف شخصية عربية أو تعرف حتى نواياه. على الأقل.

فحادث الطائرة الليبية كشف القناع البشع للحكومة الإسرائيلية عندما تسترت جولدا مائير مع وزير الدفاع على مرتكبي الحادث في وقاحة ما بعدها وقاحة. ولم لا وقد سبق للإرهابي بن جوريون ، أن أخفى بمزرعته قتلة الكونت فولكه برنادوت وسيط الأمم المتحدة في القدس عام ١٩٤٨ والمتعاطف مع العرب، في حين أنه أصدر أوامره بإلقاء القبض عليهم والتحقيق في الحادث ؟

هذه إذن إسرائيل دولة المجازر والإرهاب التي ما إن تواتيها الفرصة لذبح العزل من المدنيين حتى تنتهزها دون رادع من ضمير أو عقوبات دولية.

فالقرارات الدولية تطبق على كل دول العالم إلا إسرائيل

والإدانة والعقوبات تطولان كل دول العالم ولا تمس إسرائيل.

والإرهاب يواجه بحسم في كل أرجاء العالم ولا يدان إرهاب إسرائيل.

وذبح الأبرياء أمر يتقزز منه العالم المتحضر.. ويقبله فقط من إسرائيل

فضيحة الموساد في ميونيخ..!!

استيقظ الفدائيون الثمانية قبل الفجر.. اجتمعوا.. توضأوا.. صلوا.. كتبوا وصيتهم وأقسموا على المصحف ألا يتراجعوا.. مزقوا جوازات سفرهم.. ثم حملوا حقائبهم الثقيلة وخرجوا. وأمام جناح البعثة الإسرائيلية قرأوا الفاتحة، ثم أخرجوا مدافع الكلاشينكوف وهتف رئيسهم: توكلنا على الله. ليسطر التاريخ بعدها أعظم الملاحم في سلسلة عمليات منظمة أيلول الأسود..!!

لماذا عملية ميونيخ؟

استعرضنا باستفاضة في الجزء الأول من (حراس الهيكل)، قصة ولادة تنظيم (أيلول الأسود)، وكيف تشكلت نواته الأولى في بيروت عام ١٩٧١ في أعقاب مذابح سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠ التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية في الأردن، مما دفعها إلى المغادرة نهائيًا إلى لبنان.

كان الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية، صلاح خلف، قد أعلن عبر التلفزيون الألماني تأسيس التنظيم المسلح، لضرب المصالح الإسرائيلية في الخارج والداخل. ولم تكد تمر عدة أشهر، حتى بلغ اسم (أيلول الأسود) عنان السماء، مما أدى إلى إرباك خطط الموساد وشعورها بالعجز، إزاء اشتداد ضربات (أيلول الأسود) المتلاحقة، بفضل ذكاء الفدائي الجسور على حسن سلامة رئيس العمليات بالتنظيم، وجرأة رجاله. حيث تعد عملية (ميونيخ) واحدة من أشهر عمليات التنظيم الثوري الفلسطيني المسلح، التي أطاحت بآمال الإسرائيليين في الاشتراك بالدورات الرياضية العالمية لسنوات طويلة بعدها.

كان التخطيط لعملية ميونيخ قد واكب التخطيط لقيام التنظيم، بعد ما تجاهلت المنظمة الأوليمبية التماسات منظمة التحرير بالسماح لفريق فلسطيني بالمشاركة في دورة الألعاب الأوليمبية التي ستعقد في ميونيخ ١٩٧٢، في ذات الوقت الذي سمحت فيه المنظمة الرياضية الدولية باشتراك إسرائيل في الدورة، مما أثار الرأي العام الفلسطيني، ووقتها أعلن حسن سلامة: (لا بد من عمل شيء ما يعيد اسم فلسطين إلى الألسنة، ويلفت أنظار العالم إلى مشكلة الشعب اللاجئ المطارد والأرض المحتلة والمقدسات المنتهكة..).!!

يقول فاروق قدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية[1]:
أيلول الأسود ليست منظمة قائمة بنفسها إنها جناح أو تسمية للعمليات،

---

(١) مجلة "الوسط" العدد ٣٢٤ في ١٣ أبريل ١٩٩٨

وتتبع جهاز (الرصيد الثوري) في فتح. أما لماذا مارسنا العمليات التي يسمونها إرهابًا في فترة من الفترات، قلت ذات يوم لصحيفة غربية: (نعم، لقد مارسنا هذا النوع من العمليات، والسبب في ذلك أن الطفل عندما يولد لا يتكلم لغة أمه، وحين يحتاج إلى الطعام أو الاهتمام لا يملك غير الصراخ. وعندما يكبر الطفل ويصبح بإمكانه التحدث مع أمه يمتنع عن الصراخ للمطالبة بما يحتاجه.ولأن لا أحد يستمع إلينا عند ما نقول إن بلادنا محتلة، كان علينا أن نقوم بعمليات كالتي قمنا بها، وبما يشبه الصراخ، لجذب اهتمام العالم بقضيتنا).

هكذا اتخذت ((أيلول الأسود) قرار تنفيذ عملية ميونيخ، ردًا على تجاهل العالم للقضية الفلسطينية، وعلى التبجح الإسرائيلي الذي أرسل بفريق رياضي يمثل دولة احتلال للمشاركة في الدورة الأوليمبية.

يقول صلاح خلف- أبو إياد- في كتابه: (وطني، أرضي)[1]:

(التمست منظمة التحرير في خطاب رسمي السماح لفريق رياضي فلسطيني بالمشاركة في دورة ميونيخ.. وتكررت الخطابات ولكن بلا إجابة من المنظمة الرياضية التي تدعى عدم تدخلها في الشئون السياسية. وعلى ذلك عقدت في بيروت عدة اجتماعات، وانتهت بتكليف قوات (أيلول الأسود) بالقيام بالعملية ضد الفريق الإسرائيلي المشارك في دورة الألعاب الأوليمبية، وكان الهدف تبادل الفريق الإسرائيلي مع ٢٠٠ معتقل فلسطيني في السجون الإسرائيلية[2]

لقد تم الإعداد للعملية بإحكام، وتم تكليف رجلين أبليا بلاءًا حسنًا في مذابح جرش وعجلون في أيلول ١٩٧٠ بالأردن ، الأول هو محمد مصلحي ،

---

(١) الكتاب صدر بالإنجليزية في نيويورك عام ١٩٨١ عن دار فرانكلين Franklin .

(٢) يؤكد فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية هذا الرأي، حيث يقول في حديثه الذي نشرته مجلة الوسط في ١٣ أبريل ١٩٩٨ (لم يكن الهدف من عملية ميونيخ قتل الرياضيين الإسرائيليين، وإنما احتجازهم كرهائن ومبادلتهم بمناضلين معتقلين في سجون إسرائيل. لكن غدر السلطات الألمانية الذي أدى إلى مقتل هؤلاء وهم قتلوهم.).

٢٧ عامًا، أستاذ في الجيولوجيا. خرج مع أبويه مطرودًا من وطنه حيفا ولجأ إلى الضفة الغربية (ذكرت مراجع أخرى أنه ليبي الجنسية).

والثاني هو صديقه (تشي جفارا..؟)، ٢٥ عامًا ويدرس القانون بباريس وكان ذا عقلية عسكرية متميزة وعارفًا بأساليب حرب العصابات، ويجيد اللغة الألمانية بطلاقة.

وانحصرت أهداف العملية في نقطتين أساسيتين وهما لفت أنظار العالم للقضية الفلسطينية، وتحرير ٢٣٦ مناضل فلسطيني في الأرض المحتلة.).

أعد رئيس العمليات على حسن سلامة خطة التنفيذ، واستكمل بقية عناصر العملية من حيث إعداد خطة تفصيلية للمراحل المختلفة للعملية، ووضع خطة التفاوض بشأن تبادل الأسري بالمعتقلين، وتوفير السلاح اللازم وإدخاله إلى القرية الأوليمبية. وأخيرًا، اختيار ستة فدائيين للعمل مع محمد مصلحي، الشهير بـ(عيسى)، ورفيقه تشي جيفارا[1].

---

(١) تشي جيفارا اسم كودي لشاب فلسطيني لم يجئ اسمه الكامل بالمصادر. أما جيفارا الحقيقي، فهو مناضل أرجنتيني اسمه الأصلي أرنستو جيفارا، ولد عام ١٩٢٨، وأنهى دراسة الطب عام ١٩٥٣ ، حيث قام لتوه بجولة شملت بلدانًا عدة في أمريكا اللاتينية. يومها، لم يكن جيفارا ابن الخامسة والعشرين ثوريًا، بل كان مجرد سائح ومغامر، مصاب بالربو. لكن الجولة هذه هي التي باشرت في تسييسه تأثرًا بما رآه من بؤس وفقر في البلدان التي قصدها. وربما كان أكثر ما أثر فيه أنه كان في جواتيمالا حين حصل الانقلاب المدعوم من الولايات المتحدة ضد نظام يساري منتخب وشرعي. الجولة السياحية إذًا هي ما عرض جيفارا لبعض نتائجها في رسائل بعث بها يومذاك لأمه وصديقته، ولم يعثر عليها ولم تجد طريقها إلى النشر إلا أخيرًا.

هذا مقتطف من واحدة كتبها في ٣ سبتمبر ١٩٥٣ إلى صديقته تيتا إنفانتي: (سوف أخبرك أنني، في باباز، نسيت نظام الحمية الذي اتبعه وكل ذاك الهراء. إلا أنني، على أية حال، كان وضعي حسنًا خلال الشهر ونصف الشهر من إقامتي هناك. بوليفيا بلد قدم، في الحقيقة، مثلاً مهمًا للقارة الأمريكية. لقد شاهدنا الصراعات في أجوائها الفعلية، والعلامات التي خلفها الرصاص، لا بل بقايا شخص قتل في الثورة ثم اكتشف أخيرا على كورنيش فيما بدا نصفه الأدنى ممزقا بإحدى رزم ذاك الديناميت الذي لفه حول خصره. لقد قاتلوا بالتأكيد من دون أن يتراجعوا. أما بالنسبة إلى حياتي المستقبلية ، فإنني أعرف القليل عن الوجهة التي سوف تتخذها، وأعرف أقل عن التوقيت). وبالفعل ما لبث جيفارا، الذي لقب (تشي) كصيغة مناداة رفاقية، إذ انضم إلى قوات فيديل كاسترو التي كانت تقود العمل المسلح ضد باتيستا حاكم كوبا وديكتاتورها. وفي ١٩٥٦ شارك في محاولة (التحرير) الأولى التي قام بها الثوار. ولئن فشلت تلك التجربة واعتقل أو أسر معظم منفذيها، ففي ١٩٥٩ انتصرت ثورة كاسترو وجيفارا وتسلم الثاني بعض المهام الرسمية والوزارية. لكنه، في ١٩٦٥، استقال من مناصبه وغادر هافانا، لخلاف مع كاسترو وتوجهاته السوفييتية من جهة، ولإرواء رغباته في العمل الثوري المباشر من جهة أخرى. وفي ١٩٦٧ قتل غيفارا في بوليفيا نفسها حيث كان يقود مجموعة مسلحة ضد النظام القائم هناك، وجاء قتله على أيدي القوات الأمريكية التي تكبدت الكثير حتى تصيدته.

رجال بملابس رياضية

وفي أبريل ١٩٧٢ كان قد تم اختيار الشباب الستة من بين رجال منظمة فتح، حيث جرى تدريبهم تدريبًا عاليًا على تنفيذ عملية ميونيخ بمهارة، ثم اعتمدت الخطة النهائية وتم إيصال الأسلحة إلى ألمانيا، والاستعانة بمهندس ليبي اسمه (محمد ما شاء الله) ، سبق له العمل كمهندس معماري أثناء مراحل إنشاء القرية الأوليمبية بميونيخ، رسم خرائط تفصيلية للقرية، مبان، عمران، حدائق، بوابات، ومكاتب أمن وخدمات.

وفي أول سبتمبر ١٩٧٢ كان رئيس الفريق محمد مصلحي (عيسى) ورفيقه تشى جيفارا قد رتبا (البيت الآمن) لاستقبال بقية زملاء الفريق، حيث وصل يوسف نزال، ومن بعده توالي وصول الشباب من عدة دول مختلفة.

لم يكن الخمسة الجدد على علم بتفاصيل العملية أو مكانها، ومساء الرابع من سبتمبر أخبرهم عيسى بنوع العملية، وشرح لهم خريطة التحرك والعمل، ودور كل منهم بالضبط، مستعينًا بالخرائط التي كانت بحوزته، وبمشاهداته شخصيًا للقرية من الداخل حيث تردد أنه عمل بها جرسونًا لبعض الوقت، بقصد استكشاف ممراتها وبوابات العبور الآمن بها، للابتعاد قدر الإمكان عن الأمن المكثف الذي يحيط بالقرية من كل جانب.

وقبيل ساعات من التحرك تسلم كل واحد منهم سلاحه الذي كان عبارة عن قنبلة ومسدس ورشاش كلا شينكوف، وناموا لبعض الوقت استعدادًا للتحرك.

في الثالثة صباح ٥ سبتمبر ١٩٧٢ أيقظ عيسى رفاقه السبعة فاجتمعوا وأقسموا ألا يتراجعوا. أعادوا سماع أدوارهم، وصلوا وارتدوا ملابسهم الرياضية التي تحمل شعار الدورة، ثم أحرقوا جوازات السفر المزورة، وعند الفجر كانوا بداخل القرية الأوليمبية يحملون حقائب رياضية ثقيلة تحتوي على مدافع الكلاشينكوف والمسدسات والقنابل دون أن يشك بهم رجال الأمن

وقفوا أمام البلوك رقم ٣١ – وقرأوا الفاتحة.. البلوك يقع في شارع كونولي، أول فائز بذهبية أول دورة أوليمبية في أثينا عام ١٨٩٧. ويتكون من ٢٤ مبنى من طابقين يقيم به الوفد الإسرائيلي المكون من ٢٨ عضوا (١٥ رياضيًا و١٣ إداريًا) في أرقام من (١) إلى (٦).

في المبنى رقم (١) احتجزوا أربعة إسرائيليين كانوا في نوم عميق. ارتعدوا كالفئران وبكوا في رعب، وهم (أندريه سبنس) كابتن فريق الشيش، و(أميتزور شابيرا) مدرب كمال الأجسام، و(ياكوف سبرنجر) لاعب رفع الأثقال، و(كيهات شور) مدرب الرماية.

وأثناء تفتيش المبنى عثر عيسى ورفاقه على مدرب المصارعة (فاين بورج) الذي حاول الدفاع عن نفسه فأطلقوا عليه الرصاص ويرشد عن المبنى رقم (٣) حيث يوجد بقية أعضاء البعثة الإسرائيلية.

ولما وكان المبنى (٢) خاليا بالفعل، اتجهوا إلى المبنى رقم (٣) وأيقظوا ستة رياضيين، ثلاثة من رافعي الأثقال وهم: (يوسف رومانو)، و(زيف فريدمان)، و(ديفيد مارك)، وثلاثة مصارعون هم: (مارل سالفن)، و(أليزر هارلفن)، و(جادتسو باري) الذي جرى فأطلق عليه أحد الفدائيين ٣٦ طلقة حتى تناثرت أجزاء من أحشائه والتصقت على الحوائط. وحاول مدرب المصارعة المصاب، بورج، الجري وهو يصرخ فأسكتوه هو الآخر إلى الأبد

وفي الخامسة صباحا جاءت الشرطة وتسلمت إنذارًا بالإفراج عن ٢٣٦ عربيًا في إسرائيل خلال ٣ ساعات بينهم ريما وتريزة[١]

أيضًا.. الإفراج عن ألمانيين هما أندرياس بادر[٢]، وأولريكا ماينهوف[٣]،

---

(١) ريماطانوس وتيريز هلسا، فلسطينيتان اشتركتا في خطف الطائرة اليوجوسلافية (سابينا) في أوائل مايو ١٩٧٢ والهبوط بها في مطار اللد الإسرائيلي، وفي عملية كوماندوز هوجمت الطائرة وأسرت الفتاتان.

(٢) أندرياس بادر (١٩٤٣ : ١٩٧٧): زعيم عصابة بادر - ماينهوف الألمانية، وعرف بخبرته العالية في استعمال السلاح وإشعال الحرائق.. قامت العصابة بأعمال إرهابية عديدة في أوروبا، وكان لها علاقات بمنظمات فلسطينية وتمد يد العون لها في نضالها ضد الاحتلال.

(٣)أولريكا ماينهوف: ولدت عام ١٩٣٤ بمدينة أولدنبرج Oldenburg الألمانية لأبوين مثقفين يعملان كمؤرخين لتاريخ الفن الألماني ماتا وتركاها في سن الخامسة عشرة تحت مسئولية صديقة والدتها البروفيسور ريناتي ريميك المعروفة بآرائها المتطرفة. تعلمت أولريكا من هذه السيدة الكثير من الأفكار الشيوعية، وشربت منها كراهية السلطة والمجتمع، وظهرت في مرحلة دراستها الجامعية رغبتها في التدمير والعنف، لتصبح زعيمة طلابية قادت المظاهرات ضد القنبلة الذرية، وضد الغزو الأمريكي لفيتنام وغير ذلك من القضايا. انضمت أولريكا لإحدى الجماعات المتطرفة وانضمت إلى اندرياس بادر ليشكلا منظمة (بادر - ماينهوف) المتعاطفة مع الشعب الفلسطيني والمسلحة على أعلى مستوى. وبعد رحلة طويلة من القتل والعنف الدموي، ألقت الشرطة الألمانية القبض على زعماء المنظمة بداية من عام ١٩٧٢. وفي مايو ١٩٧٦ شنقت أولريكا نفسها في سجن (ستانهايم) في شتوتجارت.

وكان قد قبض عليهما حديثًا وأودعا أحد سجون فرانكفورت. وفي أول اتصال بين الألمان وعيسى ، قائد العملية ، حدد مطالبه بوضوح وبلغة ألمانية ممتازة.

أسرع إلى المنطقة هانز ديتريش جينشر وزير الداخلية الألماني ، الذي اتصل بالمستشار فيلي برانت وبوزير خارجيته فالتر شيل. في تلك اللحظات المذهلة كانت تل أبيب تغلي كالبركان ، وبعد اجتماع أعضاء الحكومة، تم رفض مطالب الفدائيين، وصرخت جولدا مائير تطلب من زيفي زامير رئيس الموساد أن يجد حلاً فألقى باللائمة على جهاز (الشين بيت) المختص بحراسة الرياضيين، وانسحب ليفكر بهدوء.

أما في ميونيخ فقد عرضوا مبدئيًا مبادلة الرهائن بوزراء ألمان، لكن عيسى رفض قائلاً: (أنتم لستم أعداءنا)، ووافق على إمداد المهلة ٦ ساعات مع تحذير شديد اللهجة لإسرائيل يقول:

- (إن الموقف الإسرائيلي المتغطرس لن يقودنا إلى التنازل عن مطالبنا وموقفنا وفقا لشروطنا نحن وهي

- أن تعلن ألمانيا استعداها لإحضار المعتقلين إلى أي مكان نريده.
- تزويدنا بثلاث طائرات مروحية (هليوكبتر).
- أية محاولة لعرقلة عمليتنا ستؤدي إلى تصفية الرهائن.
- في حالة عدم الموافقة على طلباتنا سنلقن الجميع درسًا لن ينسوه أبدًا.
- هذا التحذير ينقضي خلال ثلاث ساعات)

أصاب الرعب حكومة ألمانيا الاتحادية، فإسرائيل ترفض التنازل والمذبحة على وشك أن تبدأ في أية لحظة. لذلك عرضوا على عيسى للمرة الثانية تبادل الرهائن بسياسيين ألمان وأي مبلغ مالي ضخم وخروج آمن. ورد عيسى:

- (لقد أقسمنا على الموت من أجل بلادنا. وفروا نقودكم التي لا تعني لنا شيئا على الإطلاق).!!

تأزم الموقف أيضًا عندما أعلنت إسرائيل مقاطعة الألعاب الأوليمبية بميونيخ، وأنها تحمل ألمانيا الاتحادية نتائج هذه الأزمة. في الوقت نفسه الذي وزعت أيلول الأسود بيانًا على وسائل الإعلام قالت فيه:

- (لقد احتجزنا رهائن ميونيخ لنحث إسرائيل على اتخاذ موقف إنساني تجاه الشعب الفلسطيني).!!

وأدان البيان إبعاد فلسطين عن دورات الألعاب الأوليمبية وأن النصر المؤقت لإسرائيل لا يمنحها الحق في تمثيل فلسطين في المحافل الدولية.

استعد زيفي زامير رئيس الموساد للسفر إلى ميونيخ، في الوقت الذي كانت تجري فيه خطة اقتحام المبنى وتحرير الرهائن، واستعد رجلان من البوليس في زي طهاة، ولكن عيسى لم يكن بالسذاجة ليخدع

وفي تطور آخر مثير ، سحب السادات وفد مصر في ميونيخ الساعة ١٥,٣٠، ودخلت المفاوضات نفقًا مظلمًا حتى بعدما رفض عيسى اقتراحًا جديدًا بإطلاق سراح الرهائن ويحل محلهم ألمان يتم نقلهم إلى أرض عربية، وخلال شهرين أو ثلاثة تطلق إسرائيل بدون تعهد كتابي، خمسين سجينًا فلسطينيًا بضمانات دولية

وفي الساعة ١٦ عرض الألمان ملايين الدولارات وخروجًا مأمونًا من ألمانيا وقال عيسى لهم

- (أنتم لستم شرفاء معنا).!!

بعدها وافق الألمان على سفرهم إلى القاهرة بشرط موافقة الرهائن. عندئذ وافق عيسى على دخول هانز ديتريش جينشر المبنى لرؤية الرهائن وسؤالهم ورأى الرجل تسعة أحياء وافقوا على العرض.

كانت هناك خطة معدة لتحرير الرهائن في مطار (تورستن فيليبروك) Turestenfelebruk الحربي على بعد ٢٥ كيلومترًا شمالي ميونيخ ، إذا فشلت خطة تحريرهم في المبنى بشارع كونولي لحظة الخروج بالرهائن للتوجه إلى المطار. وعلى هذا الأساس أخبروا عيسى بأن الطائرة البوينج التي ستقلهم إلى

القاهرة تنتظر على الممر بالمطار الحربي، بسبب الزحام الشديد بمطار ميونيخ. ولم يكن الهدف من ذلك سوى عزل الفدائيين لإتمام الضربة الأخيرة التي لا يمكن أن تتم إلا في مطار عسكري لإنقاذ الرهائن

مذبحة ميونيخ

وفي إسرائيل ، جرى بحث إرسال فرقة كوماندوز لإنهاء عملية الاختطاف، لكن رفضت ألمانيا دخول الفرقة الإسرائيلية. وسمح فقط بدخول زيفي زامير الذي رأى أن البوليس الاتحادي وحده يتحكم في الأزمة دون أن يسمح بتدخل الجيش أو إحدى فرقه الخاصة. فعلق رئيس الموساد بقوله: في إسرائيل لا فرق بين عملية بوليسية وعسكرية. أما هنا فالأمر مختلف

وفي الساعة ١٩,٣٠ مساءً كانت الخطة جاهزة للتنفيذ في المطار. صاح عيسى بعنف يطلب مغادرة المبنى إلى المطار، وسمعت دقات القلوب المضطربة، فالمدافع والقنابل بأيدي فدائيين فقدوا أعصابهم وشحنوا بالتوتر والإرهاق، وعبر شارع ليرشنادر اتجهوا ناحية الطائرات المروحية، يسوقون الرهائن في تحفز والكل يحبس أنفاسه، فمجرد خطأ بسيط، أو فرقعة فرامل سيارة، أو حتى صوت ولاعة تشعل، كفيل بأن يفجر الموقف ويقضي على طابور الرهائن. وبعد ١٣ دقيقة كانت الطائرات المروحية فوق المطار تهبط باتجاه بقعة مضاءة. وعلى بعد مائة متر كانت تقف طائرة لوفتهانزا البوينج.

نزل عيسى من المروحية واتجه ناحية البوينج لفحصها، وعند عودته، بدأت المأساة، عندما أطلق البوليس عليه النار فجرى في حركة زجزاجية وانبطح أرضًا بالقرب من المروحية عندئذ أصاب رفاقه الكشافات المبهرة فأظلم المطار إلا من بريق طلقات المدافع والرشاشات المتبادلة.

كان الرهائن مقيدو الأيدي والأرجل إلى بعضهم البعض في المروحية. وكانت المعركة رهيبة ومرعبة، جثث تسقط ولحم يطير في الهواء وعظام تتفتت.

ودخلت (٦) سيارات مصفحة برجال مزودين بدروع واقية لتعقب الفلسطينيين. عند ذلك نزع عيسى فتيل إحدى قنابله وهو يقفز بعيدا لتنفجر الطائرة المروحية الأولى وكان الوقت بعد منتصف الليل بخمس دقائق.

تجمدت الدماء في العروق عندما تفجرت المروحية الأخرى وبداخلها الرهـائن تأكل بقايا جثثهم نيران السعير. وقتل عيسى وأربعة من رفاقـه بنـيران الغـدر، ويعم الرعب وترتعد أوصال زامير المختبئ في غرفة المراقبة بالمطار.

وفي بيروت ، أعلـن علـي حسـن سـلامة بطـل العمليـة، أن تضحيـة أبطـال ميونيخ لم تذهب هباء ، فالشعب الفلسطيني اسـتطاع فـرض إرادتـه ولم يسـمح باستبعاده من المحافل الدولية.

ونشرت كل صحـف العـالم وصيـة الفدائيـين الـتي اعتـذروا فيـها لريـاضيي العالم، ويوجهون الدعوة لكل ثوار فلسطين بمواصلة القتال بعزم.

لقد تسابقت الدول العربية لنقل جثث الفدائيين الخمسة. وفازت ليبيا بـهذا الشرف العظيم حيث أقيمـت للشـهداء جنـازة عسـكرية مهيبـة في ١٢ سـبتمبر ١٩٧٢ ومشى خلفهم كل السفراء العرب ووزراء تطول بـهم القائمـة، إضافـة إلى أمين عام الجامعة العربية الشاذلي القليبي.

أعلنت كل البلاد العربية الحداد الرسمي ، بل وكتبت على الجدران في كـل الوطن العربي: (كلنا أيلول الأسود). وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٧٢، بعـد ٥٥ يومـا مـن حادث ميونيخ، تم خطف طائرة ألمانية في عملية فدائية شـديدة التعقيـد طـارت بين آسيا وأوروبا عدة مرات إلى أن أفرج عن الفدائيين الثلاثة الذيـن نجـوا مـن مذبحة ميونيخ[١] حيث استقبلوا أيضًا استقبال الأبطال في ليبيا.

فضيحة دولية

بعد عملية ميونيخ .. حاولت حكومة إسرائيل أن تلقي المسئولية علـى عـاتق السلطات الألمانية في هذه الكارثة التي هزت إسرائيل أكثر من أي هجوم فدائي

---

(١) هم : إبراهيم مسعود ، وسمير عبد الله، وعبد القادر الديناري. وجاءت صورهم بالجزء الثـاني مـن (حـراس الهيكل) صفحة (٣٨٥).

سابق.. وادعت بأن سبب المذبحة هو نقص تدابير الأمن والحراسة على المدينة الرياضية في ميونيخ

إلا أن التقارير ورؤية المحللين السياسيين كانت أبعد من ذلك.. فقد شهد الجميع.. بما فيهم إسرائيل بعد ذلك.. أن المسئولية الأساسية كانت تقع على عاتق المخابرات الإسرائيلية.. وأفراد الأمن الإسرائيليون الذين صاحبوا البعثة الرياضية.. وكان دخول الفدائيين إلى مبنى البعثة هزيمة نكراء لجهاز الأمن الإسرائيلي وفشلاً أمنيًا خطيرًا.

لقد كان الأساس في هذا الفشل يكمن في تقويم جهاز المخابرات الخاطئ أن الصراع بين جهاز الأمن الإسرائيلي وبين المنظمات الفدائية قد خرج في هذه المرحلة عن إطار القوة.. وأصبح تصارعا بين العقول والمكائد

ففي الوقت الذي يجهد الفدائيون فيه عقولهم لاستنباط أساليب جديدة لضرب إسرائيل.. لم يفكر جهاز الأمن الإسرائيلي مسبقا في إمكان قيام الفدائيين بذلك.. برغم المؤشرات السابقة التي كان من المفروض أن تعطى إنذارا لمخابرات إسرائيل أن العقول الفلسطينية تحارب على شتى الجبهات الخارجية والداخلية، ولا ترك أية وسيلة إلا وتنتهجها لضرب مصالح إسرائيل وإرهاقها أمنيا وسياسيا واقتصاديا..!!

هكذا تحولت دورة الألعاب الأوليمبية، التي أطلقت عليها الحكومة الألمانية، (دورة ألعاب السلام)، إلى كابوس طويل. إذ تحولت الساعات السبع عشرة التي استغرقتها العميلة، إلى مسابقة إعلامية غير مسبوقة، حيث شاهد الأحداث على أرض القرية الأوليمبية، عشرات الملايين من الشاهدين، عبر الشاشات التي كانت تنقل أولاً بأول تطورات عملية الاختطاف، حتى وصلت إلى نهايتها المأساوية للإسرائيليين، والنصر الساحق للفلسطينيين.

ومنذ ذلك الحين، بدأت إسرائيل الحرب ضد قادة (أيلول الأسود)، والتنظيمات الفلسطينية المسلحة الأخرى، حيث استدعت رئيسة الوزراء جولدا

مائير مستشارها لشئون الإرهاب الجنرال أهارون ياريف[1]، ورئيس الموساد زيفي زامير، وأعلنت أمامهما أن ما تفعله إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين غير مجد، والمطلوب طرق جديدة للقتال: (نريد أن نجعل الصياد صيدًا، وهكذا يمكن أن تحمي إسرائيل نفسها من غضب أيلول الأسود..)، لتبدأ بعدها أشرس حروب الاغتيالات المتبادلة في شتى عواصم العالم.

إن عملية ميونيخ حسبما أفرزت نتائجها، شكلت أكبر الضربات الخارجية لإسرائيل ولأجهزة استخباراتها، وتحولت إلى فضيحة دولية لم تخدم إسرائيل بقدر ما خدمت القضية الفلسطينية وسلطت الأضواء عليها بعد موات، برغم قائمة الاغتيالات التي طالت بعد ذلك العديد من قيادات منظمة التحرير، وكذا أشهر الأسماء الفلسطينية في سماء الثقافة والأدب..!!

---

(١) أهارون ياريف : ولد في روسيا عام ١٩٢٠ وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥ مع أسرته. خدم في الجيش البريطاني من ١٩٤١ ١٩٤٦ ثم عين مساعدًا لرئيس أركان منظمة الهاجانا الصهيونية عام ١٩٤٧ وحارب في ١٩٤٨ واحتل الناصرة. درس بمدرسة الحرب العليا في باريس، وترقى في جيش الدفاع إلى أن عين ملحقًا عسكريًا في أمريكا وكندا. عاد إلى فلسطين ثانية وانتقل للعمل في شعبة الاستخبارات العسكرية حتى تولى رئاستها في ١٩٦٤/١/١ حتى سبتمبر ١٩٧٢ وخطط للكثير من العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين والعرب. خدم في حرب ١٩٧٣، وكان رئيس الوفد الإسرائيلي في مفاوضات الكيلو ١٠١ لفصل القوات، واشترك في غزو لبنان عام ١٩٨٢ ثم هاجمته الأمراض وبقى في منزله منزويًا منسيًا، لا يتذكره أحد إلا عندما يعلو صراخه من الألم فينقلونه إلى المستشفى.



عملية قصف الرعد.. التي أبكت وديع حداد..!!

لو عرضت علينا كل فلسطين باستثناء القدس نرفض.. ولو عرضت علينا فلسطين كاملة باستثناء حيفا لن نقبل.

أنا بلدي اسمها صفد.. لا أقبل إن عرضت علينا كل فلسطين باستثناء صفد.. وأرفضها إذا عرضت علينا مع صفد واستثنى منها بيتي.. وأرفضها إذا عرضت مع صفد وبيتي واستثنى منها شبر واحد..!!

د. وديع حداد.

أسطورة وديع حداد

عملية عنتيبي[1] ..!!

إنها إحدى اشهر عمليات المخابرات الإسرائيلية القليلة الناجحة.. التي أوصلتها إلى شهرة خارقة بين أجهزة الاستخبارات العالمية.. وباتت عملية عنتيبي – التي أطلق عليها الإسرائيليون اسم قصف الرعد – علامة بارزة في تاريخ المخابرات الإسرائيلية من حيث استراتيجية التخطيط.. والتنفيذ.. رغم الإخفاقات العديدة التي تعرضت لها في مجال التصدي للمنظمات الفلسطينية وعملياتها.. إلا أن عملية قصف الرعد تحولت شيئًا فشيئًا إلى عمل إسرائيلي خارق.. وذلك بسبب بعد المسافة بين إسرائيل وأوغندا.. والعلاقات المتأزمة بين الدولتين.. والمغامرة المحسوبة بدقة لإنجاح العملية

وقبل أن نخوض في تفاصيل عملية عنتيبي.. يجدر بنا التعرف على وديع حداد ونشاطه الثوري ضد إسرائيل ومصالحها.. فهو فلسطيني المولد لجأت أسرته إلى لبنان ودرس الطب في الجامعة الأمريكية هناك.. وهناك أيضا تعرف بزميل الدراسة جورج حبش.. فتصادقا، وارتبطا معًا بعلاقة قوية حتى أنهما افتتحا معًا عيادة طبية في عمان.. ثم شغلتهما قضية فلسطين فتزاملا أيضًا في الجهاد المسلح، وكان وديع حداد رئيس العمليات في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يرأسها حبش..

---

(١) عنتيبي: منطقة يوجد بها مطار أوغندا الرئيسي.. وتقع على الشاحل الشمالي مباشرة لبحيرة فكتوريا.. وتبعد عن كمبالا العاصمة بنحو ٢٥ كيلومترا.. وترتفع كالعاصمة وأغلب المناطق الأوغندية بما يزيد عن ٢٥٠٠ مترا عن مستوى سطح البحر.. وتعد بحيرة فيكتوريا من أهم و أكبر البحيرات التي تمد النيل بالمياه.. ومطار عنتيبي يعمل كمطار مدني وعسكري في الوقت نفسه.. حيث ترابض به طائرات الميج العسكرية إلى جانب الطائرات المدنية .

وفي نوفمبر ١٩٦٨ اعتقل حبش في سوريا وحدث تفكك للجبهة. فقاد وديع حداد عملية إنقاذ جريئة له وأخرجه من سجنه إلى العاصمة عمان

وبالتعاون مع صديقه حبش اتخذ وديع حداد من أسلوب خطف الطائرات طريقًا للجهاد.. وقاد من هذا المنطلق عمليات اختطاف جريئة كان من بينها عملية اختطاف وتدمير عدة طائرات في يوم واحد.. وصفها الكاتب جورج روزي في كتابه (قاموس الإرهاب الدولي)[1] بأنها أهم حدث في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.. إذ اختطف ثلاث طائرات لشركات طيران عالمية[2] وأجبرها على الهبوط بمطار مهجور في الزرقاء بالأردن حيث فجرت جميعها بعد إجلاء ركابها.. بينما فجرت الطائرة الرابعة على أرض مطار القاهرة.. أما الطائرة الخامسة وكانت لشركة العال الإسرائيلية فقد فشلت محاولة اختطافها.

ولجرأته الشديدة نال وديع حداد شهرة عالمية.. وبقيت صورته مجهولة فلا أحد يعرف له شكلا حقيقيًا.. لهذا اختلفت صورته بين جهاز وآخر من أجهزة المخابرات العالمية.. ولم يتم الاتفاق على صورة واحدة له يمكن توثيقها لذلك ظل وديع حداد طوال حياته رجلاً بلا وجه

وفي منتصف عام ١٩٧٤ انشق حداد عن رفيقه حبش بعدما تقرب حبش كثيرًا من ياسر عرفات.. ولأن عرفات كان يحبذ العمليات الهادئة والتروي ولا يشجع أسلوب حبش، أسس حداد جبهته المستقلة التي أطلق عليها (القيادة الخاصة للجبهة الشعبية) وحصل على تمويل كبير من بعض الدول، بمقتضاه

---

(١) الكتاب صدر في نيويورك عام ١٩٨٧ .. وجاءت عبارته في ص ٩٤ منه.

(٢) كان ذلك في سبتمبر ١٩٧٠.. وكان رد الملك حسين سريعا.. إذ أطلق جيشه لضرب القوات الفلسطينية.. وقامت مواجهات عنيفة قتل فيها آلاف من المقاتلين فيما عرف بعد ذلك بـ (أيلول الأسود).. وتدخل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لإنهاء الأزمة.. ومات بعد ذلك بعدما ودع وفود الدول العربية التي شاركت في القمة العربية بالقاهرة لوضع حد لمأساة الفلسطينيين في الأردن .

ظل متمسكاً بمبادئه في الجهاد.. محافظا على عقيدتــه في تقديـس العنـف. وعشقه للعمل السري

أقام حداد قاعدة لعملياته في بغداد وعدن. حيث ضـم لجبهتـه عـددا كبـيرا من الشباب الفلسطيني المتحمس.. إضافة إلى شباب من جنسيات مختلفة رحبوا بالعمل مـع الرجـل الأسـطورة الـذي تطـارده أعتـى أجـهزة المخـابرات في دول العالم.. لكنه كان كالشـبح.. يتنقـل هنـا وهنـاك بـين القـارات دون أن يلتفـت إليه. أو يحس بوجوده أحد.. وعلى مدى سنة ونصف فقط منذ قـامت القيـادة الخاصة للجبهة الشعبية.. ظهرت الجبهة كأنشط المنظمات على الكرة الأرضيـة وأوسعها خيالاً. حيث قامت بعشرات العمليات الناجحة المذهلة التي زعزعت قدرة إسرائيل على مواجهتها.. وأذلت كبرياء دولة الاحتلال بشكل عجزت عن تحمله.

لكن، مع حلـول عـام ١٩٧٧ سـارع حـداد بـترتيب القيـادات في الجبهـة. وتدريب عناصرها من الجيل الثاني لمواصلـة الجـهاد مـن بعـده.. فقـد اكتشـف الرجل أنه مصاب بالسرطان الذي تخلل جسده دون أن يدري.. وتبين لـه بعـد التحاليل أن حالته خطيرة ولا أمل له في الشفاء.. وفي أوائل عام ١٩٧٨ تفاقمت حالته فغادر عدن إلى ألمانيا الشرقية.. وفي ٢٨ من مارس ١٩٧٨ مات حـداد[١] بأحد مستشفيات برلين

(١) تردد أنه مات مسمومًا، حيث أصيب بأعراض مرضية غريبة بعـد زيـارة لـه في ينـاير ١٩٧٨ لمكتـب رئيـس المخابرات العراقية، إذ كانت تصيبه نوبات من الألم المعوي الشديد مع القئ المستمر وكان التقيـؤ دمويًـا أحيانًـا. أطباء بغداد رجحوا أنها القرحة، فسافر إلى الجزائر وفشل علاجه هناك وبدأت صحته في التدهور بسرعة. وبرغم أنه المطلوب رقم (١) في ذلك الوقت في إسرائيل، تم تسفيره للعـلاج بألمانيـا (الشـرقية) في بدايـة مـارس وفشـلت العلاجات معه ومات بعد أيام. وقيل أنه شرب كوبًا من الشـاي بمكتب المسئول العراقي كان كافيًا لتسـميمه. وأن قتله كان محاولة من صدام للتصالح مع أمريكا والتقرب من الغرب. وقيل أيضًا أن طبيبًا في الجزائر تولى تسميمه، وتردد أيضًا أنه تعرض لإشعاعات مركزة في غرفة الانتظـار المجـاورة لمكتـب مسـئول كـانت كافيـة لقتلـه. وقـال كارلوس في سجنه إن حداد مات مسمومًا، وذهبت رواية أخرى أن الموساد قتلته بالسم بالترتيب مع جهاز أمـني عربي. (مجلة الوسط - العدد ٥٠١ في ٣ سبتمبر ٢٠٠١ - عدة حلقات).

ولنرجع قليلا إلى الخلف. إلى أول سبتمبر ١٩٧٤ بالذات.. عندما كانت الاستخبارات السوفييتية تبحث عن حداد.. خاصة بعدما تحولت إلى نقطة اجتذاب لمجموعات ثورية متعددة الجنسيات.. ففي تلك الفترة كانت موسكو قد بدأت رحلة الانفراج مع واشنطن.. وكان ملف (الإرهاب) مثارًا بينهما ومطروحًا.. وأبدى يوري أندروبوف رئيس المخابرات السوفييتية لحكومة عدن (اليمن الديمقراطية) رغبته في لقاء حداد في موسكو.. وناقش حداد الأمر مع المحيطين به وكان القرار تلبية الدعوة.

كانت علاقة جبهة حداد مع موسكو علاقة حركة تحرر ثورية بدولة كبرى تعتبر هي أيضا في الخندق نفسه على مستوى النزاع الدائر في العالم.. ومع تصاعد الاتهامات الموجهة إلى المقاومة الفلسطينية بممارسة الإرهاب. كان الاتحاد السوفييتي يقف مؤيدًا للحق الفلسطيني والعربي.. سياسيًا وتسليحيًا.

وفي أواخر سبتمبر ١٩٧٤ زار حداد موسكو والتقى بأندروبوف وقال له حداد صراحة:

(إننا لسنا إرهابيين.. نحن أكثر إنسانية من أي طرف آخر.. نحن نحسب حساب الأطفال (عند خطف الطائرات).. لكن أطفال شعبنا أيضًا لهم الحق في الحياة والخروج من دائرة المعاناة.. ولا نرى الحل إلا بالنضال..

لقد جربنا كعرب الحروب الكلاسيكية فلم ننجح.. والآن نؤمن بأن حرب الشعب الطويلة الأمد هي التي يمكن أن توصلنا إلى هدفنا.. وأنا لا أنكر أن هذه الحرب قد تتسبب أحيانًا في سقوط أبرياء.. فليست هناك حروب نظيفة بنسبة مائة في المائة.

ثم إن المجتمع الإسرائيلي معسكر بنسبة تصل إلى حوالي ٩٠ في المائة منه.. والدليل أنه فور إعلان الاستنفار يلتحق كل واحد بوحدته في الجيش. مجتمع من هذا النوع لا يمكن إقناعه بالمفاوضات.. وعلى ذلك.. سنظل نجاهد ونجاهد

حتى نرهقه.. هذه هي مواقفنا.. وخطنا هو حرب الشعب الطويلة الأمد وسياسة الاستنزاف التي ستؤدي إلى إصابة الجسم الإسرائيلي القوي بفقر الدم والانهيار).

وعرض حداد قائمة بمطالبه التي اشتملت على رشاشات ومسدسات خاصة وذخائر وموّقتات وتقنيات متعددة.. تسلمتها الجبهة كاملة فيما بعد في البحر قبالة عدن.

بعدها بعامين تقريبًا. أبريل ١٩٧٦ . غادر حداد بيروت غاضبا.. فقد اشتعلت الحرب الأهلية هناك.. ولم يكن مؤيدًا لتحول المنظمات الفلسطينية إلى مجموعة جيوش علنية منتشرة في لبنان ومحصورة فيه.. فتستغرقها الحرب وتدخل في مواجهات عسكرية مع السوريين.

وفي عدن فكر وديع حداد في اختطاف طائرة جديدة بهدف الإفراج عن عدد من المعتقلين في إسرائيل.. وطار إلى الصومال حيث تربطه علاقات حميمة مع الرئيس سياد بري.. وفي مقديشيو طرح الفكرة على بري الذي نصحه بلقاء الرئيس الأوغندي عيدي أمين.. مشيرًا إلى أن عيدي أمين لديه مشاكل كثيرة مع الأوربيين وإسرائيل وقد يرحب كثيرًا باستقبال الطائرة.. وأرسل حداد رجلين ضخمي الجثة للقاء عيدي أمين في كمبالا. فأبدى استعداده في الحال ورحب بأن تستضيف بلاده إحدى ملاحم وديع حداد

وبعد العثور على مكان آمن لاقتياد الطائرة تسارعت الاستعدادات لتنفيذ العملية.. وتم الاستعانة بألمانيين من منظمة بادر – ماينهوف[1].. وشابين فلسطينيين من أعضاء الجبهة . وبعد البحث في جداول حركة الطيران

---

(١) منظمة بادر: تنتمي إلى الجيش الأحمر المتطرف.. وقامت بأعمال إرهابية عديدة في أوربا.. وزعيمها هو الألماني أندرياس بادر (١٩٤٣ - ١٩٧٧) وكان أحد الشابين، فنيفريد بوزه، وهو ناشر كتب في فرانكفورت، عاشقا لوديع حداد وعملياته الجريئة.. وهو الذي قاد فريق الاختطاف في المرحلة الأولى من العملية.. أما في عنتيبي فتولى آخر كان هناك قيادة العملية.

أما الألمانية الثانية فكانت إنجريد سيجمان.. إحدى عضوان منظمة بادر أيضا.. والمتحمسة للقضية الفلسطينية .

العالمية.. وقع الاختيار على الطائرة الإيرباص الفرنسية الضخمة، الرحلة رقم ١٣٩ التي ستقلع قبل ظهر ٢٦ يونيه ١٩٧٦ من تل أبيب إلى أثينا.. ثم إلى باريس

رتبت الأدوار ببراعة.. إذ سافر الألمانيين إلى أثينا وحجزا تذكرتين بالدرجة الأولى على الإيرباص القادمة من تل أبيب إلى باريس.. أما الشابين العربيين فقد حجزا تذكرتين بالدرجة السياحية على شركة طيران سنغافورة إلى أثينا. ليتابعا إلى باريس على الطائرة نفسها.. وكان الأربعة يحملون مسدسات كاليبر ٧,٦٥ مم.. وبحقائب أيديهم بعض المشغولات اليدوية وعددا من القنابل والمتفجرات.

أما وديع حداد فقد طار إلى أوغندا برفقته أنطونيو بوفييه (رجل الجبهة في الإكوادور).. وفي العاصمة كمبالا كان الاستقبال حارًا لحداد.. وعومل بشكل لائق يتناسب مع كونه زعيم منظمة فلسطينية قوية وذات كفاءة عالية.. إذ كان عيدي أمين معجبًا بعملياته إلى حد الهوس.. ويقف إلى جانب الفلسطينيين بشكل علني بعدما كان صديقًا مقربًا للإسرائيليين منذ ساعدوه عندما قام بانقلابه عام ١٩٧١ وتولى السلطة.. لكنه انقلب عليهم فجأة حين رفضوا تزويده بالسلاح اللازم ليحارب تنزانيا.. ولما أمده القذافي بالسلاح والمال.. دخل الفلسطينيون أوغندا مع الليبيين.. وقطع عيدي أمين علاقاته الدبلوماسية بإسرائيل.. بل وأعطى سفارة إسرائيل في كمبالا للفلسطينيين.. وسمح لحداد بأن تكون لجبهته مكتب في أوغندا.. واستعان بالفلسطينيين في حرسه الخاص وفي قيادة طائراته الحربية

الرهائن والمفاوضات

وفي أثينا كانت الأمور على خير ما يرام.. فقد هبطت الطائرة الفرنسية القادمة من تل أبيب حسب البرنامج.. وصعد إليها ٥٢ راكبا جديدا.. وفي

الثانية عشرة ظهرا أقلعت الطائرة في طريقها إلى باريس.. وبعد ثمانية دقائق عندما كانت تطير فوق خليج كورنثة. فك الشاب الألماني وصديقته حزامي مقعديهما في الدرجة الأولى وقفزا بمسدسيهما في يد بينما أمسكا بالقنابل في اليد اليسرى.. وعندما صرخت إحدى الراكبات رعبا خرج مساعد الطيار من كابينة القيادة لاستطلاع الأمر.. فدفعه الألماني إلى الداخل ودخل خلفه ليجئ صوته في الميكروفون الداخلي باللغة الإنجليزية

-(نحن من القيادة الخاصة للجبهة الشعبية.. وقد استولينا على الطائرة.. وبالتزامكم الهدوء نعدكم بأن كل شيء سيكون على ما يرام.)

وفي الدرجة السياحية قفز في الحال الشابين الفلسطينيين بمسدسيهما. وتعاونا مع الفتاة الألمانية في السيطرة على الركاب المذعورين.. حيث تم جمع ركاب الدرجتين بمؤخرة الطائرة بعد استلام جوازات السفر والتفتيش الذاتي لكل راكب.. ثم أمروا الركاب برفع أيديهم خلف رءوسهم بعد إسدال ستائر نوافذ الطائرة كلها. لكي لا يعرفوا إلى أين يتجهوا بهم.

هبطت الطائرة أولا في بنغازي للتزود بالوقود.. وإنزال إحدى السيدات الحوامل.. وطارت من جديد لتستقر كما هو مخطط لها في مطار عنتيبي بأوغندا.. وبعد ساعات طويلة من المفاوضات (الشكلية) سمح الألماني للركاب بالتجول داخل الطائرة.. مع التنبيه بعدم الاقتراب من الباب الخلفي المفتوح. في تلك الأثناء كانت الطائرة تقف على الممر بعيداً عن مبنى المطار.. وبعدما سمحت السلطات الأوغندية بنزول الركاب.. تحركت الطائرة على الممر ببطء باتجاه المبنى.. وفتحت الأبواب ونزل الركاب حيث اقتيدوا إلى مبنى قديم مهجور وتجمعوا بإحدى العنابر المليئة بالأتربة والقاذورات

وقرب المساء وصل عيدي أمين إلى المطار.. ودخل إلى عنبر الركاب ببذته الخضراء ونياشينه وقال بفخر

(أنا الفيلد مارشال دكتور عيدي أمين دادا رئيس الدولة.. لقد قمت بمجهود خارق من أجلكم.. ولأجل ألا يصيب أحدكم أي نوع من الأذى.. وبعد مفاوضات شاقة جدًا ها أنتم الآن غادرتم الطائرة بسلام.. ويسعدني أن أكون مسئولا عنكم مسئولية شخصية حتى تطيرون إلى أوطانكم بكل الخير والصحة والسلامة.).

صفق الركاب للرئيس الأوغندي.. وما كانوا يعلمون لحظتئذ أنهم رهائن[1] في أوغندا لا ضيوف مؤقتين.

كان رأي وديع حداد أن يتم توزيع الرهائن في أكثر من مكان لتسهيل السيطرة عليهم.. ودرست الناحية الأمنية للمكان.. إلا أن عيدي أمين حرص على تأكيد ارتياحه للإجراءات المتخذة.. ورفض فكرة حداد بدعوى أن عنبر البضائع القديم الذي احتجز فيه الرهائن هو المكان المناسب من حيث السيطرة الأمنية والموقع الاستراتيجي.

لقد كانت العملية ناجحة تمامًا.. إلا أن المفاوضات بدت ثقيلة جدًا مع الإسرائيليين بخصوص مطالب الخاطفين.. إذ انحصرت في الإفراج عن ٥٣ من زملائهم، ٤٠ منهم في السجون الإسرائيلية و١٣ في سجون ألمانيا الغربية.. وتولى سفير الصومال في أوغندا قراءة مطالب المختطفين.. وكان هو المتحدث الرسمي.. والذي تمكن في ٣٠ يونيه من إطلاق سراح ٤٧ امرأة وطفلاً.. نقلتهم إلى باريس طائرة لإير فرانس جاءت من كينيا.. وكانت المهلة التي حددها رجال وديع حداد تنتهي عند منتصف نهار ١ يوليو ١٩٧٦.. وإلا فسيتم القيام بقتل الرهائن واحدًا تلو الآخر.

يقول وزير الدفاع الإسرائيلي شيمون بيريز في مذاكراته:

---

(١) كان عددهم ٢٤١ رهينة. بينهم ٧٧ إسرائيليا، بعضهم من جنرالات جيش الدفاع وعائلاتهم.

(وصل التقرير الأول عن الاختطاف إلى القدس خلال اجتماع وزاري أسبوعي، عندما سلمني مساعدي العسكري، العقيد (إيلان تهيلا)، إشارة كُتبت على عجلة: (لقد تم اختطاف طائرة الرحلة الجوية الفرنسية رقم ١٣٩ المغادرة من مطار بن غوريون إلى مطار أورلي في باريس بعد توقف قصير في أثينا. والطائرة الآن تسبح في الجو، مجهولة الغاية). أطلعتُ رئيس الوزراء إسحاق رابين بالأمر بكل هدوء، وقرر عقد اجتماع عاجل للوزراء المعنيين- الخارجية والدفاع والنقل.

وقررنا أن المختطفين لو حاولوا الهبوط في مطار بن جوريون، فإننا سنساعدهم على ذلك الفعل ثم نسعى إلى مهاجمة الطائرة باستخدام وحدة مظليين هجومية، وهي الطريقة التي فعلناها عندما أُختطفت طائرة بلجيكية (سابينا) في مايو عام ١٩٧٢. (وفي ذلك الحادث تسنى لجنودنا، المتوشحين ثياب رجال صيانة المطار، الاقتراب من الطائرة بينما المفاوضات مستمرة مع برج المراقبة. وعلى حين غرة قفزوا إلى متن الطائرة فقتلوا الرجلين الخاطفين وتغلبوا على المرأتين، ولم يصب بأذى سوى شخصين من المسافرين المائة الغرباء. كنت في المطار وقتها، بصفتي وزير النقل، أعمل بجانب موشى دايان، وزير الدفاع، أبان ليلة طويلة من المفاوضات والاستعداد).

خطة الهجوم

ويكمل بيريز (وفي الساعة ٢١,٠٠ وصل تقرير آخر يقول إن طائرة الخطوط الجوية الفرنسية قد تزودت بالوقود في بنغازي، ليبيا، وأقلعت من هناك إلى جهة مجهولة. وفي الساعة ١,٠٠ كانت الطائرة تحلق فوق الخرطوم، السودان، حيث لم يُأذن لها بالهبوط. وخمنتُ أن الطائرة حتى وإن اتجهت صوب إسرائيل، فستحتاج إلى ما بين ساعتين أو ثلاث ساعات لتنتهي إلينا، فوطدتُ العزم على الانتفاع من الوقت في زيارة الوحدة الخاصة التي كانت تتأهب

لمداهمة الطائرة. انطلقتُ بسيارة جيب مع العميد (كوتي) آدم، الضابط القائد لقسم العمليات في هيئة الأركان، إلى نقطة تجمع الوحدة.

وقف (يوني نيتانياهو)، قائد العملية المعين حديثًا، وسيما حد الوسامة. لقد سمعت عنه قبل تعيينه قائدًا لهذه الصفوة بوقت طويل.

عدنا إلى المطار في الساعة ٤,٠٠ حيث أعلمونا أن الطائرة المخطوفة قد حلقت جنوبًا من الخرطوم وهبطت في عنتيبي، أوغندا، على شواطئ بحيرة فكتوريا. فكان من الجلي أنها غير مقبلة إلى إسرائيل.

كانت معضلتنا الأفدح، كما تراءت لي، في الحاجة الماسة إلى معلومات استخباراتية جديرة بالثقة والتصديق. استهل رابين الحوار قائلاً أننا مضطرون في ظل غياب الخيارات الأخرى إلى التفاوض (وبعبارة أخرى الاستجابة لمطالب الخاطفين في الإفراج عن الإرهابيين السجناء). ثم واصل حديثه بأننا سنحافظ ظاهريًا على موقفنا بأن فرنسا مسؤولة وأن إسرائيل لن تستسلم.

وفي وقت متأخر من تلك الليلة اجتمعت اللجنة الوزارية مرة أخرى لمناقشة مطالب الخاطفين. لقد اشتملت هذه المطالب إخلاء سبيل أربعين إرهابيًا مسجونين في إسرائيل وستة في كينيا وأربعة في ألمانيا وواحد في كل من سويسرا وفرنسا. من جانبهم نفى الكينيون حتى احتجاز الستة (في الحقيقة تم القبض عليهم عند محاولتهم إطلاق النيران على طائرة نفاثة إسرائيلية في مطار نيروبي). ولم يعلن الألمان بيانًا واضحًا، وساورني الشك عن مدى تأهبهم لتسليم الإرهابيين المدانين. ومع ذلك، حثَّ رابين أن تعلن إسرائيل استعدادها للإفراج عن السجناء.

توجب عليَّ بصفتي وزير الدفاع، البقاء حذرًا ومتحفظًا، فقلت أننا لا نملك حتى الآن الاقتراح العملي الملائم في كل جوانبه. ولن نستطيع تقديم مثل هذا الاقتراح إلا بعد فحص دقيق. وما إن انتهى الاجتماع الوزاري هذا، حتى أعلم

غور رسميًا كوتي آدم للشروع بالعمل فورًا في تخطيط عمليات عسكرية بديلة عديدة.

تدخل الوسطاء لتمديد المهلة وللضغط على الإسرائيليين الذين يعلمون أن الاستجابة للمطالب معناه تشجيع عمليات اختطاف الطائرات.. ومزيد من العمليات المتأزمة التي تشل إسرائيل من الداخل وتؤرق أمنها).

وبعد مفاوضات مرهقة وشاقة.. وضغوط متزايدة على الخاطفين.. علت وجوه الرهائن ابتسامات الفرح عندما اقتحم السفير الفرنسي العنبر وهو يصيح

- إسرائيل تقبل التفاوض

وأطلق سراح مائة رهينة من الفرنسيين وجنسيات أخرى.. بينما احتل الرهائن الإسرائيليون العنبر الذي بدا واسعًا جدًا قياسًا بعددهم.. وانكبوا على التهام أصابع الموز وهم يتصايحون في فرح ويتعانقون في تفاؤل

وفي يوم الجمعة ٢ يوليو ١٩٧٦ وصل عيدي أمين إلى المطار في الساعة السابعة صباحًا.. وصرح أمام عدسات المصورين أن إسرائيل تضيع الوقت. ويجب أن تطلق سراح المسجونين الفلسطينيين لديها على الفور لتنتهي أزمة الرهائن

وأضاف عيدي أمين أنه في طريقه إلى موريتانيا حيث يرأس اجتماعات منظمة الدول الإفريقية.. وأنه سيناقش مسألة الرهائن هناك.. وسيحارب من أجل إطلاق سراح الإسرائيليين.. بشرط أن تفعل إسرائيل ما عليها أيضًا.

وفي إسرائيل ترأس إسحق رابين رئيس الوزراء اجتماعًا لمجلس الوزراء المصغر الذي يضم إلى جانب شيمون بيريز وزير الدفاع رؤساء أجهزة الاستخبارات أيضًا.

ومع تباين الآراء المختلفة التي ترى الاستجابة لمطالب الخاطفين.. والمغايرة لها التي تعارض ذلك بشدة.. استمع رابين لكل الآراء والاقتراحات.. وتم

التوصل إلى حل نهائي وهو تحرير الرهائن مهما كانت الخسائر والنتائج.. وأمام إصرار القادة ورؤساء المخابرات وافق رابين على عملية (قصف الرعد).

كانت إحدى الشركات الإسرائيلية قد اشتركت في بناء مطار عنتيبي.. لذلك فقد توافرت اللوحات الهندسية للمطار.. وعرف من الرهائن الفرنسيين المحررين أن عدد المختطفين بين ٨ ١٢[1] ، وأن عدد الحراس من القوات الأوغندية في حدود المائة فرد مزودين بالرشاشات والمسدسات.. وتمكن الإسرائيليون من تجهيز ملابس عسكرية مماثلة تماما للزي العسكري في أوغندا.. وكذا الاستعانة بعدة سيارات مرسيدس سوداء بذات الشارات الرئاسية الأوغندية.

كانت الخطة تبدو مستحيلة في البداية.. لكن بعدما وافقت إثيوبيا وكينيا على مساعدة الإسرائيليين تم حل مشكلة تمويل الطائرات للمرة الثانية[2] قبل الوصول إلى أوغندا.

ونعود إلى بيريز حيث يقول في مذكراته عن يوم السبت ٣ يوليو

(هاتفني رئيس هيئة الأركان بعد منتصف الليل قائلاً إن التمرين المحمول جوًا قد تكلل بالنجاح ويريد الآن تحديد موعد ثابت للعملية من أمسية السبت. وعلى وجه التحديد، أراد تفويضًا مني كي يرسل الطائرات والرجال إلى شرم الشيخ، التي ستكون نقطة انطلاقهم في وقت الإقلاع من هناك بعد الظهر السبت.

وافقت على ذلك.

---

(١) انضمت إلى المختطفين الأربعة عناصر أخرى تابعة للجبهة الخاصة لتحرير فلسطين في أوغندا..!!

(٢) التمويل الأول تحدد له أن يتم فوق البحر الأحمر من الجو. لكن ظهرت أنباء بعد ذلك تقول بأن الطائرات الإسرائيلية التي نفذت عملية عنتيبي حلقت في مسار مستقيم فوق البحر الأحمر ثم انحرفت يمينا إلى أثيوبيا دون توقف حتى هبطت في عنتيبي.

وفي الصباح التقيتُ فينة أخرى بالقادة وكبار الضباط المساهمين في تخطيط العملية والسيطرة عليها. وطلبتُ من جور أن يتصفحها مرحلة فمرحلة. قال جور:

ستكون هنالك أربع طائرات هيركليز تقلع في ساعتين ونصف الساعة قبل حلول الليل وتحلق فوق عنتيبي في الساعة ٢٣,٠٠. وستتوقف الطائرة الأولى في نهاية المدرج وستُفرِغ عدة سيارات جيب وسيارات المرسيدس الرئاسية، محملة بالجنود المتأهبين. ستتقدم هذه السيارات فورًا صوب البناية القديمة النهائية حيث وكما عرفنا من المسافرين المحررين أن الرهائن الإسرائيليين محتجزون فيها.

وبعد دقائق سبع ستهبط الطائرات الثلاث الأخرى بفاصل زمني قليل بين الواحدة والأخرى وستكون محميّة على الأرض على يد القوة المقاتلة التي نزلت من الطائرة الأولى. وستنزل من هذه الطائرات سيارات مدرعة يمكن استخدامها (عند الضرورة) لمقاتلة الجنود الأوغنديين. وستجلب أيضًا فريقًا طبيًا، ووحدة هدفها الاعتناء بالرهائن ومساعدتهم على ركوب الطائرة. ووقتئذ ستصطف الطائرة الأولى بمحاذاة البناية النهائية لتحمل الرهائن وتقلع. وستدرج الطائرات الأخريات إلى البناية الجديدة النهائية لتتحمل بالجنود والمركبات قبيل الإقلاع. وسينجز أي علاج طبي ضروري على متن الطائرات.)

العد التنازلي

ويضيف وزير الدفاع الإسرائيلي

(ذكر جور أن تجربة الأداء بأكمل صورة لها والتي أجريت في اليوم السابق للعملية الكاملة على الأرض قد استغرقت خمسة وخمسين دقيقة. وعليه فإن الأمور إذا ما سارت على ما يرام، فإننا سندخل هناك ونخرج في غضون ساعة. ولو نشب قتال ناري مع القوات الأوغندية، أو كان ثمة عدد كبير من الضحايا،

فسنستغرق وقتًا أطول. وعلى أية حال ستنتهي العملية على الأرض قبل الساعة ٢,٠٠. لقد كانت معلومات الاستخبارات الأخيرة من عنتيبي مشجعة: بدت طائرة الخطوط الجوية الفرنسية خالية، وليس ثمة سبب للاعتقاد أن الخاطفين قد لغموا أو فخخوا المداخل المفضية إلى البناية القديمة النهائية.

مضينا بالسيارة إلى المطار العسكري، حيث كان الجنود متأهبين لركوب الطائرة، أقبل (يوني نيتانياهو) لمصافحتي وأكد لي بأن العملية "مائة بالمائة". احتضناهم وتطلعنا إليهم وهم يتسلقون إلى أبدان الطائرات الواسعة

وعندما حلقت الطائرات في الجو، خيم علينا هدوء مستبشر. انطوت الأوامر على المحافظة على صمت راديوي كامل ما لم تبرز أي مشاكل. وأن يغادر بيتي بيليد وكوتي آدم على نحو منفرد على متن طائرة بوينغ ٧٠٧، والتي ستعمل كعملية قيادة وسيطرة، وتبقى على بعد مائة كيلومتر عن طائرات النقل الأربعة وهي في الجو، وأن تحوم فوق تلك الطائرات عندما تكون على الأرض.).

تولى قيادة العملية دانييل شومرون. أما قائد فريق الكوماندوز فكان جوناثان نتانياهو.

في الرابع من يوليو ١٩٧٦ وعند الساعة الحادية عشرة مساء.. هبطت الطائرات الإسرائيلية في مطار عنتيبي.. ونزلت منها سيارة مرسيدس شبيهة بسيارة الرئيس عيدي أمين وخلفها سيارات مرسيدس أخرى تقل ضباطًا وجنودًا بثياب الجيش الأوغندي أيضًا.. بخلاف سيارتان لاندروفر عسكريتان تحملان شارات أوغندية.

عند هبوط الطائرات الإسرائيلية في مطار عنتيبي، تأكد لوديع حداد بأن هناك مؤامرة.. فحاول الاتصال بالرئيس الأوغندي لكن الإسرائيليون كانوا قد عطلوا الاتصالات التليفونية ووصلوا إلى عنبر الرهائن.. وفي دقائق كان كل شيء قد انتهى. إذ فاجأوا المختطفين بمسدساتهم الكاتمة للصوت.. وقتلوهم جميعًا

في اشتباك مباغت راح ضحيته بعض الرهائن أيضًا ودمروا بعض الطائرات قبل انصرافهم[1]..

وفي رحلة العودة بالرهائن إلى الطائرة أصيب جوناثان نتانياهو بطلق ناري في ظهره أسقطه على أسفلت المطار ومات على الفور.. ويصف لنا شيمون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلي في مذكراته اللحظات الضبابية المرهقة قائلاً:

في الساعة ١١,٠٣ تناهت الأصوات الأولى تصرصر في لواقطنا المذياعية: لقد هبطت الطائرة الأولى بأمان. الساعة ١١,١٠ تحدث دان شومرون بصوت هادئ مقتضب: "كل شيء على ما يرام. سنخبركم فيما بعد". تبعته أصوات متقطعة. أهي إطلاقات نارية؟ أم محركات الطائرة؟

١١,١٨ الكلمة الرمزية (شيفل)، وتعني أن الطائرات الأخرى قد هبطت.

١١,٢٠ شومرون ثانية: "كل شيء على ما يرام. ستتسلمون قريبًا تقريرًا كاملاً. ومن ثم كانت الكلمة (فلسطين) والتي تعني أن الهجوم قد بدأ.

١١,٣٢ "جفرسون" والتي تعني أن اخلاء الرهائن جار.

١١,٣٣ انتقلت الأمور كلها إلى "جاليلا". ومن هذا استنبطنا أنهم نقلوا الرهائن إلى متن الطائرة. بدت جميع الأمور تامة. ولكن بعدئذ، في الساعة ١١,٥٠، سمعنا فجأة استغاثة لإسعاف أولي إلى "ميتة شكيدهم" – وحدة نيتانياهو. كان هنالك "ايكاتيرنيا اثنان" ويعني ضحيتين، فمن هما؟ من الواضح أننا لا نقدر على السؤال.

وبعد دقيقة، في ١١,٥١ ، التقطت موجاتنا الهوائية كلمة "كارمل" مشخصة حركة العجلات إلى وداخل جميع الطائرات. نَزَّت أفئدتنا بالفرح.

---

(١) دمر الإسرائيليون في مطار عنتيبي طائرتين ميج ٢١، وثلاث طائرات ميج ١٧، وطائرة ميج ١٥. وألحقوا أضرارا جسيمة بطائرتين من الميج ٢١، وببرج المراقبة بالمطار، وقتل في العملية ٢٥ جنديا أوغنديا.

تمثال لقاتل

أخذت الشمبانيا تتدفق في مكتب جور وهناك أدلى بخطاب قصير وقال فيه أنه بصرف النظر عن جوناثان نيتانياهو - الذي نعرف بأنه أصيب - والجندي المظلي الآخر، فمن الجلي أن القوة لم تتكبد خسائر أخرى. وتم انقاذ جميع الرهائن معافين من دون أذى، ما عدا امرأة واحدة، السيدة (دورا بلوخ)، وقد تم أخذها إلى مستشفى في عنتيبي. (أعلن بعد ذلك أنها قد قتلت) ولقى جميع الخاطفين، وهم عرب وألمان، حتفهم.

وفي اليوم التالي طار وديع حداد إلى عدن.. حيث رآه أصحابه وهو يبكي رفاقه القتلى في عنتيبي.

بعدها قال حداد إن العملية تكتيكيًا قد نجحت.. لكن رعونة عيدي أمين ساعدت على تحرير الرهائن.. فلو أنه كان قد وافق من البداية على نقل الرهائن بعيدا عن المطار لما كانت النهاية هكذا.. وفي تلك الحالة سترضخ إسرائيل لمطالبه.

ويصف النهاية بقوله: لقد انتصرت إسرائيل هذه المرة لأن قواتها فاجأت رجالنا وقد تنكرت في ثياب الجيش الأوغندي.. ومشت في المطار دون أن يتعرض لهم أحد.. لكن ليس معنى ذلك أننا انهزمنا.. فنحن قد تعلمنا الكثير ولن تستطيع إسرائيل تكرار ذلك أبدًا.

وفي مارس ١٩٩٨ نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية.. أن رئيس مدينة عنتيبي الأوغندية قدم لرئيس الوزراء بنيامين نتانياهو وعدًا رسميًا بتحويل مطار عنتيبي الدولي إلى مزار سياحي عالمي تخليدًا لذكرى عملية قصف الرعد.. ونشرت الصحيفة هذا الخبر في صدر صفحاتها الأولى، مضيفة أن رئيس مدينة عنتبي الذي يزور إسرائيل لحضور مؤتمر المدن الصديقة الذي أقيم بالقدس، قد التقى برئيس الوزراء الذي شكر رئيس مدينة عنتيبي.. خاصة وأن

أوغندا وعدت إسـرائيل رسميًـا بعمـل تمثـال لجوناثـان نتانيـاهو الـذي قتـل في العملية.. وجاء هذا الوعد خطيًا بيد ستيفان كبويا الرئيس الأوغندي.

هـذا وقـد طلـب نتانيـاهو يومئـذ أن تشـارك إسـرائيل في تكـاليف المشـــروع الأوغندي الذي ستصل تكلفته إلى حوالي عشـرة ملايـين دولار.. علـى أن يسـمح للمهندسـين الإسـرائيليين بوضـع التصميمـات المناسـبة للمكـــان طبقًــا للرســـوم والخرائط الخاصة بالمطار والمحفوظة بأرشيف وزارة الدفاع الإسرائيلية

لكن.. برغم الدهشة التي أصابت المجتمع الـدولي لجـرأة إسـرائيل، أدينـت الدولة الصهيونية لاقتحامها الأجــواء الأوغنديـة، وتفجـير قـوة أوغنـدا الجويـة وقتل جنودها. لكن الإدانــة لم تكـن أبـدًا بحجـم الإعجـاب الـذي حظيـت بـه إسرائيل..!!



فضيحة تهديد (هايدي) في سويسرا..!!

كانت واثقة من فولاذية أعصابها.. برغم أن التهديد كان موجهًا لأغلى إنسان لديها.. والدها.. لكنها أبت أن تخور وتستسلم.. وعندما تقدمت ببلاغ للشرطة الألمانية.. تفجرت على الفور أشهر فضائح الموساد في سويسرا..!!

استقالة رئيس الموساد

في مارس ١٩٦٣.. تلقت ابنة العالم الألماني البرتو بول جيوركه[١].. واسمها هايدي.. مكالمة تليفونية في بيت العائلة بمدينة فرايبورج Freiburg الألمانية. حيث تعيش مع جدتها وشقيقها رينيه..

يقول ريتشارد ديكون[٢]

كانت المكالمة من عالم نمساوي اسمه أوتو فرانك جوكليك.. كان يعمل مع والدها في القاهرة، ثم ترك العمل بحجة الخوف على حياته.. مع أن السبب الحقيقي كان هو أن المخابرات الإسرائيلية أقنعته بأن يكون عميلاً لها.. ودفعت له الكثير.

قال جوكليك لهايدي

– (إن إجراء ما ، سيتخذ ضد والدك وأسرته إذا لم يمتنع عن صنع أسلحة مصرية تستخدم ضد إسرائيل)

ثم.. طلب منها مقابلته في فندق دراي كونيجين (الملوك الثلاثة) في مدينة بازل Basel السويسرية ، التي تقع على مسافة ٥٥ كيلومترًا جنوبي فرايبورج.

واعتقدت الشرطة الألمانية ، التي كانت ترقب هذه الأحداث، أن ثمة (عنصر تهديد يكمن وراء هذا اللقاء)، خاصة وأن جوكليك يعمل في خدمة الموساد..وكان ضابطًا سابقًا في الجيش الألماني.. وهو عدو لدود للنازيين.. و(قدم

---

(١) البرتو بول جيوركه: جاء اسمه بالعديد من المصادر: بول جوركي، وهو عالم متخصص في الإلكترونيات، وأحد العلماء الذين شاركوا في صناعة الصاروخ (V-15) الألماني. وعمل جيوركه مساعدًا لفيلهلم فوس، الذي كان نائبًا لجورنج قائد سلاح الطيران الألماني ونائب الفوهرر إدولف هتلر.

(٢) ريتشارد ديكون: كاتب إنجليزي ألف كتابًا عن الموساد وعملياتها السرية، وبدا واضحًا من خلال أسلوبه في العرض تمجيده للبطولات الإسرائيلية الخارقة، والتي لا توصف مقارنة بأجهزة الاستخبارات العالمية. وهذا الانحياز الجلي أضفى على مادة الكتاب شكلاً خياليًا "أسطوريًا" ينأى كثيرًا عن المضمون والحقائق.

قبل عام إلى الإسرائيليين معلومات عن العلماء الألمان في مصر، كما قدم لهم أيضًا تفاصيل دقيقة عن قنبلة سترونيتوم – كوبالت).

طلبت جهات التحقيق القضائية في فرايبورج من سلطات مدينة بال، مراقبة وتسجيل الاجتماع بين هايدي جيوركه وشقيقها رينيه.. ود. جوكليك، وإسرائيلي آخر سيصحبه، موظف في وزارة التربية والثقافة في تل أبيب (كما في جواز سفره) اسمه يوسف بن جال.

استجابت السلطات السويسرية للطلب، وحاصر رجال من الشرطة في ملابس مدنية الفندق، وأخفى ميكروفون في مصباح قريب من الطاولة التي اتفق على أن تجلس عليها هايدي جيوركه وشقيقها.

وفي الموعد.. جاءت هايدي ورينيه، وبعد دقائق انضم إليهما جوكليك وبن جال.

أكد جوكليك من جديد:

– (إن جيوركه إذا أصر على عمله مع المصريين، سيتعرض لأخطار جسيمة).

تساءلت هايدي

– وما الذي عليّ أن أفعله؟!

قال جوكليك:

– (عليك أن تستخدمي تأثيرك على والدك لإقناعه بمغادرة مصر في أسرع فرصة ممكنة).

وأضاف بن جال:

– بل وعليك أن تسافري إليه، وتعودي وهو معك.

نهضت هايدي منفعلة.

وغادر الرجلان الفندق.

استقل الرجلان القطار إلى زيوريخ Zurich .. وفي زيوريخ تناولا الطعام في مطعم قريب من البحيرة.. ثم.. عاد جوكليك إلى محطة القطارات. حيث ألقى

القبض عليه.. بينما سار بن جال إلى القنصلية الإسرائيلية، وقبل أن يدخلها أعتقل.

كان ذلك يوم ٢ مارس ١٩٦٣

وفي يوم ١٥ مارس، صدر قرار الاتهام الذي نص على أنهما (عميلان لدولة أجنبية قاما بتوجيه تهديدات إلى الآنسة هايدي جيوركه).

وقالت الصحف السويسرية: إن (جوكليك، طُرد من قبل، من سويسرا، لأنه حاول دفع العلماء السويسريين على العمل من أجل إسرائيل).

وفي ١٠ يونيه، بدأت في بال المحاكمة ،و اتهم ممثل الادعاء بن جال بتهديد حرية الفرد (يقصد تهديد حرية هايدي جيوركه)، واتهم جوكليك بأنه شريك له.. وبدخول البلاد دون سند قانوني .

وأدت المحاكمة ، وما صحبها من ضجة إعلامية ، إلى أزمة بين رئيس الموساد إيسير هاريل ورئيس الحكومة ديفيد بن جوريون.. كما أدت أيضًا إلى تعثر العلاقات بين ألمانيا الغربية وإسرائيل.. ومن ثم.. انتهت .. فيما بعد إلى استقالة إيسير هاريل من منصبه.

لقد كشف ما حدث النشاطات الإسرائيلية غير الشرعية في سويسرا وألمانيا الغربية. واتضح أن الموساد وراء ذلك.. وأنها هي المسئولة عن الرسائل الملغومة[1] المرسلة إلى مصر .. ولم ينف هاريل ذلك .. ولم يتبرأ من العملاء

(١) الرسائل الملغومة: كان أول من اخترع الرسائل البريدية الملغومة السويدي مارتين إيكينبرج، في بداية القرن العشرين، حيث بعث برسالته القاتلة الأولى إلى أحد مواطنيه، وهو رجل أعمال كان قد دحض الاختراع وسخر منه. لم يكن إيكينبرج ضليعًا في المحافظة على أسرار اختراعه، ولذلك تم اكتشافه من قبل البوليس.
كان إيكينبرج قد عاش فترتها في لندن وتزوج مرتين. وكان شخصًا غامضًا حتى أن زوجتيه أختفتا في ظروف غامضة، الأمر الذي دفع الشرطة البريطانية إلى اعتقاله ووضعه بسجن بريكسون بانتظار ترحيله إلى بلده السويد. بيد أنه تمكن من الانتحار.

وفي عام ١٩٤٧، سبتمبر، بعد ثلاثين عامًا من وفاته، تم التوصل إلى جوهر أفكاره الإجرامية، عندما انفجر طرد بريدي في مكتب بريد لندن، تبين أنه كان مرسلاً من إيرلندا إلى ضابط استخبارات بريطاني. وأكدت التحريات ضلوع منظمتي إيرغون، وليخي الصهيونيتين في الحادث من أجل الضغط على بريطانيا للجلاء عن فلسطين. وفي عام ١٩٩٢ اعترف خبير الطرود الملغومة في عصابة شتيرن الصهيونية، ياكوف إيلياف، بأن الرسائل الملغومة في تلك الفترة كانت من صنعه، وساهم في إرسال الطرود الملغومة إلى البريطانيين العاملين في وزارة الدفاع، وإلى العديد من الشخصيات البريطانية الأخرى.

الذين وصل بهم الأمر إلى المحاكمة ، والفضيحة

دماء على الأسفلت

لكن.. في الوقت نفسه.. استثمرت إسرائيل ما جرى في دعاية مبالغ فيها جدًا ضد أسلحة الدمار المصرية التي يصنعها جمال عبد الناصر بمعاونة العلماء الهتلريين.

فقال الدفاع أثناء نظر قضية التهديد في مرافعة بدت كالتمثيلية

– إن فولفجانج بيلز اشترى لحساب المصريين ٩٠٠ قطعة من آلية الصاروخ، و٢٧٠٠ جيروسكوب (جهاز يستخدم لحفظ توازن الطائرة، والصاروخ، ولتحديد الاتجاه)، وذلك لتجهيز ٩٠٠ صاروخ، سينتجها مصنع ٣٣٣ ، حربي

وزعم جوكليك أنه ترك عمله في مصر حينما شعر بأن (النية الواضحة للمصريين هي إبادة اليهود).. وزعم أيضا أن د. فولفجانج بيلز عمل على تزويد الصواريخ المصرية بكبسولة تضم سترونتيوم وكوبالت مشعين.

ورد محامي هايدي جيوركه

– إن هذه المواد المشعة كمياتها قليلة وتستخدم لأغراض طبية فقط.

ويعترف ديكون بأن ضغوطًا ما مُورست على سويسرا، فخفت لهجة العداء للإسرائيليين، (ومن الواضح أن توجيهات صدرت إلى المدعي العام في المحاكمة بعدم تضخيم القضية). فكان أن حُكم على المتهمين بالسجن لمدة شهرين. وهي مدة أقل من التي كانا قد قضياها في السجن على ذمة القضية.

ويضيف الكاتب البريطاني

– (ومهما يكن من أمر فإن بن جوريون قدم الحجة إلى علاقات أفضل مع ألمانيا على أية حجة أخرى مؤيدة أو معارضة لسياسة المخابرات الإسرائيلية، ولا ريب أن هذه العلاقات تحسنت، فعلا، وبذلت حكومة بون كل ما في

وسعها لثني مواطنيـها عـن قبـول مراكـز علميـة في مصـر قـد ترتبـط بالمجـهود العسكري، ولكنها لم تستطع القيام بأكثر من الأمل في إقنـاع مواطنيـها بـالعودة من مصر، وفعلت قلة من العلماء ذلك، وربما خوفًا من العمليات الانتقامية أكثر منه تنفيذًا لأمر حكومة بون، على أن بـن جوريـون أشـار إلى حقيقـة أن بعـض المعلومات، عما كان يفعله العلماء الألمان، كان مبالغًا فيه جدًا، وقد يكـون غـير صحيح، وتبنت وكالة المخابرات المركزية هذا الرأي)

إذ أن ثمة قدرًا كبيرًا من الشك يحيط بقـوة دليـل جوكليـك وشـهادته، فقـد عمل أساسًا في مشروعات الأسلحة السرية في مصر، وادعى أنــه قـرر فقـط تـرك القاهرة لأنه أحس بذنب مروع، لأنه متورط في مؤامرة لتدمير إسرائيل، ولكنــه، ولا ريب قد سمع أن الموساد على استعداد لدفـع مبـالغ طائلـة لهـذا النـوع مـن المعلومات، وفي محاكمته ثبت أنه كذب بالنسبة لمؤهلاته العلمية، بل إن إيسير هاريل نفسه قال: إن معلومات جوكليك لم تكن سليمة.

وسواء كانت المعلومات سليمة أم غير سـليمة، فإن إسـرائيل تفضـل القضـاء على الخطر في المهد.. فعلت ذلك مع مصر في الستينيات.. وتفعلــه مـع العـرب حتى الآن..!!

وكانت المحاكمة العلنية لعميل الموساد الشـاذ جوكليـك وزميلـه بـن جـال.. مثار إزعاج خطير لإسرائيل. إذ شـنت الصحـف حملـة دعائيـة شـديدة هـددت بتدهور العلاقات الإسـرائيلية مـع بـون، وبتقويـض سياسـة رئيـس الـوزراء بـن جوريون المثيرة للجدل تجاه ألمانيا الغربية. وجرى حديـث عـن (أشـعة المـوت) وأسلحة خيالية أخرى، وعن تجدد المحاولات الألمانية للبحث عن حل نهائي لإبادة اليهود.. انطلاقًا من مصر.

استعان رئيس الموسـاد برجالـه وأرسـلهم في مـهمات إعلاميـة للصحفيـين في أوربا. وكان خطأ هاريل فادحًا هذه المرة أيضًا. فالمقالات الـتي نشـرت، أثـارت الرعب لدى الشعب الإسرائيلي حول الخطر القادم من مصر، فأثـار غضـب بـن

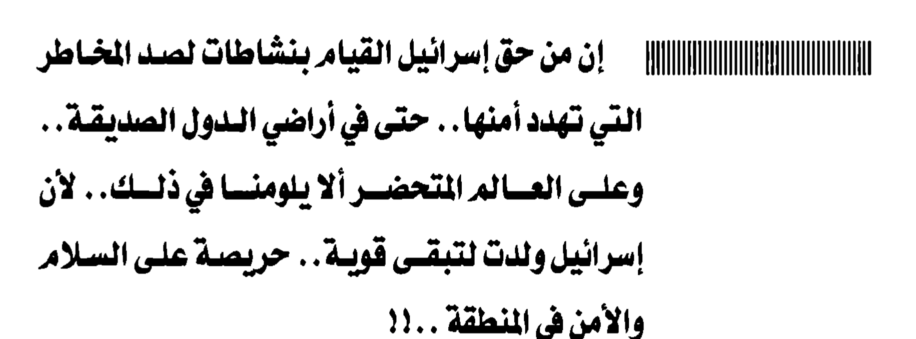
جوريون رئيس الوزراء الذي حَمَّل هاريل مسئولية إفساد العلاقة النامية بين إسرائيل وألمانيا الغربية

لم يهتم إيسير هاريل بالحجة الدبلوماسية أو مدى أهمية ألمانيا.. أو سويسرا بالنسبة لسياسة بن جوريون الجديدة ، وحاول استمالة وزيرة الخارجية جولدا مائير ووزير المالية ليفي أشكول إلى صفه، وظهرت صدوع واسعة في العلاقة بين هاريل وبن جوريون وتسرب الماء الدافق في الصدوع ليدمر كل شيء، وبعد تسعة أيام من اعتقال جوكليك وبن جال في سويسرا.. في ٢٤ مارس ١٩٦٣.. استقال هاريل وهو على يقين بأنه لا ينبغي التوقف طويلا أمام الاعتبارات الأخلاقية والقانونية حينما تكون المسألة متعلقة بأمن إسرائيل ..

لقد اعتذرت إسرائيل رسميًا لسويسرا وألمانيا الغربية ، وانفضت حكاية الخبراء الألمان في مصر، ثم ألقى القبض عام ١٩٦٥ على جاسوس الموساد وولفجانج لوتز في القاهرة وتسارعت الأحداث. وما كادت نيران الفضيحة العالمية تنطفئ ويخمد لظاها إلى حين، حتى دوت فضيحة أخرى في سويسرا عام ١٩٦٩ لطخت تاريخ الموساد القذر وبرهنت على مدى استهانة الإسرائيليين بالأعراف والقوانين الدولية.

كان ذلك عندما اشتبك ضابط للموساد يعمل في شركة العال بجنيف مع شاب فلسطيني في طريقه إلى تل أبيب. فلاحقته الرصاصات وألقت به مضرجًا في دمائه على أسفلت المطار، وسارعت حكومة إسرائيل بتقديم اعتذار رسمي آخر، وهكذا تتوالى فضائح الموساد في سويسرا..!!

فضيحة التجسس على حزب الله في سويسرا..!!



إن من حق إسرائيل القيام بنشاطات لصد المخاطر التي تهدد أمنها.. حتى في أراضي الدول الصديقة.. وعلى العالم المتحضر ألا يلومنا في ذلك.. لأن إسرائيل ولدت لتبقى قوية.. حريصة على السلام والأمن في المنطقة ..!!

بنيامين نتنياهو

حادث غير مقبول

(إسرائيل تدمن التجسس على الدول) بهذه العبارة استهل محلل استراتيجي بريطاني مقاله في (التايمز البريطانية).. موجهًا انتقادًا لاذعًا للحكومة الإسرائيلية وأجهزة مخابراتها. (التي أحدثت عملياتها الإرهابية عبر القارات ردود فعل واسعة.. وسببت أزمات دبلوماسية حادة من جراء انتهاكها لسيادة الدول بارتكاب أعمال مخابراتية على أراضيها.. دون احترام للقانون الدولي العام أو للشرعية الدولية)

كانت هناك مئات من التحقيقات الصحفية والتحليلات ملأت صدر الصفحات .. وتناقلتها وسائل الإعلام العالمية المختلفة إثر فضيحة التجسس الإسرائيلي على حزب الله في سويسرا التي تفجرت عام ١٩٩٨.

ففي يوم الخميس ٢٦ فبراير ١٩٩٨ أعلنت السلطات السويسرية أنها اعتقلت ضابطًا في جهاز الاستخبارات الإسرائيلية الخارجية (الموساد)، وأنها تطارد أربعة آخرين متورطين في عملية تنصت غير مشروعة في برن ١٩ فبراير ١٩٩٨.

وعلى الرغم من أن سويسرا أبلغت احتجاجًا رسميًا إلى إسرائيل.. إلا أن الحكومة الإسرائيلية - حسبما جاء بالإذاعة العبرية في ٢٦ فبراير - لن تقدم اعتذارًا خطيًا إلى سويسرا حسب رغبتها.

وفي برن.. صرحت المدعية الاتحادية السويسرية (كارلا ديل بونتي) خلال مؤتمر صحفي.. أن عملية التجسس قام بها ضباط من الموساد.. وأنها جرت في (مبنى خاص) في العاصمة برن. وأضافت أن مكتب الادعاء الاتحادي يجري تحقيقًا في هذا الانتهاك الذي قصد به جمع معلومات بصورة غير مشروعة.

وأكدت بأن السلطات السويسرية لديها أدلة كافية تثبت تورط الموساد في التجسس على مواطنين أجانب وليسوا دبلوماسيين.

وأضافت المدعية (ديل بونتي) أن (جارة يقظة) أبلغت الشرطة بأنها لاحظت وقوف شخصين مشبوهين أمام المبنى فجر ١٩ فبراير، حيث كانت مستيقظة في ذلك الوقت ونظرت من الشرفة. لقد كانت مجرد صدفة.. واعتقلت الشرطة الرجلين إلى جانب ثلاثة إسرائيليين آخرين كانوا قد اقتحموا طابقًا أرضيًا بالمبنى.. وأن الشرطة فحصت أوراقهم واحتجزت أحدهم وأطلقت الأربعة الآخرين.

وذكرت المدعية بأنها لا تعرف سبب هذا الإفراج.. لذلك فقد أمرت باعتقال الأربعة الآخرين مرة ثانية لاستجوابهم.. إن لم يكونوا قد غادروا سويسرا.

وسائل الإعلام السويسرية أفادت أن العملية استهدفت (إيران)، وأن هناك أجهزة تجسس إلكترونية زرعت في مبنى البعثة الدبلوماسية الإيرانية بالأمم المتحدة في جنيف. لكن الناطقة باسم الخارجية السويسرية - ياسمين شاتيلا - أكدت أن القضية لا صلة لها بإيران أو بدبلوماسييها في برن.. وأضافت: (إن حكومتنا تحتج بشدة على هذا الاعتداء على سيادة سويسرا والقانون الدولي من جانب الاستخبارات الإسرائيلية.. إنه حادث غير مقبول.. ونحن ننتظر تبريرًا واعتذارًا رسميًا من إسرائيل)

وزير الخارجية السويسري - جاكوب كلينبيرجر - استدعى سفير إسرائيل- إسحق ماير سالم - وسلمه احتجاجًا رسميًا من سويسرا.. وصرح لوسائل الإعلام (هذا الحادث غير مقبول وترفضه بلادنا.. وسيكون له تأثير سلبي على العلاقات بيننا وبين إسرائيل)

وردت وزارة الخارجية الإسرائيلية بأن أصدرت بيانًا جاء فيه (قضية كهذه ليست بحاجة إلى اعتذار مكتوب.. فسفيرنا في برن اعتذر رسميًا وهذا يكفي.. والمعهود أن تعالج القضية بهدوء.. وأن تجري محاكمة سريعة (للعميل) وأن يتم (إبعاده) لتستمر العلاقات الودية بين البلدين.) . ! !

بنيامين نتانياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي .. تعهد بحل النزاع الدبلوماسي مع سويسرا دون إثارة أية مشكلات مع البلد (الصديق)، وأن التهديد السويسري بإلغاء زيارة مقررة للرئيس السويسري (فلافيوكوتي) إلى تل أبيب للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام دولة إسرائيل.. لن يكون ذا فعالية.. لأن العلاقات بين البلدين أكبر من أية خلافات قد تنشأ لسبب أو لآخر.

لكن.. وعلى حين فجأة، فجرت الصحف الإسرائيلية أخبارًا مفادها أن عملية التجسس في سويسرا لم تكن تستهدف الدبلوماسيين الإيرانيين في منظمة الأمم المتحدة، وإنما عناصر ناشطة في (حزب الله)

وعلقت إذاعة إسرائيل قائلة، إن الأضرار طويلة المدى الناجمة عن العملية الفاشلة ستهدد موضوع الأرصدة المعلقة في بنوك سويسرا منذ الحرب العالمية الثانية.. حيث تواجه سويسرا اتهامات إسرائيلية باحتفاظها بذهب الرايخ الألماني الثالث في بنوكها.. والذي كان بعضه ملكًا لضحايا النازية.

وتأتي العملية الأخيرة في برن بعد سلسلة طويلة من العمليات الفاشلة التي قامت بها المخابرات الإسرائيلية فوق الأراضي السويسرية التي أبلغت الشرطة بداية من ١٩٦٣.. مما هدد العلاقات بين البلدين.. ووقعت إسرائيل في حرج بالغ بسبب ذكاء السيدة السويسرية التي أبلغت الشرطة.. وغباء رجال الموساد الذين وصلت درجة ثقتهم في أنفسهم أنهم كانوا يعملون على (المكشوف)، ظنًا منهم أن لا أحد يلاحظ تصرفاتهم في عاصمة سويسرا

وعلى ذلك بدأت الأصوات في إسرائيل تنادي بتنظيم عمل الموساد وتقييم الأداء العملياتي من منظور واقعي.. وواجه رئيس الموساد داني ياتوم هجومًا شرسًا ، مما دعاه إلى تقديم استقالته في ٢٤ فبراير ١٩٩٨ بسبب فشله في عملية سويسرا.. ومن قبلها فشل عملية اغتيال خالد مشعل في عمان التي أحدثت فضيحة عالمية هزت إسرائيل وأجهزة مخابراتها.

غباء رجال الموساد

وفي اليوم التالي من فضيحة التجسس على حزب الله في برن– ٢٧ فبراير ١٩٩٨ – أذاعت إسرائيل اعتذارًا رسميًا للحكومة السويسرية.. وبات من الواضح أن حكومة برن – في ردها المتحفظ على الاعتذار – لم تهضم هذا العدوان الإسرائيلي على أراضيها وسيادتها بعد..

لقد قام سفير إسرائيل في برن بتقديم رسالة خطية من السلطات الإسرائيلية موجهة إلى الرئيس السويسري.. تعتذر فيها إسرائيل رسميًا عما قام به عملاء الموساد.. وعلق الرئيس كوتي قائلا: إن ما تقوم به إسرائيل يعد عملاً خطيرًا ويشكل خرقًا مقصودًا للسيادة السويسرية.. وأضاف بأنه يطلب ضمانات من إسرائيل بعدم انتهاك سيادة سويسرا مرة أخرى كما فعلت (كندا) في فضيحة خالد مشعل بعمان[١].

وفي ذروة الفضيحة التي أرَّقت إسرائيل، نقلت مصادر أن سويسرا أرادت استخدام الفضيحة كورقة مساومة في ترتيب قضية الذهب النازي، مما يعيد الاعتبار إلى القطاع المصرفي السويسري.

من جانبه أعلن السفير الإيراني في برن – كيا طباطبائي – أنه حصل على تعهدات من السلطات السويسرية بحماية أمن البعثة الدبلوماسية الإيرانية وممتلكاتها في برن ، عملاً بما جاء بميثاق جنيف الذي يكفل الحفاظ على سلامة البعثات الدبلوماسية

وفي تطور مثير للأحداث اشتعلت الأزمة في طهران عندما اتهم رئيس السلطة القضائية الإيرانية – آية الله محمد يزدي – الحكومة السويسرية بإبرام (اتفاق سري مع إسرائيل) في قضية التجسس.. منتقدًا القضاء السويسري بشدة لإطلاق سراح العملاء

---

(١) قدمت إسرائيل أيضًا اعتذارًا مكتوبًا إلى كندا، بعد استخدام جوازات سفر كندية مزورة في عملية خالد مشعل، مما دعا كندا إلى الاحتجاج بصوت مرتفع، عندما سحبت سفيرها من تل أبيب، ما لم تقدم حكومة الدولة الصهيونية اعتذارًا مكتوبًا.. وقد كان..!!

الإسرائيليين الأربعة. وقال (يزدي) في خطبة صلاة الجمعة في جامعة طـهران - ٢٧ فبراير ١٩٩٨ - إن سويسرا تجامل إسـرائيل وتتستـر علـى فضائحـها علـى حساب إيران. مطالبًا سويسرا بتقديم توضيحات فورية مقنعـة.. منـددًا بأمريكـا التي تؤيد الكيان الصهيوني وتدفعه للعدوان في المنطقة

وتوسـعت الصحـف الإسـرائيلية في نشـر تفـاصيل الفضيحـة بعدمـا تسـربت المعلومات الحقيقية عنها من داخل جهاز الموساد نفسـه..وجـاء بـها أن القصـة بدأت في التاسعة ونصف مـن صبـاح الثلاثـاء ١٧ فـبراير ١٩٩٨.. عندمـا صعـد خمسة أفراد - بينهم امرأتان - إلى طائرة العال بوينج ٧٥٧ أقلتهم من تل أبيب إلى زيوريخ.. ودخل الخمسة سويسرا بجوازات سـفر إسـرائيلية سـليمة وكـانت بانتظارهم سيارتان هناك تحملان أرقامًا سويسرية.

وفي اليوم التالي.. توجه العملاء الإسرائيليون إلى منطقة سكنية تبعد نحـو ١٠ كيلومترات عن برن.. في وقت كانت الشوارع مقفـرة.. إذ كـانت السـاعة تشـير وقتها إلى الثالثة فجرًا.. وتولى عميـل متخصـص في الخلـع والكسـر فتـح البـاب الزجاجي الذي يؤدي إلى قاعة المبنى، قبل أن يدخل ثلاثة مـن العمـلاء المبنـى وينزلوا إلى الطابق السفلي لـزرع أجـهزة التنصـت.. فيمـا كـان عميـلان يؤمنـان الحراسة خارج المبنى..

لكن الضجة التي أصدرها العملاء أثارت انتباه امرأة من السـكان.. فـاتصلت بالشـرطة الـتي جـاءت علـى الفـور وألقـت القبـض عليـهم دون أيـة مقاومـة. وبسؤالهم أعطوا تبريرات مختلفة لوجودهم داخل المبنى.. إذ أكد عميل وعميلـة أنهما أرادا ممارسة الجنس في الطابق السفلي.. حيث أنهما زوجين وتصالحا في التو بعد نزاع طويل بينـهما كـاد أن يصـل إلى الطـلاق.. في حـين ادعـى عميـل وعميلة آخران أنهما صديقـين وقـد فرغـا منـذ لحظـات مـن ممارسـة الجنـس.. وأنهما ينتظران رفيقيهما اللذين شرعا في الممارسة الجنسية بعد مشادة بينهما.

وبتضييق الخناق ادعى الرجل أنه سيصاب بنوبة قلبية.. وبالفعل ارتمى على الأرض فاستدعت الشرطة الإسعاف وتمكن الأربعة بذلك من الهرب.. أما الخامس الذي ادعى المرض، فقد ألقي القبض عليه عندما وجدت بحقيبته معدات إلكترونية متطورة، وفشل في إعطاء تفسير لوقوفه بجانب المبنى في مثل هذا الوقت المتأخر..

وبعد تحقيقات مطولة كشف مؤخرًا عن أن المبنى به شقة لمواطن سويسري من أصل لبناني اسمه (عبدالله الزين) وقد ترك الشقة منذ أربع سنوات لانفصاله عن زوجته.. وحامت حوله شبهات اتصاله بحزب الله.. وكان القصد وضع أجهزة تنصت على تليفون شقته.. بما يؤكد غباء رجال الموساد، ذلك لأن معلوماتهم عن الرجل المطلوب مراقبته كانت خاطئة

وفي يوم الجمعة ٢٠٠٠/٧/٧ حكمت المحكمة السويسرية على ضابط الموساد بالسجن لمدة عام ..

وأعلن إيهود باراك أنه سعيد للغاية بهذا الحكم الذي يعني عودة العميل إلى إسرائيل فورًا لانقضاء المدة..!!

جدير بالذكر أن السلطات السويسرية كانت على علم مسبق بأن هناك ضباط مخابرات إسرائيليين سينفذون إحدى العمليات في سويسرا.. وهذا ما أخذ على تباطؤ الشرطة وتسببها في فرار الأربعة الباقين. أما في إسرائيل فقد أشارت تقارير سرية بأن تسريب المعلومات إلى سويسرا كان بقصد إفشال العملية.. وبالتالي التخلص من داني ياتوم رئيس الموساد الذي لم تقصه فضيحة مشعل من قبل ، برغم الضجة الإعلامية التي واكبتها، والنتائج السيئة التي تخلفت عنها.



فضيحة ضرب مطار بيروت الدولي..!!

لم تكن إسرائيل في وضع تحسد عليه.. فقد فتح حادث الهجوم على مطار بيروت طاقة جهنم.. حيث اشتدت عمليات النضال الفلسطيني.. وخسرت فرنسا الصديقة بسلاحها الذي كانت تحارب به العرب.. ووصمت الدولة الصهيونية عالميًا بأنها دولة الإرهاب..!!

إنقاذ وجه إسرائيل

بعد نجاحات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يترأسها جورج حبش.. والنتائج المذهلة لأول ضربة أصابت إسرائيل بالدوار باختطاف طائرتها إلى الجزائر في ٢٣ يوليو ١٩٦٨، وإجبارها على الإفراج عن معتقلين فلسطينيين بسجونها مقابل الرهائن والطائرة[١].. أدركت إسرائيل أن النضال الفلسطيني اتخذ مسارًا جديدًا.. وأن حبش قرر القتال بأسلوب أكثر حسمًا وفعالية.. وسوف يستثمر نجاحه الباهر في هذه العملية في القيام بعمليات أخرى من هذا النوع، لإذلال إسرائيل.. وضرب اقتصادها نتيجة تعطل شركة العال. ذلك لأن نتائج العملية الأولى كانت خيالية بالنسبة لحبش.. إذ تمكن من فرض مطالبه. إضافة إلى تحقيق أكبر دعاية إعلامية على مستوى العالم.. حيث إن هذا المسرح الطائر يكون محملا بأناس من شتى الدول.. كممثلين يمكن تحريكهم من بلد لآخر.. ويكونوا بعد ذلك أقوى أسلوب دعاية في بلادهم ضد إسرائيل.. الدولة التي سلبت حق الشعب الفلسطيني بالمجازر والإرهاب.. فالخاطفون عادة ما يتعاملون بحساسية شديدة مع الأجانب على الطائرات.. ويشرحون لهم لماذا هم يلجأون إلى الخطف..

وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ هاجمت عناصر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مكتب شركة طيران العال في مطار أثينا بالقنابل.. وأطلقت النار على طائرة العال فقتلت مهندسًا إسرائيليًا وأصابت مضيفتين جويتين.

---

(١) خطفت طائرة العال الإسرائيلية التي كانت متجهة من روما إلى تل أبيب، كأول عملية استهدفت نقل الكفاح الفلسطيني المسلح إلى الساحة الدولية. وقيل إن المختطفين الثلاثة، وعلى رأسهم الفدائي علي شفيق أحمد طه، كانوا يعتقدون أن الطائرة تقل الجنرال الإسرائيلي أرئيل شارون الذي اشتهر بالإجرام والوحشية في حق الأسرى العرب في حرب ١٩٦٧. وقيل أيضًا أن العملية استهدفت إطلاق سراح سجناء فلسطينيين في السجون الإسرائيلية، بينهم سجين أسر عام ١٩٦٤، وقد تم إطلاق سراحه ومعه نحو ٣٧ أسيرًا في أول عملية رضوخ إسرائيلية تحت ضغط عمليات الكفاح المسلح الفلسطينية.

أصيب ركاب الطائرة بالهلع.. وحدثت حالة هرج شديدة بالمطار عند سماع دوي القنابل وطلقات الرشاشات.. حتى بعد ما تمكنت الشرطة من إلقاء القبض على المهاجمين.. وتبين أنهما كانا قد طارا من بيروت.. وينتميان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. وتدربا بأحد معسكرات الجبهة في لبنان

عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعًا طارئًا برئاسة رئيس الوزراء.. حضره كبار المسئولين العسكريين والأمنيين لمناقشة تطورات الحادث.. وفي (اجتماع أزمة) ضم وزير الدفاع موشى ديان، وزيفي زامير رئيس الموساد الذي خلف مائير عاميت[1]، إلى جانب رئيس الاستخبارات العسكرية (أمان) آهارون ياريف، قرروا إنقاذ وجه إسرائيل بشن هجوم جوي لقصف مطار بيروت الدولي الذي تحرك منه (الإرهابيون) ، وتدمير كافة الطائرات الرابضة على أرضه، تأديبًا للبنانيين

وعند عرض القرار النهائي على رئيس الوزراء.. لم يوافق على تدمير جميع الطائرات.. بل وافق فقط على خطة الرد بحيث يتم تدمير ثلاث أو أربع طائرات مدنية (خالية من الركاب) .. وتكون لشركات عربية فقط(! !).

وفي التاسعة وربع مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨، أي بعد يومين فقط من هجوم أثينا، هاجمت طائرات الهليوكبتر الإسرائيلية مطار بيروت الدولي.. جنوب العاصمة.. وأمطرته بوابل من النيران قبلما تتمكن قوات الكوماندوز من احتلاله، مستغلة حقيقة أن هذا البلد لا يملك الجيش لحماية أجوائه، لأنه بلد مسالم يعتمد على السياحة ولا يكن العداء لأي من جيرانه. لهذا لم يلاق الإنزال الإسرائيلي أية مقاومة، في وقت كان المطار يعج بالطائرات المدنية لشتى الدول الجاثية على أرضه، علاوة على الطائرات التي كانت تستعد للإقلاع.

هكذا احتل الإسرائيليون المطار وفجروا (١٣) طائرة مدنية تابعة لخطوط الشرق الأوسط اللبنانية ولشركات عربية أخرى.

---

(١) مائير عاميت : ١٩٦٣ - ١٩٦٨ . وفي عهده حصلت إسرائيل على طائرة الميج ٢١ العراقية بواسطة الطيار الخائن منير روفا .

كأن شيئًا لم يكن

يقول زيفي زامير إن موشى ديان أعطى أمرًا لقائد العملية بتدمير جميع الطائرات المدنية العربية الرابضة على أرض المطار، وكذا جميع المعدات التي تصادفهم.. وكان مقصده من ذلك ألا تظهر صورة إسرائيل بمظهر ضعيف في حال تدمير ثلاث أو أربع طائرات فقط حسبما نصح رئيس الوزراء

لذلك فقد انزعج رئيس الوزراء ليفي أشكول بشدة (هكذا يقول زيفي زامير[1]) عندما أُخبر بعدد الطائرات التي دمرت[2].. وصرخ في ديان محتدا وهو يقول:

– إنك تضع إسرائيل في وضع حرج للغاية وتشوه صورتنا) ..

ويضيف زامير بأن أشكول سأله باهتمام بالغ

– هل أعلنت الحكومة اللبنانية عن وقوع ضحايا من جراء التفجيرات والقصف..؟

أجبته

– راديو لبنان أعلن فقط عن تفجير طائرات ركاب لبنانية وعربية، وإصابة ما لا يقل عن تسعة أشخاص وما زالت عربات الإسعاف تنقل مصابين.

اكفهر وجه رئيس الوزراء – يقول زامير – وردد في غضب:

– إذن عليكم استقبال تصريحات التنديد والشجب

(١) زيفي زامير - جنرال - ولد في هولندا عام ١٩٢٥ وهاجرت أسرته إلى فلسطين وكان عمره وقتئذ سبعة اشهر فقط.. قاتل العرب قبل ١٩٤٨ وبعدها وتدرج في الترقية بالجيش حتى رتبة لواء (جنرال) وفي عام ١٩٦٦ عين ملحقا عسكريا لإسرائيل في لندن.. ولم يشهد حرب ١٩٦٧. واختاره ليفي أشكول رئيسا للموساد لأنه كان يفتقر البريق الذي أحاط بجنرالات إسرائيل الذين شهدوا ١٩٦٧ وأبدى تعاونا هاما مع أجهزة الأمن الأخرى بل وعمل جهدا مشتركا معها في العمليات الخارجية. وكان رأيه دائما ألا يكون الرد الإسرائيلي على العمليات الفدائية مجرد الدفاع السلبي.. بل بالهجوم الفوري الغير متوقع لكسر حدة العمليات.. وفي عهده قامت حرب أكتوبر وأحيل بعدها عام ١٩٧٤ إلى التقاعد.

(٢) ذكرت المصادر الإسرائيلية أن العدد (١٣) طائرة.. ومراجع أخرى (١٤) طائرة.. وفي كتاب : أمراء الموساد كان الرقم (٣٠) طائرة. بينما المصادر العربية تقول (١٣) وأخرى (١٧) وفي صحف لبنان المعاصرة للحادث يتأرجح الرقم من (١٣) إلى (٢٤) .. (!!!)

وطلب إشكول[1] من الخارجية أن تعد بيانًا للرد

ويبدو أن البيان الرسمي الإسرائيلي كان مستفزًا بما فيه الكفاية.. فقد هوجمت سياسة إسرائيل بشدة في صحافة العالم.. وشوهت ملامح الديمقراطية التي تدعيها الدولة العبرية.. ونددت المحافل الدولية بالرد الإسرائيلي الوحشي على عملية أثينا بضرب مطار بيروت[2].

وكانت أكثر الردود قسوة وإيلامًا تلك التي جاءت من فرنسا.. إعلاميًا ورسميًا.. فالصحف الفرنسية تبارت في نشر صور أرشيفية عن اسرى ١٩٦٧ من العرب تظهر مدى مخالفة إسرائيل للاتفاقيات الدولية في معاملتهم.. ففضحت بذلك حقيقة الوضع في إسرائيل. أما رسميا فقد أدانت فرنسا إسرائيل كبقية دول العالم في شرقه وغربه.

لقد كانت فرنسا – التي يرتبط بها لبنان بوضع خاص –الأكثر حدة حينما وصفت الاعتداء على مطار بيروت بأنه إرهاب الدولة.. وأكثر انفعالاً حينما أمر الرئيس شارل ديجول بعدم تزويد إسرائيل بالسلاح، بما فيه الزوارق الحربية التي سبق التعاقد عليها قبل قرار الحظر الذي فرضته فرنسا بعد ١٩٦٧[3]

وكان القرار الفرنسي لطمة لإسرائيل وعقابا لم تتوقعه.

---

(١) ليفي إشكول Levi Eshkol رئيس الوزراء الإسرائيلي (١٩٦٣ : ١٩٦٨).

(٢) نشر في أعقاب الاعتداء أن قائد فريق الكوماندوز الإسرائيلي، رافي إيتان، دخل إلى استراحة المطار مع حراسه ليشرب القهوة، حتى أنهى رجاله تلغيم الطائرات التي كانت جاثية على أرض المطار بالمتفجرات. بعد ذلك وللإيغال في السخرية دفع القائد الإسرائيلي ثمن فنجان القهوة للعامل اللبناني الذي عاش لدقائق وصفها وكأنها قرون.

(٣) كان الرئيس الفرنسي شارل ديجول قد وعد العرب بأن الطائرات الفرنسية ميراج ٣ التي صدرتها فرنسا لإسرائيل لن تستخدم في محاربة العرب..(!!) وتعهدت إسرائيل بذلك أيضا للحكومة الفرنسية.. وعندما ضربت إسرائيل القوات العربية في ١٩٦٧ بالميراج الفرنسية اعتبر ديجول الهجوم الإسرائيلي إهانة شخصية له.. وفرض حظرا على توريد السلاح (الهجومي) لإسرائيل.. وفي يوم ٢ يناير ١٩٦٩ بعد ضرب مطار بيروت.. امتد الحظر للأسلحة الأخرى.. دون تمييز.. وإلغاء جميع التعاقدات مع إسرائيل التي تمت من قبل .

لذلك صب رئيس الوزراء جام غضبه على وزير الدفاع موشى ديان.. وبدوره اتهم ديان الجنرال (رافي إيتان)[1] قائد قوات المظلات الذي قاد عملية ضرب مطار بيروت بأنه خالف أوامره

لم يثر امتعاض وإدانة المجتمع الدولي للعملية أية ردود أفعال لدى حكام إسرائيل وكأن شيئًا لم يكن، لأنهم وضعوا أنفسهم بتأييد أمريكا فوق كل اعتبار أخلاقي، وفوق كافة القوانين والمعايير الدولية، واضعين لبنان هذا البلد الصغير المسالم كحقل تجارب لأعمالهم الإرهابية.

واعتقدت الحكومة الإسرائيلية بعد هذا الهجوم أنها لجَّمت عمليات (الإرهاب) الفلسطينية وقضت عليها.. لكن حدث العكس تماما.. إذ انفتحت طاقة جهنم.. واشتدت عمليات حبش والجبهات الفلسطينية الأخرى.. وطال الضرب قلب إسرائيل من الداخل.

تلك كانت نتائج ضرب مطار بيروت.. وإضافة إلى فضح الممارسات الإسرائيلية وإرهاب الدولة.. فقدت إسرائيل فرنسا كدولة صديقة.. وأهم مصدر من مصادر السلاح الذي تستخدمه لضرب العرب..!!

---

(١) رافي (رافائيل) إيتان: واحد من أشهر سفاحي إسرائيل. عمل لسنوات طويلة في الموساد ثم تولى رئاسة شعبة العمليات، وعلى يديه جرت حوادث لا حصر لها، منها اختطاف النازي السابق إدولف آيتشمان من الأرجنتين عام ١٩٦٠، واغتيال القيادات الفلسطينية في بيروت وأوروبا، أشهر هؤلاء كان علي حسن سلامة.

عينه رئيس الوزراء مناحم بيجن (١٩٧٧ : ١٩٨٣) مستشارًا له لشئون الإرهاب المضاد، ثم مديرًا لمكتب التعاون العلمي المسمى بالعبرية (لاكام Lakam)، وكان مسئولاً مباشرًا عن الجاسوس جوناثان بولارد المحلل في البحرية الأمريكية وصاحب الفضيحة المشهورة عام ١٩٨٥.

فضيحة عملية (سلام الجليل) في لبنان..!!

اعتقد خيال شارون بأن غزو لبنان رحلة هادئة سريعة لـ(إسكات) الفلسطينيين إلى الأبد.. وما كان يتصور أن المارد الجبار.. (حزب الله)، سينطلق بسرعة الضوء من القمقم، ليحيل أمن إسرائيل إلى رعب حقيقي.. وأن الجيش الإسرائيلي سوف يُجبر على الانسحاب في عتمة الليل إلى داخل حدوده.. هربًا من ضربات حزب الله الموجعة.. القاتلة..!!

طلبًا للجنَّة

في الثالث من يوليو ١٩٨٢ أطلقت جماعة أبو نضال[١] النار على السفير الإسرائيلي في لندن ، شلومو أرجوف[٢]، لكن الرصاصات لم تقتله في الحال.. إنما أصابته بشلل كامل مدى حياته.

هذا الحادث تردد وقتها أنه كان الشرارة الأولى لغزو لبنان.. واتخذت منه إسرائيل ذريعة لمشروعية الغزو بدعوى الدفاع عن أمنها القومي.. وكان ذلك بتشجيع مسبق من حزب الكتائب اللبناني، الذي كان هو الآخر في حالة حرب ميليشيات مع منظمة التحرير الفلسطينية ويخطط للقضاء عليها..

يومها ، أعلنت إسرائيل أن الهدف من الغزو هو اجتثاث القوة الفلسطينية في لبنان.. حيث أن صواريخها ومدافعها مصوبة ضد إسرائيل وتهدد المدنيين في المستوطنات الشمالية.. وأطلق على العملية اسم (سلام الجليل)، وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجين الذي أعطى موافقته على غزو لبنان، هو نفسه من وقع اتفاقية السلام قبلها بسنوات مع أنور السادات في كامب ديفيد.

كانت التحليلات العسكرية والاستخباراتية في إسرائيل متفائلة في البداية بنتائج غزو لبنان[٣] ودخول بيروت، التي أدت إلى القضاء على القوات المسلحة

---

(١) أبو نضال : قائد المجلس الثوري لحركة فتح.. واسمه (صبري خليل البنا) وهو شخصية ذائعة الصيت ويعد تنظيمه واحدًا من أشرس التنظيمات الفلسطينية وأكثرها كفاءة.. وقاد التنظيم أكثر من ١٥٠ عملية ضد إسرائيل والعديد من الدول العربية والغربية.. واغتيل أبو نضال على يد المخابرات العراقية ببغداد في أغسطس ٢٠٠٢.

(٢) وقع الحادث في فندق دورشيستر Dorchester الشهير المواجه للهايد بارك، وهو فندق عريق بني عام ١٩٣١ ويعد أحد أشهر فنادق الترف في لندن.

(٣) إبان اجتياح لبنان وحصار بيروت، سمع العالم صرخة البروفيسور بنيامين كوهين، الأستاذ بجامعة تل أبيب، ونشرت لوموند رسالته الصارخة نهار السبت ١٩ يونيو ١٩٨٢ التي جاء فيها:

(أكتب إليكم وأنا استمع إلى الترانزستور الذي أعلن لتوه "أننا" بصدد أن "نبلغ قصدنا" في لبنان، وهو تأمين "السلام" لسكان الجليل. هذه الأكاذيب الجديرة بجوبلز تطير عقلي. فمن الواضح أن هذه الحرب المتوحشة، الأشد بربرية من جميع ما سبقها من حروب، لا علاقة لها في شيء، لا بمحاولة الاغتيال في لندن، ولا بأمن الجليل. واعملوا، أيها الأصدقاء الأعزاء، كل ما في وسعكم، لكي يبلغ البيجنيون والشارونيون قصدهم المزدوج: تصفية الفلسطينيين النهائية بصفتهم كشعب، والإسرائيليين بصفتهم كائنات بشرية).

الفلسطينية وطردها إلى تونس، بالإضافة إلى احتلال شريط حدودي يكون مصدر أمن للدولة العبرية في الشمال ضد هجمات المقاومة.. إلا أن شارون المتحمس غرق بجيشه في مستنقع لبنان.. وظهر مارد جبار لم يكن يتوقعه اسمه: (حزب الله) أجبر الجيش الإسرائيلي على الانسحاب ليلاً في مايو ٢٠٠٠، بعد ثمانية عشر عامًا من الاحتلال، هربًا من ضربات حزب الله المتلاحقة التي أفقدته الصواب.. وأحالت أحلام الأمن إلى كابوس موحش ورعب مستطير.

نشأ حزب الله في بعلبك إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وظل حزب الله منذ تأسيسه وحتى مقتل أمينه العام عباس الموسوي في ١٧ فبراير ١٩٩٢، تحت قيادة رجال دين بقاعيين (من البقاع) إلى أن انتخب الشيخ حسن نصر الله - من البازورية في جنوب لبنان - أمينًا عامًا.

إن أسلوب المقاومة التي ينتهجها الحزب أسلوب معقد ويشكل تحديًا كبيرًا لإسرائيل، التي اعتادت خوض معارك عسكرية سهلة مع أعدائها. فجنود الحزب مدربون تدريبًا عاليًا، ومعدون أيديولوجيًا بما يتناسب مع طبيعة العمليات العسكرية التي ينفذونها.. وهم يتدافعون بشوق إلى القتال طلبًا للجنة.

ومنذ نشأة حزب الله، وهو يملك قدرة فائقة على توفير الدعم اللوجستي السريع لمقاتليه على خطوط التماس مع إسرائيل.. وأن مئات المقاتلين يتدفقون إلى الحزب في كل مرة تتخطى فيها القوات الإسرائيلية معابر الشريط الحدودي. وعادة.. في حرب العصابات.. من لا يملك القدرة الدفاعية على مواجهة العدو يمكنه أن يخفف من أهمية أسلحته الجوية بإخفاء الأهداف والابتعاد عن المظاهر. وهذه هي نقاط قوة حزب الله.. فالحزب في بعلبك وضاحية بيروت وفي الجنوب اللبناني بعيد عن كل أشكال الاستعراض.. وليس لقواته قواعد عسكرية ثابتة أو ثكنات يمكن رصدها.. وعدد أفراد جنوده المقاتلين نحو ثلاثة آلاف مقاتل.

وعندما زرعت إسرائيل في جنوب لبنان أحدث منظومة رادارية ضد تسلل المقاتلين من إنتاج شركة ELBIT الإسرائيلية، تفنن خبراء الحزب في تعطيل عمل المنظومة ففقدت فعاليتها.. وأصيب بالرعب جنود العدو.. إذ نشطت الكمائن وزرعت العبوات بكثافة. فلجأت إسرائيل إلى منظومة Nautilus الأمريكية المضادة لصواريخ الكاتيوشا لحماية مستعمراتها الشمالية.. لكن ثبت فشلها فشلا ذريعا هي الأخرى.

حرب الأدمغة

هكذا واجهت إسرائيل عمليات حزب الله الناجحة برعب ثقيل.. اضطر على إثرها جنود النخبة - غولاني -إلى وضع خلفية سوداء لشاراتهم العسكرية بدلاً من الخلفية الخضراء حداداً على زملائهم الذين قتلوا على أيدي رجال حزب الله[١].. وتصوروا أن الذهاب إلى لبنان رحلة إلى الموت..

لذلك ... فقد كانوا يكتبون رسائل وداع مسبقة إلى الأهل والصديقات.. مستسلمين لجنود قادرين على المباغتة والمبادرات المفاجئة.. وتسيير اللعبة العسكرية بفن وخبرة نادرتين.. فنمت نزعات الخوف والرعب لدى الإسرائيليين.. وباتت الدبابة الإسرائيلية تقصف أختها.. والوحدة الإسرائيلية تقتل أبناءها برصاص الذعر والارتباك.. ونلمح الخوف يطلع من تصريحات نتانياهو نفسه:

- (نريد أن نترك لبنان.. لكننا نريد ضماناً بعدم لحاق حزب الله بنا).

وتصرخ عوفرة ماريسون - زوجة الإرهابي رافائيل إيتان - الذي وصف العرب بالصراصير:

---

(١) ذكرت بعض الإحصائيات أن قتلى العسكريين الإسرائيليين منذ غزو لبنان حتى الإنسحاب من جنوبه يقدر بحوالي ألف قتيل، حصدتهم القنابل المزروعة على الطرقات في كمائن حزب الله والمقاومة اللبنانية، هذا بخلاف أكثر من ٤٩١٢ مصاباً نصفهم على الأقل أصيب بإعاقات مختلفة.

- (لتعمل الحكومة على مهادنة حزب الله.. لبنان بات جحيما بالنسبة لنا).

وينفعل إيتان هابر - وكان من مساعدي رابين - قائلاً:

- (لماذا ليس لدينا حل ونحن نملك القنابل الذرية.. نحن الذين حررنا الرهائن في عنتيبي.. وأخذنا الرادار من تحت أنوف المصريين[1].. وقتلنا قادة الفلسطينيين على أسرتهم بجنود في ثياب نساء[2]).

هذا التشاؤم الذي هو قمة الضعف والرعب اصاب الكاتبة اليهودية (روبرتا شتراوس) صاحبة كتاب (مصير اليهود) الذي قالت فيه:

- (في جنوب لبنان ارتكبنا بأنفسنا السقطة الاستراتيجية. لقد دخلنا إلى أفران الغاز برغبة كاملة وحماقة منا نحن).

وقال جنرال عسكري إسرائيلي:

- (لا يمكن لأي جيش حديث لدولة كبرى أن يهزم بشكل تام منظمة حرب عصابات، فليس ثمة جدوى في السجال حول ما إذا كان من الأفضل محاربة حزب الله من خط الحدود الدولية أم من داخل الحزام الأمني؟).

وقال خبراء عسكريون غربيون:

- (إن ضربات حزب الله الموجعة التي زعزعت أسطورة الجيش الإسرائيلي.. أثبتت - بشهادة مخابرات دولية - أنه يتعامل مع الإسرائيليين بوسائل حديثة متطورة.. استطاع من خلالها اختراق السرية الإسرائيلية التي كانت تعصى على الأمريكيين أنفسهم).

هذا بينما يقول الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله:

---

(١) فجر ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ تمكن العدو من الهبوط بطائرتين هليوكبتر نقل قرب رأس غارب على البحر الأحمر، وحاصر أفراد جهاز رادار إنذار قديم ثم قتلهم وحمل الجهاز إلى إحدى القواعد في إسرائيل. (حرب الثلاث سنوات. مذكرات الفريق أول محمد فوزي ص ٢٨٤).

(٢) يقصد عملية (فردان) ببيروت التي قادها باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، الذي مثّل دور فتاة ليل مرتديًا ملابس نسائية مثيرة.!!

- (إن الضباط والجنود الإسرائيليين لا يتحلون بالشجاعة التي يُسوّق لها في وسائل الإعلام خلال عقود من الزمن.. ففي الحقيقة أنه خلال ٥٠ عامًا لم تكن إسرائيل هي القوية بقدر ما كان العرب هم الضعفاء. ومن خلال تعاملنا مع العدو.. فإن الجندي الإسرائيلي عندما يتحرك يكون مجهزًا بأحدث التجهيزات.. ويرتدي درعًا من رأسه إلى أخمص قدميه.. لكنه مع كل ذلك.. لديه جبن لا مثيل له في العالم.. بسبب نقطة الضعف الأساسية التي لديه.. وهي الحرص على الحياة.. في مقابل ذلك.. نذهب نحن إلى القتال وقلوبنا تعشق الشهادة.. وهنا تكمن نقطة القوة في المقاومة).

هكذا اشتعلت حرب ضروس بين قوات حزب الله وجنود العدو ومستعمراته.. ومع كل عملية ناجحة للحزب كانت إسرائيل ترد بعمليات من نوع آخر لا توجع حزب الله.. بل تكون موجعة للدولة اللبنانية وللمواطن اللبناني.. وذلك بضرب العمق اللبناني وتدمير بنيته التحتية والمنشآت الحيوية للدولة.. في محاولة للضغط من أجل لجم عمليات الحزب وشل فعاليته العسكرية.

ولما فشل هذا الأسلوب على مدى عشر سنوات لجأت إسرائيل إلى المفاوضات مع حزب الله برعاية وزير الخارجية الأمريكية وارن كريستوفر.. وتوصلت في أبريل ١٩٩٣ ، إلى اتفاق يقضي بأن يحصر الحزب مقاومته داخل الأراضي المحتلة في الجنوب ، وعدم تجاوز هذا الإطار إلى مناطق شمالي إسرائيل (الجليل)، لا بإطلاق الكاتيوشا ولا بعمليات فدائية.. مقابل أن تلتزم إسرائيل بضرب مواقع حزب الله ومناطق تجمعاته وملاحقة وتعقب تحركاته وقياداته، دون أن يتجاوز الأمر إلى أعمال عسكرية كبيرة من النوع الذي يهدد سلامة الأمن اللبناني الداخلي.. أو يقود بالتالي إلى احتكاك مع الجيش السوري.

لكن هذا الاتفاق كالعادة سرعان ما خرقته إسرائيل فنشطت بشراسة أكثر عمليات حزب الله في الجنوب اللبناني، وضد مستوطنات إسرائيل الشمالية أيضًا. كما نشطت حرب المخابرات بين الفريقين بشكل لم يسبق له مثيل.

وكانت بلا أدنى شك حرب سرية شديدة الدهاء.. ذكية الأدمغة.. موجعة الضربات.. بدأت بقيام حزب الله ولم تخمد حتى بعد الانسحاب الإسرائيلي المخجل من الجنوب.

الخائن الأشهر

ولأنها تعودت أن تكون هي المنتصرة دائمًا، عسكريًا واستخباراتيًا، على العرب، كان القرار الإسرائيلي بضرب مفاصل الهيكلية الأمنية والعسكرية لحزب الله واستهداف كوادره.. فالحرب السرية الشرسة طويلة ومفتوحة. وكان الفصل الأول فيها اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد[1] أحد كوادر الحزب إلى إسرائيل في يوليو ١٩٨٩ من منزله ببلدة جبشيت الجنوبية.. وذلك من أجل معرفة مصير الطيار الإسرائيلي (رون أراد) الذي أسقطت طائرته فوق تلال صيدا في ١٦ أكتوبر ١٩٨٦.

وبذات القرية أيضًا اغتيل أمين عام الحزب عباس الموسوي[2] في ١٧ فبراير ١٩٩٢.. بواسطة طائرة بدون طيار أطلقت الصواريخ الموجهة حراريًا التي تجذبها بؤر ساخنة وضوئية.

وفي مايو ١٩٩٤ أقدمت وحدة كوماندوز محمولة جوا.. على اختطاف مصطفى الديراني[3] القائد العسكري الأبرز في حركة المقاومة من منزله بالبقاع.. وتبين أن ابن عمه - الذي أعدم عشائريًا بعد ذلك - قام بمساعدة الإسرائيليين وإرشادهم عن مكانه.

وفي ديسمبر ١٩٩٤ اغتيل فؤاد مغنية - أحد نشطاء الحزب- بواسطة سيارة مفخخة أعدها الجاسوس أحمد الحلاق وزوجتة ، على اعتبار أن شقيقه عماد مغنية[4] مسئول الأمن في حزب الله سيكون برفقته.

---

(١) قصة اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد جاءت بالجزء الأول من الكتاب.

(٢) تفاصيل عملية اغتيال الموسوي جاءت بالجزء الثاني من الكتاب.

(٣) عملية اختطافه جاءت أيضًا بالجزء الأول من حراس الهيكل.

(٤) عملية اغتيال فؤاد مغنية يمكن الرجوع لتفاصيلها في الجزء الثاني من حراس الهيكل، وجاءت أيضًا في كتابنا (أحمد الحلاق.. أول جاسوس أعدم في لبنان) عن دار مدبولي الصغير بالقاهرة.

وتكررت عمليات حرب الظلام بين الموساد وحزب الله بعيدًا عن الخنـادق.. إذ سقط سعيد حرب في نوفمبر ١٩٩٥.. وهيثم مغنيـة في سـبتمبر ١٩٩٧، وهما مسئولان بالحزب، كما سقط أيضًا خبـير المتفجـرات زاهـي حيـدر في ديسـمبر ١٩٩٨. وكان آخر الذين سقطوا من قيـادات الحـزب، علـي ديـب، المسـئول العسكري ومنسق العمليات في الجنوب.. إذ اغتيل بعبوة ناسفة فجرت لاسـلكيا من الجو.. بواسطة طائرة بدون طيار أطلق عليها الأهالي اسم (أم كامل).

أما حزب الله.. فقد فاقت عملياته الاستخباراتية ضد الإسرائيليين كل تصور منذ تولى قيادته الشيخ حسن نصر الله عام ١٩٩٢ خلفًا للشيخ عباس الموسـوي.. وكانت اختراقات حزب الله العبقرية للمخابرات الإسرائيلية وشبكاتها المحليـة موضع تساؤلات لا تنتهي.. فقد توصل جهاز مخـابرات حـزب الله مـن خـلال أذرع وآذان وعيون.. إلى رصد مسبق ودقيق لخطـط القيـادة الشـمالية في الجيـش الإسرائيلي.. ولتحركات كبار الضباط في مسلسل متصل من عمليـات حـزب الله الناجحة، أحدث زلزالا داخل الجيش الإسرائيلي والمخابرات والحكومة.

إنه التجسس والتجسس المضاد.. وهما وقود الحرب السـرية بـين حـزب الله ومخابرات العدو.. وهي إلى الآن أكثر ضراوة وحدة برغم الانسحاب الإســرائيلي من الجنوب اللبناني تحت أستار الظلام.

إنها حرب استلزمت احترافًا عاليًا وأدوات متطورة.. فالإســرائيليون أدخلـوا المناطيد المزودة بأشعة ما تحـت الحمـراء لمراقبـة عنـاصر المقاومـة.. واسـتخدموا الليزر لكشـف عمليـات التسـلل ورادارات للتنصـت ومجسـات للاستشـعار عـن بعد.. لكن فعالية حزب الله الأمنية والمخابراتية أسست على شبكات واسعة من المتعاونين عجزت مخابرات إسرائيل – قبل الانسحاب – عن كشفها.

وهناك عملية أسطورية تعد واحدة من أهم العمليات الخارقة لحزب الله، ألا وهي سرقة وثائق سرية للغايـة مـن مكتـب قـائد الجبهـة الشـمالية – الجـنرال أشـيكنازي– في مـارس ١٩٩٩.. وهـي العمليـة الـتي قـادت إلى تتبـع الجــنرال جيرشتاين وقتله مع ثلاثة من ضباطه.

هذا ولم تكن عملية الوثائق الطائرة هذه، سوى عينة من المـأزق الاستخباري الإسرائيلي في لبنان.. بعدما نجحت مخابرات حزب الله في تفكيك العديـد مـن الشبكات واستنطاق عناصرها.. مما سمح بالوقوف على مفاصل ماكينة التجسس والتخريب الإسرائيلية.. إذ تم كشف شبكة مكونة من ٢٢ عنصرًا عـام ١٩٩٨ في بيروت.. وشبكة أخرى من ١٧ عضوًا أرشد عنها رجاء ورد - الرجل الثـاني في الوحدة ٥٠٤[1] المختصة بتجنيد العملاء المحليـين.. وعشـرات الشـبكات الـتي بترت مفاصلها وأعضاؤها وهي أكثر من أن تعد.. أهمها كانت شبكة تضم مائتي شخص مجتمعين ألقى القبض عليهم في بداية ١٩٩٩.

أما العملاء الذين يعملون بمفردهم فهم لا حصر لهم.. فقد تمكنت مخـابرات حزب الله من اغتيال ضباط الأمن طوني نهرا في نوفمـبر ١٩٩٦، وغسـان ضـاهر مسئول أمن شبعا في فبراير ١٩٩٨، وسليم ريشـا في أكتوبـر ١٩٩٧ مـع حارسـه الذي كان مصريًا[2].. ويحمل ريشا الرقم ٨٠ بين ضبـاط جيـش لحـد الجنوبـي الذين اغتيلوا على أيدي حزب الله. وتضم قائمـة الخونـة مئـات الأسمـاء الـتي تسبب سقوطها في شلل رعاش لماكينة التجسس الإسرائيلية ولرجالها في جنـوب لبنان وتل أبيب.

---

(١) الرائد رجاء ورد: درزي.. عمل لصالح المخابرات الإسرائيلية في جنوب لبنان.. واستسلم عام ١٩٩٧ للجيـش اللبناني.. وكشفت المعلومات التي أدلى بها عن العديد من شبكات التجسس جرى اعتقال بعضـها.. وكـان رجـاء ورد مسئولاً عن جاسوس الموساد أحمد عبد البديع الحلاق وزوجته حنان الياسين.. وكان الحلاق بصفتـه مواطنًا لبنانيًا قد حاز ثقة رجال الحزب إلى أن كشف أمره وحكم عليه بالإعدام في سابقة خطيرة لأول مرة في لبنان.

(٢) نشرت جريدة يديعوت أحرونوت في منتصف أكتوبر ١٩٩٧، أن الرقيب العسكري على الصحف في إسرائيل منع النشر بكافة أنواعه، عن حادث مقتل مصري الجنسية في الثلاثينيات من عمره أول أكتوبـر ١٩٩٧، والـذي قتل بواسطة حزب الله مع أحد ضباط جيش لحد في لبنان بمنطقة (جزين).. وسمح الرقيب فقط بنشر تقرير عـن الواقعة دون ذكر أسماء أو تفاصيل كاملة.. حيث جاء بالتقرير أن المواطن المصري يحمل جواز سفر سليمًا.. وكان يعمل لحساب جيش لبنان الجنوبي.. ورصدت قوات حزب الله سيارته الجيـب وأعـدت كمينًـا عبـارة عـن فخ ملغوم أدى إلى تفجير العربة ومات السائق المصري وشخص آخر كان معه.. لقد حاولت قوات حزب الله سحب الجثتين فتعاملت معها القوات الإسرائيلية بشراسة مما أعاق العملية. وقصة وجـود مصريـين يعملـون في الأعمـال المساعدة مثل النقل والمؤن لدى الجيش الإسرائيلي في الجنـوب اللبنـاني المحتـل أزيـح عنـها السـتار مـن قبـل، ومنعت المخابرات الحربية الإسرائيلية نشر المزيد من الأخبار حول الشك في وجود مصري يعمل جاسوسًا لحـزب الله من بين المصريين العاملين في الجنوب اللبناني المحتل.

إنه بالفعل صراع محترف.. مطور.. عنيد.. بين أدمغة رجال حزب الله وكل أجهزة مخابرات إسرائيل.. أدى في النهاية إلى هرب الجيش الإسرائيلي مفكك العقل والأوصال.. واختبائه خلف حدوده محتميًا بالأسلاك المكهربة والحواجز الالكترونية.. وأجهزة تعمل بالذبذبات الصوتية وتحت الحمراء..

كل ذلك خوفا من رجال حزب الله ورشاشاتهم.. هؤلاء الذين أربكوا العدو وهمشوا قوته.. وفعلوا به ما عجزت عنه ترسانات جيوش العرب مجتمعة طوال نصف قرن.. وكانت الحروب الاستخباراتية بين الطرفين، أحد أهم وأبرز الحروب السرية في لبنان.. وأشهرها على الإطلاق ، حيث قادت في النهاية إلى تكوين رأي استراتيجي عام في إسرائيل، يؤكد استحالة دحر المقاومة اللبنانية والقضاء عليها، وبالتالي لم تكن هناك أية حلول توقف النزيف المتصل لجنود إسرائيل. سواء بالقتل أو بالإعاقة الجسدية أو الإصابة بأمراض الخوف وهواجس الليل، سوى الانسحاب، والإعلان الصريح عن حالة ندم مريرة للإقدام من أصله على غزو لبنان.

فضيحـة عمليـة (صـور) .. أولى عمليـات حزب الله في لبنان..!!

استهل حزب الله أولى عملياتـه الاستشـهادية في صور عام ١٩٨٢.. وقتل فيها ما بـين ٣٧٠ : ٤٠٠ ضابط وجنـدي من شـتى فـروع جيـش الدفـاع الإسـرائيلي ومخابراته.. وجـاءت العمليـة كـالقصف الهـادر.. في تـأكيد على عبقريـة العمـل المسلح.. وعبقريـة حـرب الدهـاء بـين جـهاز أمـن حـزب الله.. وأجـهزة الاستخبارات الإسرائيلية مجتمعة..!!

أمير الاستشهاديين

بدأ الغزو الإسرائيلي للبنان فعليًا في ٤ يونيو ١٩٨٢[١].. حيث تعرضت جميع مواقع القوات المشتركة في لبنان للقصف الجوي والمدفعي والبحري لمدة ٥٥ ساعة متواصلة.. وبكثافة عالية جدا.. وبلغ متوسط الطلعات الجوية نحو ١٣٠ طلعة في اليوم الواحد.

وقتها.. التزمت القيادة السورية بعدم التدخل أو التصدي لهذه العمليات الحربية.. مما أدى لعملية التطويق القريب لبيروت يوم ١٣ يونيو.. بعد أن توصل فيليب حبيب المبعوث الأمريكي إلى ترتيب وقف دائم لإطلاق النار بين السوريين والإسرائيليين اعتبارًا من منتصف نهار ١١ يونيه.

وكان فيليب قد انتظر في دمشق من يوم ٩ يونيه حتى تم تدمير صواريخ (سام ٦)، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى بعبدا وقطعت طريق بيروت - دمشق الدولي.. ثم رتب حبيب مع الرئيس حافظ الأسد الاتفاق الدائم لوقف إطلاق النار بملحقاته السرية.

ومع فجر يوم ١٤ يونيو كان العدو قد أحكم الحصار بصورة كاملة على بيروت والضاحية الجنوبية من كل الجهات.. بعد اطمئنان تام على التزام السوريين الصمت.. وعدم السماح لأي فصيل لبناني أو فلسطيني مسلح بالتعامل مع العدو[٢]

ثارت ثائرة الإسلاميين البقاعيين من الشيعة، الذين سارعوا بوضع أولى لبنات (حزب الله)، وفكروا بالقيام بعملية كبيرة تؤكد للإسرائيليين أن في لبنان من يستطيع التصدي لهم، والدفاع بقوة عن أمن لبنان واستقلاله. لتجئ بعدها بأيام قليلة أولى وأشهر عمليات حزب الله الانتقامية ضد العدو الإسرائيلي الغاصب العنيد

---

(١)وانتهى في ٢٠/٥/٢٠٠٠ بانسحاب إسرائيل نهائيًا إلى داخل حدودها في هروب ليلي مفاجئ أساء كثيرًا إلى العسكرية الإسرائيلية وفضح تخاذلها وجبنها أمام ضربات (حزب الله) .

(٢)حرب الاستنزاف - دراسة في التحليل السياسي والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية - اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ - ١٩٨٤ - د. محمد حمزة . المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية عمان - الطبعة الأولى ١٩٨٥ .

من بين عشرات الشباب الذين تقدموا.. وقــع الاختيـار علـى الشـاب أحمـد قصير لتنفيذ العملية العسـكرية الاستشـهادية الأولى.. الـتي كـان الهـدف منـها تدمير مبنى الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور.. وهو المبنــى الـذي كـان قبـل الغـزو الإسـرائيلي مقـرًا لقيـادة القـوات المشـتركة الفلسـطينية – اللبنانيـة واستخدمته قوات الاحتلال الإسرائيلي كمقر للحاكم العسكري، وقيادة الشـرطة العسـكرية، وقيـادة حـرس الحـدود، وقيـادة سـلاح الإشـارة، وقيـادة سـلاح المهندسين، وقيادة قوات المظليين وقـوات كومـاندوز (جولانـي) الخاصـة.. ممـا يجعل المبنى يضـج بالزحـام العسـكري الإسـرائيلي ليـل نـهار، وتحيطـه مـن الخارج الأسلاك الشائكة والحواجز الرملية والإسمنتية، فضلاً عــن الحراسـات القوية المتأهبة.

السلاح السِّرِّي

عند الفجر.. توضأ أحمد قصير وصلى ركعتي الفجر.. ولم يفكر بكتابة رسالة أخيرة إلى والديه وأخوته، حيث كان يرتل آيات القـرآن الكريـم ويدعـو الله أن يوفقه في مهمته لحصد أكبر عــدد مـن أفـراد جيـش دفـاع الدولـة الصهيونيـة. وتوكل على الله.

كانت هناك شاحنة كبيرة تنتظره.. محملة بعشرات الكيلوجرامات من مــادة T.N.T شديدة الانفجار.. دار حول الشـاحنة يتحسسـها بحـب.. ووقـف عنـد مقدمتها يتمتم بالدعاء، وتلمس جسـمها في حالـة غـزل ومباركـة.. ذلـك لأنـها ستكون وسيلته لدخول الجنة بانفجارها وهو بداخلها. تحرك بها أحمـد قصـير ببطء في البداية، ثم انطلق إلى هدفه تحفـه الملائكـة ودعـوات رجـال حـزب الله الذين كانوا يودعونه بإعزاز.

وفي الساعة السابعة وعشر دقائق من صباح ١١ يونيو ١٩٨٢ اقتحـم بسـيارته المبنى المكتظ بالعسكريين.. وفي لحظـة كالـبرق دوى انفجـار عنيـف.. مذهـل.. ارتجت له المدينة كلها.. تفسخت الشاحنة وطارت أجزاء منها مشتعلة، وانهار المبنى على من فيه في ثوان معدودة..

استشهد الشاب اللبناني الجسور.. حاصدًا حسب الروايات الإسرائيلية نفسها عددًا يتراوح ما بين ٣٧٠ عسكريًا إسرائيليًا.. كما ذكرت صحيفة (علهمشمار) ، و٤٠٠ قتيل حسب صحيفة هاآرتس الإسرائيليتين ولم يعثر للبطل الفدائي الشهيد على أي أثر.. فقد كان في الجنة

ولاحظ المراقبون الدوليون.. أن الاستشهاد هو السلاح السري الأمضى لدى حزب الله.. إذ أصيب يومها الإسرائيليون بالرعب وباتوا يشكون في كل مركبة مدنية تسير على الأرض.. وفي كل طائر بري يحلق في الفضاء.. وفي كل قطعة صخر على جانبي الطرقات

النعوش الطائرة

لقد عصفت بهم الصدمة.. وأكلت عقولهم وأربكتهم لدرجة التخبط بلا وعي.. وحدثت محاكمات عديدة لعدد كبير من العسكريين رفضوا التواجد على أرض لبنان.. فقد تحولت لبنان منذ بداية الغزو إلى جهنم تصلى فيه أجساد العسكريين.. وباتت النعوش الطائرة تمثل أكبر مأساة أوجدتها العقلية الصهيونية الإرهابية.

هذا وقد اتفقت جميع المصادر أن حادث التفجير المروع.. أودى بحياة مالا يقل عن ١٣ ضابطًا عسكريًا إسرائيليًا ممن يحملون رتبًا كبيرة.. وامتلأت صفحات النعي بالصحف الإسرائيلية بصور القتلى الذين كان من بينهم:

- عقيد أركان حرب أمان موشيه – من الشرطة العسكرية.
- عقيد أركان حرب سعاد يافواد – من الاستخبارات العسكرية
- عقيد أركان حرب مائير بن موشيه – من الاستخبارات العسكرية.
- مقدم غونون ألبيرت – من الاستخبارات العسكرية
- مقدم ساباك مرزوق – من حرس الحدود
- مقدم حاييم مادار – من حرس الحدود
- مقدم ربيح فارس – من حرس الحدود

- مقدم مئير شيميتي – جهاز مخابرات الشاباك (شين بيت[1]).
- مقدم موشيه آدمن – من سلاح البحرية
- رائد زيف حنان – من الاستخبارات العسكرية
- رائد حور يشي – من قوات الكوماندوز الخاصة – جولاني
- رائد سعيد شرف – من قوات الكوماندوز الخاصة – جولاني.

وقائمة طويلة بعد ذلك لعشرات القتلى من رتبة نقيب فأقل حتى تنتهي بأسماء الجنود.

أبو الشهداء

قبل هذه العملية بيوم واحد.. نفذت قوات المقاومة المشتركة في ١٠ يونيه ١٩٨٢ عملية اغتيال الجنرال الإسرائيلي (يكتوئيل آدم) الذي يشغل منصب نائب رئيس هيئة أركان الجيش[2].. ورئيس شعبة العمليات في جيش العدو.. وهي أول عملية على الإطلاق لصيد كبار قيادات قوات الغزو في لبنان.. وقام بها أربعة فدائيين في مدينة الدامور.. حينما اختبأوا داخل (فسقية) قديمة وتصيدوا الجنرال آدم.

يقول الدكتور رفعت سيد أحمد في مجلة الغد العربي سبتمبر ١٩٩٩:

عندما التقيت بوالد الشهيد أحمد قصير في منزله الريفي الفقير الجميل، بقرية (معروب– قضاء صور)، سألته:

– هل كنت تعلم بأن الشهيد أحمد ينتمي إلى حزب الله، أو المقاومة، وأنه كان سيفجر نفسه في هذا المبنى (الذي أسقط من رجال العدو ٣٠٠ عسكري على الأقل ما بين قتيل وجريح، وأجبرهم على التقهقر إلى الجنوب اللبناني بعيدًا جدًا..؟).

---

(١) الشين بيت الاسم القديم لجهاز الأمن الداخلي في إسرائيل، الذي استبدل بعد ذلك بـ: شاباك. وهو يعادل جهاز (أمن الدولة) في العديد من الدول، وجهاز FPI في الولايات المتحدة.

(٢) كان موشيه ليفي (الجنرال) يشغل منصب رئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي.. وأطلق على هذه العملية اسم: (مجزرة الجنرالات الإسرائيليين)

أجابني مبتسمًا وهو الريفي البسيط المتواضع

– هل تعلم أنني لم أعرف أن ابني قد ارتفع شهيدًا إلا بعد ثلاث سنوات من استشهاده..؟

سألته:

– كيف..؟

أجابني..

_ لم يكن هناك تنظيم اسمه (حزب اله). إذ لم يعلن عن تشكيله إلا عام ١٩٨٥. وبعد الإعلان بوقت قصير فوجئت بمن جاء منهم ليبلغني أن الشهيد أحمد هو أول شهدائنا. وحكوا لنا عن عمليته الاستشهادية التي سمعنا دويها هنا في منزلنا ولم نكن نعرف أن ابننا هو الذي تشرف بها (نسف مقر قيادة الجيش الإسرائيلي في مدينة صور).

لقد كنا نبحث عنه بين المعارف والأصدقاء في القرى وفي الضاحية الجنوبية ببيروت، طيلة ثلاث سنوات. ولم نكن نعلم أنه عند من هو أكرم وأعظم، بجوار النبيين والصديقين والشهداء. ثلاث سنوات من الحزن والمعاناة، وسعادة حين علمنا بالخبر.

ويضيف د. رفعت سيد أحمد

(ومفاجأة لنا حين نعلم، أن هذا الأب أيضًا، قدم شهيدًا آخر من أبنائه.).

لقد أعد الشيخ عباس الموسوي ورفاقه أول عملية استشهادية نفذتها المقاومة الإسلامية في لبنان بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨٢، حين أقدم الاستشهادي أحمد قصير على اقتحام مبنى الحاكم العسكري في صور، مزودًا بخمسمائة كيلوجرام من مادة T.N.T شديدة الانفجار بسيارته، حيث تمكن الفدائي الشاب من المرور بين السواتر الترابية لمدخل مقر الحاكم العسكري في صور، ثم اقتحام وتجاوز شتى الإعاقات والموانع الحديدة، حتى أنه جر الأسلاك الشائكة التي تلف المبنى وانطلق بكل قوته حتى وصل إلى جدار المبنى.. فاصطدم به وفجره فدمره تدميرًا كاملاً، وأجهز على من بداخله

هكذا جاءت أولى عمليات حزب الله ضد إسرائيل.. في لبنان.. كالقصف الهادر.. في سلسلة متصلة من العمليات.. كان من أشهرها أيضا عملية أسر ثلاثة جنود إسرائيليين في ٧ أكتوبر ٢٠٠٠ جرى اختطافهم في عملية عسكرية مدهشة، من داخل إسرائيل ثم استدراج ضابط استخبارات إسرائيلي إلى بيروت(١) أقنعه عميل لحزب الله بالسفر للبنان لتقصي أخبار الطيار الإسرائيلي المختفي رون آراد، بما ينم عن المضي قدمًا في التعامل مع الاستخبارات الإسرائيلية معاملة الند بالند، في تأكيد واثق على عبقرية العمل المسلح ضد العدو.. وعبقرية حرب الدهاء بين جهاز أمن حزب الله وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مجتمعة..!!

---

(١) عملية تبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل، جاءت تفاصيلها في الجزء الثاني من (حراس الهيكل).



فضيحة مذبحة صبرا وشاتيلا في بيروت..!!

المجزرة في عقيدة الإسرائيليين هي أسرع الطرق للوصول إلى الهدف.. وتاريخ الدولة الصهيونية يحفل بأبشع المجازر.. التي وصمت بها دولة الإرهاب.. وخضبت دماء ضحاياها أيدي حكامها.. هؤلاء الذين اشتركوا جميعًا – وبلا استثناء – في سفك دماء الأطفال والنساء والمسنين.. إنه الإرهاب الذي أقام دولة اسمها إسرائيل.. مجدها التليد مذابح الأبرياء العزل، تلك التي لن يمحو الدهر أبدًا آثارها..!!

إيلان هاليفي... كاتب يهودي أصدر كتابًا عنوانه (إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة). أراد به أن يثبت أن المجزرة أهم أساليب الموساد الإسرائيلي لتركيع العرب وإرهابهم، مؤكدًا مقولة مناحم بيجين رئيس عصابة الأرجون[1] وبطل مذبحة دير ياسين، أنه بدون الانتصار في دير ياسين ما قامت دولة إسرائيل، وما قام البلدوزر بمسح ٣٨٥ قرية فلسطينية من على سطح الأرض من أصل ٤٧٥ قرية كانت مسجلة حتى ١٩٤٨ فقد كان السكان يفرون أمام عصابات الموساد وهم يصيحون: دير ياسين.. دير ياسين.

والمستقرئ للتاريخ والمطلع على أسفار اليهود، يعرف جيدًا أن العقيدة اليهودية المحرفة تفيد بأن الرب رجل محارب، ويدعو الجنس اليهودي (شعب الله المختار) لقتل الشعوب والأمم الأخرى (الأغيار) وذبحهم والتجسس عليهم وإجلاء الشعوب وسفك دمائها، إن استطاعوا، وقد جاء في سفر التثنية (الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أ مامك ويرفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء).

لقد غرس حاخامات اليهودية هذه العقيدة على مر التاريخ في قلوب اليهود، وزرعوا في ضمائرهم أنهم شعب الله المختار والمميز على بقية الشعوب الأخرى، كما ألقوا في روعهم أن لليهودي أن يتعامل مع غير اليهودي بالربا والغش والسرقة، ولا يتعامل مع اليهودي بذلك على الإطلاق!!!

وهذه العقيدة اليهودية المحرفة، قد جعلت الكيان الإسرائيلي الصهيوني عقائديًا وفكريًا مطبوعًا على الإرهاب وسفك الدماء والقتل والتلذذ به، واعتبار ما يفعله من هذه الجرائم من قبيل الإيمان والعقيدة!!

---

(١) روجيه جارودي: المأزق إسرائيل، ترجمة د. ذوقان قرقوط. دار المسيرة - بيروت ١٩٨٤.

فالمربيات والأمهات اليهوديات، يقمن بإرضاع أطفالهن على حرب الشعوب الأخرى، وخاصة العرب، حتى أصبح نشيد الطفل الإسرائيلي صباحًا: (سآكل طعامي بالكامل حتى أصبح جنديًا طيبًا وأحارب العرب!!).. وبذلك استطاعت العقيدة اليهودية الصهيونية أن تربي أجيالاً كاملة من (الصابرا) على الكراهية والحقد لكل الشعوب والأمم الآخرين، بعد أن أشربتهم ما حدث لليهود على مر التاريخ من ملمات شديدة ومذابح في روسيا القيصرية وإسبانيا وألمانيا النازية في عهد هتلر، وتذكر الأجيال (بالهولوكست) أي المحرقة وادعاءاتهم بإحراق النازية لأكثر من ستة ملايين يهودي في الأفران!!!

وهذه العقيدة المشوهة جعلت جنرالات إسرائيل يتباهون بما صنعوه بالأسرى المصريين من جرائم وقتل وتعذيب، وجعلتهم يؤلفون الكتب ويسطرونها بدماء الشهداء من العرب كما فعل الإرهابي الكبير مناحم بيجين رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق في كتابه (الثورة)، حيث سطر فيه ذكرياته (المريضة) عن قيادته المنظمة العسكرية الإرهابية (الأرجون زفاي ليومي)، والمعروفة بـ(اتسل)، بعد أن تولى قيادتها قبله دافيد رازييل المؤسس الفعلي لها في ١٩٣٧ ثم باكوف مريدور..

الإرهاب قبل ١٩٤٨

ووفقا لكتاب اليهودي (شموئيل كاتس)[١].. الذي كان أحد شهود مذابح اليهود ضد العرب في فلسطين.. سنأخذ منه فقط، كما يقول د. رفعت سيد أحمد في كتابه وثائق حرب فلسطين، ما يخدم فكرتنا عن ملف الإرهاب الصهيوني في فلسطين المتواصل حتى يومنا هذا:

- بتاريخ ١٩٣٦/٤/١٦ اعتدى إرهابيون يهود على مواطنين عربيين يسكنان كوخًا قرب تكفا وقتلوهما رميًا بالرصاص.

---

(١) عرضت جريدة الوفد الكتاب بتاريخ ٣، ١٠ يناير ١٩٨٨.

- بتاريخ ١٩٣٧/٣/١٧، ألقت العصابات الصهيونية أربع قنابل يدوية على مقاهٍ عربية في يافا، حيث قتل عربي واحد وأصيب عشرة بجراح.

- بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٦، ألقيت عدة قنابل يدوية على عدد من الحافلات العربية فقتلت امرأة، وأصيبت امرأة أخرى

- بتاريخ ١٩٣٧/١١/١١، ألقى أحد أعضاء منظمة (الإتسل) الصهيونية قنبلة على مقهى عربي في حديقة يافا، مما أدى إلى مقتل شخصين، وإصابة آخرين بجراح

- بتاريخ ١٩٣٧/١١/١٤، أطلقت النار على حافلة عربية في حي يهودي فقتل ثلاثة من الركاب بينهم امرأتان

- في أواخر ديسمبر ١٩٣٧ ، ألقى أحد أعضاء منظمة (الإتسل) الإرهابية قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس في القدس، فأصابت العشرات من العرب بين قتيل وجريح

- بتاريخ ١٩٣٨/٣/٦، ألقيت قنبلة يدوية على سوق حيفا، فقتل ١٨ شخصًا عربيًا وأصيب ٣٨ آخرون.

- بتاريخ ١٩٣٨/٧/٤، ألقيت قنبلة يدوية على حافلة عربية في مدينة القدس، فقتل خمسة من العرب، وأصيب سبعة آخرون.

- بتاريخ ١٩٣٨/٧/٦، انفجرت سيارتان ملغومتان، وضعتهما عصابة (الإتسل)[1] في سوق حيفا، وأدى انفجارهما إلى مقتل ٢١ مواطنًا عربيًا، وجرح ٥٢ آخرين. وفي اليوم نفسه انفجرت في مدينة القدس القديمة، قنبلة يدوية وضعتها عصابة (الإتسل) وأدت إلى مقتل شخصين وجرح أربعة آخرين

---

(١)أتسل (تكتب أيضًا: اتزل Etzel) الحروف العبرية المختصرة لـ : (المنظمة العسكرية الوطنية).

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/٨ ، ألقيت قنبلة يدوية على حافلة بالقدس فقتلت ٤ أشخاص وجرحت ١٥ آخرين

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/٢٤ ، انفجرت قنبلة يدوية، في سوق خضار عربية، فقتلت ١٢ عربيًا وأصابت ٢٩ آخرين.

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/١٥ ، انفجرت قنبلة يدوية، ألقاها أحد عناصر منظمة (الإتسل) الإرهابية، أمام أحد مساجد مدينة القدس، أثناء خروج المصلين ، فقتل عشرة أشخاص وأصيب ثلاثون.

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/١٧ ، وجد ثلاثة من العرب قتلى، في مدينة تل أبيب.

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/٢٥، انفجرت سيارة ملغومة، وضعتها عصابة (الإتسل) في السوق العربية في حيفا، فقتل ٣٥ وجرح سبعون.

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٧/٢٦ ،ألقى أحد عناصر (الإتسل) قنبلة يدوية في أحد أسواق حيفا فقتل ٤٧ عربيًا.

◆ بتاريخ ١٩٣٨/٨/٢٦ ، انفجرت سيارة ملغومة وضعتها عصابة (الإتسل) في سوق القدس العربية، فقتلت ٣٤ عربيا وجرحت ٣٥ آخرين

◆ بتاريخ ١٩٣٨/١١/١٣، قتلت عصابة (الإتسل) في ثلاثة حوادث متفرقة خمسة من العرب وجرحت أربعة آخرين

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٢/٢٧ ، فجرت عصابة (الإتسل) قنبلتين في حيفا، فقتل ٢٧ عربيا وفي الوقت نفسه قتل ثلاثة من العرب في تل أبيب وجرح رابع، كذلك قتل ثلاثة من العرب في القدس وجرح ستة آخرون

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٥/٢٩، ألقت عناصر (الإتسل) قنابل يدوية في سينما ركس في مدينة القدس، فأصيب ١٨ عربيًا بجراح

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٦/٢ ، فجرت عصابة (أرجون) قنابل يدوية، في سوق بطيخ في مدينة القدس، فقتل خمسة من العرب وأصيب تسعة عشر بجراح.

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٦/١٢، هاجمت عناصر من عصابة (الهاجانا)[1] قرية بلد الشيخ، بجوار حيفا، واختطفت خمسة من سكان القرية وقتلتهم.

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٦/١٩ ، انفجرت قنبلة يدوية في أحد أسواق حيفا، فقتلت تسعة وجرحت أربعة آخرين

◆ بتاريخ ١٩٣٩/٦/٢٩ ، هوجمت ست حافلات عربية في تل أبيب ورجوبوت وبتاح تكفا فقتل ١١ عربيًا

◆ بتاريخ ١٩٤٦/٧/٢٢، نسفت عصابة الأرجون[2]، الواجهة الأمامية للجناح الأيمن من فندق الملك داوود في القدس، وكانت الطوابق العليا من هذا الجناح تضم المكاتب الرئيسية لإدارة حكومة فلسطين المدنية.

◆ بتاريخ ١٩٤٦/٩/١٣ ، هاجمت عصابة (الأرجون) البنك العثماني في كل من تل أبيب ويافا، وقتلت شرطيا عربيا ومدنيين.

◆ عشية ٣١ يناير ١٩٤٧ أغارت قوة مختلطة، من الكتيبة الأولى للبالماخ ولواء الكرمل، تحت قيادة حاييم أفينوعام، على قرية بلد الشيخ (وتسمى اليوم تل حنان) وقد أسفرت هذه الغارة عن مقتل ستين مواطنًا داخل منازلهم معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال، وجاء في تقرير كتبه قائد تلك العملية[3].

◆ بتاريخ ١٩٤٧/٢/٢٨، وضع يهوديان، يرتديان لباس الشرطة، قنبلة في بنك باركليز بحيفا، فقتل شخصان وجرح شخصان آخران.

---

(١) الهاجانا كلمة عبرية تعني (الدفاع)، وهي نواة جيش الدفاع الإسرائيلي.

(٢) أرجون زفاي ليومي : منظمة إرهابية يمينية متطرفة كان يتزعمها بيجن. وكان عدد ضحايا تفجير الفندق ٩١ قتيلاً، و٤٥ من الجرحى.

(٣) نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ١٩٧٢/٤/١٤ وأخذته عن كتاب لباحث صهيوني يدعى أرنيه يتسحاقي قال فيه : (لقد أسكتت الوحدات بنيرانها الحامية نيران العدو، وتسللت الوحدات المهاجمة إلى داخل البلدة، وأخذت تعمل داخل المنازل، ولم يكن ممكنًا بسبب النيران القوية التي أطلقت داخل الغرف، تجنب إصابة النساء والأطفال) .

◆ بتاريخ ١٩٤٧/٨/٤، سطت العصابات الإرهابية الصهيونية على بنك باركليز في حيفا وقتلت أحد الكتبة.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/٨/٢١، سطت العصابات الإرهابية الصهيونية على أحد البنوك في حيفا وفجرت بداخله عدة قنابل.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/٩/١٠، وقع هجوم على مصفاة البترول في حيفا.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٢، هاجمت العصابات الإرهابية، إحدى القرى في قضاء حيفا وقتلت ١٢ عربيًا من سكانها.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٣، قتلت العصابات الصهيونية ١٨ مواطنًا عربيًا وجرحت ستين آخرين، في ثلاثة حوادث إلقاء قنابل: الأولى في القدس والثانية على مقهى يافا والثالثة على العباسية قرب البلد.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٤ ، هاجم اليهود قرية عربية قرب تل أبيب وهم يرتدون اللباس العسكري، فقتلوا ١٨ عربيًا وجرحوا مائة آخرين

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٤، أوقف مسلحون يهود حافلة عربية بطبريا، وأنزلوا ركابها الستة، وأطلقوا النار عليهم فقتلوا ثلاثة، وأصابوا واحدًا بجراح خطيرة .

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٥، هاجم مسلحون يهود، حافلة عربية قرب اللد فقتلوا عربيًا وأصابوا سبعة بجراح

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٩، قامت عصابة (الهاجانا) بأمر من الوكالة اليهودية، بغارة على قرية عربية قرب صفد، ونسفت منزلين، واكتشفت بين الأنقاض عشر جثث، بينها خمسة أطفال.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٠ ، هاجمت عصابة (الهاجانا) ، قرية قزازة العربية، ونسفت بيت مختار القرية

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢١ ، أطلق مسلحون يهود النار على حافلة عربية قرب اللطون، فقتلوا ثلاثة من العرب

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٩ ، قامت عصابة (الأرجون زفاي ليومي) بهجوم بحري على مدينة يافا، وأصابت ثلاثين عربيًا.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٩ ، ألقيت قنبلة يدوية على بوابة دمشق في القدس ، فقتلت ١١ عربيًا وجرحت ٣٢ آخرين.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣٠، ألقت عصابة (الأرجون) ، قنبلة يدوية على سيارة تاكسي مسرعة في القدس فقتلت ١١ عربيًا من الركاب والمارة .

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣٠ ، ألقى أفراد عصابة (الأرجون) قنبلتين على مجموعة من العمال العرب، خارج مكتب التوظيف للمصافي في حيفا فقتل ستة منهم وأصيب ٤٢ بجروح.

◆ بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣١ ، ارتكبت عناصر البالماخ الإرهابية عملاً إرهابيًا ضد سكان بلدة حساس الفلسطينية، ذهب ضحيته عدد من الشيوخ والنساء والأطفال وقد نشرت صحيفة معاريف في ملحقها يوم ١٩٨١/٧/٣١ قصة قتل نساء وأطفال قرية حساس.. كما رواها الصهيوني (الدكتور أوري ميليتشتاين):

◆ نسف السراي العربية في يافا، وكانت عبارة عن بناية شامخة تقع مقابل ساعة يافا المعروفة، وكانت البناية تضم مقر اللجنة القومية العربية ليافا، حيث قامت العصابات الصهيونية بوضع سيارة ملغومة، أدى انفجارها إلى مقتل ٧٠ عربيًا إضافة إلى عشرات الجرحى .

الإرهاب في عام ١٩٤٨

◆ بتاريخ ١٩٤٨/١/١ هاجمت عناصر (الهاجانا) إحدى القرى العربية في حيفا وقتلت ١١١ مواطنًا عربيًا.

بتاريخ ١٩٤٨/١/٤ ، ألقت جماعة (شتيرن) قنبلة على ساحة مزدحمة بالناس في يافا، فقتلت ١٥ شخصًا وأصابت ٩٨ بجروح.

◆ بتاريخ ١٩٤٨/١/٥ نسفت العصابات الصهيونية فندق سميراميس في القدس، وقتلت ٢٠ من نزلائه معظمهم من العرب.

◆ بتاريخ ١٩٤٨/٤/٩ نفذت عصابتا (الإتسل) و(ليحى[١]) بإطلاع وموافقة قائد عصابة (الهاجانا) في منطقة القدس، المدعو فايد شاليئيل، مذبحة رهيبة في بلدة (دير ياسين) العربية، الواقعة على مشارف القدس، حيث قتل ٣٥٤ عربيًا، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، وقد استهدفت المذبحة إلقاء الرعب في قلوب العرب وإرهابهم لحملهم على ترك قراهم وديارهم .

مذبحة دير ياسين

ودير ياسين قرية صغيرة، تقع على ربوة عالية غربي مدينة القدس، على بعد أربعة كيلومترات تحيط بها المستوطنات من ثلاثة جهات، تبلغ مساحتها ١٨٠٠ دونم وبلغ عدد سكانها عشية المجزرة ألف نسمة

ازداد وضع المستوطنات سوءًا مع استمرار الحصار العربي وهذا ما كشفت عنه البرقية التي أرسلتها جولدا مائير من القدس إلى رئيس الوكالة اليهودية دافيد بن جوريون، وقيمت فيها الوضع في مدينة القدس

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه معارك عنيفة في منطقة القدس، خاصة حول القسطل، حيث تكبدت المنظمات الإرهابية الصهيونية خسائر كبيرة ،

---

(١) ليحى Lehi أو إتسل Etzel يعرفان عادة باسم (عصابة شتيرن)، وليحي تنطق أيضًا: ليهي، وتعني: حركة من أجل الحرية. وكان يقود العصابة ثلاثة أشخاص منهم إسحاق شامير الذي تخلص من أحد الاثنين بأن أخذه في رحلة خلوية وعاد بدونه. هذا الإرهابي تولى بعد ذلك منصب رئيس وزراء إسرائيل مرتين. (جاء ذلك في أغلب الكتب الإسرائيلية) .

انسحبت عناصر من منظمتي (ليحي) و(اتسل) الصهيونيتين إلى دير ياسين، لترتكب - بدعم وتشجيع من منظمة (الهاجانا) الإرهابية - في قرية دير ياسين، واحدة من أبشع الجرائم التي ارتكبت ضد المدنيين في التاريخ

◆ وفي فجر ٩ أبريل ١٩٤٨ ، هاجمت قوات (ليحى) و(اتسل) قرية دير ياسين، وواجهت القوات المهاجمة في البداية مقاومة من سكان قرية دير ياسين كبدتهم أربعة قتلى، واثنين وثلاثين جريحا.

وعن تفاصيل المجزرة الرهيبة التي حدثت في قرية دير ياسين نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة في ١٩٧٢/٤/٢ نص تقرير كتبه محارب صهيوني يدعى مئير فيليبيسكي، عرف فيما بعد باسم مئير باجيل، ووصفته الصحيفة بأنه شاهد العيان الوحيد من خارج صفوف منظمتي (ليحي) و(اتسل)، الذي شارك في ارتكاب المجزرة ودوَّن ما شاهده وسمعه ويقول باجيل في تقريره

خلال أبريل عام ١٩٤٨ دارت أكثر المعارك حسمًا حول مدينة القدس وسالت فيها دماء كثيرة من قوات القسطل، وفي ذروة المعارك في منطقة القدس، انسحبت منظمتا (ليحى) و(اتسل) من المعركة إلى قرية دير ياسين، وكان هناك في رأيي شيء غامض وراء هذا الانسحاب. ولربما كانت هناك رغبة في تصفية حسابات قديمة مع القرية العربية منذ أحداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩

وفي ليلة ٨ - ٩ أبريل ١٩٤٨ كانت وحدات البالماخ تقاتل في معركة القسطل، اقتربت وحدات من (اتسل) و(ليحى) من قرية دير ياسين، وخرجت قوات (اتسل) من حي بيت هكيرم، وهاجمت القرية من الجنوب الشرقي، في حين هاجمتها قوات (ليحي) من الشمال الشرقي. وعند الفجر وصلت القوتان إلى ضاحية القرية. أرسلت وحدة (ليحي) في اتجاه القرية سيارة مصفحة تحمل مكبرا للصوت يدعو السكان إلى الاستسلام .

واكتشف سكان قرية دير ياسين، تغلغل مقاتلي (ليحي) و(اتسل) في قريتهم واقتحم المهاجمون القرية، وهرب معظم السكان، وبقى في القرية عدد قليل من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال.

كان الوقت ظهرًا عندما توقف إطلاق النار، وبدأوا ينفذون عملية تطهير لمنازل القرية، وأطلقوا النار على كل من شاهدوه في الطرقات والمنازل، وحدثت مجزرة مخجلة بين السكان الرجال والشيوخ والنساء والأطفال، دون تمييز بتوقيف السكان بجانب الجدران والزوايا وإطلاق النار عليهم)

ويضيف مئير باجيل في تقريره (لقد توسلت، أنا وعدد من سكان القدس إلى قادة اتسل وليحي كي يصدروا تعليماتهم إلى جنودهم بوقف إطلاق النار على السكان، لكن عبثًا حاولنا والنتيجة كانت ٣٥٤ ضحية عربية كانت مبعثرة في شوارع وأزقة وداخل منازل القرية)

- وفي ١٤ أبريل عام ١٩٤٨ ، أيضًا ، قضى على قرية بأكملها ولم يتبق منها غير ٤٠ رجلاً فروا هاربين في مذبحة سريعة بقرية (ناصر الدين).
- وفي ٥ مايو عام ١٩٤٨ ، قامت المنظمة الإرهابية (الأرجون) بإشعال النار في البيوت بعد أن حبسوا فيها الشباب العربي الفلسطيني في مذبحة بيت الخوري.
- وفي ١٣ مايو عام ١٩٤٨ ، وقعت مذبحة بيت دارس.
- وفي ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ مذبحة قبية التي قتل فيها ١٤٣ شخصًا ، وهدم ٤١ دارًا للسكنى.
- كما حدثت جريمة أخرى من اللواء الصهيوني ١٠١ في ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥ بقتل ٢٥ جنديًا مصريًا بمنطقة غزة..!!

ولم يتوقف اليهود الصهاينة وحرصهم على كراهية الشعوب والأمم الأخرى (الأغيار) وسفك دمائها وخاصة العرب، فأحدث الإسرائيليون مأساة بحر البقر

(بالشرقية) في عام ١٩٧٠ وضربوا مدرسة أطفال أبرياء بطائرات فانتوم (أمريكية الصنع) فقتلوا ٣٠ طفلاً بريئًا دون ذنب ارتكبوه!! كما ضربوا عمال مصنع (أبو زعبل) في عام ١٩٧٠ بطائرات فانتوم فاستشهد ٧٠ عاملاً وأصيب بجروح شديدة ٦٩ آخرين!!

وطوال رحلة الاحتلال الإسرائيلي لم تتوقف المذابح.. وصدرت مئات الكتب عن مذبحة دير ياسين التي قال عنها الإرهابي (مناحم بيجين) رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وبطل مذبحة صبرا وشاتيلا بعد ذلك (لولا دير ياسين ما قامت إسرائيل).

ويقول ديفيد بن جوريون عن رفيق الإرهاب بيجين

(إن مناحم بيجين ينتمي دون شك إلى النمط الهتلري.. فهو عنصري.. على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل.. وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف باستخدام كل الوسائل). وبنفسه يعترف بيجين بالإرهاب قائلاً (الإرهاب لا السلام هو الذي قامت على دعائمه دولة إسرائيل)

أما الكاتب الإسرائيلي (إيلان هاليفي) في كتابه (إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة) فقد قال صراحة: إن المجزرة أهم أساليب إسرائيل لتركيع العرب وإرهابهم.. وأنه بدون الانتصار في دير ياسين ما قامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، إذ كان سكان القرى يفرون من بيوتهم وهم يصيحون في رعب: دير ياسين.. دير ياسين

المذبحة

لقد اتخذ مناحم بيجين - رئيس وزراء إسرائيل من هجمات الفدائيين على السفير الإسرائيلي بلندن وإصابته بالشلل مدى الحياة، ذريعة لاجتياح لبنان عام ١٩٨٢ ووقف بفخر يوصي رجال جيشه - وعلى رأسهم شارون السفاح - قبل ذهابهم إلى لبنان قائلا: (سحقناهم على أرضنا من قبل.. وهرب بعض

المجرمين منهم إلى لبنان.. فعليكم أن تسحقوهم مرة أخرى حتى يفنوا. اسحقوهم كالجرذان تحت أقدامكم وتحت المجنزرات.. أبيدوهم ولا تتركوا لهم أثرا حتى نأمن قذائف الشمال.)

وقعت أحداث صبرا وشاتيلا الدامية في ١٦ سبتمبر عام ١٩٨٢ إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان.. وكانت يوم أربعاء.. أطلق عليه الأربعاء الأسود الحزين..
لقد هيأت المخابرات الإسرائيلية معالم الطريق لغزو لبنان.. واحتلال ٤٠ كيلومترًا فقط في الجنوب اللبناني لصنع حزام أمني يقي المستوطنات الشمالية صواريخ الفلسطينيين وهجماتهم.. لكن أرئيل شارون وزير الدفاع في ذلك الوقت، لم يقنع بتلك المساحة ذات البعد الضيق.. وزحف بقواته فجأة نحو الشمال.. إلى بيروت، حيث كان بانتظاره سفاح آخر - لبناني - اسمه بشير الجميل[1].. الذي كان يقود ميليشيات الكتائب اللبنانية.. وسبق أن التقى من قبل بإيهود باراك الذي زاره في بلدته جونية شمالي بيروت.. ثم زار إسرائيل سرًا بعدها لوضع ترتيبات الغزو وخطة المذبحة.. وإبادة مخيمي صبرا وشاتيلا.

والمخيمان يقعان إلى الشرق من بيروت[2] ويأويان آلاف اللاجئين الفلسطينيين العزل، في تزاحم سكاني ضخم يجمع شتات من طردوا من فلسطين، وأيضًا بقايا الناجين من مذبحة أيلول الأسود التي جرت لهم عام ١٩٧٠ على يد القوات المسلحة الأردنية، حيث تضمهم مساكن رقيقة الحال من الطوب الأسمنتي ومن ألواح الخشب والصاج.

---

(١) بشير الجميل زعيم حزب الكتائب. أختير رئيسا للجمهورية في لبنان في ٢٣ أغسطس ١٩٨٢، واغتيل بعدها بأيام بمقر حزبه في ١٤ سبتمبر بعبوة ناسفة وضعت أسفل المنصة.. وقد شاركت قواته في مذبحة صبرا وشاتيلا بقيادة مساعده وخلفه في الحزب إيلي حبيقة الذي اغتيل عام ٢٠٠٢ بواسطة الموساد لأنه شاهد على إرهاب شارون في المذبحة ..!!

(٢) بيروت: مدينة قديمة تشير بعض المصادر التاريخية بأن اسم بيروتوس Beroutos أطلق عليها، وأطلق عليها الرومان اسم فيليكس جوليا Felix Julia، كما أطلق عليها اسم "بيريت" وهو مشتق من لفظ فينيقي يعني (البئر) وذلك لكثرة الآبار فيها، ثم ورد اسم بيروت في تل العمارنة والنقوش المصرية القديمة.
بيروت فتحها يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية عام ٧٣٥ م وزال حكم الرومان عنها. وقد وقعت في أيدي الصليبيين حتى أعادها صلاح الدين الأيوبي إلى حظيرة الإسلام سنة ٥٨٣هـ. (موسوعة المدن العربية - آمنة أبو حجر. دار أسامة. الأردن - ٢٠٠٢).

كثافة سكانية استدعت إقامة المدارس الابتدائية وما تلاها والأسواق والمستشفيات لحوالي مائة ألف لاجئ يفترشون بقعة مقدارها ٣٥٥ ألف متر مربع من الأرض (حوالي ٨٥ فدانًا).

وعند الاجتياح الإسرائيلي للبنان فر العديد من سكان المخيمين إلى طرابلس الشمال حيث مخيم البداوى.. بينما انضم غالبية الشباب إلى صفوف المقاومة ، وأشارت غالبية المصادر أنه عشية المأساة كان المخيمان يأويان حوالي ٥٦ ألفًا من الأطفال والنساء والشيوخ

طوقت القوات الإسرائيلية المنطقة بعدما انسحبت قوات الأمم المتحدة.. وحوصر المخيمان بداية من ١٣ يونيه ١٩٨٢ حيث تعرضت جميع مواقع القوات المشتركة للقصف الجوي والمدفعي والبحري لمدة ٥٥ ساعة متواصلة. وبكثافة عالية جدًا بلغ فيها نشاط الطيران الإسرائيلي نحو ١٢٠ طلعة في اليوم الواحد.

وفجر ١٤ يونيه كان العدو قد أحكم الحصار[1] حول بيروت بصورة كاملة من كل الجهات.. مستعينا بأفضل وحداته العسكرية.. وبالتعاون الوثيق مع ميليشيات الكتائب.

وبعد قرابة ثلاثة أشهر كاملة من الحصار.. عانى أثناءها سكان المخيمين من الجوع والعطش والأمراض.. أفسحت القوات الإسرائيلية الطريق وأزالت الحواجز .. ودخلت عناصر ميليشيا الكتائب المسيحية إلى المخيمين مساء

---

(١) حوصرت بيروت ٨٠ يومًا، وقاومت ببسالة الآلة العسكرية الإسرائيلية، وانتهى الحصار بخروج ١٤ ألف مقاتل فلسطيني بأسلحتهم، دون أن يتمكن العدو من اقتحام المدينة. وكان العدو الصهيوني قد اعترف بسقوط ١٢٨ قتيلاً، و٣٨٥ جريحًا من جنوده في عملية (سلام الجليل) ، فضلاً عن وقوع ثمانية جنود أسرى. ويجئ حصار بيروت واحدًا من بين أشهر ٢٦ عملية حصار في التاريخ العسكري، سقطت خلاله ١٧ مدينة محاصرة، بينما رفع الحصار عن ثمانية مدن، وأخليت مدينة واحدة هي (سان بطرسبورج) بعد حصار طويل دام ٢٨٧ يومًا. (د. محمد حمزة : حرب الاستنزاف في لبنان ١٩٨٢ - ١٩٨٤. دار الجليل - عمان ١٩٨٥.) .

الأربعاء ١٦ من سبتمبر، وتحت التغطية الإسرائيلية الكاملة، وتوفير الإضاءة بالهليكوبتر من الجو.. إضافة إلى الطلقات المضيئة ووسائل الاتصال والمتابعة وتأمين الذخيرة ، بدأت المذبحة المأساوية بواسطة رجال كالجراد يقودهم إيلي حبيقة، تدربوا كثيرًا على إتمام المذبحة بأكبر الخسائر، وتسلحوا بالرشاشات عوزي Uzi الإسرائيلية والبلط والسيوف.

وخلال الساعات الأولى من الليل ذبح القتلة المئات من الأبرياء العزل الجوعى.. وفي الخامسة عند الفجر اقتحموا مستشفى غزة بمخيم صبرا، واقتادوا جميع من فيه من أطباء وممرضات ومرضى وعاملين إلى الفناء الخارجي.. وقتلوهم جميعا رميًا بالرصاص. أما المرضى الذين لم يتمكنوا من المشي والحركة.. فقد تم ذبحهم في أسرتهم.

ولمدة ٤٠ ساعة متصلة استمرت المذبحة.. وكانت الحصيلة ٣٢٩٧ قتيلاً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ.. وكان عدد قتلى مستشفى غزة وحده ١٠٩٧ قتيلا.. وقتلى الأطفال بمستشفى عكا في مخيم شاتيلا أربعمائة.. أما الـ ١٨٠٠ الباقين فقد قتلوا في البيوت وأزقة المخيم، وميادينها[1]

لقد قتلوا عائلات بكاملها كانت تأكل.. وعائلات أخرى كانت نائمة.. أو تشاهد التليفزيون. وعثر على العديد من الأطفال من دون الثالثة كانوا مرضى تغطيهم الملاءات البيضاء المخضبة بدمائهم.. وفي حالات كثيرة كانت هناك جثث مقطعة الأوصال تقطر منها الدماء .. ولوحظ كثرة عدد الأطفال القتلى من

---

(١) ذبح في مجزرة صبرا وشاتيلا أيضا :

- ١١٩ لبنانيا منهم ٨ نساء و١٢ طفلا .
- ١١ سوريا منهم ٤ نساء وطفل رضيع .
- ٣٢ باكستانيا وإيرانيا وجزائريان (منهم ٦ نساء) .
- ٢٥ قتيلا لم تعرف هويتهم أو جنسياتهم.

هؤلاء كانوا إما زائرين.. أو عاملين متطوعين في المخيمين.. أو أصحاب مهن حرة وبقالات وحرفيين.. وكان أغلبهم من اللبنانيين .

الرضع وقد سحقت أجسادهم، وتمزقت رءوسهم لضربات البلط التي نثرت عظام جماجمهم اللينة على الجدران.. وتبين أن هناك فتيات في عمر الزهور، اغتصبن قبل ذبحهن وهن مكبلات بأربطة جلدية إلى الخلف. أما النساء الحوامل فقد بقرت بطون العديد منهن في وحشية لا مثيل لها

وفي ركن من أركان مخيم شاتيلا.. ذبحوا ٤٩ طفلاً دون العاشرة كانوا يلعبون الكرة وجميعهم ذبحوا بالخناجر من الخلف، كما وجدت ١٣ رأسًا منفصلة كذلك بعض الأطراف المبتورة المتناثرة.. عثر أيضًا على ٩٧ جثة لرجال كهول اخترقت الرصاصات صدورهم وعاش منهم واحد فقط وصف تفاصيل المذبحة المروعة ومات بعد أربعة أيام.

وفي منزل خالد أبو عياد حيث كان هناك احتفال بمولود جديد، وجدت جثث ٣٨ من الأطفال والكبار، حتى لم يسلم الوليد من تقسيم جسده إلى خمسة أقسام. وفي كُتَّاب الشيخ أبو رياح ذهب ٣١ طفلاً لحفظ القرآن الكريم على يديه، لكنهم ذبحوا جميعًا وحُملت رءوسهم إلى خلف المنزل، بينما تركت أجسادهم تختلط بالدماء المتجلطة وصفحات المصاحف المزقة. أما الشيخ العجوز فقد اخترقت جسده اثنتا عشرة رصاصة، ليس هذا فحسب، بل جزوا شعر ذقنه ليرسموا به وبدمه علامة الصليب على الجدار ثم حشروه في فمه وإحدى عينيه.

لكن الشيء المقزز الذي فعله هؤلاء السفلة، هو أنهم قطعوا العضو الذكري للشيخ وتركوه أسفل ملابس ابنته (جيداء) ذات السبعة عشرة ربيعًا؟.. تلك الفتاة المعاقة التي اغتصبت ثم شقت رأسها إلى نصفين، وكانت هناك ابنته الكبرى هيام طالبة الطب التي اغتصبت بوحشية ودقت برأسها أربعة مسامير من الصلب[1]

---

(١) الحلقة السادسة للمؤلف من سلسلة : المخابرات والجاسوسية في القرن العشرين، جريدة اللواء العربي عدد الأربعاء ١٩٩٧/٨/٢٠

بعد أربعين ساعة متواصلة من الذبح والقتل والتمثيل بالجثث في تشفٍ لا إنساني، غادرت المخيم فرقة القتل الخامسة والأخيرة تحت حماية جيش الدفاع الإسرائيلي الذي فك الحصار.. ليدخل بالصدفة الصحفي الإيرلندي روبرت فيسك مراسل مجلة TIMES البريطانية ويصاب بما يشبه الجنون.. بل هو الجنون بالفعل.. إذ أخذ يجري هنا وهناك متخبطا في الجثث الملقاة في كل مكان.. فيغمض عينيه لهول المشهد ويلتقط الصور.. فأينما يوجه عدسته ستلتقط حتمًا ما لا يخطر ببال بشر.

خلال فترة زمنية وجيزة تلحق به محطة BBC البريطانية ليصرخ مصوروها من بشاعة المنظر.. وشاهد العالم بأسره لأول مرة في التاريخ - وبالألوان الطبيعية- أشباه بشر يزحفون على بطونهم في برك من دم سائل متجلط، تلاحقهم سحابات من الذباب تطن.. وتطن.. وكأنها أرواح شريرة تطارد القتلة.. والتقطت الكاميرات مناظر القتلى الذين مثلت بجثثهم في مشهد لا يصدقه عقل أو يستسيغه منطق[1]

واستطاعت روايات بعض الناجين خرق حاجز الرعب والارتجاف العصبي الذي أصاب مراسلي الصحف ووكالات الأنباء العالمية، الذين راحوا يبكون وسط روائح الموت المتصاعد من ركام الجثث.. وحل شعور بالصدمة والتقزز لم تستطع الدعاية الصهيونية أن تمسحه من ذاكرة العالم.. ولم يفلح السفاح شارون في التعتيم وادعاء الكذب.. كذلك لم يفلح وزراء الدولة الصهيونية في إسكات صوت المظاهرات ضد شارون وبيجن.. ولأول مرة تطلق الشرطة الصهيونية النار على اليهود المتظاهرين.. ليقتل يهودي بيد يهودي آخر

(١) قال مناحم بيجن في تعليقه على المذبحة المروعة : (أناس غير يهود ذبحوا أناسًا غير يهود) .

هذه هي إسرائيل.. وهذا هو شارون السفاح.. وإحدى عمليات الخسة التي يفخر بها.. وتلتصق باسمه وبتاريخه الدموي مهما أزال أثر الدماء على يديه. فحتمًا ستظل ذكرى مذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ ماثلة لن تمحوها ذاكرة التاريخ، لتلحق بها مذبحة جنين عام ٢٠٠٢، على مرأى من العالم الذي يدعى الديمقراطية ويطالب باحترام حقوق الإنسان..

إنها واحدة من مشاهد العار التي تلطخ وجه نداءات المدنية والتحضر والعدل..!!



فضيحة الطيار الإسرائيلي المفقود (رون آراد)..!!

أسقطت المقاومة اللبنانية طائرته الحربية فوق جبال صيدا.. قفز بالبراشوت واختبأ بين الصخور خائرًا مذعورًا.. ومنذ تلك اللحظة اختفت أخباره.. وتحولت قصته إلى أغنيات حزينة يرددها اليهود دائمًا في إسرائيل..!!

لغز اختفاء رون آراد

لماذا تحولت قصة الطيار الإسرائيلي المفقود رون آراد إلى أسطورة شعبية في إسرائيل، وتذاع عنه أغنيات حزينة يرددها الإسرائيليون تطالب بعودته؟.

ترجع قصة رون آراد إلى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٨٦ ، عندما طار فوق صيدا بطائرته الحربية (Phantom-F4-E) (الشبح) [1] المزدوجة القيادة لضرب أهداف استراتيجية لحركة فتح الفلسطينية[2].. وبالرغم من أن الطائرة ذات قدرات قتالية ومناوراتية عالية.. وتحمل ٧٢٥٠ كيلوجرامًا من القنابل ومستودعات النابالم، و١٥ مجموعة من صواريخ شرايك وبول بب جو-أرض، ومدفع فالكون ذو ستة مواسير.. إلا أن قوات المقاومة اللبنانية أسقطت الطائرة فوق تلال صيدا.

ومنذ سقوط الطائرة، احتفظ سلاح الجو الإسرائيلي لسنوات بالسر في تقصير وحدة الإنقاذ في انتشال رون أراد وزميله.. تلك الوحدة الخاصة التي أنشئت من أجل إنقاذ الطيارين الذين يسقطون بالقفز من طائراتهم في الحالات الطارئة.

ذلك أن عملية الإغارة بطائرات الفانتوم في ذلك اليوم امتدت أكثر مما كان متوقعًا.. ولما نفد الوقود من خزانات هليوكبتر الإنقاذ، اضطرت إلى العودة لقاعدتها في إسرائيل للتزود بالوقود.. وكان ذلك هو الخطأ الفادح الذي وقعت

---

(١) فانتوم Phantom طائرة مقاتلة متعددة الأغراض. ظهر الجيل الأول منها في أواخر الخمسينيات، وأحرزت أرقامًا قياسية عام ١٩٥٩، ومنها رقمي أكبر سرعة وأعلى ارتفاع. وهي على التوالي ٢٥٨٥كم/ساعة، ٣٠٠٤٠ متر. وفي عام ١٩٧٠ سجلت رقم السرعة القياسي ١٤٥٢،٧٧٧ كم/ساعة (١.٢ ماخ) فوق مسار منخفض صعب طوله ٣كم. الطائرة زودت أمريكا كل من إسرائيل واليابان بها.. وبالطائرة مدفع ٢٠ ميلليمتر متعدد المواسير.

(٢) فتح: الحروف الثلاثة الأولى معكوسة لـ: (حركة تحرير فلسطين) التي تعد أكبر المنظمات التي تكوّن منظمة التحرير الفلسطينية. تكونت حركة فتح سنة ١٩٥٩ (وتؤكد مصادر أخرى أنها تكونت سنة ١٩٦٤) على يد ياسر عرفات ومحمد يوسف النجار وصلاح خلف وآخرين، وأعلن عن تأسيسها في الكويت وانتقل مقرها العام إلى الأردن حتى عام ١٩٧٠ فلبنان حتى عام ١٩٨٢ ثم إلى حمام الشط في تونس بعد غزو لبنان بقيادة شارون لطرد المقاومة الفلسطينية. ترأس ياسر عرفات منظمة فتح منذ تأسيسها حتى الآن، إلى جانب رئاسته لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث تعمل فتح كعنصر فلسطيني مستقل، مثل أية منظمة أخرى تدخل في بنيان منظمة التحرير الفلسطينية الأم.

فيه قيادة سلاح الجو.. فقد كان من المفترض الاستعداد لكافة الاحتمـالات. إلا أنه لم يتم إرسال طائرة إنقاذ أخرى وأيضًا لم يتم إيقاف الغارة الجوية.

ولما عادت الطـائرة مـزودة بـالوقود، كـانت تحمـل طاقمًـا جديـدًا لا يعـرف خريطة الموقع المقصود على وجه الدقة.. ودون خزان وقود احتياطي يمكنها مـن البحث لوقت طويل على نطاق واسع.. وكانت المأساة بحـق عندمـا نفد الوقـود للمرة الثانية على بعد ٣٠ كيلومترًا من موقع سقوط طياري الفـانتوم.. فـاضطرت الهليوكبتر للعودة مرة أخرى.. وفي النهايـة أنقـذ زميـل أراد بواسـطة هليوكبـتر قتالية من طراز كوبرا غير مهيئة بالأصل لمهام الإنقاذ.

وقال طيار الفانتوم الذي تم إنقاذه إن آراد لم يزل حيًا.. وأن مسافة ثلاثمائة مترًا تقريبًا كانت تفصل بينه وبين آراد الذي سقط بالقرب من إحــدى القـرى. وأنه شاهد بنفسه العشرات من السيارات وهي تقتفي أثر زميلـه وتطـارده إلى أن استسلم ووقع في الأسر. ويبدو أنه ، أي آراد، فشل في إصلاح جـهاز اللاسـلكي الذي بحوزته فاعتقد الجميع في إسرائيل أنه قتـل.. بينمـا تمكـن هـو مـن بـث إشـارة مـن حفرتـه بـين الأعشـاب، فالتقطتـها الكوبـرا واقـتربت منـه بـــهدوء مسترشدة بوصفه للموقع وطبوغرافيته وأنقذته.

وعن أخطاء قيادة سـلاح الجـو يقـول (إيتـان هابـير) مديـر مكتـب إسـحاق رابين[1] وزير الدفاع في ذلك الوقت، أنه تم إرسال نصف طائرات ســلاح الجو

---

(١) تولى إسحاق رابين رئاسة الحكومة الإسرائيلية فيما بين (١٩٧٤، ١٩٧٧) وخاض خلال هذه المرحلة أصعـب المفاوضات بشأن فض الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية، وفي الوقت نفسه واصـل السياسـة الاسـتيطانية التي نفذتها قبله الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وشهدت الأراضي المحتلة هيمنة استيطانية زادت في حجمـها عن السنوات السـابقة لتولي رابين رئاسة الحكومة، كما عمل على بناء القدس الكبرى لتبتلع المدينة أكثر من ربـع مساحة الضفة الغربية، وإكراه سـكانها العرب الفلسطينيين على بيع أراضيهم وعقاراتهم وطردهـم مـن المدينـة إلى خارج نطاقها الجديد، إضافة إلى الاستيلاء على بيوتهم أو هدمها وبناء أحزمة يهوديـة لتطويـق القـدس الشـرقية بسور كثيف من قلاع المستوطنات اليهودية لعزلها عن بقية الأراضي الفلسطينية وتغيير التوازن السكاني لتحقيـق أغلبية يهودية فيها، وهكذا اتضحت منذ وقت مبكر نوايا رابين في فترة ولايته الأولى.

وعندما عاد إسحق رابين مرة أخرى للحكم عام ١٩٩٢، بدأت مفاوضات (أوسـلو) في ظـل رئاسـته الـتي أدت إلى اتفاق الحكم الذاتي لمنظمة التحرير الفلسطينية وتوقيع إعلان المبـادئ في ١٣ سـبتمبر ١٩٩٣. وقـد اغتيـل رابـين على يد متطرف يهودي في ٤ نوفمبر ١٩٩٥ بعد أسـبوع من اغتيال الدكتـور فتحـي الشـقاقي في مالطـا بنـاءً علـى أوامره.

إلى صيدا لضرب ما حولها ولإبعاد قوات المقاومة عن رون آراد.. لكن المشكلة أن جهاز اللاسلكي الخاص به لم يعمل ولم يبذل أي جهد في مساعدتنا للوصول إلى موقعه. لقد سيطر عليه الذعر فتوقف تفكيره عن التصرف في محنته.. فهو لم يكن يتصور أبدًا أن تسقط طائرته الحربية النفاثة فوق صيدا.. لذلك كان ذهوله قد استغرق كل فكره. وأشارت تقديرات المخابرات وقتها إلى صعوبة إنقاذه وأن ذلك سيكلف إسرائيل ثمنًا غاليًا ونصحت بعدم المخاطرة بآخرين لتخليصه.

وأمام الشحن الشعبي العام والنداءات المتكررة من أهله التي يتلقاها المسئولون بصفة مستمرة.. كان لابد من السعي مهما كانت التكاليف لاستعادته من جديد.. من هنا اتفقت الآراء في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي على خطف الشيخ عبد الكريم عبيد أحد كوادر حزب الله لمبادلته بالطيار الأسير. وفي ذات الوقت كان الشيخ عبيد يثق تمام الثقة في محاولات الإسرائيليين المستميتة لتلقط أخبار الطيار الأسير وتراودهم من أجل ذلك رغبة عارمة في اختطاف رموز من حزب الله لإرشادهم إلى المخبأ الذي نقل إليه رون آراد وكيفية الوصول إليه واقتحامه بعملية كوماندوز عسكرية. فالطيار الإسرائيلي الشاب تحول مع مرور الوقت إلى بطل شعبي وأحد رموز النضال والفداء من أجل أن يحيا (الوطن) آمنًا مستقرًا.

وعند صدور هذا الكتاب لم تكن قد ظهرت بعد أية أنباء عن رون آراد.. حيث لم يزل أسيرًا مختفيًا.. ومن أجله اختطفت وحدات المخابرات الإسرائيلية كوادر هامة في حزب الله على رأسهم الشيخ عبد الكريم عبيد وزميله مصطفى ديب الديراني[١].. إلا أن لغز اختفاء الطيار الإسرائيلي[٢] ما يزال مجهولاً.. محيرًا.(!!)

---

(١) في آخر يناير ٢٠٠٤ أفرجت الحكومة الصهيونية عنهما في صفقة تبادل أسرى مع حزب الله، جاءت تفاصيلها بالجزء الثاني من كتابنا، فصل: محاولة اغتيال حسن نصر الله.

(٢) قبل لحظات من مبادلة ضابط الاستخبارات الإسرائيلي الحنان تننباوم، في الصفقة الشهيرة التي تمت في آخر يناير ٢٠٠٤ بين حزب الله وإسرائيل، اعترف الضابط الذي أمضى سنوات في الأسر بلبنان، أن مهمته في بيروت كانت تقصي أخبار (رون آراد) والوصول إلى معلومات مؤكدة عنه، بعد الفشل الاستخباراتي في استنطاق الشيخين عبد الكريم عبيد ومصطفى الديراني لمعرفة مصير آراد. نشر الحوار تليفزيون المنار قبيل مبادلة الأسرى بدقائق.

فضيحة الإنزال الفاشل في صيدا بلبنان..!!



في غبش الليل.. كان رجال حزب الله ينتظرونهم على الشاطئ.. حيث أبادوهم وحولوا ثقتهم إلى صراخ وذهول وارتجاف. وقال تليفزيون إسرائيل في تعليقه على الحادث: إن مجموعة غاية في التدريب والحرفية القتالية.. ذهبت بكل بساطة إلى (مصيدة) أعدها لهم حزب الله.. إذ كان يعلم جيداً أين ومتى ينتظرهم..!!

لقد أوهمونا بأننا الأقوياء، بينما نحن نحتمي بجدار هش من الوهم.. والغرور. وأصيب جنودنا بمرض نفسي عضال اسمه (حزب الله)..!!

استخلاص العبر

الجمعة ٥ سبتمبر ١٩٩٧ يوم يعرفه الجميع.. فقد انشغل العالم بأسره بمتابعة أخبار تشييع جنازة الأميرة ديانا في لندن التي ستنقلها الفضائيات العالمية على الهواء مباشرة بداية من قداس كنيسة وستمنستر.. ثم عبور موكب الجنازة عدة شوارع قبل أن يذهب بديانا إلى مقبرتها في شمال لندن.. ومنها المنطقة التي يقع فيها منزل عماد الفايد صديق الأميرة.. الذي قتل معها في الحادث بباريس ودفن بمقابر المسلمين بلندن

لكن.. في فجر ذلك اليوم أيضًا.. وقعت مأساة تراجيدية أخرى بالقرب من سواحل صيدا بلبنان.. وبالرغم من ذلك .. هلل لها الشعب العربي كله. وعمت الفرحة قلوب اللبنانيين.. وأخرج العالم لسانه سخرية من جيش إسرائيل الذي حلت به المصيبة.. وطغت فضيحته على كل الأخبار في منطقة الشرق الأوسط .

وهكذا نشرت الصحف العربية والعبرية تفاصيل الفضيحة:

(لقى ١١ جنديًا إسرائيليًا مصرعهم في الساعات الأولى من الصباح ، وهناك جندي إسرائيل ثاني عشر في عداد المفقودين، إلى جانب إصابة ٤ جنود آخرين، في عملية إنزال فاشلة جنوبي مدينة صيدا[1] بجنوب لبنان تصدت لها قوات الجيش وحزب الله).

---

(١) صيدا : تقع على بعد ٤٥ كيلومترًا جنوبي بيروت وهي مدينة ساحلية هامة تتوسط المسافة بين بيروت وصور، وتعتبر بوابة الجنوب اللبناني وحلقة الوصل بينه وبين سائر المناطق اللبنانية. وتعتبر صيدا مدينة سياحية وصناعية هامة ويوجد بها ميناء كبير يستقبل السفن القادمة من مختلف موانئ المتوسط. وهي مدينة فينيقية قديمة تعرضت لغزو الآشوريين والبابليين والفرس والإغريق، وقد حاصرها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق.م ثم احتلها ثم احتلها الرومان حتى فتحها العرب سنة ٦٣٨م ثم استولى عليها الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وتعرضت صيدا لزلزال مدمر سنة ١٨٣٧ أتى على الكثير من آثارها.

وأضافت الصحف ووكالات الأنباء العالمية بأن هذه هي أسوأ خسارة تلحق بقوات الجيش الإسرائيلي في عملية واحدة منذ ام ١٩٨٥. وجاءت العملية الفاشلة بعد أقل من ٢٤ ساعة من الانفجارات الثلاثة التي وقعت في القدس الغربية، وأسفر عنها مصرع أربعة إسرائيليين وإصابة ١٩٠ آخرين. ولقى ثلاثة أشخاص مصرعهم، يعتقد أنهم منفذو الانفجارات الثلاثة

لقد وقعت عملية الإنزال الإسرائيلية في منطقة مدنية، وهو ما يعتبر انتهاكًا سافرًا لاتفاق التفاهم(١) الذي توصلت إليه إسرائيل مع لبنان في أبريل ١٩٩٣ بوساطة أمريكية - فرنسية.

وتحسبا لاحتمال تعرض شمال إسرائيل للقصف بصواريخ كاتيوشا من قوات حزب الله ردًا على عملية الإنزال قرب بلدة الأنصارية اللبنانية، وضعت إسرائيل قواتها في (المنطقة الأمنية) وشمال إسرائيل في حالة تأهب قصوى. كما شهدت القدس الغربية إجراءات أمنية مكثفة وسط حالة من الذعر بين الإسرائيليين، خشية وقوع المزيد من التفجيرات بالمدينة.

وعلى استحياء، قال المتحدث الإسرائيلي إن قوات (حزب الله) تصدت بشراسة لعملية الهجوم التي قامت بها فرقة كوماندوز ضمت ١٦ عسكريًا، وقد تدخلت طائرات الهليوكبتر الإسرائيلية لإجلاء الأحياء منهم.

---

(١) مع اشتداد عمليات حزب الله الناجحة، كانت إسرائيل هي الأخرى ترد، بعمليات من نوع آخر لا توجع حزب الله، بل تكون موجعة للدولة اللبنانية، وللمواطن اللبناني، وذلك بضرب عمق البلاد، وتدمير بنيته التحتية والمنشآت الحيوية للدولة، في محاولة للضغط من أجل لَجْم عمليات الحزب وشل فعاليته العسكرية.
ولما فشل هذا الأسلوب على مدى سنوات طويلة، لجأت إسرائيل إلى المفاوضات مع حزب الله، برعاية وزير الخارجية الأمريكي، وارين كريستوفر، وتوصلت، في أبريل ١٩٩٣ إلى اتفاق يقضي بأن يحصر حزب الله مقاومته داخل الأراضي المحتلة في الجنوب اللبناني، وعدم تجاوز هذا الإطار إلى مناطق شمالي إسرائيل "الجليل" لا بإطلاق الكاتيوشا، ولا بعمليات فدائية، مقابل أن تلتزم إسرائيل بضرب مواقع حزب الله ومناطق تجمعاته، وملاحقة وتعقب تحركاته وقياداته، دون أن يتجاوز الأمر إلى أعمال عسكرية كبيرة تهدد سلامة الأمن اللبنانين الداخلي، أو يقود بالتالي إلى احتكاك مع الجيش السوري.
لكن هذا الاتفاق سرعان ما خرقته إسرائيل، فاشتعلت عمليات حزب الله في الجنوب وضد المستوطنات اليهودية الشمالية، ونشطت في ضراوة حرب المخابرات السرية بين الفريقين، وكانت بلا شك معارك شديدة الدهاء، ذكية الأدمغة، بدأت منذ قيام حزب الله ولم تنته حتى بالانسحاب العسكري الإسرائيلي المخز في مايو ٢٠٠٠ وإلى اليوم..!!

وفي بيروت، أكد نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني أن المجموعة الإسرائيلية التي أبيدت في جنوب لبنان، كانت تريد نسف مركز قيادة عسكري في منطقة الأنصارية. لكن المقاومة أمطرت هذه المجموعة بوابل من الرصاص فأبادتهم.

أما بنيامين نتانياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية، فقد ظهر على شاشات التليفزيون مكفهر الوجه، يحاول جاهدًا ألا يظهر عليه استحياء الهزيمة. وبلهجة تحمل الكثير من التعنت والتحدي، أعلن أن إسرائيل تنوي مواصلة عملياتها العسكرية في لبنان. (إننا نقوم حاليًا باستخلاص العبر لعمليات نقررها مستقبلاً).

وفي تبريره لفشل الهجوم وسقوط دستة ممن يطلقون عليهم جنود النخبة (سايريت ماتكال)، ذكر نتانياهو: (أن قوة كوماندوز إسرائيلية حاولت الدخول إلى لبنان للقيام بعملية معينة - لم يكشف عنها - لكن حدثت مأساة مروعة لم يكن يتوقعها أي إنسان. مضيفًا بأنه لا يعرف بما فيه الكفاية تفاصيل ما حدث بالضبط مع جنوده، غير أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، أن هناك ضحايا من خيرة مقاتلي إسرائيل، حيث كان هناك كمين أمام تقدم القوة الإسرائيلية

ذروة الفشل

ومع الصدمة التي أصابت أعماق إسرائيل، كانت تقابلها فرحة عارمة في شوارع بيروت، بدت واضحة على وجوه اللبنانيين وهم يهنئون بعضهم البعض بهذا الانتصار الساحق للمقاومة اللبنانية ولقوات حزب الله، على الأخص. في حين أكد رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان أن العملية العسكرية الإسرائيلية تمت في منطقة سكنية وسياحية، مشيرًا إلى أن حكومته تجري اتصالات مع العواصم المختلفة لشرح أبعاد وسير العملية.

من جهة ثانية أكد الناطق باسم الجيش الإسرائيلي ما ذكرته الأجهزة الأمنية اللبنانية ، عن أن أحد عشر جنديًا إسرائيليًا قتلوا وأصيب أربعة جنود. مضيفًا بأن هناك جنديًا آخر في عداد المفقودين، وأن ضابطًا برتبة لفتنانت كولونيل (مقدم)، قتل بين أفراد القناصة البحريين الذين نزلوا على الساحل اللبناني جنوبي صيدا ، وكان عددهم ١٦ عسكريًا.

وطبقا للمصادر اللبنانية فقد استخدمت في هذه الاشتباكات بين قوات حزب الله والقوات الإسرائيلية أسلحة من كل العيارات، حيث بدأت في الواحدة فجرًا واستمرت نحو أربع ساعات على شاطئ البحر، على بعد ٢٠ كيلومترًا من صيدا و٣٠ كيلومترا شمالي المنطقة المحتلة.

لكن المثير في هذه المعركة التي تحولت إلى مذبحة لقوات إسرائيل المغيرة، أن سلاحي الجو والبحرية الإسرائيلية اشتركا في قصف منطقة المعارك. فقد قامت أكثر من عشر طائرات هليوكبيتر – أتى بعضها من جهة البحر – بإطلاق صواريخ جو – أرض بمعدل ست مرات حول الأنصارية ، مستهدفة بشكل خاص قواعد الجيش اللبناني، الذي وجهت قواته نيران مدافعها المضادة للطائرات في اتجاه المروحيات الإسرائيلية، حيث جرح جنديان من بين أفراد الجيش اللبناني وثلاثة من عناصر المقاومة. كما أصاب القصف سيارة مدنية محملة بالركاب كانت في طريقها للهرب من مواقع القصف حيث قتلت سيدة وأصيب السائق.

عميل مزدوج ؟!

وبعد تكشف أنباء الكارثة التي ألمت بالكوماندوز الإسرائيلي التي تحاك الأساطير من حوله، عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر للشئون الأمنية والسياسية برئاسة رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو ، جلسة طارئة ، ناقش فيها آخر التطورات في جنوب لبنان، وأذاع راديو إسرائيل إن هناك عدة تقارير قد جرى بحثها حول حقيقة المأساة التي وقعت، وكيف كان رجال حزب الله في

التوقيت نفسه يرابضون بكامل أسلحتهم في المنطقة، بما يعني أن هناك اتصالات سرية وتسريبات عن العملية قد تمت، وأن تلك الأخبار ربما يكون وراءها عميل مزدوج

لكن الحقيقة التي تكشفت حسبما قال المحلل العسكري الأمريكي (أنطوني كور دسمان) أن الحادث يشكل فضيحة عسكرية في إسرائيل. فرجال النخبة هاجموا لبنان بحرًا فأعادهم حزب الله جوًا.. لكن أشلاء. قتلوا امرأة ومنيوا بأبشع هزيمة في أقل من أربع ساعات. هذه هي باختصار عملية البحر العسكرية الإسرائيلية الفاشلة عند بلدة أنصارية في صيدا، حيث ارتدت المباغتة التي أرادها نتانياهو على جنوده وضباطه، وأربكت إسرائيل إرباكًا مذهلاً قبيل أيام من زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبرايت) [1] لإسرائيل، مما يعزز رأي معظم الإسرائيليين المطالب بالانسحاب من طرف واحد من جنوب لبنان المحتل.

وفي تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية قال رئيس الوزراء اللبناني، إن حل النزاع العربي - الإسرائيلي لن يكون إلا سياسيا. وشدد على أن هذا الحل لن يأتي إلا باحترام إسرائيل للقرارات الدولية[2] وتطبيق قرار مجلس الأمن (رقم ٤٢٥) الذي ينص على انسحاب إسرائيل الكامل وغير المشروط من جنوب لبنان. مؤكدًا على أن الخسائر البشرية وغيرها، التي تكبدها الجيش الإسرائيلي في عملية الإنزال الفاشل على شواطئ لبنان ، تعطي مؤشرًا حقيقيًا على أن الحل العسكري غير ممكن.

أما المتحدث باسم قوات حفظ السلام الدولية في لبنان، ففي تعليق له رجح أن يكون هدف عملية الإنزال الفاشلة هو ضرب عناصر المقاومة

---

(١) كان صديقي الكاتب الأديب محمد بركات يطلق عليها اسم : (أم قويق) .!!

(٢) أعلنت إسرائيل رفضها الكامل لتنفيذ أي قرار من قرارات الأمم المتحدة أكثر من ١٨٠ مرة حتى عام ٢٠٠٤ في تحد سافر، بينما استخدمت أمريكا حق الفيتو أكثر من ٤٠ مرة ضد أي قرار يدين إسرائيل في مجلس الأمن.

الإسلامية (حماس) في قلب المنطقة، تلك العناصر التي لا تكف عن إلحاق خسائر دائمة بين القوات الإسرائيلية، وقوات أنطوان لحد في الجنوب. حيث تؤكد أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بصفة أساسية بأن المنطقة تعد أحد معاقل حركة (حماس) وحزب الله الشيعي في جنوب لبنان.

هذا وقد أكد رئيس مجلس النواب اللبناني ورئيس حركة (أمل)[1] الشيعية نبيه بري ، أن المجموعة العسكرية الإسرائيلية كانت تريد نسف مركز قيادة لحركة أمل في الأنصارية. حيث توجهت خلال الليل باتجاه مركز حركة أمل، وقبل أن يصلوا إلى بعد ٥٠٠ متر كشفهم الجيش اللبناني والمجاهدون من حركة أمل وأمطروهم بأسلحتهم

وعلى خلفية هذا الحادث وتداعياته في إسرائيل، شكل الإنزال الفاشل لوحدة (سايريت ماتكال)[2] التابعة لهيئة الأركان ذروة الفشل.. حيث تعتبر هذه الوحدة طليعة نخبوية في الجيش الإسرائيلي.. وتكلف عادة بالمهام الصعبة المعقدة وراء الحدود.

---

(١) أسَّس حركة أمل الإمام موسى الصدر، وهي حركة شيعية تزعمها في أوائل الثمانينيات نبيه بري والسيد حسين الموسوي. انشق الموسوي عن (أمل) الأم مؤسسًا (حزب الله) بعد اشتراك نبيه بري في (هيئة الإنقاذ الوطني)، وهي الهيئة التي ضمت وقتئذ وليد جنبلاط وعميل إسرائيل الأشهر بشير الجميل إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢. شغل نبيه بري منصب رئيس مجلس النواب اللبناني، وبشير الجميل أطاحت به عبوة ناسفة في مقر ميليشيا الكتائب ببيروت عام ١٩٨٣، ولم يعثر له على أشلاء واضحة المعالم.

(٢) سايريت ماتاكال : Sayeret Matkal : وحدة عمليات خاصة أبرز عملياتها اغتيال الزعماء الفلسطينيين الثلاثة عام ١٩٧٣ في بيروت (عملية فردان)، وتحرير رهائن الطائرة المدنية في عملية عنتيبي عام ١٩٧٦، واغتيال الجرسون المغربي أحمد بوشيقي في ليليهامر بالنرويج عام ١٩٧٣، إضافة إلى العديد من العمليات الإرهابية الأخرى، واشهر من خدموا بين صفوفها جوناثان نتانياهو وإيهود باراك

وداخل الدوائر العسكرية الإسرائيلية كان هناك إجماع على فشل استخباري أدى مباشرة إلى الهزيمة الميدانية.. ودار حديث عن (عميل مزدوج) ساعد حزب الله وأمده بموعد العملية ومكانها بالضبط. نظرًا لأن اختراقات حزب الله لم تكن أبدًا جديدة أو غير متوقعة.. وقال التليفزيون الإسرائيلي: إن المشكلة استخبارية لا شك في ذلك.. فلم نر أي مشكلة في ترتيبات القوة العسكرية وخطة إنزالها.. والأمر يتعلق بمجموعة غاية في التدريب والحرفية القتالية ذهبت بكل بساطة إلى (مصيدة).. إذ أن حزب الله كان يعلم جيدًا أين ومتى ينتظرهم.. وهذا يعني تسريب معلومات وصلت إليه.. وسمحت له بالانتظار في المكان المحدد بالضبط.

هناك إذن مشكلة خطيرة في الأمن وفي الاستخبارات في وقت العملية، التي تكون مصحوبة عادة بمظلة استخباراتية. وحتى هذه المظلة، لم تنجح في تشخيص أي من كمائن حزب الله كان يترصد القوة ويترقب وصولها إلى المنطقة المحددة.

أما القناة الثانية الإسرائيلية فقالت : إن كل المعطيات تؤدي بنا إلى حقيقة واحدة واضحة.. وهي أن حزب الله كان في انتظار رجال الكوماندوز البحري.. ولا يمكن الحديث عن كمين بالصدفة.. إنما عن انتظار.. وربما عن معلومات

قبل عملية الإنزال الفاشلة بستة أشهر.. وبالتحديد في ٥ فبراير ١٩٩٧.. أصيبت قوات (السايريت ماتكال) الإسرائيلية بمصيبة أفدح.. هزت المجتمع الإسرائيلي كله وأجهزته الأمنية على السواء.

ففي ذلك اليوم تصادمت مروحيتان من طراز (ياسور) فوق الجليل الأعلى وسقط ٧٥ عسكريًا إسرائيليًا في لحظات[1].. وهم من وحدات النخبة من ألوية

(١) كان من بين القتلى ١٣ ضابطا.. أربعة منهم ضباط طيران.. وتسعة من سلاح : المهندسين والأمن والميكانيكا والمشاة ومكافحة الإرهاب.

جعفاني وجولاني والاستخبارات العسكرية.. كانوا سيتوزعون على ١٣ وحدة صغيرة.. لاختطاف عدد من قيادات حزب الله كانوا سيشاركون حسبما تردد وقتذاك في حفل إفطار في النبطية لجمع تبرعات للحزب

علقت صحيفة هاآرتس Ha'aretz الإسرائيلية عن الحادث تحت عنوان:

(ليلة النعوش الطائرة) (إنها أكثر من اللعنة.. بل النزول إلى الجحيم)

وجاء في صحيفة يديعوت أحرونوت:

(إن لبنان يطاردنا مثل اللعنة.. ومأساة المروحيتين تدفعنا إلى البحث في جدوى وجودنا في منطقة تتحول تدريجيا إلى ما يشبه فيتنام الإسرائيلية).!!

وفي تل أبيب لجأت قيادة الجيش لأساتذة علم النفس لتهدئة الجنود في معسكراتهم.. ولتجاوز فداحة حالة الانهيار النفسي التي أصيبوا بها من جراء الإخفاقات المتتالية والخسائر المرعبة في جنوب لبنان بسبب المقاومة الشرسة لقوات حزب الله

لقد عكس الفشل في عملية الإنزال البحري حالة الرعب التي أصابت بقية جنود وضباط أفرع جيش الدفاع الإسرائيلي المختلفة، وزرعت بصدورهم الخوف من تكرار عمليات الهجوم على مواقع بعينها في لبنان. فجثث قتلى عملية صيدا ماثلة في أذهانهم، وقد اخترقتها رصاصات رجال حزب الله التي حصدتهم حصدًا، وانكشف ساتر الوهم الذي شيد حول المقاتلين الإسرائيليين، عندما قال أحد الناجين من المذبحة:

(فوجئنا برجال كالأشباح يمطروننا بالرصاص من كل جانب.. الزخات الأولى قتلت خمسة منا.. وهرع كل منا يختبئ خلف أول صخرة، وسمعت صراخات جنود من النخبة استولى عليهم الفزع، بل وترددت صيحات بعضهم تدعو إلى تسليم أنفسنا.

زحفت ببطء شديد حتى وصلت إلى إحدى طائرات الهليوكبتر التي جاءت لإنقاذنا. سألني الطيار وكان أكثر ذعرًا مني:

هل هناك إصابات..؟

قلت له بصوت مرتعش:

تركت خلفي خمسة من زملائي قتلى، وأعتقد بأن هناك المزيد من الضحايا الآن.

بهت الطيار ولمحت عضلات وجهه ترتجف، وطار بي بعيدًا عن ساحة القتال.

إن الخطأ الرئيسي في فشل العملية كان يكمن في قادتنا الذين أوهمونا بأننا الأقوياء، بينما نحن نحتمي بجدار هش من الوهم.. والغرور)

هكذا تحولت عملية الإنزال الفاشلة إلى فضيحة مدوية. وعقدة أصابت رجال جيش الدفاع الإسرائيلي وقواته النخبوية.. وبسبب هذا الفشل أحيل العديد من الضباط إلى التقاعد، إما لإهمالهم، أو لإصابتهم بمرض نفسي عضال اسمه: حزب الله..!!



فضيحة الهروب الليلي
وأزمة جواسيس الجنوب..!!

... لماذا ليس لدينا حل..؟ نحن الذين نمتلك القنابل الذرية.. نحن الذين حررنا الرهائن في عنتيبي.. نحن الذين أخذنا الرادار السوفييتي من تحت أنوف المصريين. نحن الذين قتلنا قادة الفلسطينيين على أسرَّتهم بجنود في ثياب نساء.. أليس هناك حل..؟ لقد جربنا كل شيء في لبنان..!!

أطماع موروثة

لم يكن غزو لبنان عام ١٩٨٢ وحصار بيروت[1] الطويل.. بقصد تأديب المقاومة الفلسطينية الفلسطينية وطردها من لبنان.. أو بسبب إطلاق النار على السفير الإسرائيلي في لندن – شلومو أرجوف – بواسطة مجموعة أبو نضال.. إنما كان بنية احتلال الجنوب اللبناني.. وعمل شريط أمني يحمي إسرائيل من الشمال، تمهيدًا لاحتلال طويل الأمد لتلك البقعة الغنية بثرواتها الطبيعية ومصادر المياه.. في سلسلة متنامية من المطامع في التوسع لاستيعاب أكبر عدد من يهود العالم.. والوصول بإسرائيل إلى قمة الاتساع حسبما جاء بمخططاتها الاستيطانية.. وبتعليمات زعماء الصهيونية العالمية وتوصيات التوراة المزيفة

فالخرائط المعلقة في مطار اللد، وعلى جدران الكنيست، وفي مبنى الخارجية اليهودية، تحدد ملامح المطامع الإسرائيلية في التوسع، فشعار من النيل إلى الفرات مرتبط في أذهان اليهود بأرض التوراة ومهد الآباء والأجداد. ففي سنة ١٩٥١ أعلن الحاخام يهودا ميمون ، وزير الأديان حينئذ في حكومة الدولة الصهيونية في أحد المؤتمرات الدينية:

(ما زال أمام مؤتمركم أعمال عظيمة. إن دولة إسرائيل كلها أمامكم وأن حدودها من النيل إلى الفرات).

---

(١) من بين ٢٦ عملية حصار في التاريخ العسكري.. سقطت ١٧ مدينة محاصرة.. بينما رفع الحصار عن ٨ حالات منها.. وأخليت مدينة واحدة هي (سان بطرسبورج) بعد حصار طويل دام ٢٧٨ يوما. وفي عام ١٩٨٢ حوصرت بيروت فجر ١٤ يونيه حصارًا كاملاً من كل الجهات.. وبقيت تحت الحصار لأكثر من ٨٠ يوما وهي تقاوم وحدها الحصار العسكري الإسرائيلي الضاغط ببسالة وبطولة أسطورية.. دون أن يتمكن العدو من اقتحام المدينة.. أو فرض شروط الاستسلام عليها.. برغم ما يمتلكه من أحدث وأقوى آلة عسكرية وعدوانية في الشرق الأوسط.. إلى جانب ميليشيات لبنانية عميلة آثرت مصالحها الشخصية على سلامة الوطن.. وساعدت جيش إسرائيل في عدوانه على لبنان. وبيروت.. أول مدينة عربية على الإطلاق حوصرت من قبل العدو الصهيوني ..!!

وأعلن بن غوريون سنة ١٩٤٨ بعد قيام إسرائيل

(إن الشعب اليهودي سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات)

وكتب بن جوريون أيضًا في إحدى مقالاته:

(نحن دخلنا بعد مجهود ما يقرب من السبعين سنة لأولى مراحل استقلالنا في قسم من بلادنا الصغيرة. وإن الدولة حين قامت لم تكن تضم إلا ٦٪ من الشعب اليهودي وفوق جزء من أرض إسرائيل)

وأعلنت الدولة الصهيونية رسميًا في كتابها السنوي سنة ١٩٥٥

(إن خلق الدولة الجديدة لا ينتقص في حال من الأحوال من إطار الحدود التاريخية لأرض إسرائيل).

أما إرهابي إسرائيل الأشهر مناحم بيجين فقد أعلن :

(لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل، وحتى ولا للعرب، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد. حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح).

إن التخطيط الإسرائيلي من أجل التوسع وتحقيق الأطماع ارتكز وما زال يرتكز على فلسفة مرحلية لا أظن أن معالمها تخفي على مسلم أو عربي غيور خاصة بعد التطورات والأحداث الأخيرة. وهي فلسفة تتشكل وتتلون حسب ما يقتضيه الوقت وتتطلبه الظروف

وبعد أن احتلت إسرائيل جنوب لبنان.. هل كان ذلك شيئًا غريبًا أو مفاجئًا؟

ربما كان شيئًا مفاجئًا بالفعل، لأن ذاكرتنا - نحن العرب - في حالة إعياء دائم، ولذلك سرعان ما تنسى.. وسرعان ما تعجز عن استيعاب الدروس، وتعجز عن فهم مدلول الوثائق التي تمتلئ بها (ملفات) المخطط الصهيوني

ولكن الذي حدث لم يكن جديدا، ولا غريبا، ولا مفاجئا. ولم يكن أكثر من مرحلة (التنفيذ) فقط، لعملية تم التخطيط لها منذ ما يقرب على المائة وخمسين عام. فالمخططون الصهاينة.. عندما طرحوا أمامهم خارطة الأرض العربية قبل أن يخطوا فوقها أشاروا إلى هذا الجزء من الجنوب اللبناني بعبارة سجلوها على خرائط تفصيلية تقول: (لابد من ضم هذا الجزء إلى أرض إسرائيل لضرورات استراتيجية تحتمها عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية.. و.. أمنية).

والذي يرجع إلى الوثائق والتصريحات الصهيونية منذ عشرات السنين، يجد التصميم على انتزاع جنوب لبنان بكل الطرق وبأي الطرق. ويجد أنها مسألة (حتمية) تنتظر التوقيت لتنفيذها فقط.

ففي ١٧ أكتوبر عام ١٩٤١، نشرت وثيقة بعنوان (خطوط عامة للسياسة الصهيونية) تحوي ما يشبه (الكروكي) أو (التخطيط) المبدئي لهذه السياسة كما تصوره دافيد بن جوريون، جاء فيها بالحرف الواحد: (إن أراضي النقب القاحلة.. وكلك مياه نهري الأردن والليطاني يجب أن تكون مشمولة ضمن حدودنا). وبالطبع فإنه في ذلك الوقت الذي قال فيه بن جوريون ذلك - أي في عام ١٩٤١ - لم يكن هناك وجود فلسطيني مسلح في لبنان.. ولم تكن الصواريخ الفلسطينية - كما زعم الإسرائيليون في مجال التمهيد لاحتلال الجنوب - تنطلق من الأراضي اللبنانية. بل لم تكن إسرائيل قد وُجدت بعد.

وفي الحقيقة.. فإن ما ذكره بن جوريون في مخططه على هذا النحو.. لم يكن أكثر من ترديد لمطامع صهيونية سبق الإشارة إليها عام ١٨٦٠ عندما ناقش زعماء الصهاينة وزعماء الحركة الصهيونية إمكانية توسيع الرقعة الزراعية في فلسطين اعتمادا على المياه المتوافرة شمالي فلسطين.. وهو الأمر الذي حفز هؤلاء الصهاينة إلى السعي - بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة - لإقناع حكومات فرنسا وإنجلترا وإيطاليا بتوسيع حدود فلسطين الشمالية لتشمل الأراضي التي تنبع منها روافد نهر الأردن وتلك التي يمر فيها نهر الليطاني.

وقد ذكر (ونستون تشرشل) في إعلان له عام ١٩٤١ أن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية رسميًا بأن تطلق أيديهم في فلسطين كلها. وكذلك جنوبي لبنان الذي يجري فيه الليطاني، مقابل أن تضع الصهيونية العالمية كل إمكانياتها في خدمة الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية

والذي يفتش في مذكرات زعيم الحركة الصهيونية (وايزمان)[1] والتي نشرت عام ١٩٤٩ . يجد اعترافًا هامًا لهذا الرجل يقول فيه، (إنه اجتمع خلال انعقاد مؤتمر السلام في باريس سنة ١٩١٩ بالجنرال جورو لإقناعه بأهمية نهر الليطاني بالنسبة لفلسطين). وبالفعل فقد نجحت المساعي الصهيونية في تعديل حدود فلسطين الشمالية عام ١٩٢٢، فأدخلت ضمن فلسطين بعض القرى اللبنانية القريبة من نهر الليطاني مثل (صلحا) و(هونين)

نهر الليطاني هو المطلب الملح ، والمياه هي الحاجة الماسة إذن - وإن لم يكن ذلك هو كل شيء يراد من أجله الجنوب اللبناني بالطبع - لكنه المطلب الذي أصبح الآن المشكلة التي لا بد أن تنتهي إسرائيل منها.

الساتر التضليلي

وبعد فك الحصار عن بيروت والانسحاب إلى الخلف إثر المواجهات الشرسة مع المقاومة اللبنانية.. والعمليات الفدائية التي أفقدت إسرائيل أحلامها في السيطرة على لبنان.. شرعت الدولة الصهيونية في إقامة الشريط الحدودي لمسافة تزيد عن ٢٥ كيلومترًا في المتوسط داخل الأراضي اللبنانية.. وأطلقت على هذه المنطقة اسم (المنطقة العازلة) حيث كثفت من وجودها العسكري.. وأقامت حوائط استراتيجية تحمي حدودها ومستوطناتها من هجمات اللبنانيين . وبالأخص (حزب الله).

وساعد إسرائيل في السيطرة على الجنوب اللبناني الموقع الجغرافي ذي التضاريس الصعبة . وعدد كبير من المتعاونين الأصدقاء . فقد كانت تحكم

(١) حاييم وايزمان: هو خليفة هرتزل في زعامة اليهود، وأول رئيس لدولة إسرائيل. وهو روسي المولد والجنسية، عمل أستاذًا للكيمياء في جامعة مانشستر، ثم حصل على الجنسية البريطانية، وسعى من خلال علاقاته الواسعة للحصول على وعد بلفور، والاستيلاء على فلسطين.

الجنوب اللبناني ميليشيات مسلحة (Milice)[1] عرفت بخيانتها وتعاونها سرًا مع الصهيونية منذ قامت إسرائيل عام ١٩٤٨، وجهرًا بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢.. وكان يتزعمها اللواء سعد حداد الذي فر بجلده إلى فرنسا وعاش مزويًا يعاني الوحدة والمرض، حتى مات بباريس عام ١٩٨٤، ليخلفه خائن آخر هو اللواء أنطوان لحد، المحكوم عليه غيابيًا بالإعدام رميًا بالرصاص مع بضع مئات من ضباطه وجنوده.

هذه الميليشيات ، عرفت باسم (جيش لبنان الجنوبي) . الذي يتلقى الدعم المادي والعسكري من إسرائيل لحماية حدودها الشمالية من العمليات الفدائية. ومن التسلل إلى داخل حدود الدولة لضرب مستعمراتها. وقد لا يكون صعبًا تجنيد بعض العملاء المحليين الذين يتساقطون فعل الإغراءات المالية.. كما أنه ليس مستحيلا على ضباط الموساد إقامة شبكات منهم وزرعهم في المناطق الحساسة بالنسبة إلى إسرائيل..

والأساس في كل ذلك.. امتلاك فهم عميق لطبيعة المجتمع اللبناني في تفاصيله الطائفية والمذهبية وصراعاته السياسية (كما أسلفنا من قبل).. ساعد الإسرائيليين على ربط الأواصر الاستخباراتية لتتسع في النهاية دائرة البنية الاختراقية الإسرائيلية في لبنان..

ومن هنا.. فإن الخرق الأمني الإسرائيلي انطلاقًا من الشريط الحدودي المحتل اتصل بضاحية بيروت الشرقية في السبعينيات.. وبالمخابرات الدولية في قبرص وراء البحر.. وكلا الخطين.. كانا يغذيان شبكات المعلومات والاستطلاع في بيروت والعمق اللبناني.. وكان أوري لوبراني – مايسترو اللعبة – الذي يضبط إيقاعات التعاطي الأمني والسياسي والعسكري مع جيش لبنان الجنوبي.. ويرتبط به مباشرة قائد المنطقة الشمالية.. وقائد وحدة الارتباط.. وهو الذي يوزع المسئوليات داخل الشريط المحتل تبعا لآليات التدرج.

---

(١) Milice (من كلمة Militia اللاتينية وتعني الخدمة العسكرية). والميليشيا هي فرق أهلية مسلحة تتبع بعض الأحزاب ، أو تنشأ في زمن الحروب ومقاومة المحتل ، أو لدعم قوى الجيش والشرطة.

كان لوبراني أيضًا يمسك بجميع الخيوط الظاهرة والمستورة.. ويلعب دورًا أساسيًا في الهيكلية الأمنية والاستخباراتية.. معتمدًا على جهاز أمني خاص به اسمه (الشافاك). كل هذه الأذرع الأخطبوطية تلتقي داخل الوحدة (٥٠٤) التابعة لجيش لبنان الجنوبي[1].. التي تتعامل مباشرة مع شبكات الجواسيس تجنيدًا.. ومتابعة.. وتخريبًا.. وتعتمد على ضباط وحدة الارتباط كوسطاء لاصطياد العملاء.

وهذا يعني أن مجمل الهيكلية الاستخباراتية تنطلق من المنطقة المحتلة. وتحديدًا من ثكنتي مرجعيون وبنت جبيل.. وهذه الأخيرة هي المفصل الرئيسي في العملية التجسسية.. ومنها تنطلق العمليات والتعليمات.. وفيها يمر كل الجواسيس المكلفين بالقيام باختراقات أمنية في العمق اللبناني ضد قيادات حزب الله. ولما نجحت أجهزة أمن حزب الله في تفكيك العديد من الشبكات والخلايا.. كانت الموساد تعود بعد كل هزيمة بأساليب جديدة في التجسس.. وتنظيم الخلايا.. وربطها بقاعدة خلفية في قبرص أو تركيا.. وهو ما يسمى في عالم المخابرات والجاسوسية (الساتر الدولي التضليلي).

ولإحكام الاتصال الجيد بين محطات الأذرع المخابراتية وشبكاتها في لبنان.. استعانت الموساد بالانترنت.. وعملت على توظيف صفحات التعارف لإغراء الشباب اللبناني.. وتكون البداية عادة بصورة لفتاة حسناء تسعى إلى لقاء شاب لبناني في أي مكان من العالم.. وتبدي استعدادا لدفع تكاليف الرحلة.. كما لجأت الموساد أيضًا إلى خطة (المربعات) في لبنان.. وهي التستر وراء تسميات وهمية ذات أبعاد إنسانية واجتماعية.. ويقود كل مربع منسق محترف

---

(١) يقع مقر الوحدة (٥٠٤) ببلدة (الخيام) حيث يوجد معتقل الخيام الذائع الصيت، والذي قتل وعُذِّب وسجن الآلاف داخله. كان سجن الخيام معتقل قديم من أيام الاحتلال الفرنسي للبنان. ومع الغزو الصهيوني أعيد استخدامه كمعتقل للرجال والنساء. وبعد الانسحاب الصهيوني تكشفت حقائق مثيرة عما كان يجري داخل المعتقل الذي يطل على الجولان ومزارع شبعا، حيث التعذيب البشع وباساليب سادية وحشية لانتزاع الاعترافات من المعتقلين اللبنانيين عن صلتهم بحزب الله والمقاومة، وكتبت على الحوائط داخل الزنازين مئات الأسماء لمعتقلين تحمل قصة كل واحد منهم مأساة لا يصدقها عقل.

مدرب تدريبًا فائقًا.. وكان رجاء ورد ، الرجل الثاني في الوحـدة (٥٠٤)، أحـد هؤلاء المحترفين، والذي كان وراء تجنيد المئات من الخونـة في لبنـان.. فتتلمـذ علـى يديـه رينيـه البيـاضي.. ضـابط المخـابرات الداهيـة.. الـذي أجـاد لعبـة التخفي.. وتقمص شخصيات اجتماعية ودينية أبعد ما تكون عن الشبهات

لا ثالث لهما

وبـالرغم مـن هـذه المنظومـة الاسـتخباراتية والعسـكرية المعقــدة.. لم يشــعر الإسرائيليون بلحظة أمن واحدة.. إذ اخترقت المقاومـة اللبنانيـة هيكليـة جـهاز الاستخبارات الإسرائيلي.. وقرأت ملفاته وثيقة حللت عملياته وكشـفتها.. ممـا عرى منظومة الأمن وحطم حلم الإسرائيليون في السيطرة على الجنوب.. وكـانت حرب العصابات أشرس ما توقع العدو.. من حيث التخطيط والتنفيذ والنتائج

يقول الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله

(عادة في حرب العصابات من لا يملك القدرة الدفاعية على مواجهـة العـدو، يمكنه أن يخفف من أهمية سلاح الجو من خلال إخفاء الأهداف والابتعـاد عـن المظاهر. وهذه من نقاط قوة المقاومة الإسلامية.. إن المقاومة في لبنان كانت دائمـا بعيدة عن كل أشكال الاستعراض. ليس لها قواعد عسكرية وثكنات، ولا يهمها أساسا هذا المظهر العسكري، فنحن نحمل السلاح عندما نقاتل العـدو في الأرض المحتلة. أما في داخل البلد الذي ينعم بالأمن والاستقرار فنحن أبنـاء هـذا البلـد نعيش كما يعيش كل الناس.

إذا، عزل العدو عـن تشـخيص الأهـداف يُضـاف إلى ذلـك وعـي حـزب الله وحذره الدائم من أن يقدم أهدافًا جـاهزة لسـلاح الجـو الإسـرائيلي، مدعـاة لأن يجعل هذا السلاح غير قادر على فعل الكثير.

في الأساس قناعتنا، لا، بل معرفتنا، أن الإنسان الإسرائيلي هو إنسـان غـير شجاع، والضباط والجنود الإسرائيليون لا يتحلون بالشجاعة التي تحدث عنـها

البعض أو سُوّق لها في وسائل الإعلام خلال عقود من الزمن. في الحقيقة خلال ٥٠ عامًا لم تكن إسرائيل هي القوية ولم يكن جيشها هو القوي بقدر ما كان العرب هم الضعفاء. في التجربة منذ العام ١٩٨٢، ونحن لنا تجارب قتال مع هذا الجيش. ماذا يعني جيش مؤلف من ضباط وجنود يذهبون إلى القتال ولا يريدون أن يموتوا؟ بإمكانك ببساطة أن تفهم قوة هذا الجيش ومعنوياته.

أساسًا، العسكري أو المقاتل، تنبع قوته ليس من نوع السلاح الذي يحمله بقدر ما تنبع من إرادته، وجرأته، وتصميمه، وشجاعته، وإقدامه على الموت، فمن يذهب إلى القتال وهو ممتلئ بأمنية العودة على قيد الحياة لا يمكنه أن ينجز أو يحقق الكثير، وهذه هي النقطة المركزية.. هذا الذي شاهدناه وخبرناه وقرأناه، والذي يشير إلى أن هؤلاء الناس هم حريصون على أن يبقوا على قيد الحياة. في مقابل ذلك ، نذهب نحن إلى القتال، وتجدنا من الحريصين على النصر وتعشق قلوبنا الشهادة أيضًا.. نحن لا نهاب الموت بقدر ما نأنس به إذا جاءنا. وهنا نقطة القوة في المقاومة.

الجندي الإسرائيلي عندما يتحرك في الشريط الحدودي المحتل يكون مجهزًا بأحدث التجهيزات ويرتدي درعًا من رأسه إلى أخمص قدميه، وهو مدجج بأفضل السلاح وعلى اتصال دائم بكل مجموعة، فضلا عن أن سلاح الجو هو على اتصال مباشر مع المجموعة العسكرية التي تتحرك على الأرض من أجل تأمين التغطية للانسحاب أو إنقاذ الجرحى.. إن هذا يعني أن الجندي الإسرائيلي مجهز بأفضل التجهيزات والتقنية والإسناد، بالمعنى العسكري بأفضل الأحوال في جيش متطور وحديث، ولديه إمكانية الرؤية الليلية والطائرات الاستطلاعية التي تقدم له الصور..

ونوعية الجيش والقوات الإسرائيلية التي كانت في جنوب لبنان هي من نوعية النخبة، وأحيانًا نخبة النخبة، وهذا يشكل نقاط قوة وتقنية متقدمة لدى

الجيش الإسرائيلي غير أنه لم يستطع على رغم كل ذلك إنجاز الكثير بسبب نقطة الضعف الأساسية لديه، وهي الحرص على الحياة، وأستطيع القول إن الجندي الإسرائيلي لديه جبن لا مثيل له في العالم ولدينا شجاعة المجاهدين وإقدامهم المنقطع النظير، وعلى الرغم من إمكانياتنا المتواضعة لدينا دائما التفوق في الإيمان والإرادة والشجاعة).

دخلنا أفران الغاز في لبنان

وأمام الاستنزاف اليومي - بشريًا وآليًا - في الجنوب اللبناني.. حاولت إسرائيل بوساطات دولية . عقد اتفاق سلام مع اللبنانيين تنسحب بموجبه إلى داخل أراضيها.. لكن الدبلوماسية اللبنانية كانت أذكى من أن توافق.. وما كان لإسرائيل إلا أحد حَلَّين لا ثالث لهما.. البقاء في الجنوب اللبناني مما يعني مزيد من الخسائر اليومية والقتلى.. أو الانسحاب غير المشروط الذي تجلله الفضيحة

وعلى ذلك أخذت مشكلة التواجد الإسرائيلي في جنوب لبنان تتعاظم يومًا بعد يوم.. وعامًا بعد عام.. وباتت (كارت) الرهان الأول لحسم الانتخابات الإسرائيلية بعدما كانت أصوات عرب ١٩٤٨ دائما في المقدمة.. ومَثَّل الجنوب اللبناني - بإجماع الدراسات الاستراتيجية العالمية - قمة الأزمات العسكرية والسياسية في إسرائيل

ومع عجز حكام إسرائيل عن إيجاد حل للأزمة.. تواصلت التصريحات الكثيفة للسياسيين والعسكريين وهم يشيعون جثث قتلاهم التي شكلت جسرًا جويًا متواصلات بين جنوب لبنان وإسرائيل.. وبات من الواضح أن هناك تخبط كبير في اتخاذ قرار الانسحاب من عدمه.. وكان آخر صوت إسرائيلي. صارخ

دعا إلى الخروج من المستنقع اللبناني هو صوت شارون[1] نفسه الذي قاد الجيش الإسرائيلي لغزو لبنان عام ١٩٨٢ (إننا بحاجة إلى حكومة أزمة للتوصل إلى قرار بشأن انسحاب من جانب واحد.. واتفاق سلام مع الفلسطينيين واللبنانيين).

أما إيهود باراك، فقد اقترح عام ١٩٩٨ سحب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان خلال أشهر معدودة.. وألا يزيد الوقت عن عام واحد.. ويصرخ بنيامين نتانياهو: (نعم.. نريد ان نترك لبنان.. لكننا نريد ضمانًا بعدم لحاق لبنان بنا..). في إشارة إلى إمكانية انتقال هجمات حزب الله إلى شمال إسرائيل.

أما الصحف الإسرائيلية فقد امتلأت صفحاتها بآراء وصرخات تطالب بالانسحاب الفوري تفاديًا لعمليات القتل اليومي للجنود الإسرائيليين والضباط.. خاصة بعد مقتل الجنرال (إيريز جيريشتاين) نائب رئيس الأركان وقائد المنطقة الشمالية.

---

(١) كان ارئيل شارون وقتها وزيرا للخارجية.. ولد شارون في ٢٧ فبراير ١٩٢٨ في تل أبيب لأبوين من المهاجرين اليهود السوفييت.. وانضم لمنظمة الهاجانا الإرهابية قبل قيام إسرائيل.. وفي عام ١٩٦٢ انتحرت زوجته الأولى مارجاليت عندما اكتشفت أنه على علاقة بشقيقتها ليلى التي تزوجها بعد ذلك. وفي مطلع الخمسينيات كان قائدا للوحدة العسكرية ١٠١ التي تضم نخبة الكوماندوز.. وفي عام ١٩٥٦ ارتكب أخطاء عسكرية في سيناء وتسبب في مقتل ٤٠ إسرائيليا بنيران مصرية بخلاف مئات الجرحى.. وكان قبلها قد ارتكب مذبحة قبية بالأردن عام ١٩٥٣. وفي ١٩٥٤ كاد أن يلقى مصرعه على أيدي المصريين في دير البلح. وبعد ١٩٥٦ منع من الترقي في الجيش واتهم بأنه جبان وأحمق.. فسافر لاستكمال دراسته العسكرية في لندن.. ثم حصل على ليسانس الحقوق من الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٦٢ وأخذ يتناوب على أهم المناصب القيادية في الجيش.. وشارك في حرب ١٩٦٧ وعين في ١٩٦٨ قائدا للجبهة الجنوبية وكان سببا في ثغرة الدفرسوار في حرب ١٩٧٣ مما رفع من شأنه في المؤسستين العسكرية والسياسية.. وشارك في تأسيس حزب الليكود بعد الحرب وأصبح عضو كنيسيت لأول مرة عام ١٩٧٤ ثم مستشارا أمنيا لرئيس الوزراء رابين عام ١٩٧٥ ثم وزيرا للزراعة في حكومة بيجين وبعدها وزيرا للدفاع وبعد تولي منصبه بتسعة أشهر قام بغزو لبنان عام ١٩٨٢.. وعين عام ١٩٩٠ وزيرا للإسكان لمدة عامين ثم وزيرا للخارجية عام ١٩٩٨ في عهد نتانياهو بعد استقالة ديفيد ليفي وأخيرا رئيس وزراء عام ٢٠٠١.

وفي الأجهزة الأمنية كانت الآراء تطالب بالانسحاب أيضًا.. شاؤول موفاز (وكان رئيسا للأركان في ١٩٩٩)، ورئيس جهاز الأمن الداخلي (شاباك) عامي إيالون.. وعميرام ليفين رئيس الموساد.

نشطت أيضًا الجمعيات البحثية في استقصاء الآراء.. حيث ارتفعت نسبة المطالبين بالانسحاب في سبتمبر ١٩٩٨ من ١٨٪ إلى ٤٠٪.. ومع انقسام المجتمع الإسرائيلي حول هذه القضية.. بات الوضع أكثر سخونة.. وعلت هتافات المتظاهرين أمام مقر رئيس الوزراء - نتانياهو - وكانت في مقدمتهم (جوفرة مايرسون) زوجة الإرهابي السفاح (روفائيل إيتان) الذي وصف العرب بالصراصير.. داعية إلى الخروج من المأزق الإسرائيلي في جنوب لبنان

وفي هذا السياق .. كانت هناك قراءة جديدة للسياسة الإسرائيلية.. تشير بوضوح إلى أن إسرائيل تسعى - وللمرة الأولى - وبمبادرات منها إلى الخروج من أرض عربية احتلتها.. وباتت جحيمًا بالنسبة إليها. فإسرائيل عادة تحتل الأرض ولا تعود تتزحزح.. ولو تدخلت جميع الدول.. والمنظمات الدولية.. والأمم المتحدة.

ذلك أن المقاومة اللبنانية فرضت نفسها على إسرائيل في العمق.. وبات الجميع يصرخون لكنهم عاجزون.. ويقترحون.. ويناورون.. وفي النهاية تحولت مشكلة الجنوب اللبناني إلى ورقة رابحة في الانتخابات الإسرائيلية.. فالنجاح لمن يضمن الهدوء في شمال إسرائيل وليس لمن يلجأ للتصعيد العسكري.. وهذا ما جعل السباق الانتخابي سباقًا على الالتزام بالانسحاب من الشريط المحتل.

هذا ما جعل (إيتان هابر) - وكان من أبرز مساعدي رابين - يتساءل (لماذا ليس لدينا حل.. نحن الذين نمتلك القنابل الذرية.. نحن الذين حررنا الرهائن في عنتيبي.. نحن الذين أخذنا الرادار السوفييتي من تحت أنوف المصريين.. نحن الذين قتلنا قادة الفلسطينيين على أسرتهم بجنود في ثياب نساء.. لماذا ليس هناك حل.. لقد جربنا كل شيء في لبنان..)

هذا التشاؤم يشبه تشاؤم الكاتبة اليهودية (روبرتا شتراوس) صاحبة كتاب (مصير اليهود) الذي جاء فيه (في جنوب لبنان يبدو كل فرد كما لو أنه يقاتل الجيش الإسرائيلي كله.. ويبدو الجيش الإسرائيلي وكأنه يقاتل فردا واحدا.. ففي جنوب لبنان ارتكبنا السقطة الاستراتيجية.. لقد دخلنا إلى أفران الغاز لكن برغبة منا كاملة وحمقاء منا نحن..).

إلا أن حكام إسرائيل تجاهلوا رأي الكتاب والمحللين.. وصراخات المتظاهرين في الشوارع وعلى صفحات الجرائد اليومية.. فقد كانت قواعد اللعبة هي في طبيعة الدولة الإسرائيلية نفسها.. فهي الدولة ذات الميزانية العسكرية الأضخم في التاريخ العالمي بالمقارنة مع حجمها.. وسكانها.. ونتاجها.. والتي ترتبط بالقوة العسكرية في أساس وجودها.. وعلى ذلك.. ظهرت اقتراحات تعارض الانسحاب كلية.. لما فيه من إساءة لسمعة جيش الدفاع الإسرائيلي القوي.. بل انسحاب جزئي من الحزام المحتل وإقامة حزام أمني جديد بعمق ٢ أو ٣ كيلومترات من الحدود الدولية.. ويقضي ذلك بإنشاء سياج إلكتروني وعوائق معقدة على طول الخط الجديد

قدمت أيضا اقتراحات أخرى من بينها الاستمرار في الوضع القائم.. أو القيام بعملية عسكرية واسعة.. أو .. الانسحاب الكامل من طرف واحد

وأمام تباين الآراء العسكرية والسياسية.. وأصوات المطالبة الشعبية والحزبية العالية بالانسحاب.. مدعومة برؤية إعلامية تضامنية.. هدأت حدة التصريحات بعدم الانسحاب.. وظهرت مشكلة جديدة ما كانت تخطر يومًا ببال.. مشكلة أكثر من ثلاثة آلاف من أفراد جيش لبنان الجنوبي.. وجميعهم تنتظرهم أحكام قضائية قاسية في بيروت.. إلى جانب أحكام الإعدام بحق مائة ضابط منهم على الأقل.. حيث يصف حزب الله قوات لحد (بالجواسيس الذين يجب القصاص منهم).. ليس هذا فحسب.. بل إن هناك أسر هؤلاء الجنود الذين عاشوا

سنوات طويلة في كنف إسرائيل ونسوا أنهم لبنانيين.. وعدد هؤلاء بالآلاف وتلاحق أغلبهم عقوبات القانون اللبناني.. بدعوى أنهم أيضا (جواسيس).

أصدقاء حلف الدم

لقد فشلت المساعي الإسرائيلية في الضغط على أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان من أجل أن تتدخل المنظمة الدولية لإيجاد مأوى لجواسيس الجنوب، بعدما أعلن رسميًا في لبنان بأن الإعدام هو النهاية الحتمية لهم.. في ذات الوقت رفض كبار الأطباء النفسيين في إسرائيل مجرد تفكير الحكومة الإسرائيلية في استيعابهم، ذلك لأن شخصية العميل الخائن والجاسوس شخصية سيكوباتية Psychopath في علم التصرفات النفسية، وأنه طالما افتقد حياة الحرب الدائمة التي اعتادها مع المحيطين به، فلسوف يحاول دائما افتعالها حتى يهدأ نفسيا.

حتى مع ظهور رأي ينادي بنقل هؤلاء الخونة إلى دولة أوربية، فالصعوبة كانت تكمن في كيفية إقناع تلك الدولة بفكرة استيعاب آلاف من المرتزقة Mercenarles والجواسيس، الذين من المؤكد أنهم سينقلبون على الدولة المضيفة فور استقرارهم على أراضيها.

هكذا تصاعدت مشكلة خونة الجنوب، وأثيرت مع تزايد العمليات الناجحة التي ينفذها مجاهدو المقاومة الإسلامية. ومع سقوط العشرات من ضباط العدو وجنوده قتلى في الجنوب، أصبح من الواضح أن مصير قوات جيش لبنان الجنوبي سوف تتركه إسرائيل لعوامل الظروف. لكن يأتي خوف ضباط جيش لبنان الجنوبي وجنوده على مصيرهم، إذا ما تم انسحاب مفاجئ، عاملاً مهمًا دفع الكثيرين منهم إلى التعامل مع السلطة اللبنانية وحزب الله.. وحتى مع الفلسطينيين أيضًا.. في سعي يائس للبحث عن الاستقرار الضائع منذ سنوات طويلة.

وهذا ما دعا أيضًا عددًا من قيادات مخابرات جيش لبنان الجنوبي إلى الفرار بداية من عام ١٩٩٨ إلى بيروت.. حاملين معهم معلومات دقيقة وخطيرة.. كشفت النقاب عن شبكات تجسس وعمليات سرية إسرائيلية في العاصمة. الأمر الذي سهل اعتقال العديد من هؤلاء

وفي ٢٠ مايو ٢٠٠٠ ، فجرًا، وتحت أستار الظلام.. هرب الجيش الإسرائيلي بشكل فجائي من جنوب لبنان إلى داخل حدوده، بعدما فكك القليل من آلياته وأجهزته، بما يوحي أن قرار الانسحاب كان فجائيًا ولم يعلم به الضباط الكبار في الشمال إلا قبل ساعة الصفر بدقائق قليلة.. فقد خلف العدو وراءه العديد من المركبات والمدرعات والمجنزرات المختلفة.. وتلك التي كانت قيد الإصلاح والصيانة بالورش.. وكان منظر الثكنات بما تركوه بداخلها من ملابس وأطعمة وأدوات معيشية وشخصية.. يدل بشكل أكيد على فجائية القرار بالانسحاب الفوري بكل ما يمكن أخذه أو حمله.

والمثير أن جنود الاحتلال أمام فرحة الهروب الليلي من جحيم لبنان.. تركوا الكثير من الأسلحة في شكل مدافع ورشاشات إلى جانب صناديق معبئة بالذخيرة والمتفجرات.

ومع تحرك أرتال الهروب الأولى.. حدث انهيار لجيش لبنان الجنوبي[1] ،

---

(١) خلال عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧ انتقلت شرارة الحرب الأهلية اللبنانية إلى الجنوب اللبناني.. ففي حينها كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أحكمت سيطرتها على القرى المحاذية للحدود مع إسرائيل.. ومن بينها القرى المسيحية التي انضم العديد من أبنائها إلى حزب الكتائب الذي يعارض الوجود الفلسطيني في لبنان.. وقام بعد ذلك بذبح الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا بمباركة إسرائيلية مع غزو ١٩٨٢ للبنان.

هذه العناصر المسيحية الجنوبية.. تنامت قوتها تدريجيا.. ومع التسليح الإسرائيلي شكلت نواة ما سمي بعد ذلك (جيش لبنان الجنوبي) إلا أنه كانت هناك نواة ثانية مشكلة من عناصر الجيش اللبناني بقيادة الرائد سعد حداد مكلفة بحماية القرى المسيحية في الجنوب.. وفي عام ١٩٧٨ اجتاحت إسرائيل لبنان حتى نهر الليطاني ثم عادت وانسحبت وأمدت سعد حداد بالسلاح وخبراء التدريب.. ثم رسمت خريطة الشريط الحدودي وأعلن سعد حداد قيام (دولة لبنان الحر) وأطلق على جيشه الموالي لإسرائيل (جيش لبنان الحر) الذي أصبح الواجهة اللبنانية في المنطقة تحت احتلال إسرائيي.. ثم تحول إلى (جيش لبنان الجنوبي) .

أسست إسرائيل بعد ذلك مجموعات عسكرية في القرى الحدودية المختلفة.. أطلقت عليها اسم (الحرس الوطني) وكانت علاقة الحرس الوطني بجيش لبنان الجنوبي متفاوتة تبعا لظروف طائفية وجغرافية.. حيث أرادت إسرائيل من وراء دعمها المتعاظم للحرس الوطني الإيحاء لجيش لبنان الجنوبي بوجود قوى أخرى يمكن =

وتملكت قائد القطاع الأوسط - روبين عبود - حالة من الصراخ الهستيري لم تهدأ حتى بعدما نقل لقسم الأعصاب بمستشفى مرجعيون.. وفر آخرون من الثكنات إلى بوابة (الجدار الطيب) طالبين الدخول إلى إسرائيل.. ونقلت إحدى شبكات التليفزيون وقائع مداهمة منزل أنطوان لحد ومكتبه في مرجعيون.. وازدحمت بوابة (كفر كلا) بعناصر الميليشيا الفارة لإسرائيل.. ترتسم على وجوههم علامات الرعب والإرهاق وخطوط الصدمة.

فحسب الأوامر الإسرائيلية أجبروا على ترك سياراتهم بالساحة والطرقات المؤدية للبوابة ففي لحظة مباغة من عمر الزمن.. ذاب (حلف الدم)[٢] بين ميليشيات لحد وبين الجيش الإسرائيلي.. وهرب ٦٥٠٠ لبناني يعيشون كلاجئين في إسرائيل.. يمثلون أفراد جيش لبنان الجنوبي وعائلاتهم وأقاربهم.. الذين انهاروا وهرعوا فارين من وطنهم إلى المجهول.

بكاء مضفر بالندم

لقد تغابوا عندما رأوا ما حدث لعملاء إسرائيل من الفلسطينيين بعد دخول منظمة التحرير الضفة الغربية وغزة.. حيث جرى إعدامهم بالشنق على أعمدة

= الاعتماد عليها. وبعد هروب سعد حداد إلى باريس أدمجت إسرائيل القوتين تحت القيادة الرسمية لميليشيا أنطوان لحد مع غلبة مسيحية في القيادة.

وفي دراسة غير منشورة أعدها الإعلام الحربي لـ (حزب الله) عن تركيبة ميليشيا لحد.. فقد قسمت إلى لواءين:

الأول، هو (الغربي) .. ويقوده عقل هاشم (ماروني) .. وهو الشخص الثاني في الجيش.. وينقسم اللواء إلى ثلاثة أفواج ، اثنين شيعيين.. والثالث ماروني .

الثاني، هو (الشرقي) .. ويقوده علم الدين بدوي (درزي) وينقسم إلى أربعة أفواج.. اثنين مارونيين.. وثالث درزي.. ورابع أرثوذكسي.

هذا ويتألف جيش لبنان الجنوبي كما تقول الدراسة.. من نحو ثلاثة آلاف عنصر، ٦٠ ٪ منهم من الطوائف الإسلامية، و٤٠٪ من الطوائف المسيحية ..!!

(٢) حلف الدم تم الاتفاق عليه لتأمين الاستقرار لكلا الفريقين.. بمعنى أن يحمي جيش لحد شمال إسرائيل.. في حين تحمي إسرائيل جيش لحد وتزوده بالسلاح والتدريب والأموال والحماية.. أي أن حلف الدم اتفاق ضمني يقضي بالدفاع المشترك ووحدوية الهدف والمصالح .

الكهرباء.. لكنهم لم يتعلموا الدرس.. وأقنعوا أنفسهم بأنهم مختلفون في نظر إسرائيل.. وفجأة يكتشفون المصيبة.. فالجيش الإسرائيلي يتركهم ينهارون فجأة ويهربون من وطنهم دون أن يستطيعوا حمل حقيبة ملابس أو زجاجة ماء. أو يتمكنوا من لملمة عائلاتهم

وما هي إلا لحظات، حتى وجدوا أن إسرائيل التي عرفوها وخدموها خلال ٢٥ عاما لم تعد تلك الدولة العظمى المساندة المساعدة: (لم أصدق ما رأته وتراه عيناي حتى الآن) يقول أحد كبار ضباط ميليشيات لحد الذي يعتبر اليوم محظوظًا[١]، إذ أسكنوه في فندق صغير في بلدة نهاريا الساحلية في الشمال الإسرائيلي. ويضيف: (طلبوا مني الهرب باتجاه إسرائيل فورًا وبلا تأخير. فحسبت أنني مدعو لاجتماع،وفي الطريق عرفت أن عائلتي أيضًا استدعيت إلى إسرائيل فاستغربت. وصلت إلى حاجز الجدار الطيب وجدت طابورًا طويلاً من الناس ينتظرون ويتدافعون، فحاولت أن أنظم الأمور. لكن الشباب صرخوا في وجهي. لم يحترموني. حسبت أنهم لم يتعرفوا إلى شخصي لكنني وجدت بينهم بعضًا من جنودي. تجاوزت الطابور واقتربت من البوابة طالبًا مقابلة الضابط الإسرائيلي، فصاح بي آمرا:

- عدا إلى نهاية الطابور حتى يأتي دورك.

فعرفته بنفسي وبرتبتي.. فعاد وأمرني بلهجة صارمة:

- عد إلى الوراء ودعنا نعمل.

فاتصلت بهاتفي المحمول بضابط ارتباط إسرائيلي من أصدقائي.. لكنه لم يكلمني وترك لي خبرًا عند سكرتيرته بأنه سيجئ إليّ.. وبدأت أفهم ما الذي يجرى.

ويصل ضابط الميليشيا الجنوبي إلى البوابة.. ويستقبله ضابط استخبارات إسرائيلي.. يجري معه تحقيقا يدوم أكثر من ساعة عن تاريخه وحياته وأقاربه

---

(١) مقتطفات مما جاء بمجلة (الوسط) عددي مايو ويونيو ٢٠٠٠ .

ونشاطه ورتبته.. فهو أيضًا.. بعد ١٨ سنة خدمة متواصلة للإسرائيليين.. مازال مشبوهًا.. فإسرائيل تخشى أن يكون أحد (فدائي) المقاومة اللبنانية قد تسرب إلى هذه الطوابير.. لذلك يخضع الجميع لتحقيق مطول غير مسبوق

أرسل الضابط وبعض رفاقه إلى مخيم فوق جبل (التطويبات) المطل على بحيرة طبرية.. وهي الخيام التي نصبت في المكان نفسه عند زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لإسرائيل.. وهنا قرر أن يتمرد.. فطلب من رفاقه ألا ينزلوا من الباص.. ويهددوا بالعودة إلى الحدود من جديد حيث يوجد الصحافيون ووكالات الأنباء.. وعلى الفور عمد الإسرائيليون إلى تغيير وجهة الباص.. وأخذوا إلى فندق صغير.. وليس إلى فنادق محترمة كما كانوا ينزلون من قبل عندما كان لهم شأن:

(لو كنت أعرف أنني سأقع في يد القضاء اللبناني والدولة اللبنانية وليس في يد حزب الله.. لكنت تركت إسرائيل فورًا وعدت.. أنا مستعد للمحاكمة والسجن.. جهنم لبنان ولا جنة إسرائيل.. لكن من يضمن لي هذا..؟ من يضمن لي أن لا أقتل حالما أصل..؟..)

هكذا تساءل الضابط اللبناني العميل

لبناني آخر.. شاب في السابعة والعشرين من العمر.. ترك قريته (رميش) مهرولاً. لكنه حاول أن يأخذ خطيبته فرفضت.. ويشعر أنه خسرها إلى الأبد.. يقول في حسرة

(كل القرية عندنا تقريبًا خدمت إسرائيل.. من ابن ١٥ سنة وحتى سن الستين.. نشأنا على حبها.. شعرنا أننا إسرائيليون.. نسينا أننا لبنانيون.. ثم فجأة.. خلال بضع ساعات انهار كل شيء.. خانتنا إسرائيل.. طعنتنا في الظهر.. قالت لنا: عمليًا انتهى دوركم.. تعاملت معنا كما يتعامل الناس مع حبة الليمون.. يعصرونها.. يمتصون خيرها.. ثم يقذفون بها إلى سلة المهملات. إنني.. إنني أكره باراك.. أكره إسرائيل..).

وفي الوقت الذي يقيم فيه أنطوان لحد وكبار ضابطه بأرقى فنادق تل أبيب.
يعاني آلاف الفارين من أزماتهم النفسية من جراء العزلة والتجاهل والاحتقار فلا أحد يدري ما الذي قصدته السلطات الإسرائيلية بالضبط، حين جمعت معظم أفراد ميليشيات لحد من أبناء الجنوب اللبناني الفارين وأفراد عائلاتهم، في منتجع رأس الناقورة، على بعد بضع مئات الأمتار من الحدود الإسرائيلية - اللبنانية.

هل هو نوع من التعاطف معهم، وإبقائهم على مقربة من الوطن، يشمون رائحته ويعيشون أجواءه؟ أم هي مكيدة، تهدف إلى جعلهم على أقرب منطقة للهرب باتجاه الشمال إلى بيروت وغض الطرف؟

لكن الأهم من ذلك أنهم ليسوا سعداء. لا بل لا يوجد ما يفرحهم أو حتى ما يرسم على شفاههم البسمة.. وكل يوم يقضونه يزيد من يأسهم وقنوطهم وصعوبة عيشهم ويزيد مشاكلهم في الغربة عن الوطن وأهله، تعقيدًا وراء تعقيد.

يقول أحد الفارين بأسى: (الموجودون هنا، أولئك الذين ما زالت إسرائيل موقنة بأنهم سيغادرون في أقرب وقت إلى لبنان. لذلك يعتبر مكوثهم مؤقتا. يعيشون في غرف فندقية بسيطة. أما الباقون فقد تم نقلهم إلى مواقع أخرى، معظمها مبان سكنية مستأجرة وبعضهم يعيش في غرف فندقية وسط البلاد.

إن الحياة في منتجع الناقورة تضج بالملل.. فكل أسرة تعيش حياة غير مستقرة في غرفة واحدة.. والقائمون على المنتجع يوفرون ثلاث وجبات يومية للجميع. أما الأطفال فبعضهم يتوجه إلى مدرسة أقيمت خصيصًا ويدرسون فيها العربية والعبرية والإنجليزية والفرنسية والتاريخ طبقًا للمنهج التعليمي اللبناني..

أما الرجال فقلة منهم تعمل.. والغالبية يجلسون مع النساء.. يقضون الوقت في الحديث والبكاء المضفر بالندم).

لكن أنطوان لحد في فندقه الراقـي (دان) بتـل أبيـب.. يعيـش حيـاة أخـرى مليئة بالرعب والهلع.. فهو يرتجف كل لحظة خوفا من اغتياله بواسـطة أحـد أفراد جيشه.. لذلك يبحث عن دولة أخرى تحميه.. وأصيب باكتئاب حاد بعد رفض فرنسا قبوله لاجئًا سياسيًا . ليتمكن من اللحاق بعائلته هناك.

إنها أبشع كارثة عاشتها إسرائيل.. كارثة تشبه الكابوس المخيف منـذ غـزو لبنان حتى الهروب منه بشكل مخزٍ أهلك العالم ضحكًا وسخرية وتندرًا

تلك هي فضيحة إسرائيل الكبرى.. ومصيبة أولئك الخونة الذين أطاعوا لحد وخدموها ضد وطنـهم.. وعاشـوا سـنينًا طويلـة يـزودون عـن إسـرائيل ويحمـون ظهرها ضد هجمات حزب الله.. واليوم تنسحق آمالهم.. ويدفن أمنهم وشـرفهم واستقرارهم إلى الأبد..

إنه وجه آخر من وجوه إسرائيل المتعددة.

وجه كشفت عنه مرارة التجربة وغرابتها.

وجه إسرائيل القذر.. وهي تتخلى عن أصدقاء قدامـى.. تعـرف جيـدًا أنـهم خونة جبناء.. باعوا وطنهم من أجل المال.. ولن يكونوا يوما ما أوفياء بـإخلاص لها..!!

فضيحـــة ضـــرب (ليـــبرتـي) في البحـــر المتوسط..!!

(كـان حـادث غـرق المدمـرة الأمريكيــة (مـاين) عـام ١٨٩٨، أحد الأسباب القوية لنشـوب الحـرب الأمريكيـة - الإسـبانية . وبعد ٦٩ عامًـا ، كـان الهجـوم علـى سـفينة التجسـس الأمريكيـة (ليـبرتـي) ، أحـد إفـرازات الصـراع الشرس في الشرق الأوسط من أجل الهيمنة على المنطقة .

إنه الصراع بـين المصالح والنفوذ والتحالفات. صـراع مجنــون لا يخـرج منــه قويًــا إلا الأقـــوى مكـــرًا ودهـــاءً وتـسليحًا.. ويظـل الضعيـف متواكـلاً خـــاملاً.. تطحنــه الهزيمة وتصليه نار الانكسار!!)

لأجل انتزاع الشوكة

عندما سحبت السفينة ليبرتي إلى ميناء فاليتا في مالطة في ١٤ يونيو ١٩٦٧، كانت حالتها في منتهى السوء. فقد أحصى عمال الحوض الجاف بها ٨٢١ إصابة من الصواريخ ونيران المدفعية. وقد أصابتهم الدهشة من أن السفينة كانت لا تزال على قيد الحياة.

تعد ليبرتي من أكبر سفن التجسس الأمريكية والتي يطلق عليها اسم (الأذن الكبيرة)، لأنها مختصة بالتجسس على اتصالات العالم في شتى الجهات، وتحوي أجهزة إلكترونية معقدة ومتقدمة جدًا قادرة على فك الشفرات والتنصت والتسجيل، ويعمل عليها ٢٧١ رجلاً بينهم خبراء تحليل المعلومات، ويقودها الكوماندوز ويليام ماكونال.

وفي ٢٣ مايو ١٩٦٧ عندما أغلقت مصر خليج العقبة[1] أمام الملاحة الإسرائيلية، كانت ليبرتي في مهمة تجسسية أمام الساحل الغربي للقارة الإفريقية، عندما صدرت إليها الأوامر بالتحرك إلى شرق البحر الأبيض المتوسط.. وبعد ١٦ يومًا من الإبحار السريع وصلت السفينة إلى منطقة (غزة) وكان قد مضى على الحرب أربعة أيام.

كانت ليبرتي بآذانها الكبيرة ترصد وتتنصت على المنطقة منذ انفجار حرب ٥ يونيو، واستطاعت اختراق شبكة الاتصالات الإسرائيلية وفك شفرتها، حيث تبين للسفينة أن إسرائيل استطاعت اختراق شبكة الاتصالات المصرية - الأردنية، وتتنصت على اتصالاتهما الشفرية. فقبعت السفينة في البحر تراقب تطورات المنطقة التي يعلوها بركان من الغليان المخيف، وأيضًا تراقب تصرفات

---

(١) قبل أن تغلق خليج العقبة، كانت مصر في ١٦ مايو قد طلبت إلى قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة، والجاثمة في مواقعها منذ عام ١٩٥٧ أن تغادر شرم الشيخ في مدخل خليج العقبة، بغرض إعادة تنظيم لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية، التي كانت الوسيلة الوحيدة لفتح محادثات بين البلدين بطريق مباشر بعيدًا عن الوساطة الأمريكية. (بيير روسي: مفاتيح الحرب. الأسرار الكامنة وراء حرب حزيران ١٩٦٧. دار العربية - بيروت ١٩٧٣).

إسرائيل بعدما دبرت لها المخابرات الأمريكية بموافقة الرئيس ليندون جونسون خطة الضربة الجوية الخاطفة لشل الجبهة المصرية ، حتى يمكن القضاء على جمال عبد الناصر المتغطرس وإسقاط نظامه إلى الأبد.

البحث عن أقنعة

هذا ولم تكن أمريكا تريد لإسرائيل أن تطور هجومها على جبهات أخرى، فهي، وعدت الملك حسين بالأمان، وكان هناك هدف إحراج السوفييت عندما تقوم إسرائيل وحدها بضرب مصر وتدمير جيشها المسلح بكل ما تنتجه الترسانة السوفييتية. ففي ذلك بما لا يدع مجالاً للشك، انتصار أكيد للسلاح الغربي

فبهزيمة الجيش المصري تسقط هيبة عبد الناصر، خاصة عندما تحتل إسرائيل مساحة من الأرض المصرية تكون هدفًا للمساومة، وتركيع القيادة السياسية في مصر التي رؤى أن تتحول إلى (تابع) يدور في فلك السياسة الأمريكية لإيجاد تسوية شاملة مع إسرائيل .

لقد استطاعت أجهزة الاستطلاع الأمريكية وتقارير مخابراتها تكوين صورة حقيقية عن الوضع والاستعداد العسكري على الجبهة المصرية، بحيث تأكدت الثقة في نجاح الضربة الجوية الإسرائيلية الأولى، للقضاء على القوة المصرية وتحطيمها تماما خلال ساعات قليلة. وحدثت أزمة حادة في الإدارة الأمريكية عندما أوضحت المخابرات المركزية في تقرير سريع أن مصر تملك مخزونًا هائلاً من الغازات السامة، وقد تقدم مصر على استخدام هذا السلاح إذا أشعرتها الضربة الإسرائيلية بالعجز وفقدان الاتزان.

وعلى وجه السرعة جرى البحث عن حل لهذه المشكلة . وعند رفع تقرير بهذا الأمر للرئيس جونسون، أمر بشحن كل ما لدى الجيش الأمريكي من الأقنعة الواقية من الغازات. بل والضغط على الألمان لإخراج ٢٠ ألف قناع واقٍ من مخازنها تحملها طائرات أمريكية إلى إسرائيل مباشرة .

وفي ٣ يونيو ١٩٦٧ ، قامت الطائرات الأمريكية بالتجسس على الجبهة المصرية بمقتضى أمر رئاسي ، بعد لصق نجمة داود على الطائرات حتى لا تقع أمريكا في مطب محرج إذا ما سقطت إحدى الطائرات في الأراضي المصرية

لقد أدى ليندون جونسون لعبة الخداع المحكم حتى النهاية. واستطاع تغطية سياسة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال أزمة الشرق الأوسط، التي أراد لها أن تشتعل وتشتعل لتجمد كل أمل في التوصل إلى تسوية بدون الارتماء في أحضانها والانقياد لتوجهاتها ومطامعها.

وفي ٤ يونيو عقد ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي اجتماعًا عاجلاً ضم موشى ديان وزير الدفاع، والجنرال إسحاق رابين رئيس الأركان، ومائير آميت رئيس الموساد، ورئيس المخابرات العسكرية أهارون ياريف، وأبا إيبان وزير الخارجية. وتم استعراض الخطة الاستراتيجية لجيش الدفاع الإسرائيلي وهي : ضربة رئيسية ضد مصر تصيبها بالشلل، وموقف دفاعي ضد سوريا إذا تحركت لتخفيف الضغط على الجبهة المصرية، والامتناع عن مهاجمة الأردن إلا إذا بدأت بالهجوم.

كانت الضربة الجوية ضربة قاضية ، استغرقت ثلاث ساعات ونصف تتابعت موجاتها الثلاث على التوالي بهجوم ١٧٤ طائرة إسرائيلية. وفي الموجة الثانية ١٦١ طائرة. أما الضربة الأخيرة فكانت بـ ١٥٧ طائرة قضت على كل متحرك على أرض مطارات مصر العسكرية. وبجهد ٤٩٢ طائرة إسرائيلية، كما تردد، تحددت تفاصيل المعركة وتقرر مصير الشرق الأوسط كله.

وبعد أن انتهى المطلب العسكري كان هناك مطلب سياسي ملح تريده إسرائيل ، ألا وهو إرضاء غرور أمريكا، وإذلال الجيش المصري وتخويفه إذا ما فكر في القيام بحرب أخرى ضد إسرائيل. وكذلك إهانة النظام المصري بهزيمة جيشه وفقدانه مكان الصدارة في العالم العربي ، والعمل على أن تفقد القيادة السياسية والعسكرية اتزانها ويحدث رفض جماعي للهزيمة قد يعقبه سقوط النظام بالكامل.

لكن المدهش أن العكس هو الذي حدث. إذ تلاحمت الجماهير مع قيادتها في مظاهرات حب عجيبة. وازدادت قوة عبد الناصر على الساحة العالمية ليصبح بالنسبة لأمريكا الشوكة المؤلمة التي تنغص الجسد وتؤرقه ولا تترك له الوسيلة ليفكر في هدوء . ومن هنا كان على أمريكا أن تسعى لانتزاع الشوكة ولو بإجراء عملية جراحية (عسكرية)، تؤتي ثمارها بسرعة وتقلب موازين القوة في المنطقة. وكانت مؤامرة اصطياد عبد الناصر. ومشى عبد الناصر إلى الفخ الذي نصب له ، ووقع فيه

بعد سقوط القدس

إن أمريكا لم تكن ذات يوم دولة راعية للسلام أو داعية إليه. فتاريخها مليئ بالمؤامرات لأجل مصالحها هي فقط. وما حدث للعراق من هجوم واحتلال أمريكي، يؤكد أن الحرب كانت لا أخلاقية بالمرة، وسببها الرغبة في السيطرة على البترول العربي لا من أجل القضاء على أسلحة الدمار الشامل. المسألة إذًا ليست ضغوطًا يهودية على صانعي القرار هناك بقدر ما هي رؤية بعيدة للتوسع وحماية مصالح وبسط نفوذ. إنها لعبة السياسة والمخابرات ونمو المصالح والقوة. أمور لازلنا نعاني من آثارها علينا حتى هذه اللحظة وننقاد غصبًا عنا إلى جب لا نهاية له من الضعف والتفكك والتخاذل، في حين تدور إسرائيل في فلك الاستقواء والسطو والاغتيالات والتبجح، تدفعها أمريكا للمزيد من إرهاب الدولة، وإلى مزيد من التقرصن المشروع في المنطقة، عملاً بالمثل العربي الذي يقول: (اضرب المربوط...).

من هذا المنطلق.. اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي بعد الضربة الأولى للقواعد والمطارات المصرية، وكان القرار بالإجماع: القدس غدًا. فتعهدات أمريكا للملك حسين أو لكل العرب لن توقف الزحف الإسرائيلي في المنطقة لابتلاع الضفة الغربية والقدس. لذلك رأت إسرائيل أنه يجب عليها أن (تكسر) الإشارة

الحمراء في غمرة انتصارها الساحق حتى ولو كان في ذلك تعارضًا مع المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط.

وتقول التحليلات، بأنه أمام تخوف الولايات المتحدة من إقدام إسرائيل على توسيع جبهات القتال وضم الأراضي بالمخالفة لأوامرها المتفق عليها، كان قرار إرسال السفينة ليبرتي إلى المنطقة، لمعرفة دقائق ما يجرى على الجبهة الأردنية، وذلك بكسر الشفرات وتحليلها، وإرسال تطورات النوايا الإسرائيلية[1] أولاً بأول إلى قاعدة فورت ميد بأمريكا، دون مرور بقيادة الأسطول السادس الأمريكي بالبحر المتوسط. أو قائده ويليام مارتن الذي يتولي القيادة على ظهر المدمرة ليتل روك.

وفي تحقيقات لجنة الكونجرس التي بحثت في أسباب الهجوم الإسرائيلي على ليبرتي، تبين أن إسرائيل كانت تطبخ الرسائل الشفرية المتبادلة بين مصر والأردن بعد أن تعترض البرقيات، وتحول معانيها في لحظات وتعيد إرسالها على نفس الترددات، بما يضلل المرسل إليهم بحيث يتصرفون بالضبط كما تريد إسرائيل

ومن بين هذه الرسائل المطبوخة رسالة شفرية من القاهرة إلى عمان تقول

(الجيش المصري في سيناء يواجه موقفا عسكريًا صعبًا، لا يستطيع معه أن يقدم أية مساعدات لها قيمة للجبهة الأردنية، وأن الطيران المصري بدوره معرض لضربة إسرائيلية تعوق قدرته على الوصول بأي تأثير إلى الجبهة الأردنية).

---

(١) هذا التحليل لم يقنعني شخصيًا بأن أمريكا كان لديها التزام أخلاقي، أو رؤية محددة تجاه حقوق العرب لذلك كانت تخشى غدر إسرائيل. فالمعطيات والثوابت وقرارات الفيتو الأمريكية. كلها تصب في خدمة الصهيونية، حتى قبل قيام إسرائيل كدولة وإلى اليوم. فأمريكا برغم مصالحها مع العرب تحتقرهم ولا تقيم لهم وزنًا، وتدفع دائمًا بأنها تتعامل مع القضايا العربية بحساسية واهتمام. نعم اهتمام.. اهتمام بسيطرة صهيونية على العرب وقمع حقهم في المطالبة بأرض فلسطين المحتلة أو بعودة اللاجئين، أو حتى بهدم جدار الفصل العنصري في الأرض المحتلة..!!

وطبخت إسرائيل الرسالة كالتالي

(الموقف العسكري في سيناء جيد للغاية وأن ضربة الطيران الإسرائيلي ضد مصر فشلت وخسرت فيها إسرائيل ثلاثة أرباع قواتها الجوية. وأن هناك الآن ٣٠٠ طائرة مصرية جاهزة للعمل وتقديم المساعدات الجوية اللازمة للجبهة الأردنية)

هكذا تأكد لدى الأمريكيين أن إسرائيل تريد إغراء الأردن على التورط في توسيع القتال على جبهته ، بما يعطى لإسرائيل عذرًا في التقدم اسرع وأجرأ في الضفة الغربية.

نقلت واشنطن شكوكها بعد ظهر ٥ يونيو في نوايا إسرائيل تجاه الأردن دون أن تشير إلى مصدر معلوماتها. وأدركت إسرائيل أن أمريكا تراقب اتصالاتها جيدًا وتحلل نواياها. وهكذا بدأت إسرائيل في البحث عن مصدر المراقبة الأمريكي. فهي في سبيل تحقيق حلمها الأسطوري في التوسع، وكانت على استعداد لأن تفعل أي شيء.. لأجل تحقيقه. إذ استشعرت أنه آن الآوان وفق مصالحها وأطماعها لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى.

وعلى الرغم من قبول الملك حسين لقرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار، والذي لم يتضمن بندًا ينص على انسحاب القوات المتحاربة إلى مواقعها التي كانت عليها قبل بدء القتال، إلا أن الزحف الإسرائيلي كان بحجم المطامع الإسرائيلية في الضفة الغربية.

ولأن المجرم دائما يحاول أن يطمس الحقائق ، كان قرار موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي بإغراق السفينة ليبرتي بكل ما عليها ومن عليها. خاصة، وقد سقطت القدس المقدسة بين أنياب الكلاب كما وصفهم إدولف آيتشمان قبيل إعدامه[١].

---

(١) انظر فصل : (اختطاف إدولف آيتشمان من الأرجنتين) بالجزء الأول من (حراس الهيكل).

لقد منيت القوات الأردنية هي الأخـرى بهزيمـة قاسـية. وعربـدت طـائرات الميراج في سماء المنطقة دون خوف ، ولم يعد هناك سوى سوريا والجولان وكـان محددًا لها اليوم الرابع من أيام القتال.

لم تكف طائرات الاستطلاع الإسـرائيلية طوال الليـل عـن مراقبـة السـفينة وفي الصبـاح أضـافت السـفينة أعلامًـا أمريكيـة أخـرى في أمـاكن ظاهـرة علـى البرج، بعدما قـامت طـائرة اسـتطلاع إسـرائيلية مـن طـراز نـورد أطلـس ٢٥٠١ بالدوران حول السفينة على ارتفاع بسيط .

بطريق الخطأ.. (!!)

ويقول ضابط بحري أمريكي كان على متن السفينة يومها

في التاسعة صباحا يوم ٨ يونيو وصلت السفينة إلى النقطة (الفا) وهي أقصـى مكان في المسار المحدد للدورية نحو الشمال، وخفضت السرعة إلى خمـس عقـد. حلقت طائرة إسرائيلية حول السفينة فقمـت بنفسـي بالتـأكد مـن وجـود العلـم الكبير المرفوع عليها فوجدته واضحًا تمامًا، يرفرف مع نسـمة الهـواء الـتي كنـا نواجـهها بسرعة ٤ عقد مما يعطى العلـم ريحًـا سـرعتها ٩ عقـد، وهـي تفـوق السرعة اللازمة لجعل الراية خفاقة.

وفي العاشرة صباحا حلقت طائرتان من طراز ميراج ٣ فوق السفينة تحمل كل منهما ١٨ صاروخا تحت كل جناح من جناحيها. وسمعنا أحد الطيـارين يبلـغ القيادة الإسرائيلية باللاسلكي بأن سفينتنا تحمـل العلـم الأمريكـي. وليـس هـذا بالأمر الجديد فالقيادة الإسـرائيلية تعـرف - كمـا كنـا نعتقـد - هويـة سـفينتنا مسبقًا، إضافة إلى موجز عن مهمتها التجسسية. ولكـن عرفنـا فيمـا بعـد أن رد الفعل الإسرائيلي المباشر لوجود سفينتنا كـان التذمـر الشـديد والاحتجـاج لـدى الحكومة الأمريكية والمخابرات المركزية، وطلب نقل السـفينة وتحريكـها بعيـدا عن المنطقة، حيث أخفقت التعليمات بالتحرك في الوصول إلى السفينة.

وفي خلال الساعات الأربع التالية قامت الطائرات الإسرائيلية لخمس مرات بالتحليق حول السفينة وعلى ارتفاعات منخفضة جدًا. وأخيرًا التقطت أجهزة الرادار في السفينة ظهور ثلاث طائرات، ثم ثلاث طائرات أخرى من طراز ميراج تطير على ارتفاعات منخفضة متجهة إلى السفينة من جانبها الأيمن. وحدث قصف شديد للسفينة من أربعة مدافع رشاشة، عيار ٥٠ ، أدت إلى تلف الهوائيات اللاسلكية، ثم تبعتها طائرات إسرائيلية أبطأ من طراز ميستير ألقت قذائف ألحقت أضرارا في مدخنة السفينة وإحداث فتحة في غرفة القيادة، ثم تبعتها بحمم من قذائف النابالم، بينما قامت الطائرات النفاثة الإسرائيلية بالتشويش على الترددات لمنع طلب النجدة.

التقطت حاملة الطائرات ساراتوجا[1] نداء الاستغاثة، لنجدة ليبرتي انتظارًا لموافقة البيت الأبيض. وخلال فترة الانتظار هذه وصلت ثلاثة زوارق طوربيد إسرائيلية إلى موقع السفينة لإنهاء المهمة، حيث أطلقت طوربيدات من مسافة ٢٠٠٠ ياردة، وتسببت الانفجارات في مقتل ٣٤ وإصابة ١٧١ على الفور، وحصار ٥٠ رجلاً على الأقل في كبائنهم وبرغم وجود فتحة بطول ٤٠ قدما على جانبي السفينة.

واصلت القوارب الإسرائيلية إطلاق النار لمدة ٤٠ دقيقة. وأخيرا صدر أمر بإخلاء السفينة فقذف البحارة ثلاثة قوارب مطاطية قام رجال القوارب الإسرائيلية بإطلاق النار عليها فأتلفوا أحدها قبل أن ينسحبوا إلى قاعدتهم في أشدود. وأصبحت السفينة ليبرتي وحيدة تغرق رويدًا رويدًا بالقتلى والمصابين. وبعد ٩٦ دقيقة من نداء الاستغاثة، أرسل البيت الأبيض تفويضًا للأسطول السادس بحماية ليبرتي واستخدام القوة عند اللزوم. وفي تلك الأثناء أبلغت الحكومة الإسرائيلية سفارة أمريكا في تل أبيب بأن القوات الإسرائيلية هاجمت بطريق الخطأ سفينة أمريكية وبأنها تأسف لذلك وتعتذر.

---

(١) ساراتوجا : حاملة طائرات كانت وقتها ضمن الأسطول السادس الأمريكي الذي يتمركز في شرق البحر المتوسط .

يقول أنطوني بيرسون الصحفي بمجلة (بنت هاوس) الأمريكية في يونيه ١٩٧٦ ، إن ليبرتي اكتشفت نوايا إسرائيل في التمرد على الخطة الموضوعة، أي ستنفذ خطة الديانيزم – نسبة إلى ديان – وتم إبلاغ السفير الإسرائيلي في واشنطن مساء ٧ يونيو بأنه يجب على بلاده أن تتوقف فورًا عن تصعيد الهجمات ، وقد نجح الإسرائيليون بسبب ضربهم للسفينة ليبرتي في تحقيق أهدافهم التوسعية، وعزمهم على تغيير خريطة الشرق الأوسط.

ويؤكد بيرسون إن ليبرتي كانت الصوت المحايد الوحيد، القادر على إطلاع الأمم المتحدة في نيويورك على أن الإسرائيليين يتحركون للاستيلاء على الجولان.

فماذا كان التصرف الأمريكي ؟

الرئيس جونسون أشاد ببطولة السفينة وشجاعة طاقمها وبراعتها في النجاة من التدمير . وإلى أن يتم التوصل إلى تفسير معقول لما حدث ، لا يمكن القول إلا بأنه كان نتيجة خطأ بشري

هكذا كان الموقف الرسمي في البيت الأبيض.. العمل على إحاطة العملية كلها بستار من الصمت فقد كانت مناقشة سبب ضرب ليبرتي يمكن أن تجر إلى مناقشة حقيقة دور ليبرتي ، وإلى فضح الطبخة كلها بين أمريكا وإسرائيل

أما في الكونجرس فقد ارتفعت الأصوات تطالب بالتحقيق في الحادث وتفسيره، وبأن تدفع إسرائيل تعويضًا مناسبًا للحكومة الأمريكية ولأسر القتلى والجرحى. بل إن أحدهم تطرف أكثر من اللازم وطالب بقطع المعونات عن إسرائيل. لكن أحدًا لم يهتم باحتجاجات أعضاء الكونجرس أو استجواباتهم.. إذ سكتوا جميعًا لينضموا إلى مؤامرة الصمت

أما أسر القتلى والجرحى ، فقد قاموا بدور إيجابي في المطالبة بالتعوضات، إذ كونوا منظمة اسمها: منظمة ضحايا ليبرتي ، قامت برفع قضية ضد إسرائيل

أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي، واتهمتها بقتل وتشريد الأبرياء وطالبتها بدفع ٥٠ مليون دولار تعويضًا لهم.

تجاهلت محكمة العدل الدولية الدعوى نتيجة ضغوط أمريكية رسمية.

ومات والد أحد الضحايا كمدًا بعدما تعرض لماضيقات واضطهادات عامًا كاملاً بسبب السعي لرفع قضية ضد الخارجية الأمريكية ، وقالت زوجته أمام صحافة العالم: لقد قتلوا زوجي كما قتلوا ابني

وفي النهاية ، عملت الحكومة الأمريكية على تغطية الحادث المتعمد كي لا تنفضح المؤامرة . ولم تستح وهي تكرر المزاعم الإسرائيلية بأن ليبرتي قد هوجمت، بعد أن اعتقدت طائرات الاستطلاع الإسرائيلية أنها السفينة المصرية الشاحنة (القصير). ولكنها نسيت أن توضح السفينة المصرية قديمة متهالكة كانت تستخدم لنقل المواشي. وأنها راسية معطلة في الإسكندرية منذ عدة سنوات قبل حادث ليبرتي

هذا ما حدث للسفينة ليبرتي

وبعد سبعة أشهر تكررت المأساة مرة أخرى لسفينة التجسس الأمريكية (بويبلو)، والتي كانت تبحر من اليابان إلى كوريا الشمالية في مهمة تجسسية. وكان الهجوم مشابها لما تعرضت له ليبرتي، ولكن النهاية كانت مختلفة. إذ تم الاستيلاء على السفينة و(تقييدها) في موانىي كوريا الشمالية وفحصها بدقة متناهية ، حتى أمكن للكوريين التعرف على كل أسرارها وخباياها.

هذه المرة أيضًا ، كان الرد الأمريكي هو ذات الرد الذي ووجه به حادث ليبرتي. أي البرود الشديد الغير حاسم تخوفًا من تصادم محتمل مع السوفييت. إلا أن النتيجة كانت غريبة وفي منتهى الغرابة. إذ ألغت الولايات المتحدة برنامج سفن التجسس.

إنها المخابرات والجاسوسية في القرن العشرين.. عالم لا تحكمه العواطف والعلاقات والأعراف.. عالم مسعور لا يهب الصفاء ! !

فضيحة جوناثان بولارد التي هزت واشنطن..!!

صرخ جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية :

لماذا تتجسس علينا إسرائيل..؟ نحن لا نبخل عليها بشيء.. لكن بولارد زلزل علاقاتنا. لقد أمدهم بآلاف الوثائق بالغة السرية.. وسلمهم صورًا لأقمار التجسس عن الدول العربية. وخسرنا بسببه بضع مليارات من الدولارات.. إن إسرائيل تستنزفنا بلا حدود..!!

عقدة الذنب ، هي التي تدفع اليهود أسبوعيا للبكاء بشدة أمام حائط المبكى في القدس لكن. أي ذنب هذا الذي يبكون من أجله؟

إن السبب ليس خطيئة دينية أو أخلاقية كما هو مشاع إعلاميا.. بل خطيئة إسرائيل الكبرى التي وقعت فيها والتي كان لابد منها، ولا بد أيضًا من انتظار الوقت المناسب لإيجاد الوسائل البديلة للتخلص منها.

إنها الخطيئة التي رسمتها واعترفت بها الصهيونية منذ المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧[١] ، وهي (ضرورة الاعتماد على القوى الكبرى في العالم لتحقيق مخططات الصهيونية ومن بعدها إسرائيل).

وهذه الخطيئة تستوجب البكاء عليها بحرارة لأنها ضرورية ، ولابد أن يستمر البكاء إلى أن يتم التخلص منها نهائيًا حتى تصبح إسرائيل دولة كبرى، مستقلة عن أية قوة أخرى. وهذا لن يتحقق إلا إذا أصبحت إسرائيل قوة عظمى تهيمن وحدها على الشرق الأوسط ، دون الاعتماد على غيرها من الدول بما فيها أمريكا ، وإن هذا لن يتم لها إلا بالقوة.. وبالحصول على أحدث أسرار العسكرية في العالم..

لذلك فسرقات السلاح والتكنولوجيا هدف قومي عند اليهود. ولن تكف الموساد عن التجسس على مؤسسات الدول الكبرى العسكرية إلى أن يتحقق الحلم الكبير.. الحلم الذي يذرفون لأجله دموعهم أمام حائط المبكى..!!

ولأن إسرائيل دولة عنصرية لا تعرف المبادئ أو القيم، فهي لا ترى غضاضة في التجسس على أمريكا أو غير أمريكا، طالما كانت هناك خطوة تقربها نحو

---

(١) عقد المؤتمر برئاسة الصحفي النمساوي اليهودي : (تيودور هرتزل)، باعث الصهيونية الحديثة. والذي كان له أكبر الأثر في جمع كلمة اليهود حول فكرة إقامة وطن يهودي له كيانه واستقلاله .

تحقيق الحلم المسعور. وأمام الرغبة في تحقيق هذا الحلم، فلا اعـتراف بمواثيـق أو عـهود أو حتـى بمبـادئ الأخـلاق. هـذا مـا حـدث مـع الولايـات المتحـدة الأمريكية.

ففي ٢٣ نوفمبر ١٩٨٥، وبينما الرئيس الأمريكي رونالد ريجـان[١] في طريـق عودته من قمة جنيف في طائرة الرئاسة، تلقى برقية عاجلة من وزير خارجيتـه جورج شولتز[٢] يقول فيها، إنه تم اكتشاف جاسوس لإسرائيل يعمـل في دائـرة المعلومات في البحرية الأمريكية يدعى جوناثان بولارد، وعقب ريجـان غاضبًـا: لماذا يفعلون ذلك؟ إنهم يحصلون منا على دعم سياسي وعسكري ومـادي. مـاذا يريدون بالضبط؟

كان ريجان يعلم أن هناك حقائق معروفة جيدًا وسرية جدًا بالنسـبة للشـعب الأمريكي، وهي أن عدد حالات التجسـس الإسـرائيلية علـى الولايـات المتحـدة يفوق عدد حالات التجسس الأخرى لأية دولة عدا الإتحـاد السـوفييتي. أي أن إسرائيل تحتل المرتبة الثانية في التجسـس علـى أسـرار الولايـات المتحـدة بعـد الاتحاد السوفييتي. وتشمل عمليات التجسس مجالات واسعة للغاية ابتـداء مـن أسرار الاتصالات الدبلوماسية والعسكرية والخطط الحربية، بـل ومعلومـات عـن خطط الـدول الأخـرى وأسـلحتها وقواتـها. وتـدرك الإدارة الأمريكيـة بعمـق أن التجسـس الإسـرائيلي علـى أسـرارها الحربيـة سياسـة ثابتـة وأساسـية عنـد إسـرائيل، ولـن تتوقـف أبـدا مـهما وقعـت علـى اتفاقيـات بعـدم التجسـس، فالتجسس عند اليهود غريزة لا يمكن أن تنطفئ أبدًا.

---

(١) ولد ريجان في ٦ فبراير عام ١٩١١ في مدينة Tampico وكان والده جون إدوارد ريجان بـائع أحذيـة، ومـات بأزمة قلبية بعدما شاهد أول فيلم سـينمائي لابنـه. درس ريجـان الاقتصـاد في جامعـة يوركـا Eureka، ثـم عمـل بالتمثيل وتزوج من الممثلة جين وايمان، ثم من نانسي، وانتخب نقيبًا للممثلين ثم محافظًا لكاليفورنيـا (١٩٦٧ - ١٩٧٥)، ثم رئيسًا للولايات المتحدة عام ١٩٨٠ لفترتين رئاسيتين. اتهم ريجان عدة دول بأنـها راعيـة للإرهـاب ومن بينها ليبيا، وقصف طرابلس عام ١٩٨٦ بغية اغتيال القذافي ونتج عن ذلك قتل ابنته بالتبني. وفي أخريـات حياته أصيب ريجان بعدة أمراض، وفقد تركيزه، حتى مات في ٥ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) جورج شولتز : تولى منصب وزير الخارجية عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٨٩

ولكن..

لماذا تتجسس إسرائيل على أمريكا صاحبة الفضل في وجودها برغم العلاقات الحميمة بينهما؟

وماذا يريدون في إسرائيل بالضبط كما قال ريجان؟؟

الإجابة نستخلصها من مقولة موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي ، تعليقًا على اشتراك إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ مع إنجلترا وفرنسا. يقول ديان: (كانت إسرائيل في هذه الحرب مثل راكب دراجة يمسك بسيارة كبيرة مسرعة متعلقًا بها)

لقد اشتركت إسرائيل في الحرب لأنها لم تكن قادرة على الهجوم وحدها، وكانت إنجلترا وفرنسا في ذلك الوقت تمثلان القوى الاستعمارية الضاغطة في المنطقة. فلما طلب الرئيس الأمريكي إيزنهاور منهما الانسحاب وانصاعا لأوامره، اتجهت إسرائيل إلى أمريكا بكل قوتها وخططت على أن تعتمد عليها عوضًا عن فرنسا وإنجلترا. وبعد يونيو ١٩٦٧ تأكد لأمريكا أن إسرائيل هي الدولة الأقوى في المنطقة، ومن ثم قامت إسرائيل بدور الشرطي القذر تحت حماية ورعاية أمريكا التي ساندتها بكل ما تملك.

لذلك فعندما وقعت حرب ١٩٧٣ التي أوشكت فيها الجيوش العربية أن تقضي على الوجود الإسرائيلي لولا التدخل الأمريكي، سارعت إسرائيل بعقد الاتفاقية الاستراتيجية العسكرية مع أمريكا. بذلك حصلت على أحدث الأسلحة مع الدعم السياسي في مجلس الأمن والأمم المتحدة بلا حدود. ووضع الفيتو الأمريكي تحت تصرف اليهود. كل ذلك ، ولا تخجل إسرائيل بل تواصل تجسسها على الولايات المتحدة بما يؤكد أن جلد إسرائيل كجلد الحرباء يتغير بين الحين والآخر، وحسب الظروف.

لقد أعلنت إسرائيل عن نواياها صراحة، حين قالت إنها تعمل على أن تكون هي البديل الأوحد لجميع أشكال الاستعمار القديم والحديث في منطقة الشرق الأوسط. وبأنها يجب أن تكون مستقلة عن أية دولة كبرى كانت تعتمد عليها من قبل في تنفيذ مخططاتها ، حتى تصبح وحدها هي المسيطرة على زمام الحياة والأمن في المنطقة بأكملها كقوة كبيرة تفرض بعد ذلك على الدول العربية الطاعة والاستسلام بالقوة

من هنا كانت رؤية إسرائيل لمسألة التجسس على أمريكا مسألة مصير.. وهدف من أهداف سياستها واستمراريتها وهيمنتها على الدول العربية. فأمريكا هي التي تمدها بالمعونة وبالسلاح دون أن تطلعها على أسرار صنعها . هذا فضلاً عن أن إسرائيل لن تستطيع الوصول إلى التصنيع الحربي المماثل لنظيره الأمريكي بأي حال، إلا بعد فترة طويلة من البحوث والدراسات وبالتكنولوجيا المعقدة التي ما وصلت إليها أمريكا إلا بعد سنوات شاقة من العمل.

لذلك.. اخترع موضوع حائط المبكى الديني لغرض سياسي واحد هو البكاء على إسرائيل ذاتها، ما دامت تعتمد على قوة خارجية تحمي أمنها وتوجه سياستها. فإنهم في إسرائيل ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شعب الله المختار، وأنهم أسمى من الأجناس الأخرى وأرقى. وأن الاعتماد على أمريكا وهو اعتماد (مؤقت)، وإلى أن يزول هذا السبب فالبكاء مستمر

فلا عجب إذا أمام حوادث التجسس الإسرائيلي المستمرة في أمريكا، للدرجة التي جعلت الرئيس الأمريكي رونالد ريجان يصدر قراره الرئاسي رقم ١١٧ سنة ١٩٨٥ ، والقاضي بالتوسع في استخدام أجهزة الكشف عن الكذب (البوليجراف Polygraph) لاختبار كبار رجاله، وأيضًا مدراء الشركات الذين يتاح لهم الاطلاع على الأسرار العسكرية والتكنولوجية والسياسية، وذلك بعد

الاعتذار الإسرائيلي العلني عن حادث تجسس جوناثان بولارد وإغلاق ملف القضية.

هذا القرار فتح ملف الصراع داخل الحكومة الأمريكية بين قبول ورفض الخضوع لجهاز الكشف عن الكذب، في عملية مسح داخلية لرجال الإدارة الأمريكية للبحث عن المتورطين مع جهاز الموساد الإسرائيلي بعد تفشي ظاهرة تجسس إسرائيل على أمريكا.

وافق كبار رجال الدولة على العرض على الجهاز ما عدا جورج شولتز وزير الخارجية، حيث قاد حملة لإثناء الرئيس الأمريكي عن قراره الذي يهدم الثقة في رجاله ويؤدي إلى عواقب وخيمة، إلى أن أعلنت الإدارة الأمريكية أن قضية بولارد لن تعرقل العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، وأنه لن يغلق ملف بولارد فقط بل أغلق ملف التجسس الإسرائيلي على الشعب الأمريكي نهائيا. هنا اطمأن جوناثان بولارد على مصيره. فلا عداء إذن بين الدولتين لكي يحدث بينهما تبادل للجواسيس.

كان بولارد اليهودي المتعصب لإسرائيل يعمل محللاً مدنيًا في جهاز مكافحة التجسس في المخابرات البحرية الأمريكية ، حيث كان مسموحًا له بالاطلاع على الوثائق البالغة السرية في مكان عمله. وقد لوحظ أنه كان يحمل معه إلى منزله كمية كبيرة من الملفات، فتم وضعه تحت المراقبة خاصة وهو يهودي متعصب لإسرائيل ويجاهر بذلك دائمًا. أما زوجته فكانت تخبئ الوثائق في خزائن الثياب، وأودعت بنفسها حقيبة مليئة بالوثائق (١٦٠ وثيقة) لدى الجيران مليئة بالأسرار العسكرية عن الدول العربية، وتتضمن صورًا عن تحركات الجيوش العربية وقواعدها الاستراتيجية بالتفصيل.

أطلق بولارد اسم (شجرة الصبير) على هذه الحقيبة.. وكانت اتصالاته مع زوجته مسجلة أثناء محاكمته حيث طلب منها انتزاع (شجرة الصبير) من مكانها.

وقصة القبض على بولارد قصة عجيبة وشيقة، فبعد أن أحس بأنه مراقب وأن تحركاته محسوبة جيدًا ، استطاع أخيرًا أن ينـاور رجال الأمن ويغافلهم أمام مبنى السفارة الإسرائيلية بواشنطن ، حتى فوجئ مسئولو السفارة بدخول بولارد الذي يعرفونه جيدًا ، وكان يجري ومن خلفه عدة أشخاص وقفوا بالخارج على الرصيف المقابل.

وما أن أعلن عن رغبته في اللجوء السياسي لإسرائيل حتى انتفض السفير الإسرائيلي، خاصة عندما أخبره الحرس الإسرائيلي بأن عناصر المخابرات الأمريكية كانت تطارده وأنها ما تزال تقف بالخارج. عندئذ رفض السفير الإسرائيلي طلبه فورًا بل أمر الحرس بطرده خارج السفارة. وحمله الحرس إلى البوابة الخارجية ودفعوه ليمسك به رجال المخابرات وبحوزته جواز سفر إسرائيلي باسم: داني كوهين ويعترف أثناء التحقيق أنه قبض ٥٠ ألف دولار من الموساد نظير تجسسه خلال ١٨ شهرًا، استمر خلالها يرسل بالمعلومات التي تطلبها الموساد وانتهى الأمر بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة .

نتجت عن هذه الفضيحة تشنجات في العلاقات بين أمريكا وإسرائيل سرعان ما هدأت ثم تبخرت وكأن شيئا لم يكن لقد اعتذرت إسرائيل رسميًا ووعدت بمعاقبة رجال الموساد والمتورطين في هذه الفضيحة. وعللت أسباب التجسس عليها بأن هناك شكًّا لديها بأن الولايات المتحدة تحجب عنها معلومات هامة يهمها أن تعرفها مثل

- التكنولوجيا العسكرية المتقدمة لصناعة السلاح
- المعلومات العسكرية الخاصة بقوات الدول العربية وطبيعة توزيعها
- الطائرات العسكرية الأمريكية التي تقدمها إلى إسرائيل مجردة من بعض الأجهزة الإلكترونية

- قدرات الطائرات الأمريكية العسكرية المباعة للمملكة العربية السعودية.

- التجسس على رسائل السفراء الأمريكان في العواصم العربية من خلال الأسطول السادس

ولقد تبين أن بولارد قد عمل في البحرية الأمريكية منذ عام ١٩٧٩ وانتقل منذ بداية ١٩٨٣ للعمل في فرع المخابرات الأمريكية المهتمة بمكافحة التجسس. وتركز عمله على الشرق الأوسط حتى جندته المخابرات الإسرائيلية في أغسطس ١٩٨٣ ، بعد شهر واحد من توقيع الاتفاق الإسرائيلي الأمريكي الذي يقضي بعدم القيام بعمليات التجسس ضد بعضهما البعض.

التقارير الاستخباراتية تشير إلى أن أهم ما حصلت عليه إسرائيل من عميلها بولارد ، شفرة الأسطول السادس الأمريكي، وأسرار أجهزة التوقيت في الأسلحة النووية. وأيضًا تفاصيل التقنيات في الأسلحة المباعة إلى السعودية، إلى جانب المعلومات الخاصة بالتجسس على إسرائيل التي تقوم بها أمريكا للتأكد من أن إسرائيل لا تغامر بمشاريع تتعارض ومصالحها في المنطقة

وعلى كل ، فالتعاون الأمريكي الإسرائيلي في مجال المعلومات خلال سنوات من التواطؤ السري والاتفاقات السرية، والتحولات غير الدستورية التي تورط فيها كل رئيس أمريكي منذ إيزنهاور حتى الآن ، أدى إلى انبثاق أول دولة خارجة على القانون الدولي. دولة أصبحت تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة النووية ولم تنضم إلى أية اتفاقية دولية للحد من الانتشار النووي.

بعد فترة وجيزة من فضيحة بولارد ، استدعت الخارجية الأمريكية في الثامن من يوليو ١٩٨٦ مائير روزين السفير الإسرائيلي بواشنطن حيث أُبلغ بفتح ملف التحقيق في قضية القنابل العنقودية. وتوجهت بالفعل عدة سيارات محملة برجال مصلحة الجمارك المسلحين، إلى عدة شركات للصناعة والتسويق في ولايتي أيوا وبنسلفانيا، حيث حملوا من هناك عدة صناديق مملوءة بالوثائق

وأوضحت الواشنطن بوست أن الخارجية الأمريكية كانت قد سحبت تراخيص تصدير معدات أمريكية لإسرائيل، تلقت بشأنها تقريرًا يفيد بأنه يمكن استخدامها في صنع القنبلة العنقودية.

كل هذه الاحتياطات جاءت بعد أن تمكنت إسرائيل ، كما أشيع، من إنتاج قنابلها العنقودية التي انفجرت قضيتها في ١٩٨٦ في سلسلة فضائح عمليات التجسس الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، وتردد أن الطائرات الإسرائيلية استخدمت هذا النوع من القنابل ضد المناطق السكنية في لبنان خلال غزو إسرائيل لها سنة ١٩٨٢ ، حيث سرق جواسيس الموساد مكونات صنع القنبلة العنقودية من شركات فيكتور وماريون بولاية أيوا التي تنتج آلات وأجهزة طبية، وببعض التعديل البسيط يمكن استخدامها في صنع قنابل الشظايا المضادة للأفراد التي توجد داخل القنبلة العنقودية

إن هذه السرقات تندرج في سلسلة السرقات الإسرائيلية للأسرار العسكرية الأمريكية.

ففي شهر أبريل ١٩٨٦ ، ألقت السلطات الأمريكية في جزيرة برمودا القبض على ثلاثة إسرائيليين ومعهم سبعة من جنسيات أخرى، بتهمة التآمر للحصول على ما قيمته ألف مليون دولار من هذه الأسلحة الأمريكية المتطورة للغاية لبيعها لإيران. وأطلقت وسائل الإعلام على هذه العملية اسم (اللدغة الإسرائيلية). وكان من بين المقبوض عليهم جنرال إسرائيلي متقاعد.

وكالعادة . أنكرت إسرائيل علمها بنشاط هذه الشبكة، إلا أن زعيمها إبراهام برعام قال إن وزارة الدفاع في إسرائيل تعرف كل شيء عن الصفقة، ولديه الأدلة على أن أعلى الجهات في إسرائيل كانت هي التي تقف وراء نشاطه

وفي ديسمبر ١٩٨٦ ، أجرت السلطات الأمريكية تحقيقًا حول محاولات البعثة العسكرية الإسرائيلية في نيويورك سرقة تكنولوجيا تصفيح مواسير مدفع الدبابات بالنيكل كروم ، وهي عملية من شأنها إطالة فترة عمل المدفع أثناء القتال

وفي مايو ١٩٩٥ ، أدانت المحكمة رجال أعمال من ولاية كاليفورنيا بتهمة تهريب ٨١٠ أجهزة إليكترونية سرية لإسرائيل وشحنها بطريقة غير قانونية. وهي أجهزة تستخدم كأدوات إطلاق أو تفجير للأسلحة النووية، ادعت إسرائيل أنها لاستخدامات أجهزة الليزر والأسلحة التقليدية

خسائر بالمليارات

وحينما قررت فرنسا مقاطعة المشروع النووي الإسرائيلي كان على الموساد أن تتحرك بسرعة للحصول على الكمية المطلوبة من أوكسيد اليورانيوم ، وفي مارس ١٩٦٨ أمكن سرقة مائتي طن منه في ٥٦٠ برميلاً ، وجرى نقل البراميل[١] إلى مفاعل ديمونة النووي للإعداد لأول قنبلة ذرية إسرائيلية

وفي أعياد الميلاد سنة ١٩٦٩ قام رجال الموساد بخطف خمسة لنشات صاروخية[٢] فرنسية وتم التحفظ عليها ثم جرى تموينها بالوقود بمساعدة السفينة تشيرزبيرج A والوصول بها إلى حيفا. وكان ذلك في فترة المقاطعة الفرنسية لإسرائيل في مجال التسليح بعد العدوان على مصر في ١٩٦٧

وبعد هذا العرض لقضية تجسس إسرائيل على أمريكا والدول الكبرى لأجل مصالحها وتطورها ، فوق بقعة تقع على خريطة دول غارقة في قاع التخاذل والسلبية ، علينا أن نتساءل:

---

(١) عملية خطف سفينة اليورانيوم جاءت تفاصيلها ص ٣١٧ في الجزء الأول من كتابنا: (حراس الهيكل).

(٢) عملية خطف زوارق الصواريخ جاءت بالمصدر السابق ص ٣٠٧ .

ماذا يهم العرب في قضية جوناثان بولارد والتجسس الإسرائيلي على أمريكا؟

والإجابة طويلة وإن كانت واضحة. ولكن سنحاول في إيجاز شديد أن نبين أن قضية بولارد قد ألحقت أضرارا فادحة بالعرب وبالأمن العربي كله، نتيجة حصول إسرائيل على الوثائق والمعلومات السرية التي لدى أمريكا عن عدد من الدول العربية. وكذلك فالولايات المتحدة كدولة كبرى تتمتع بإمكانات وقدرات متطورة للغاية، تتجسس بواسطتها على العرب من موقع اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط، وتحصل إسرائيل بالتالي على ثمرة هذا التجسس بشكل تعاون الموساد مع الـ C.I.A ، أو بطريق التجسس بواسطة العملاء أمثال بولارد.

إن قضية بولارد قد اضطرت بلاد عربية عديدة إلى إحداث تغييرات في بعض خططها وخرائطها واستعداداتها العسكرية. فالخسائر طالت العرب الذين صاروا طرفًا في الصراع بين أجهزة المخابرات الدولية. وقد اعترف بولارد أنه عمل جاسوسًا لإسرائيل لأن أمريكا كانت تحجب المعلومات الأساسية عنها. اعترف أيضًا بأنه كان (عين وأذن إسرائيل)، في منطقة جغرافية شاسعة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي بما فيه منطقة الشرق الأوسط، وأكدت مصادر التحقيقات الأمريكية أنه زود إسرائيل بأكثر من ألف وثيقة سرية يتعلق معظمها بالدول العربية . بعض الوثائق تتألف من مئات الصفحات، وتتضمن معلومات سرية عن منطقة الشرق الأوسط. وأهم هذه الوثائق صور دقيقة عن مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، ولعدد من المباني التي يسكنها مسئولون فلسطينيون بتوافر هذه المعلومات استطاعت إسرائيل أن تقوم بعدوانها على مقر المنظمة في تونس في الأول من أكتوبر ١٩٨٥ والذي أسفر عن استشهاد نحو مائة شخص

وكذلك كانت هناك صور دقيقة التقطتها الأقمار التجسسية الأمريكية لمنشآت هامة في مصر والسعودية وسوريا، ووثائق خطط التسليح لعدد من الدول العربية إضافة إلى تقارير سرية عن نشاطات منظمة التحرير، وعن شحنات الأسلحة

السوفييتية إلى عدة دول عربية ، فضلاً عـن النشـاطات والخطـط السـوفييتية في المنطقة ، وكذا سير العمليات على الجبهة الإيرانية العراقية.

لقد اشترت إسرائيل هذه المعلومات التي قدرها وزير الدفاع الأمريكي ببلايين الدولارات بمبلغ ٥٠ ألف دولار فقط. لذلك فقد اعتبر جوناثان بولارد مـن أكـبر وأخطر الجواسيس الذين عملـوا مـع الموسـاد منـذ قيـام دولـة إسـرائيل في مـايو ١٩٤٨ حتى اليوم

لقد رفع وزير الدفاع الأمريكي كاسبر واينبرجر مذكرة إلى قـاضي التحقيـق في جهاز المخابرات يقول فيها

- إن من الصعب أن نتصـور ضـررًا أكـبر مـن الضـرر الـذي سـببه جوناثـان بولارد للأمن القومي الأمريكي. إنه تسبب في خسائر تقدر بمليارات الدولارات وبرغم ذلك، فإن قضية بولارد لن تؤثر على العلاقات الوثيقة بين واشنطن وتـل أبيب.

التقرير الأمريكي ..!!

ويبدو أن الإعلام الأمريكي لم يكتشـف إلى الآن خطـورة عمليـة التجسـس[١] التي قام بها جوناثان جي بولارد. غير أن المذكّرة الـتي تشـتمل علـى حيثيـات الدعوى التي أقامتها وزارة العدل عليه في ٥ يناير ١٩٨٧ وقدّمتـها إلى المحكمـة الفيدراليـة في واشـنطن، تثبـت أنـه مـن أخطـر الجواسـيس الذيـن عملـوا ضـد الولايات المتحدة في هذا القرن. كما أنها تشتمل على أدلة دامغة جديـدة تثبـت مدى تورط الحكومة الإسرائيلية فيما حاولت التقليـل مـن أهميتـه ووصفـه بأنـه مجرّد (عملية قام بها سفيه):

---

(١) تقرير واشنطن عن شئون الشرق الأوسط، مجلّد ٥ فبراير ١٩٨٧ . The Wachington Report on Middle East Affaires.

فالضرر الذي ألحقه بولارد بمصالح الأمن الأمريكي قد يكون من المستحيل الإحاطة بأبعاده. فما قدّمه للإسرائيليين يشتمل على أكثر من ألف وثيقة سرية بينها وثائق تقع الواحدة منها في مئات الصفحات. ومنها ما كان مصنفًا بين الوثائق السرية جدًا أو ما يُعرف (بالوثائق المصنفة الحساسة) التي تشتمل على (معلومات عن الأنظمة التكنولوجية المتقدّمة لجمع المعلومات وما جُمع بواسطتها).

وتشتمل هذه الوثائق على معلومات مفصّلة عن حكومات الشرق الأوسط وجيوشها، وعن مواضع السفن وأساليب الحرب وأنظمة الأسلحة الأمريكية. وعن تحليل الأمريكيين لأنظمة الصواريخ السوفييتية. كما تشتمل على معلومات وافرة عن أساليب المخابرات الأمريكية البشرية والإلكترونية في جمع الأخبار. وحذّرت وزارة العدل بصورة خاصة من أن الحصول على تلك المعلومات يكشف هوية المخبرين الذين تستخدمهم المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط وربّما في أماكن أخرى.

لمن سلّم بولارد هذه الوثائق؟ في البداية على الأقل وصلت غالبية هذه الوثائق المسروقة إلى الحكومة الإسرائيلية. كما أن بولارد وزوجته قدّما بعض هذه الوثائق لجمهورية الصين الشعبية وأطلعا بعض أصدقائهما عليها.

ومما يلفت النظر أن المعلومات التي سرقها بولارد باستخدام جهاز الكمبيوتر المشترك بين مختلف الوكالات، تكاد كلها أن تقع خارج اختصاصه (وهو الإرهاب) وخارج منطقة تجسسه (وهي أمريكا اللاتينية). وبعبارة أخرى فإن تلك المعلومات من النوع الذي لا حاجة به لمعرفته. وعلى أي حال فإن نظام حماية المعلومات السرية جدًا قد انهار تمامًا. وعندما أقام بولارد أول اتصال له بالإسرائيليين أبلغهم أنه يريد أن يستغل بعض الجواسيس العاملين في جهاز المخابرات الأمريكية لصالح إسرائيل. ومن المؤكد أنه فعل ذلك.

ولما كان بولارد من أكبر الجواسيس، فإنه كوفئ على دوره بالعناية والحماية والتعويضات التي تتناسب معه.

وتتناول مذكـرة وزارة العـدل الـتي قُدمـت للمحكمـة الفيدراليـة مـدى تـورط الحكومة الإسرائيلية المباشر وحجـم العمليـة الـذي يشـمل الأمـوال والأشخاص الذين شاركوا فيها والمهارة الفنية العالية لشبكة بولارد.

وتـأتي المذكـرة علـى ذكـر المتورطـين وهـم ثلاثـة مسـؤولين في الحكومـة الإسرائيلية، وسكرتير بالسفارة الإسرائيلية، بالإضافة إلى إسرائيلي يُعرف باسـم (أوزي) ورجـل آخـر لا يعـرف اسمـه كـان يساعد في نسخ الوثـائق في بيـت دبلوماسي إسرائيلي في ولاية ماريلاند لم يُذكر اسمـه. واستخدمت شـقة وربمـا شقتان بجوار السفارة الإسرائيلية للاجتماعات. وكانت إحداهما مجـهزة بـآلات استنساخ متطورة جدًا. وزُوّد بولارد برقم هـاتف بالسفارة الإسـرائيلية للاتصـال بها في الليل عند الضرورة. فقد كان نجمًا من نجوم الجاسوسية.

أما عن النقود فلا تسل. فقد تسلّم مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار خـلال ثمانيـة عشـر شهرًا ووعد بأن يقبض ٤٥٠,٠٠٠ دولار أخرى خلال السنوات العشر التي كـان ينتظر أن تسـتمر فيـها عمليـة التجسـس. وجـرى كذلـك إيـداع ٣٠,٠٠٠ دولار باسمه في أحد بنوك سويسرا. هذا فضلاً عن الجواهر وغيرهـا مـن الهدايـا الـتي قُدمت له ولزوجته. وكان هذا كلّه لتشجيع بولارد علـى المضـي قدمًـا بـالمؤامرة. واشتملت النفقـات الأخـرى علـى مرتبـات المشـاركين الآخريـن وعلـى تكـاليف أجهزة النسخ والاجتماعـات في أوروبـا وإسـرائيل. وعليـه فإنـها كـانت عمليـة باهظة التكاليف.

واشتملت مذكرة وزارة العدل أيضًا، على أدلـة أخـرى علـى تـورّط الحكومـة الإسرائيلية المباشر في العملية

– بعد ساعات قليلة من اعتقال بولارد قامت الحكومة الإسرائيلية بتهريب المسؤولين الإسرائيليين اللذين كانا يوجّهان بولارد من الولايات المتحدة وهما الكولونيل أفييم سيلا وجوزيف ياجور.

– كان سيلا (ولا يزال) منخرطًا في القوات الجوية الإسرائيلية. وبعد أن اعتقل بولارد تمّت ترقيته. وهو الآن قائد قاعدة ريمون الجوية في إسرائيل. وخلال عملية التجسس كان رفائيل إيتان، جاسوس الموساد الأكبر والمستشار السابق لرئيسي الوزراء مناحم بيجن وإسحاق شامير، يعمل بوزارة الدفاع الإسرائيلية. وتلقّى هو أيضًا مكافأة من الحكومة الإسرائيلية التي أسندت إليه منصب المدير التنفيذي لشركة الكيمياويات الإسرائيلية، وهي أكبر شركة تملكها الحكومة في تلك البلاد.

– كان سيلا وإيتان يُطمئنان بولارد باستمرار إلى أنه إذا قُبض عليه فإن الحكومة الإسرائيلية ستعالج المسألة عبر القنوات الدبلوماسية. وحدث مرة أنهما أظهرا له جواز سفر عليه صورته واسم مختلف

– وفي يوليو وأغسطس عام ١٩٨٥ قضى بولارد وزوجته عدة أسابيع في إسرائيل زار بولارد خلالها إيتان في مستشفى بتل أبيب. وإذا تذكرنا مركز بولارد في المخابرات البحرية الأمريكية وماضي إيتان في ميداني السياسة والمخابرات، فإنه يصبح من الصعب أن يصدّق المرء أن المخابرات الإسرائيلية المضادة لم تكن على علم بزيارة بولارد واتصالاته. لكن إسرائيل مع هذا لم تبلّغ الحكومة الأمريكية شيئًا عن زيارته.

– في كل أسبوعين وعلى امتداد ثمانية عشر شهرًا كان سيلا وياجور يتعاقبان على نقل طلبات مفصّلة بالمعلومات التي أريد من بولارد سرقتها من الكمبيوتر. ولم تكن هذه من قبيل المعلومات العامة. فقد كان سيلا وإيتان وعلى الأخص ياجور يطلبان منه معلومات عن أنظمة أسلحة سرية معينة. وكانا أحيانًا يطلبان وثائق معيّنة بعناوينها وأرقامها وهكذا. ومن الواضح أن مثل هذه

الطلبات الفنية الدقيقة لا تصدر إلاّ عن جهاز استخبارات كامل. ونظرًا لارتباطات إيتان الماضية، فإنه يرجّح أن يكون هذا الجهاز هو الموساد.

بولارد المذهول

- لم تكتف الحكومة الإسرائيلية بعدم التعاون مع مكتب التحقيق الفيدرالي وجهاز التحقيق البحري (NIS) خلال التحقيق في قضية بولارد، بل إنها سعت جاهدة إلى عرقلته. فبالإضافة إلى قيام الإسرائيليين بتهريب سيلا وياجور بسرعة من الولايات المتحدة، فإنهم رفضوا إعادة ٨٠٪ من الوثائق التي سرقها بولارد. وعلاوة على هذا فإن الوثائق التي أعادوها وعددها ١٦٣ وثيقة كانت كلها نسخًا ولا تحمل بصمات بولارد. ولم تُعد إسرائيل وثيقة أصلية واحدة، وبذلك حرمت مكتب التحقيق الفيدرالي وجهاز التحقيق البحري من أدلة مادية في غاية الأهمية.

وختمت وزارة العدل مذكّرتها بالقول بأن العلاقات الرسمية الأمريكية مع البلاد التي تتلقى الوثائق المسروقة لا تأثير لها في الضرر الذي لحق بمصالح الأمن القومي، وينبغي أن لا يكون لها أي تأثير على صرامة العقاب الذي يجب أن ينزل بالجاسوس في حالة ثبوت التهمة عليه. كما أنها تحدثت عن أسلوب "العلم المزيف" الذي يُتبع في الجاسوسية. وخلاصته أن الجاسوس يخدع المُخبر فيوهمه أنه يعمل لصالح دولة صديقة أو حليفة.

وتضيف مذكرة وزارة العدل بأنه عندما يصدر الحكم على بولارد يجب أن يُشار إلى أن أي انتهاك لقوانين الأمن ينبغي أن يعاقب بشدة وذلك لكي لا يقع البعض ضحية الإغراء فيتعامون عن القوانين عندما يقال لهم بأنهم يعملون لمصلحة حليف.

ومما يلفت النظر أن وزارة العدل لم تُشر مرة واحدة في معالجتها لأسلوب "العَلَم المزيّف" التي ملأت عدة صفحات من مذكّراتها إلى أن هذا هو ما جرى

لبولارد. فبدا وكأنها تقول بأن إيتان وصحبه كانوا، كما قالوا، عملاء للحكومة الإسرائيلية.

وبالإضافة إلى هذا طلب محامو الاتهام إنزال عقوبة صارمة ببولارد لأنه إذا أخلي سبيله فإنه قد يفضح معلومات سرية أخرى. فإلى أين سيذهب بولارد؟ قالت وزارة العدل بأن جريدة "الجيروزاليم بوست" نشرت مقالاً في ٢١ نوفمبر ١٩٨٥ يشتمل على تصريح لبولارد يعبّر فيه عن رغبته في الهجرة إلى إسرائيل. فإلى من كان سيُفشي بما بقي لديه من معلومات؟ ثم إن تشديد المذكرة على ما عبّر عنه بولارد مرارًا من حب وإخلاص لإسرائيل لا يدع مجالاً للشك في أنه لو هاجر إليها لقامت الحكومة الإسرائيلية باستغلال ذاكرته وخبراته.

وما لم تقله وزارة العدل في مذكرتها بالرغم من أنه واضح كل الوضوح هو أن الحكومة الإسرائيلية هي التي كان باستطاعتها أن تستفيد من أكثر المعلومات التي حصلت عليها بواسطة بولارد، لأنها تتعلق بحكومات الشرق الأوسط وأنظمة الأسلحة الأمريكية التي تستخدمها إسرائيل. وأرفقت وزارة العدل مذكّراتها بمقال من "الجيروزاليم بوست" عنوانه: "بولارد المذهول: لماذا تخلّت إسرائيل عني؟" وفي المقال ذاته يشبّه بولارد حاله بحال طيّار إسرائيلي سقط وراء خطوط العدو وتركته إسرائيل لمصيره التعس[1]. ولكن "الجيروزاليم بوست" كانت مخطئة. فبولارد لم يُصب بالذهول. فقد كان ولا يزال وراء خطوط العدو.

وفي السادس من مارس عام ١٩٨٧، صدر الحكم بسجن بولارد مدى الحياة (المؤبد)، نظرًا لأن عقوبة الإعدام ملغية في ولاية واشنطن حيث كان يحاكم جاسوس الموساد، الذي طالب وزير الخارجية الأمريكي كاسبر واينبرجر بإعدامه، ثم انتقل إلى سجن نورث كارولينا لقضاء العقوبة.

---

(١) إشارة إلى الطيار الإسرائيلي (رون آراد)، وجاءت قصته بين صفحات كتابنا.

وفي ٩ مارس عام ١٩٩٨ أعلنت إسرائيل في تصريح لها على لسان (وافي نافيه) سكرتير عام مجلس الوزراء أن بولارد يحمل الجنسية الإسرائيلية، وأن إسرائيل ستعترف رسميًا بأنه كان جاسوسًا يعمل لصالحها لتسهيل إجراءات الإفراج عنه. وحتى مثول كتابنا هذا للطبع في الثلث الأخير من عام ٢٠٠٤، لم يكن هناك أي جديد في قضية بولارد، وفضيحة تجسسه ضد وطنه من أجل إسرائيل التي زرعتها بريطانيا.. وصنعتها أمريكا..!!

أحدث جاسوس إسرائيلي في واشنطن

وإذا كانت قائمة الجاسوسية الإسرائيلية ضد الولايات المتحدة طويلة، وتمتد جذورها إلى ما قبل افتتاح سفارة إسرائيل في واشنطن عام ١٩٤٨، وحتى جوناثان بولارد، ذلك الجاسوس الداهية، الذي أعلنت إسرائيل مرارًا بأنه آخر جواسيس الموساد في أمريكا، فإن الأيام كشفت زيف العهود اليهودية، وعلى الملأ.

ففي أغسطس عام ٢٠٠٤، قبيل أيام من طبع هذا الكتاب ، تكشفت فضيحة تجسس إسرائيلية جديدة ضد الولايات المتحدة، وأعلن أن الجاسوس الجديد هو: (لاري فرانكلين) المحلل في وزارة الدفاع الأمريكية، والمتخصص في الشئون الإيرانية، والمعروف بعدائه الشديد للنظام الإيراني القائم.

هذا ويتوقع المحللون أن يكون فرانكلين، قد زود إسرائيل بوثائق سرية خاصة بسياسة واشنطن تجاه إيران.

فجرت القضية (الفضيحة) شبكة (سي. بي. إس) التليفزيونية الأمريكية، عندما كشفت أن مكتب التحقيقات الفيدرالي يحقق في قضية الجاسوس الإسرائيلي منذ عام مضى. ومع أنه لم توجه بعد اتهامات رسمية لفرانكلين الذي يقع في دائرة الاشتباه، إلا أن القضية أشعلت نارًا في الولايات المتحدة وإسرائيل، وتناولها الخبراء بتحليلات مختلفة، تشير عند البعض إلى أنها

(فرقعة) لاحتواء الغضب العربي الذي يرى أن إسرائيل تعوق تحسين العلاقات الأمريكية – العربية

من ناحية أخرى يرى البعض الآخر أن تسريب معلومات حول القضية أمر يحمل في طياته رسالة أمريكية واضحة تقول إن إسرائيل باتت (مثيرة للأعصاب) مما يحتم الانتباه والحذر الشديدين.

لكن.. ومن خلال المعطيات السابقة في قضايا التجسس الإسرائيلي على الولايات المتحدة، أرى أن هذه القضية لن تؤثر بالسلب على العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، لأنه لا أسرار بين البلدين، كما أن مستشاري ورجال بوش في البيت الأبيض والـ C.I.A ووزارة الدفاع، أغلبهم من اليهود الذين يؤيدون إسرائيل، وينطبق عليهم جميعًا لقب: (جواسيس الدولة الصهيونية في أمريكا.)..!!



فضيحة جوازات السفر البريطانية المزورة..!!

(استخدمت الموساد جوازات سفر بريطانية مزورة في عدة عمليات إرهابية في عواصم العالم.. مما أثار غضب الحكومة البريطانية.. وتهددت العلاقات بشدة بين لندن وتل أبيب. لكن المخابرات الإسرائيلية لا ترتدع أبداً.. وتواصل إرهابها باسم الدول الأخرى..!!)

اعتراف صريح

كانت عميلة الموساد التي استدرجت الطيار العراقي .. منير روفا.. من بغداد إلى باريس ثم تل أبيب.. تحمل جواز سفر بريطاني أصدرته مؤسسة التزوير والتزييف الإسرائيلية. لكن العملية أسفرت عن هروب روفا بطائرته الحربية السوفييتية الصنع - ميج ٢١ - إلى إسرائيل في أغسطس ١٩٦٦.

أيضًا.. استخدمت الموساد في عملية اغتيال الفدائي الفلسطيني علي حسن سلامة ببيروت عام ١٩٧٩. عملاء يحملون الجوازات البريطانية المزورة.

وفي عملية اغتيال خليل الوزير - أبو نضال - في تونس عام ١٩٨٨ .. بجوازات سفر بريطانية مزورة تجول عملاء الموساد في تونس لاستكشاف المنطقة ورسم خرائطها

وهذا ما حدث أيضًا في عملية (فردان) ببيروت.. التي اغتالت فيها المخابرات الإسرائيلية ثلاثة من القيادات الفلسطينية[1] انتقامًا لعملية ميونيخ.. حيث انتشر عملاء الموساد ببيروت بهويات بريطانية مزورة يخططون ويراقبون قبل هجوم فرق القتل الإسرائيلية.

عشرات من العمليات الإرهابية التي نفذتها الموساد ضد الفلسطينيين في عواصم العالم.. كانت جوازات السفر البريطانية المزورة ساترًا يتخفى وراءه القتلة الإسرائيليون.. وجواز مرور آمن يمنحهم الثقة في نجاح العمليات التي يسعون وراءها.

لقد احتجت وزارة الخارجية البريطانية سبع مرات من قبل.. لنظيرتها الإسرائيلية.. بسبب تعمد أجهزة الاستخبارات في الدولة الصهيونية تزييف

---

(١) اغتيال القيادات الفلسطينية، وعلي حسن سلامة، وخليل الوزير وغيرها، جاءت تفاصيلها بالجزء الثاني من (حراس الهيكل).

جوازات السفر البريطانية، واستخدامها في مهام سرية تضر بمركز بريطانيا، وتعرضها لأزمات دولية مع العديد من الدول الصديقة.. ولا تجد إسرائيل أمامها سوى أن تقول أن وراء هذه العملية هواة لا صلة لهم بأجهزة المخابرات الإسرائيلية.. بل وتنصح بريطانيا بمسائلة مواطنيها الذين يسافرون إلى خارج لندن ويبيعون جوازات سفرهم لمنظمات دولية ببضع دولارات مدعين بأنها سُرقت.. حيث تقوم هذه المنظمات ببيعها مرة ثانية بمبالغ ضخمة لمتطرفين في أنحاء العالم.

وفي النهاية لا تجد الحكومة البريطانية سوى أن تسكت على مضض مجاملة لإسرائيل.. كما سكتت من قبل حينما سعت لزرعها في فلسطين ومنحتها الدعم السياسي والعسكري والتأييد والمساعدة.

وفي عام ١٩٨٦ ومع طبول فضيحة مردخاي فانونو وشبهة اختطافه بواسطة الموساد من لندن.. وتأكيد شيمون بيريز[1] لرئيسة وزراء بريطانيا مارجريت تاتشر بأن إسرائيل لم تنتهك قوانين بلادها.. تفجرت بعدها بأيام قليلة فضيحة مدوية أدت إلى تصادم عنيف بين لندن وتل أبيب

فقد عثرت السلطات الألمانية على حقيبة بداخلها ثمانية جوازات سفر بريطانية مزورة في أحد أكشاك التليفون.. نسيها عميل إسرائيلي مستهتر.. وكانت الحقيبة مليئة بالوثائق المزورة وجواز سفر إسرائيلي حقيقي.. إلى جانب أوراق أخرى تربط الحقيبة بالسفارة الإسرائيلية بمدينة بون (العاصمة وقتها لألمانيا الغربية).

(١) شيمون بيريز "شمعون بيريس": تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية فيما بين عامي ١٩٨٥، ١٩٨٧ خلفًا لإسحاق شامير، في ظل الحكومة الائتلافية التي تشكلت للمرة الأولى في تاريخ إسرائيل بين الليكود وحزب العمل في منتصف الثمانينات، بعد أن فشل كل حزب آنذاك في تشكيل الحكومة، حيث تم الاتفاق بين شامير وبيريس وقتها على أن يرأس كل واحد منهما الوزارة ٢٥ شهرًا، ثم يصبح قائمًا بأعمال رئيس الوزراء ووزيرًا للخارجية ٢٥ شهرًا أخرى. وعندما عاد مرة أخرى لرئاسة الوزارة بعد اغتيال رابين عام ١٩٩٥، ارتكب مذبحة (قانا) التي راح ضحيتها أكثر من مائتي بريئ، أكثرهم من النساء والأطفال.

احتجت الحكومة البريطانية بشدة.. وصرحت تاتشر بأن إسرائيل تضر بأمن ومصالح المملكة المتحدة.. وأدلى ناطق باسم الخارجية البريطانية ببيان جاء فيه:

أن هذا الحادث ليس الأول من نوعه.. فقد سبق أن احتجت بريطانيا سبع مرات على تجاوزات إسرائيلية مشابهة.. ويبدو أن حكومة إسرائيل بهذا التصرف تصر على الإضرار بسمعة بريطانيا.

وبعدما غرقت إسرائيل في موجة من الاستنكار الدولي.. اعتذرت رسميًا للحكومة البريطانية.. وكان اعتذارها الشفهي بمثابة اعتراف صريح وضمني بمشروعية انتحال جنسيات أجنبية[1] يتحرك بها عملاء الموساد بحرية في شتى القارات، للقيام بمهام سرية

(١) في محاولة اغتيال خالد مشعل الفاشلة في عمان استخدمت الموساد لمنفذي العملية جوازات سفر كندية.. وأسفرت الفضيحة عن اعتذار رسمي إسرائيلي لم تقبله كندا.. بل طالبت باعتذار مكتوب يتضمن تعهدًا وإقرارًا بعدم تكرار المحاولة.. ولم تعترض إسرائيل على الطلب الكندي بعدما تهددت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بشدة.. ووصلت إلى حد الأزمة.



فضيحة (ملاك الموت) في ألمانيا..!!

في اندفاع الدولة الصهيونية لمطاردة جنرالات هتلر، بدعوى الانتقام والثأر، سقط عملاء الموساد في ألمانيا عندما ألقى القبض عليهم داخل شقة الجنرال السابق ميلر، وهو الذي أطلق عليه المجرم الصهيوني رافي إيتان (ملاك الموت)..!!

بين ميونيخ وعمَّان

في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٧، كشفت صحيفة (معاريف) الصهيونية عن فضيحة مدوية تعرض لها جهاز الموساد قبل ٣٠ عامًا، حينما حاول عملاؤه تعقب أحد قادة النازي في مدينة ميونيخ Munich بألمانيا الغربية وقتها والقبض عليه، وهو الجنرال هينريخ ميلر الذي كانت تلقبه إسرائيل بـ (ملاك الموت).. وفجأة وجد عملاء الموساد أنفسهم داخل الشقة وجها لوجه مع رجال الأمن الألمان.. وحسب تعبير شبتاي شافيت[1] فإن هناك عملاء آخرين للموساد موجودين في سجون مختلفة، ومنها السجون الأردنية أيضا.

تفاصيل عملية الموساد[2] المشينة في ألمانيا عام ١٩٦٧ كما تقول (معاريف) Ma'ariv daily newspaper ، بدأت يوم الخميس الموافق ٢ نوفمبر ١٩٦٧، عندما تسلل رجال الموساد إلى شقة[3] الجنرال (ميلر) في الساعات المتأخرة من الليل بمساعدة مفتاح مسروق، مستغلين مرض الجنرال (ميلر) وقتها واحتجازه بالمستشفى ، حيث كان يعمل في محل للآلات الكاتبة في وسط المدينة. وقد صور العملاء المتسللون ملفات ووثائق وخطابات في محاولة لإيجاد صورة أو خطابات بخط يده أو أي مادة تساعدهم في الإيقاع به

وتسأل (معاريف) أين الفضيحة وأين أوجه الشبه مع فضيحة مشعل في عمان؟ تجيب الصحيفة على سؤالها قائلة إنه بعد قيام عميل الموساد، جوردون بتصوير المستندات والوثائق الموجودة في الشقة، جاءت الشرطة الألمانية بواسطة الجارة الفضولية التي دهشت لوجود أشخاص أغراب وشعرت بحركة مريبة في الشقة وحول البيت . وبالفعل تم القبض على اثنين منهم في حجرة المكتب ،

---

(١) شبتاي شافيت : رئيس الموساد في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ ، ١٩٩٦.

(٢) نشرت التفاصيل جريدة العربي الأسبوعية القاهرية في ٢٩ ديسمبر ١٩٩٧.

(٣) وشقته في شارع (مانتسينجر) رقم ٤ في مقاطعة (باسيتج) التي توجد فيها مدينة (مينخن) .

وآخرين بواسطة مساعدة الجيران للشرطة الألمانية. ولكن هناك من استطاع الهرب، رغم أن (جوردون) وزميله (شون) كانا يحوزان أجهزة الاتصال. ومن العجيب أنهما لم يندهشا لوجود الشرطة بجانبهما، رغم أن أصدقاءهما بالخارج ولم يخبروهما بوصول الشرطة.

لقد بدأت التحقيقات معهما في قسم الشرطة ومنه إلى السجن، حيث وصفهما وزير العدل الألماني وقتها بأنهما (هواة)، وقد وجهت لهما تهم عديدة مثل علاقتهما ببعض الأعمال المريبة والمخالفة للقانون الألماني، وعلاقاتهما أيضًا بجماعات غير شرعية، وانتهاك النظام والإضرار بقوانين الجوازات.

وقد قال عملاء الموساد الذين تم القبض عليهم بدون جوازات في التحقيقات، إنهم تعرضوا لأحداث النازية وكانوا يبحثون عن الانتقام من النازيين، وبذلك فهناك تشابه آخر بين (عملية ميونيخ) وعملية (عمان). ففي أول الأمر لم يعرف الأردنيون أن المقبوض عليهم عملاء للموساد بالفعل. ولكن آلات التصوير والاتصال لم تبق مكانًا للشك في أنهم عملاء لأحد أجهزة المخابرات، وعرفوا جنسية هذا الجهاز بعد أن طالب الإسرائيليين بإطلاق سراحهم بسرعة.

وفي خلال ٤٨ ساعة بعد إلقاء القبض عليهم أصبحت القضية عالمية.

الفضيحة !!

وتقول (معاريف) إنهم كانوا يبذلون أقصى ما عندهم لاقتحام الشقة. فقد راقبوا حفلة عيد ميلاد في بيت (ميلر) وتحدد هدفان رئيسيان للعملية وهما تعقب أفراد أسرة ميلر، وإيجاد فرصة لاقتحام الشقة.

كان من بين الذين قاموا بالمراقبة عميل الموساد (تسفي ملحين) الذي يقول إنه طلب من الموساد قبل أن يسافر إلى ألمانيا صورة كل أسرة (ميلر)، وبالفعل أخذها كلها عدا صورة الجنرال نفسه. ويضيف (ملحين) أنه ذهب لألمانيا وليس

عنده أي معلومات عن المهمة التي سيقوم بها، حتى إنه لا يعرف هل (ميلر) موجود في ألمانيا أم لا؟!

لقد مرت ثلاثون سنة على هذه العملية الفضيحة وما زال عجائز وشيوخ الموساد يتصارعون بسبب (القضايا النازية) ومنهم (رافي إيتان) الذي يدعى أنه رأى المجرم النازي بنفسه ووصفه بأنه (ملاك الموت) وهو لا يصدق أن (ملحين) رأى الجنرال (ميلر) بنفسه، ويضيف إن (ملحين) هذا الثرثار هو الوحيد الذي يدعى إنه من رأى (ميلر) وحاول أن يتعقبه ولم يصل لنتيجة. فهل تصدق شهادته بعد ذلك ؟!.

وكما هو واضح فإن العملية انتهت (كما يقولون) بفضيحة للموساد نشرتها كل الجرائد وبخاصة الألمانية[1]، وكانت أوصاف عملاء الموساد حسب تصريحات الجيران للصحف[2] صدقت وتطابقت، حيث أن العملاء وقعوا في خطأ جسيم عندما ظهروا في الحي عدة مرات يطوفون حول شقة (ميلر)، ولما سمع الجيران أصواتا غريبة تنبعث من شقة ميلر بعد اقتحام هؤلاء الأغراب لها أبلغوا الشرطة الألمانية.

ولكن السؤال المهم هو كيف لم يستطع هؤلاء العملاء المحترفون تحذير أصحابهم بعد مجيء الشرطة..؟

ويجيب (ملحين)

أن الجيران كانوا يحيطوننا من كل مكان بعد أن اتصلوا بالشرطة ولم يشعر أحد بأي شيء غريب في الشارع. وعندما جاءت الشرطة كانوا في الداخل ولم يتمكنوا من الخروج.

---

(١) ما عدا الصحف العربية ، حيث لم يسبق النشر أو الإشارة إلى هذه الفضيحة بالتفصيل في إحدى صحفنا، حتى ولو من باب (الشماتة) في العدو الصهيوني الذي كان قد انتصر للتو في عام ١٩٦٧.

(٢) بضغوط إسرائيلية لم تنشر الصحف الألمانية صور عملاء الموساد في هذه القضية، بعدما حدث تبادل للسفراء بين البلدين منذ فترة وجيزة قبل الحادث.

ويكشف (ملحين) عن خطئهم الوحيد، وهو أنهم دقوا الجرس قبل أن يدخلوا ليتأكدوا من عدم وجود أي أحد بالشقة.

لكن صوت الجرس كان عاليًا في هذا البيت الصغير، فسمعه كل الجيران، واعتقد بعض رجال الموساد المشتركين في العملية أن الشرطة لا يمكن أن تحضر وقتها من أجلهم، لذلك استمروا في عملهم ولم يقلقوا أبدًا حتى مع مجيئ الشرطة التي ظنوا بأن مجيئها كان لأمر آخر.

السجن المشدد

وتقول (معاريف)

كان يجب عليهم أن يرقبوا كل الجيران أو على الأقل ألا يدقوا الجرس. ولقد كان خطأ تكتيكيًا حسب قول (ملحين وجوردون). وما لا يعلمه رجال الموساد ويجب أن يعلموه (كما تقول الصحيفة)، إن سيارات الشرطة الألمانية كانت تحيط الحي في (ميونيخ) لأنها وصلتها معلومات عن عملية ما في المنطقة ولكن لم يكن بمقدورهم أن يحددوا المكان بالضبط. وكشف (معاريف) عن فضيحة أكبر وأكبر، وهي أن الجيران أدلوا للشرطة بالأسماء الحقيقية وليست الحركية لكل رجال الموساد الذين وقفوا بالقرب من البيت فور القبض عليهم، وهذا يدل على مدى الاستهتار والإهمال والغباء، حتى إنهم في عملية سرية كهذه على أرض أجنبية كانوا ينادون بعضهم بأسمائهم الحقيقية، وبصوت مرتفع يسمعه الجيران

كانت العلاقات بين إسرائيل وألمانيا (الغربية) قد استؤنفت قبل عامين من الحادث في (أغسطس ١٩٦٥)، فقد وصل سفير من إسرائيل لأول مرة إلى ألمانيا هو (أشر بن تاتان) ، ويقول إنه فوجئ عندما تم القبض على رجال الموساد وبالفعل تدخل لحل هذه المشكلة وأرسل القنصل (مائير ايتسكوبيتش) لزيارتهم،

حيث أخذ لهم الحلويات المختلفة والسجائر والملابس، وأصبحت هـذه القضيـة حادثة دبلوماسية مؤسفة بين الدولتين

وبعد ١٨ يومًا من السجن قـدم (جـوردون وشـور) للمحاكمـة. وقـال القـاضي الألماني (جرسند) إنه من أجـل المصلحـة العامـة يجـب أن يحكـم علـى هذيـن الإسرائيليين بالسجن. وبالفعل تم سجنهما ثلاثة أشـهر(!!) بعدهـا تم ترحيـل الاثنين من ألمانيا الغربية بسرية تامة من مطار (ميونيخ الـدولي)، حيـث اسـتقلا طائرة مسافرة لإسرائيل. ولكنهما نـزلا أولاً في سويسـرا للتمويـه واسـتقلا طـائرة أخرى لإسرائيل. كل ذلـك حتـى لا توجـد أي إمكانيـة لمقابلتـهما مـع وسـائل الإعلام أو أن يعرفهما أي شخص

وفور وصولهما ذهبا إلى مبنى الموساد أعدوا لهما حجرات للنوم ثـم أبلغوهمـا بقرار استبعادهما عن العمليات والمهام السرية، مع الوعـد بالاسـتمرار إداريًـا في الموساد. ولكن (جوردون) رفض تمامًا وقال إنه شعر إنه مثل لاعـب كـرة السـلة الذي ارتكب أربعة أخطاء وبقى له خطـأ واحـد فقـط والجميـع يرقبـه بشـدة في انتظار لحظة طرده..!!

تم الجزء الثالث بحمد الله

نسأل الله التوفيق والسداد.!!


ملحق
وثائق وصور
الجـزء الثالـث

PROPHECY OF BENJAMIN FRANKLIN IN REGARD OF THE JEWISH RACE

(Excerpt from the Journal of Charles Pirckney of South Calorina of the proceedings of the Constitutional Convention of 1789 regarding the statement of Benjamin Franklin at the Convention concerning JEWISH IMMIGRATION).

(There is a great danger for the United States of America. This great danger is the JEW, Gentlemen, in which every land the Jews have settled they depressed the moral level and lowered the degree of commercial honesty. They have remained apart and unassimilated, oppressed, they attempt to strangle the nations financialy, as in the case of Portugal and Spain.

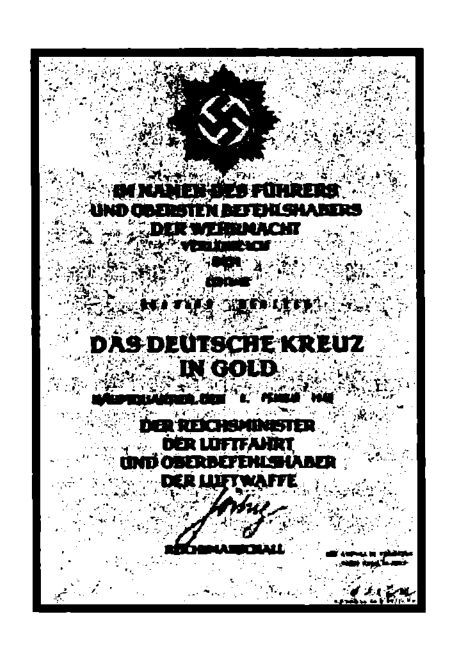
(For more than 1700 years they lamented their sorrowful fate, namely, that they have been driven out of their mother land; but, Gentlemen, if the world should give them back today palestine and their property, they would immediately find pressing reasons for not returning there. Why? Because they are Vampires – they cannot live among themselves. They must live among Christians and others, who do not belong to their race.

If they are not excluded from the United States by the Constitution, within at least 100 years they will stream into these Country in such numbers that they will rule and destroy us and change our form of Government for which we American shed our blood and sacrificed our lives, property and personal. If the jews are not excluded, within 200 years out children will be working in the fields to feed the jews while they remain in the counting house, gleefully rubbing their hands.

Warn you, Gentlemen, if you do not exclude the jews forever, your children and children's children will curse you in your graves. Their deals are not those of Americans, even when then have lived among us for ten generations. The leopard cannot change his spots. The jews are a danger to this land if they are allowed to entre. They will imperil our institutions. They should be excluded by the Constitution.)

(Original of this copy is in the Franklin Institute, philadelphia, pa.)

نص الخطاب الذي ألقاه الزعيم الأمريكي بنيامين فرانكلين عام ١٧٨٩ عند وضع الدستور الأمريكي، وطالب فيه بطرد اليهود من الأراضي الأمريكية ووصفهم بأنهم مصاصو دماء (حشرات طفيلية)، محذرًا من خطورتهم على الدولة، ومتوعدًا الشعب الأمريكي باللعنة جيلاً بعد جيل إذا لم يطرد اليهود . ! !


IM NAMEN DES FÜHRERS
UND OBERSTEN BEFEHLSHABERS
DER WEHRMACHT

DAS DEUTSCHE KREUZ
IN GOLD

DER REICHSMINISTER
DER LUFTFAHRT
UND OBERBEFEHLSHABER
DER LUFTWAFFE





اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر بعد الثورة في حديث ودي مع اللفتينانت جيرهارد متيز خبير المظلات الألماني (أعلى يمين)، ثم شهادة عسكرية لـ متيز وقع عليها جورنج الرجل الثاني بعد هتلر الذي انتحر في ١٥/١٠/١٩٤٦ اعتراضًا على الحكم بإعدامه شنقًا وليس رميًا بالرصاص كعسكري. وفي الصورة السفلى اللواء محمد نجيب مع خبير ألماني آخر في حديث ودي .







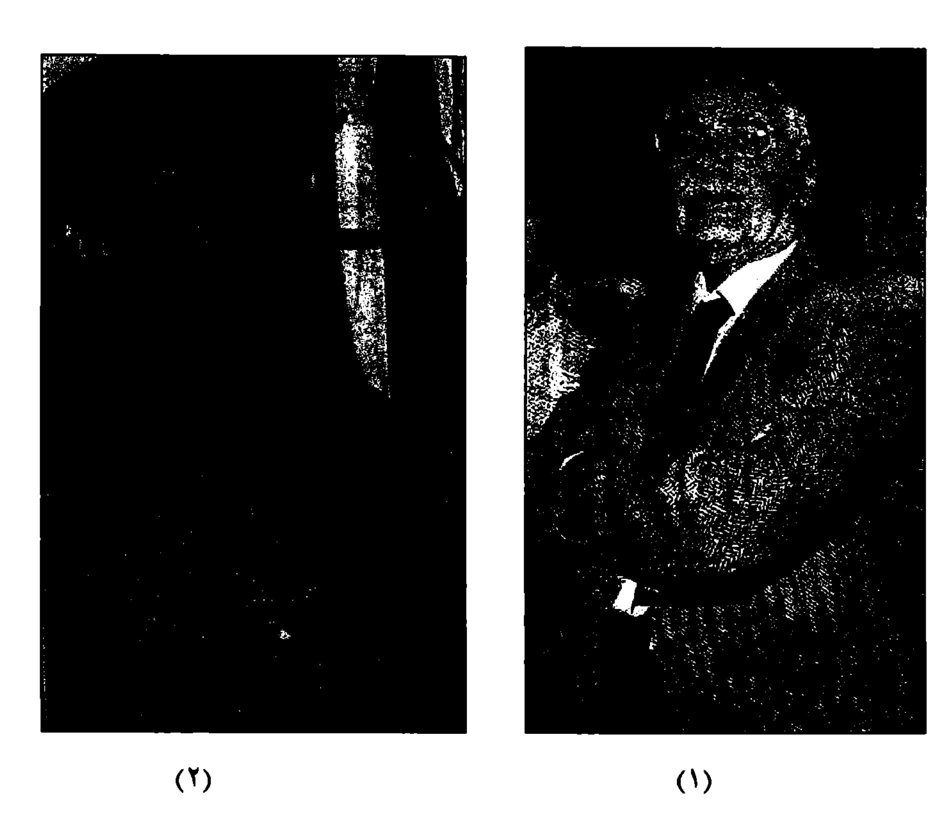
الخبراء الألمان في مصر .. جاءوا في البداية بعد سقوط برلين وانتهاء الحرب العالمية الثانية. وهذه الصور التقطت لهم عام ١٩٥٣ حيث استقروا في القاهرة وعملوا في تخصصاتهم المهنية والعلمية المختلفة قبلما تطاردهم إسرائيل وتهددهم بالموت بواسطة الطرود الناسفة.



(١) (٢) (٣)

(١) السهم يشير إلى رئيس وزراء إسرائيل وهو يقدم العزاء إلى ناديا كوهين زوجة إيلي كوهين الذي يظهر في صورة (٢) متدليًا من حبل المشنقة في ساحة المرجة بدمشق وعلى صدره كتبت حيثيات الحكم. أما صورة رقم (٣) فهي للرئيس السوري اللواء أمين الحافظ، الذي كان ملحقًا عسكريًا في الأرجنتين عندما التقى بكوهين ثم شجعه على السفر إلى سوريا.

إلى الآن ومنذ عام ١٩٦٥ لازالت جثة إيلي كوهين بمكان أمين في سوريا ولم تسلم لإسرائيل ..!!



(٢) (١)

(١) إيهودا جيل عميل الموساد اللص بطل التقارير المزورة الذي أوشك على إشعال حرب عسكرية جديدة في المنطقة. لقد استولى على أكثر من مليون ونصف دولار مقابل أخبار كان يؤلفها وينقل بعضها من الصحف، مدعيًا بأنها جاءته من عميله السري في دمشق.

(٢) رئيس الموساد داني ياتوم.. كشف جيل.. وقصمت ظهره محاولة اغتيال خالد مشعل الفاشلة في عمان، ثم فضيحة التجسس على حزب الله في سويسرا.. فأقيل من منصبه..!!



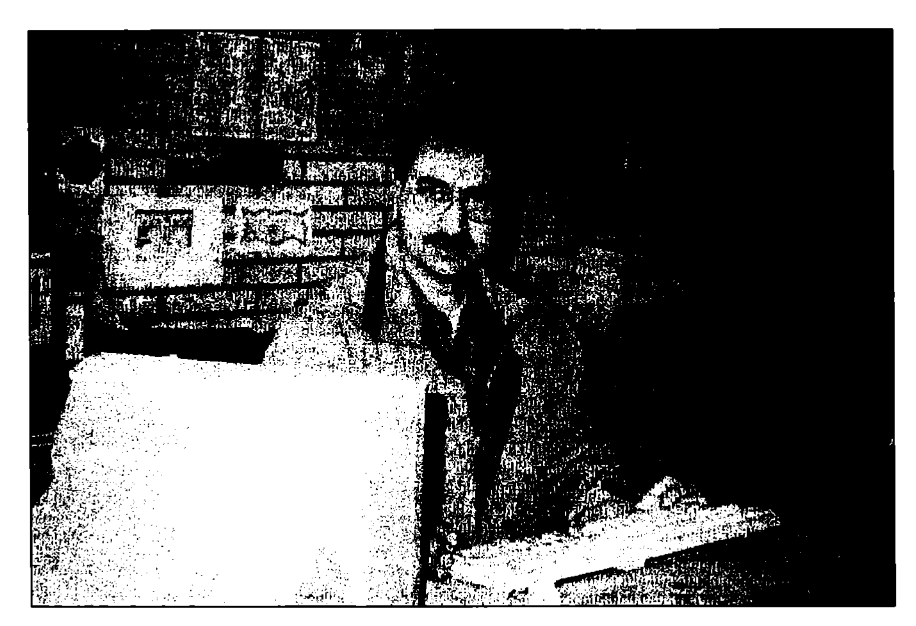


سلوى حجازي .. عصفورة التليفزيون المصري وصاحبة برنـامج العضافـير: (مامـا سلوى).. كانت دائمة السفر إلى ليبيا في إطار التبادل الإعلامـي بـين ألبلديـن. وشـاء حظها أن تكون ضمن الطائرة الليبية المدنية التي أخطأت طريقها عام ١٩٧٣ وحلقت فوق سـيناء.. فـأصدر الرعـب الإسـرائيلي أوامـره بقصـف الطـائرة فـورًا.. وإسـقاطها بركابها..!!





في ١٩٩٨/١١/١١ ألقت السلطات القبرصية (اليونانية) القبض على ضابطي الموساد: إيجال داماري (إلى اليمين)، وعودي هاركوف (إلى اليسار) بتهمة التجسس على منشآت الحرس الوطني القبرصي وقواعده العسكرية، وعثر بمسكنهما على معدات الكترونية متطورة. وقالت الموساد في تصريح لها، بأن مهمة الرجلين مراقبة الفلسطينيين وأعضاء (حزب الله) على الجزيرة. لكن اعترافات الضابطين كانت قاطعة، عندما أكدا بأنهما أرسلا من قبل الموساد للحصول على معلومات عسكرية تخدم تركيا المرتبطة بإسرائيل في علاقات استخباراتية وثيقة ..!!







شريف الفيلالي.. فشل في إكمال دراساته العليا في ألمانيا.. وبحثًا عن الثراء نجح في أن يكون جاسوسًا للموساد، استخدم الكمبيوتر في تخزين المعلومات السرية. في الوسط صورته بين أصدقائه في إسبانيا.. وأسفل صورته مع صديقته الألمانية، ثم صورة زوجته الإسبانية الموالية لإسرائيل بسبب يهوديتها .



(١) وليد لطفي هاشم المحامي.. آخر اسم في قائمة الخونة الذين هانت عليهم مصر.. فباعوا كل ما يربطهم بها من أجل حلم المال والثراء.. لقد أرسل فاكسًا لسفارة إسرائيل بالقاهرة يعرض (خدماته)، ويطلب ٢٦٠٠ دولار مقابل معلومات عسكرية كان يعرفها عندما كان مجندًا بالجيش..!!

(١)



(٢)

(٢) عبد الملك جاسوس الموساد في المنصورة.. ابن قرية نوسا الغيط الذي كان يخدم في البحرية المصرية.. استغل معلوماته القديمة للحصول على المال ..!!



صورة نادرة لسفينة التجسس الأمريكيــة (ليـبرتي) Liberty التقطتـها الطـائرات الإسرائيلية أثناء قصفها ســنة ١٩٦٧ ، ممـا أسـفر عـن سـقوط ٣٤ أمريكيـا. أفرجـت إسرائيل عن هذه الصور مؤخرًا بعد إخفاء العشرات منها حفاظًا على الشعور الشعبي الأمريكي، ولعدم إثارة قضية ضرب السفينة التي تعتبر من القضايا المثيرة للجـدل في تاريخ البحرية الأمريكية .

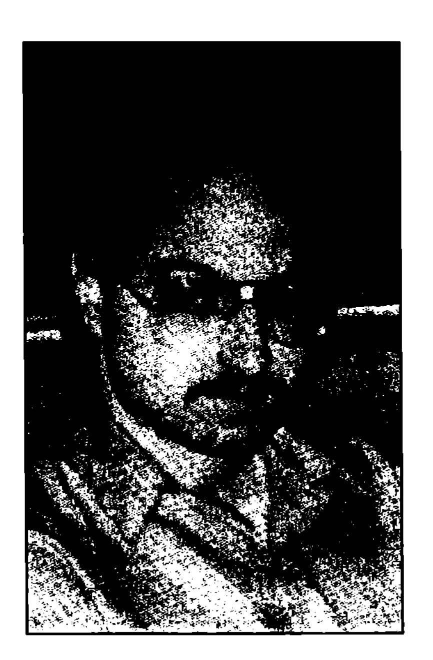


(١) بنحاس لافون وزير الدفاع الإسرائيلي صاحب فضيحة لافون عام ١٩٥٤ والذي استقال من جميع مناصبه بسببها.



(٢) وزير الدفاع الإسرائيلي شيمون بيريز في مؤتمر صحفي عام ١٩٧٦ بعد عملية عنتيبي، وإلى يساره (في المنتصف) الجنرال (دان شومرون) الذي تولى قيادة العملية .



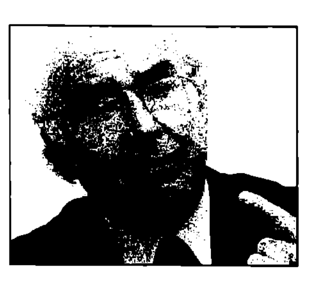


رونالد ريجان.. بطل فضيحة (إيران جيت)، وأخبره وزير خارجيته بنبأ اعتقال اليهودي الأمريكي جوناثان بولارد بتهمة التجسس لصالح إسرائيل، وكان ريجان وقتها في طائرة الرئاسة عائدًا إلى واشنطن بعد رحلة خارجية.

وإلى أسفل.. بولارد الذي طالب وزير الدفاع الأمريكي بإعدامه.. وأصر ريجان على عرض رجال حكومته على جهاز كشف الكذب. لقد ضرب ريجان ليبيا وقتل ابنة القذافي بالتبني.. ومات مريضًا بالانفصام وحزمة طويلة من الأمراض المستعصية..!!



(١)



(٢)

(٣)

(١) في فضيحة التجسس الأخيرة التي تمت في سويسرا، المدعي العام السويسري (كارلا بونتي) اتهمت الموساد صراحة.

(٢) السفير الإسرائيلي في سويسرا (إسحق ماير) جاهد كثيرًا لطمس الحقائق.

(٣) الرئيس السويسري أصر على اعتذار إسرائيل (خطيًا) والتعهد كتابة أيضًا بعدم تكرار التجسس على أراضي بلاده.. ونال ما طلب!!!

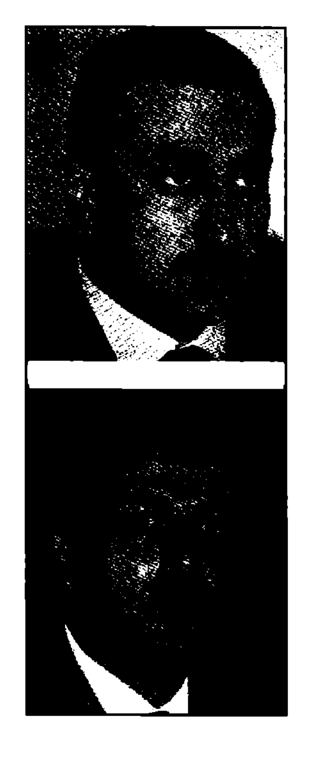






صبرا وشاتيلا .. مشاهد الدم والعار هــذه سُــبَّة في جبـين الإنســانية والغـرب الذي يدعي التحضر والديمقراطية.





ويبدو أحد أبطـال المذبحـة : (إيلـي حبيقـة) الكتـائبي القــذر الـذي اغتيـل في ظـروف غامضـة وانشطرت جثته إلى قطع متناهية الصغر، وإلى الأسفل منه : (بشـير الجميـل) قـائد المذبحـة، الــذي اغتيـل أيضًـا لكـن لم يعـثر علـى قطعة واحدة من جثته. ! !



سعاد سرور .. نجت من مذبحة صبرا وشاتيلا.. وروت فضائح مذهلة ووقائع تفوق الخيال عما ارتكبه الأوغاد.. الصورة لها مع محاميها اللبناني شبلي الملاط بعد تقديم دعوى ضد أرئيل شارون في المحكمة البلجيكية.

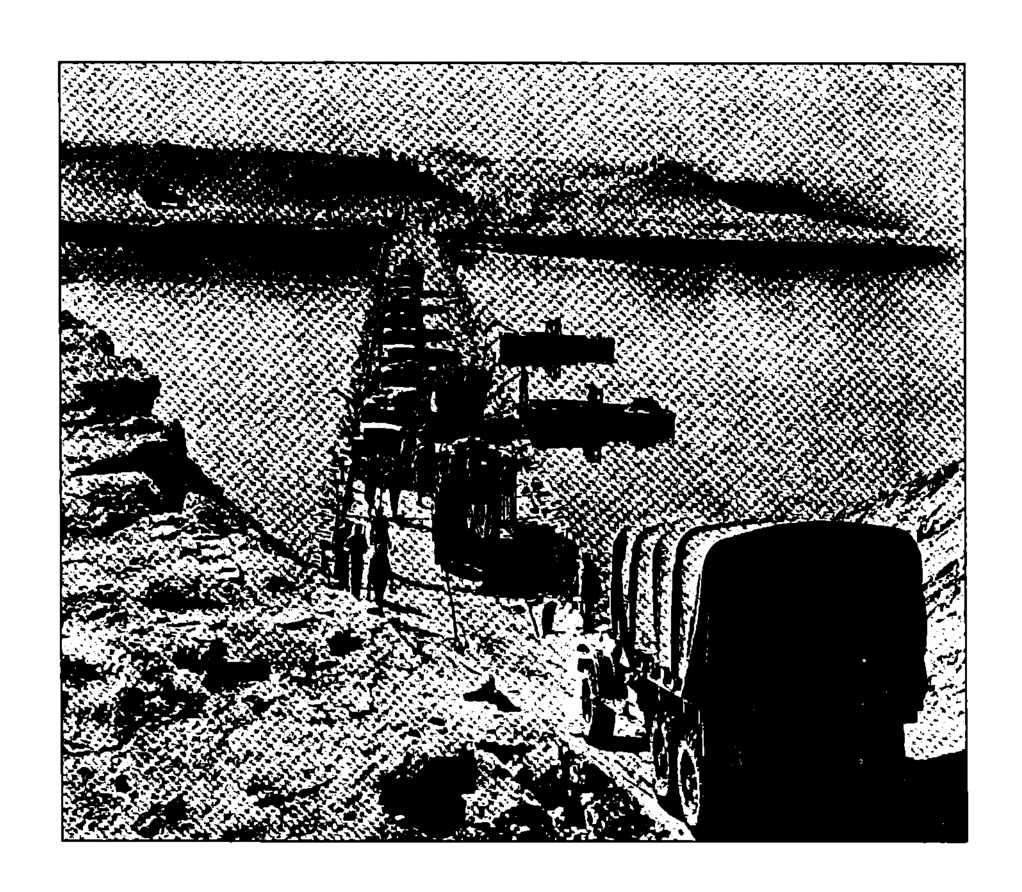
وأسفل .. شارون يضحك في خبث وكأنه يردد: وماذا ستأخذ سعاد سرور وكل من نجوا من المذبحة..؟ لا شيء..!!



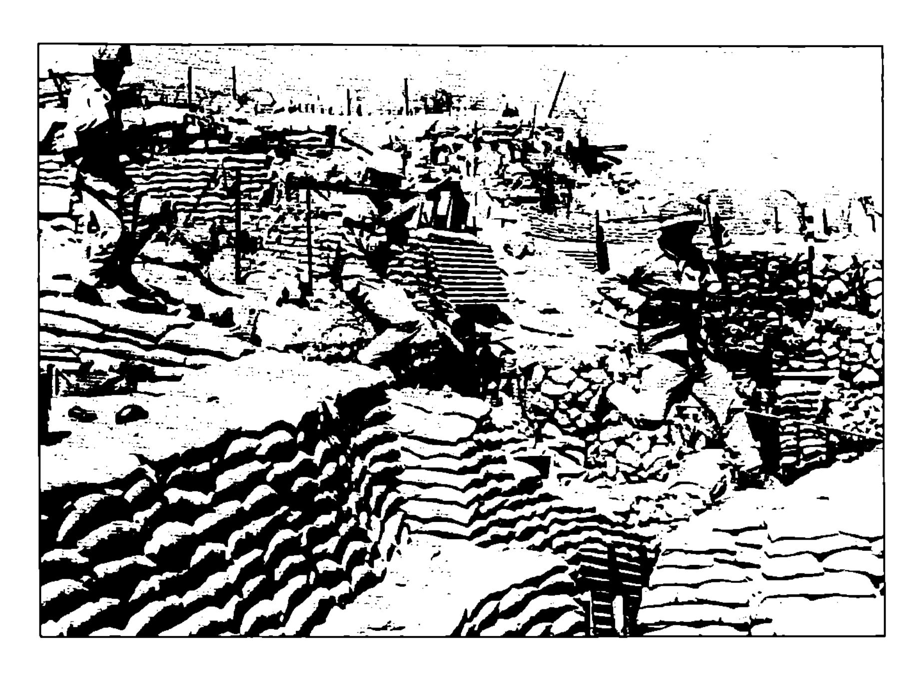
عملية (صيدا) الفاشلة التي قتل فيها (١١) من الكوماندوز الإسرائيليين.



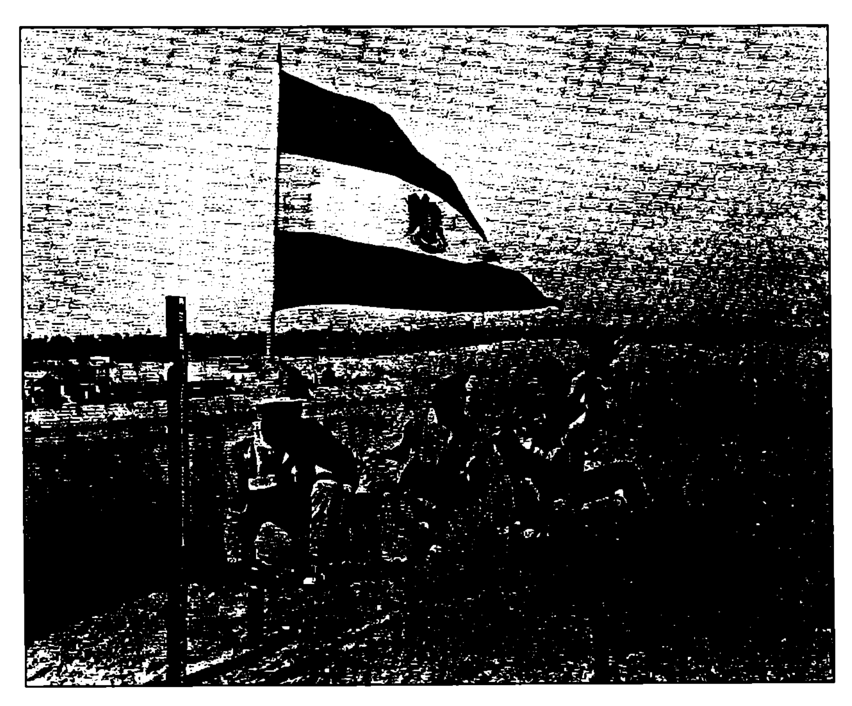
رجال المقاومة اللبنانية يعرضون بزة عسكرية لجندي إسرائيلي خلعها وجرى بعيدًا لينقذ نفسه من الهلاك الذي كان ينتظر فريقه ..!!

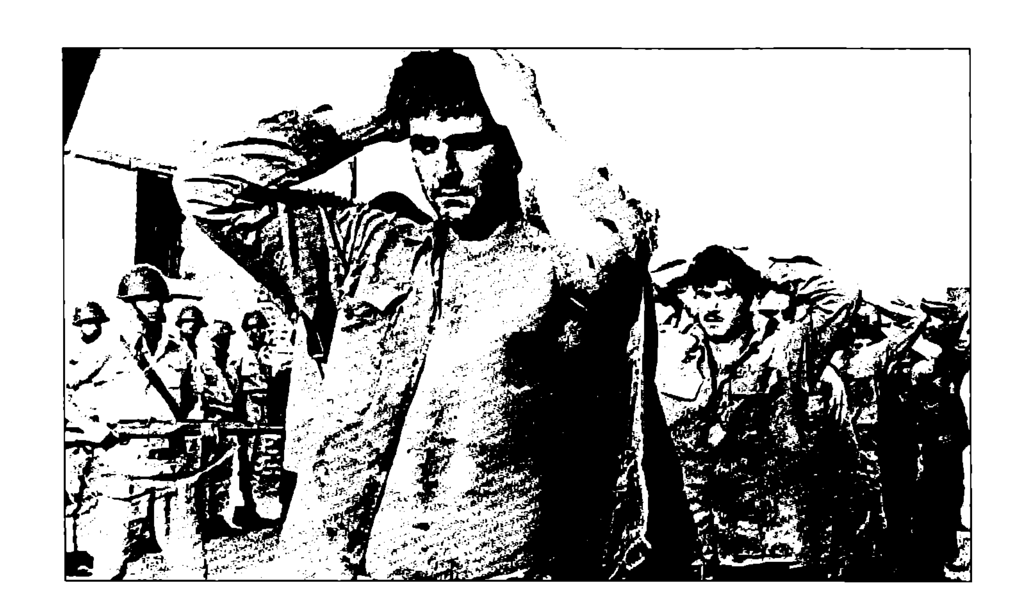


الكباري سابقة التجهيز.. إحدى معجزات حرب أكتوبر التي أذهلت العقول العسكرية في العالم.. وغيرت من استراتيجيات الحروب في الأكاديميات المتخصصة في عواصم الدول الكبرى..!!



خط بارليف الحصين .. تهشم في لحظات أمام ضربات الجيش المصري وإرادة رجاله ، فتهشم حائط الوهم الإسرائيلي الذي كان منيعًا محكمًا ، وارتفع العلم المصري يرفرف على الضفة الشرقية للقناة من جديد .





الذهول .. الفزع .. المفاجأة .

أسرى جيش الدفاع الإسرائيلي في عام ١٩٧٣ ..!!



(١) إيلي زاعيرا: رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان). كانت تحليلات جهازه تنفي وقوع الحرب. وختم حياته العسكرية بنقطة سوداء في تاريخه.



(٢) عساف ياجوري.. أشهر أسير إسرائيلي في حرب أكتوبر. بكى عندما سقط في الأسر فقال له الضابط المصري: لا تبك أيها الضابط أمام جنودك.



(٣) جولدا مائير: قالت الكتب الصادرة من إسرائيل بعد الحرب أنها هددت بالانتحار بسبب الفضيحة التي قضت على تاريخها الإرهابي كصهيونية من الصهيونيين الأوائل الذين قامت إسرائيل على عاتقهم.



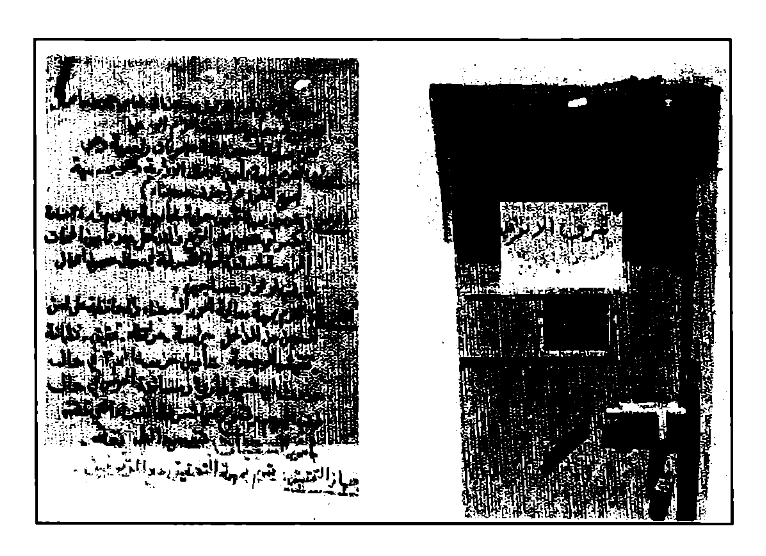
(٤) بارليف.. بنى جدارًا عسكريًا شرق القناة.. اكتشف عام ١٩٧٣ بأنه حائط هش.. يشبه قطعة الزبدة عندما تقطعه السكين .



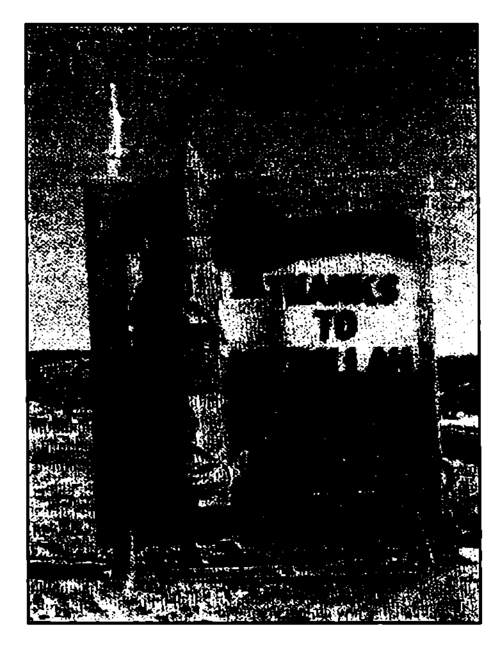
(١) هرب العدو الصهيوني وقوات أنطوان لحد من الجنوب اللبناني وتركوا الكثير من العتاد والآليات والذخائر. والصورة لأطفال قرب قلعة شقيف يلهون بالمخلفات.



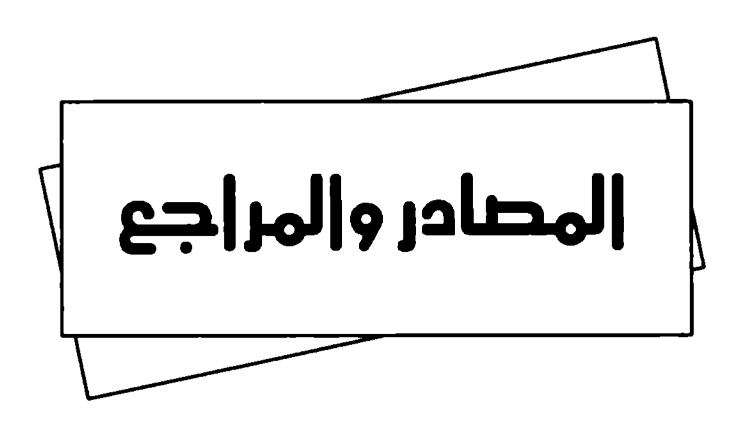
(٢) بدلة عميل إسرائيلي تركها على الرصيف وهرب .



(٣) إحدى غرف السجن الانفرادي في معتقل الخيام، ولوحة حائطية بقانون المعتقل (اللوائح) .



(٤) شكرًا حزب الله، مع علم لبنان والرصاصة التي ترمز إلى المقاومة. وهـذا أقل ما يقدم في مناسبة تحرير الجنـوب إلى حـزب الله وأبطالـه البواسـل الذيـن استشهد منهم ألف بطل منذ غزو لبنان عام ١٩٨٢ .


المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ – **يفجيني كورشـونوف**: الوسـاد الإسـرائيلي.. عمـلاء – إرهـابيون – قتلـة. ترجمة: مخلوف سليمان. دار حوران للطباعة. دمشق – ٢٠٠٢ .

٢ – **شمعون بيريز** : معركة السلام (يوميات) ترجمة عمار فاضل ومالك فـاضل. الأهلية للنشر. المملكة الأردنية – عمان ١٩٩٥ .

٣ – **د. صالح زهر الدين** : المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية. المركـز العربي للأبحاث التوثيقية. بيروت – ١٩٨٥.

٤ – **يوسف ميلمان، دان رافيف**: أمراء الموساد . ترجمة محمود برهوم، حزامـة حبايب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٩١ .

٥ – **سعيد الجزائري** : المخابرات والعالم . دار الجيل . بيروت – ١٩٨٩ .

٦ – **رولاند راين** : الموسـاد .. الملفـات السـرية لجـهاز المخـابرات الإسـرائيلية. ترجمة : طلعت غنيم، مجدي عبد الكريم. مكتبة رجب . القاهرة – ١٩٩٣.

٧ – **جراهام يوست** : تقنية التجسس . ترجمة : إيـاس فرحـات. دار الحـرف العربي. بيروت – ١٩٩٣ .

٨ – **نيل . س . لفنجستون، دافيد هاليفي** : القصـة الحقيقيـة لمنظمـة التحريـر الفلسطينية. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة – ١٩٩٢ .

٩ – **أيمن العلوي** : الجاسوسية الإسرائيلية تحت المجـهر. دار الرافـد. لنـدن – ١٩٩٣.

١٠ – **محمد فوزي (الفريق أول)** : حرب الثلاث سـنوات ١٩٦٧/ ١٩٧٠. دار المستقبل العربي – ١٩٨٤.

١١ - **جوردون توماس** : انحطاط الموساد - اغتيالات وأكاذيب وارتزاق. ترجمة محمد معتوق. بيسان للنشر والتوزيع . بيروت - ٢٠٠٠ .

١٢ - **جوردون توماس** : جواسيس جدعون.. التاريخ السري للموساد. ترجمة أحمد عمر شاهين، مجدي شرشر. كتاب سطور - ١٩٩٩ .

١٣ - **إيان بلاك ، بني موريس** : الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية. ترجمة العقيد الركن إلياس فرحات. دار الحرف العربي . بيروت - ١٩٩٨ .

١٤ - **د. إيريش فولات** : عين داوود.. عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية. ترجمة أسيمة جانو. مكتبة مدبولي بالقاهرة - ١٩٨٧ .

١٥ - **د. عبد العظيم رمضان:** تحطيم الآلهة.. قصة حرب يونية ١٩٦٧ . الجزء الأول. مكتبة مدبولي بالقاهرة - ١٩٨٨ .

١٦ - **فيكتور أوستروفسكي ، كلير هوى** : عن طريق الخداع. صورة مروعة للموساد من الداخل. ترجمة ماهر الكيالي وآخرين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - ١٩٩٠ .

١٧ - **فريد الفالوجي** : العملية 007 .. وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل.. مكتبة مدبولي. القاهرة - ٢٠٠٣ .

١٨ - **د. ممدوح حامد عطية:** البرنامج النووي الإسرائيلي.. والأمن القومي العربي. مكتبة الأسرة - ١٩٩٧ .

١٩ - **أحمد حجازي السقا** : الجنس عند اليهود.. أخبار النساء الصالحات والفاسدات من بني إسرائيل. دار الكتاب العربي. دمشق - القاهرة - ٢٠٠٣ .

٢٠ - **طلعت المرصفي:** أوراق مجهولة من ملفات المخابرات العالمية. مكتبة مدبولي. القاهرة - ١٩٩٥ .

٢١ – **قصي عدنان عباسي** : المخابرات الإسرائيلية. أسرار وحقائق. منشورات دار علاء الدين. دمشق – ٢٠٠١ .

٢٢ – **وليم ديشيل** : إريكا.. عميلة الموساد. ترجمة د. رمضان أبو العلا، د. عبد العظيم حسنة. مدبولي الصغير. القاهرة – ١٩٩٣ .

٢٣ – **بليدوفسكاو بلوخ** : الجاسوسية والجاسوسية المضادة. ترجمة حكمت البعييني. منشورات البحر المتوسط. بيروت – باريس – ١٩٩١ .

٢٤ – **يوسف هلال** : أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات . مركز الحضارة العربية. القاهرة – ١٩٩٨ .

٢٥ – **د. رفعت سيد أحمد** : وثائق حرب فلسطين – الملفات السرية للجنرالات العرب. مكتبة مدبولي. القاهرة – ١٩٨٩ .

٢٦ – **إبراهيم العربي** : التقارير السرية للمخابرات الأمريكية . المركز العربي للنشر والتوزيع . الإسكندرية – القاهرة، بدون تاريخ إصدار .

٢٧ – **د. عبد الوهاب المسيري** : اليد الخفية.. دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية. مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠ .

٢٨ – **ريتشارد ديكون** : العمليات السرية للمخابرات الإسرائيلية . ترجمة دار طلاس. دمشق – ١٩٨٧ .

٢٩ – **دايفيد كان** : حرب الاستخبارات. ترجمة عبد اللطيف أفيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٨٢ .

٣٠ – **دينيس إيزنبرج** : الموساد.. جهاز المخابرات الإسرائيلية السري.

٣١ – **نزار عمار** : الاستخبارات الإسرائيلية .

الصحف والدوريات العربية :

أعداد من (القدس) ، (الكفاح العربي) ، (الشراع) ، (الحوادث)، (الوسط)، (روز اليوسف) ، (استراتيجيا) ، (المجلة العسكرية) . سوريا، (المعركة) ، (الوطن العربي)، (الأحرار) . بيروت، (العالم) ، (آخر ساعة)، (أكتوبر)، (الدوحة) ، (الأهرام) ، (الموقف العربي) ، (الشرق الأوسط)، (الحياة)، (البيان) ، (المصور) ، (الأنباء) ، (اليقظة) .

صدر للمؤلف

١ – أمينة المفتي.. أشهر جاسوسة عربية للموساد.

٢ – جواسيس الموساد العرب.. قصة سقوط ٢٥ جاسوسًا.

٣ – العملية **007** .. وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل.

٤ – أحمد الحلاق .. أول جاسوس أعدم في لبنان.

٥ – انشراح موسى.. أعدمها السادات فأعتقها بيجين.

٦ – التاريخ السري للصحاف.. بين المخابرات والخارجية والإعلام.

٧ – ماذا حدث في بغداد ..؟ خفايا الانهيار المفاجئ لنظام صدَّام.

٨ – حراس الهيكل.. عمليات الموساد الخارجية في نصف قرن. الجزء الأول: الخطف .

٩ – حراس الهيكل . الجزء الثاني : الاغتيالات .

١٠ – حراس الهيكل . الجزء الثالث : الفضائح .

١١ – رصاصة الرحمة.. اللحظات الأخيرة في حياتهم .

١٢ – البكاء الصامت.. دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .

١٣ – قصتي مع الموساد.. مذكرات جاسوس الإسكندرية.

١٤ – موسوعة أشهر المنتحرين في العالم .

كتب تحت الطبع للمؤلف

١ – جاسوسات عاشقات.. خَلَّدهن الحب وحقَّرهن التاريخ .

٢ – نساء الجنس المقدس .. في الموساد ..

٣ – سجينة كهف السعرانة.. مذكرات منسية لأخطـر جاسوسـة عربيـة للموساد.

٤ – سيكولوجية الجاسوس.. تشريح مرض الخيانة .

٥ – هكذا دفنوا أحياء.. جواسيس الوهم والجنس والثراء .

٦ – جواسيس السلام في مصر.. هدايا إسرائيل بعد كامب ديفيد.

٧ – الشِّبَاك الناعمة.. نساء الجاسوسية والحب والانتحار .

تطلب جميع أعمال الكاتب

من



٢٥ شارع وادى النيل - المهندسين - القاهرة

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail:atlas@innovations-co.com

كتب تحت الطبع للمؤلف

١ – جاسوسات عاشقات.. خَلَّدهن الحب وحقَّرهن التاريخ .

٢ – نساء الجنس المقدس .. في الموساد ..

٣ – سجينة كهف السعرانة.. مذكرات منسية لأخطـر جاسوسـة عربيـة للموساد.

٤ – سيكولوجية الجاسوس.. تشريح مرض الخيانة .

٥ – هكذا دفنوا أحياء.. جواسيس الوهم والجنس والثراء .

٦ – جواسيس السلام في مصر.. هدايا إسرائيل بعد كامب ديفيد.

٧ – الشِّبَاك الناعمة.. نساء الجاسوسية والحب والانتحار .



تطلب جميع أعمال الكاتب

من



٢٥ شارع وادى النيل - المهندسين - القاهرة

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail:atlas@innovations-co.com

الفهرست